

١٧١

المجلد الثاني

في تفسير القرآن الكريم

يسمى على عجائب سبع لكانت تأليفه لآبائنا

تأليف

الأستاذ شافعي الحكيم شيخ ططاوي جوهري
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسامحة بجانته آمين

المجلد الثاني عشر

طبع بطبعة

مصطفى السباني الحسبي وأولاده بمصر

وحقوق الطبع محفوظة

بأشرطبعة - محمد امين عمارة

شوال سنة ١٣٤٧ هـ

وَذَكَرْنَا قَانَ الَّذِي كَرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء مكية

(إلا آية - ولونزلناه على بعض الأعجمين - ومن قوله - ألم تر أنهم في كل واد يهيمون -
الى آخر السورة فنية ، وهي ٢٢٧ آية)
(وهي سبعة أقسام)

- (١) مقدمة في تسليية النبي ﷺ على اعراضهم عن الدين وفي الاستدلال على الله بجباب الطبيعة
 - (٢) وقصة موسى وفرعون
 - (٣) وقصة ابراهيم عليه السلام
 - (٤) وقصة نوح عليه السلام
 - (٥) وقصة هود وعاد وثمود وصالح
 - (٦) وقصة قوم لوط وشعيب
 - (٧) خاتمة السورة في وصف القرآن بأنه نزل به جبريل وأنه شهد به علماء بني اسرائيل وأنه لا يقدر على مثله الشعراء الخ * يروى أنه ﷺ قال ﴿ أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام ﴾
- (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ *
إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَمْتَ أَعْنَاقَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ

مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَؤُهُمَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

التفسير اللفظي

(طسم) تقدم تفسير البسملة في الفاتحة و - طسم - في أول آل عمران وسيأتي هنا (تلك آيات الكتاب المبين) أي هذه الآيات التي في هذه السورة آيات القرآن الظاهر اعجازه المبين باطلال والحرام والأمر والنهي (اعلك باخع نفسك) قاتلها ولفظ اعل لا شفاق أي اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة وخزنا على ما فاتك من اسلام قومك وقوله (ألا يكونوا مؤمنين) أي خيفة امتناع كونهم مؤمنين والمراد بهم قريش وكان حريصا على ايمانهم محبة له ، فلا تجزع يا محمد (إن نشأ) إيمانهم (نزل عليهم من السماء آية) دلالة ملجئة الى الايمان (فظلت أعناقهم لها خاضعين) منقادين لما وصفت الأعناق بصفة العقلاء أجريت مجازهم وظل الماضي في معنى المضارع كما تقول ان زرتني أكرمك أي أكرمك كما قال الزجاج (وما يأتهم من ذكر) طائفة من القرآن (من الرحمن) يوحى الى نبيه (محدث إلا كانوا عنه معرضين) إلا جددوا اعراضا عنه واصرارا على الكفر (فقد كذبوا) أي بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا في التكذيب حتى استهزؤا (فسياتهم) اذا مسهم العذاب يوم بدر أو يوم القيامة (أنبؤا ما كانوا به يستهزؤن) فيعرفون أحق كان فيصدق أم باطل فيكذب ويستهزؤا به (أولم يروا الى الأرض) أولم ينظروا الى عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) محمود كثير المنفعة فان النباتات بلغت أنواعها ٣٢٠ ألف نوع وكل منها منافع ومناظر وخواص وطبائع وعجائب تخالف الثاني ، والانسان الذي هو أرقى المخلوقات في الأرض له في كل نبات منفعة ، فنه الدواء ومنه الغذاء ومنه الروائح العطرية ومنه خشب السقف ومنه شجايك المنزل وبعض السفن في البحر والزيت والفاكهة الزيتي منها والعطري والمائي والحضي والسكري والمز (إن في ذلك) أي في انبات تلك الأصناف وفي كل واحد منها (لاية) على ان الخالق تام الحكمة عليم سابغ النعمة واسع القدرة وقد علم الله أن أكثرهم قد طبع على قلوبهم فلا يرجى ايمانهم (وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز) في انتقامه ممن كفر (الرحيم) لمن آمن منهم وتاب . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول . وههنا لطيفتان

اللطيفة الأولى في معنى - طسم - ومعنى - كهيعص -

هذا ما فتح الله به في فجر يوم الأحد ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٨ في معنى - طسم - وفي معنى - كهيعص - ومعنى - كهيعص - لم يخطر لي إلا في هذا الصباح ، وذلك أن المقصد من هذه الحروف توجيه النفوس الى المعاني المهمة في السورة من تعليم وتهذيب ، فترى أن الكاف تشير الى أن تذكر قصة زكريا في أول السورة وأنه دعا الله أن يجعل له وليا يكون نافعا لبنى اسرائيل بعد وفاته فأجيب دعاؤه ، والسبب في الاجابة أن هذا الدعاء قصد به العموم لا الخصوص ، فليعلم المسلمون أن الانسان لا تتم انسانيته إلا بأن يوجه همه للنافع العامة كما في أمر زكريا ، وهذه المعاني استنتجت من هذه القصة لما كان الكاف في زكريا وفي اذكر ، وأما الكاف في ربك فكأنه يقول سبحانه ان ربهم هو ربك أيها المسلم فلتفعل ما فعلوا فان الله يعينك كما أعانهم وهذا هو المقصد من القصص فان القصص انما يراد للتذكير والقدوة

ومن المحزن والمؤلم أن يمرّ المسلم على هذه الآية وهو غافل عن النبات ، فيأثيها الذكي المطاع على هذا التفسير سألتك بالله الذي أنزل الكتاب وخلق النبات أن تكون مرشداً للمسلمين لهذا العلم ، فخذ أصدقاؤك وأصحابك وأدرسه دراسة هذه صورتها « اذهب الى الحقل وقرأ هذه الآية ثم تقدم الى أنواع النبات وانظر الى تنوعها واختلافها ، وإياك أن تكفى بالظواهر ، إياك أن تقول أنا آمنت بالله وكفى فهذا قول العامة بل الإيمان بالله يقتضى التغلغل في النظر الى عجيب اتقان صنعه » فإذا ذهبت الى الحقل رأيت آيات

﴿ الآية الأولى . تنفس النبات ﴾

إن الانسان والحيوان يتنفسان وهكذا النبات يتنفس . إن الانسان يخرج بتنفسه من غاز حامض الكاربونيك كل يوم (٢٥٠) جراماً من الكاربون العنبر ، وعلى ذلك لودام الانسان والحيوان يتنفسان على طول الزمان لازم أن الهواء الجوى ينفد ويموت الانسان والحيوان بعد زمن وان كان طويلاً لأن الأكسوجين الذى يمتصه الجنس البشرى فى السنة الواحدة (١٦٠٠٠٠٠) مليون متراً مكعباً . ويقال ان الحيوانات الباقية تنفس أربعة أضعافه ، فإذا كان هذا هو الذى يمتصه الحيوان وكان ما يخرج من الفم بالمقدار المتقدم بحيث يكون سكان القطر المصرى وحدهم يخرجون من أفواههم فى السنة (٤٠٠٠٠٠) طن من الفحم فى السنة ، فإذا تصورنا عموم ذلك فى كل حيوان وانسان تصورنا كيف يمكن فناء هذه الاحياء بعد حين ولكن انظر الى عجائب الصنعة الإلهية . انظر الى حكمة بديعة وآية غريبة . ذلك أن النبات يحتاج فى تركيبه الى الفحم وذلك الفحم انما يأخذه مما لفظه الحيوان وهو حامض الكاربونيك وفيه أكسوجين وكربون أى خم ، فانظر كيف سار ذلك الحامض الكاربونيك من الحيوان الى النبات ودخل فى جسمه وحلل هناك بعملية تحت تأثير الشمس ولفظه النبات الى الجو . ألا تتعجب . كيف تتركب الأكسوجين والكاربون فى جسم الانسان والحيوان وكيف لفظه الحيوان فدخل فى جسم النبات فتمحلل هناك بتأثير الشمس ومتى تحلل خرج الأكسوجين الى الهواء فدخل فى أجسام الناس والحيوان بصفة عملية التنفس . أليست هذه آية من آيات الله وعجائبه . يارب ان الناس غافلون بل ربما يمرّ عالم النبات على هذا وهو غافل عن تركيب هذه الدنيا نعيش ونحن لا ندري أن هناك معامل تحلل لنا حامض الكاربونيك وتلك المعامل فى النبات ولا ندري أن لطف الهواء بالأكسوجين والأكسوجين يأتي من النبات ونعيش ولا نعلم أن أنفاسنا تخرج فى الهواء خفاً وذلك الفحم يصير فى النبات الذى تلبسه ونوقد به النار ونتغذى به ونتداوى وغير ذلك

﴿ الآية الثانية ﴾

اعلم أن النبات لا يتنفس إلا الأكسوجين النافع لنا إلا تحت تأثير الشمس ، ألا ترى أنك لو وضعت عشباً نامياً تحت إناء زجاجى يسمونه فى علم الطبيعة (قابلة وضعية) وهذا الإناء بشكل اسطوانى فإذا وضعته مقلوباً وهو مملوء ماء فى إناء فيه ماء بحيث يبقى الماء غاصراً العشب فى القابلة وعرضته للشمس فلا تلبث أن ترى فقائيع غاز صغيرة تظهر على سطوح الأوراق ثم تصعد الى أعلى القابلة وتدفع الماء تحتها ولا يزال الغاز يجتمع هناك حتى تمتلئ القابلة منه وهذا هو غاز الأكسوجين العنبر فلما دخلت فيه شمعة مشتعلة زادت نورا شديداً وهذا دليل على أن هذا هو الأكسوجين . أما اذا كان ذلك بالليل فان النبات لا يتنفس الأكسوجين بل يخرج بالليل حامض الكاربون كما يفعل الحيوان لأنه لا يستخرج الأكسوجين إلا بتأثير الشمس فإذا نام الناس فى غرفة مغلقة فيها عشرة أعشاب حية فان هواء الغرفة يفسد بنفسها كما يفسد بتنفس عشرة أشخاص ، واعلم أن تنفس النبات بالليل ليس كثيراً كتنفسه بالنهار فلا يلزم من ذلك فساد التناسل بينه وبين الحيوان فى التبادل فافهم

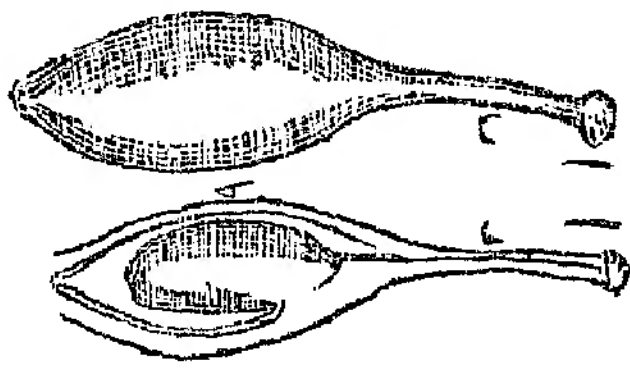
﴿ الآية الثالثة ﴾

اعلم أن النبات يتصاعد منه بخار كما يتصاعد من البحار والبحيرات ولذلك يقول العلماء انه كلما كثرت الشجر

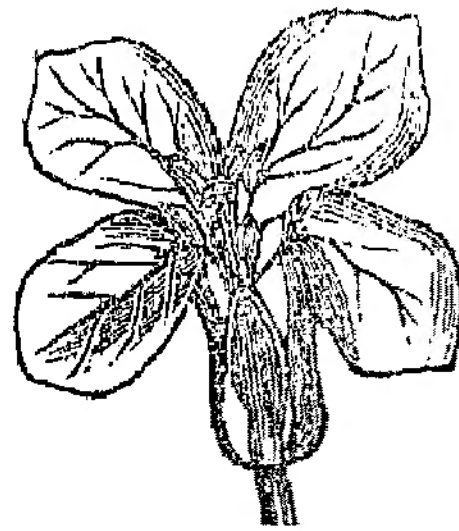
في بلد زاد المطر لأن البخار يذهب الى الجو كما يذهب من البحار ويكون سحابا ، وقد جرب ذلك الاستاذ (موشبروك) في (ايدن) فانه غطى العشب بقبالة من الزجاج باحتراس فرأى على سطوح الأوراق قطرات من الماء وهي المسماة بالندى ، وعلى ذلك استنتج العلماء أن أكثر ما يراه الناس على النبات من الندى ليس من السماء وإنما هو من البخار المتصاعد من النبات ولذلك وجدوا أنه يتصاعد من بعض النبات مضاعف وزنه ماء في اليوم والليلة ، وهناك نباتات تقدم ذكرها في هذا التفسير تسمى (نبات الأباريق) تنتهي بأقداح اسطوانية تمتلئ ماء به يسقى الناس ويفاثون من اهلاك فتعجب من صنع الله تعالى . انظر كيف كانت الشمس مرسلة أشعتها على البحر وعلى النبات فإذا فعلت ؟ أطارت من البحر بخارا فصار سحابا وحالت من النبات اكسوجينا فاطف الجوف تنفسنا . فانظر كيف أثارت الشمس البخار من البحر والاكسوجين من النبات فكان المطر لحياتنا والاكسوجين وهم الأهم لتنفسنا ، فيا ليت شعري هل للانسان دخل في تحليل الاكسوجين أو في صعود الماء بخارا ان الانسان في الحالين يقول ما يقوله المسلم في الصلاة عند الرفع ﴿ اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ﴾ . يعيش الانسان ويموت وهو في جو من الاكسوجين حالته الشمس من النبات وفي نعمة النبات والحيوان والماء بسبب خروج البخار من البحر بحرارة الشمس وبخروج البخار من النبات فيرتفع الى أعلى فيصير سحابا وقد تطاير بخاره من النبات الذي هو المخزن البري للماء كالبحر

﴿ الآية الرابعة . الزهرة ﴾

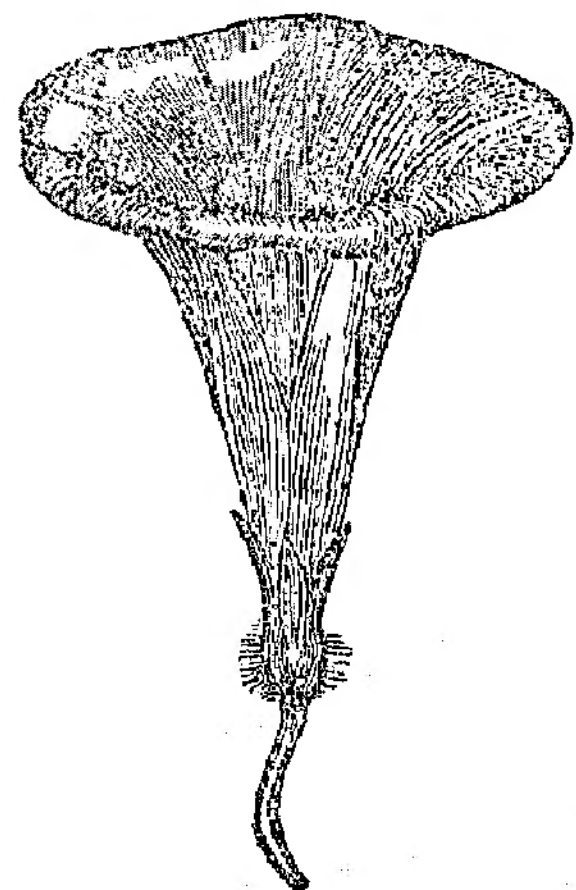
قلت لك في أول هذا المقام خذ أصحابك واذهب الى الحقول والزهر والبساتين . قلت لك ذلك ولكن لم أشرح لك شيئا في الحقول إنما ذكرت لك أشياء عامة ، فهناك ما تدرسه وأنت في الحقول وبهذه الدراسة درست سورة الشعراء ومقصودها ودرست علوم القرآن ودرست علوم حب الله تعالى ودرست الدين ودرست التوحيد وكنت في نفس الوقت عابدا . كلا . كلا . فأنت أفضل من ألف عابداً لأنك بعد هذا الدرس الآتي ستكون عالما حقيقة مطلعا على آثار جلال الله الظاهر البديع المدهش . انظر معي ألهمك الله العلم وعشقك في الحكمة وحبيبك في لقائه والنظر الى وجهه الذي من مقدماته دراسة المخلوقات بشوق ولهف وحب (انظر شكل ١ وشكل ٢ وشكل ٣ وشكل ٤ وشكل ٥)



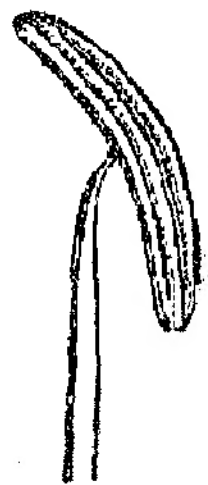
(شكل ٣)



(شكل ٢)



(شكل ١)



(شكل ٤)



انظر الى الشكل الأول فان الزهرة قطعة واحدة وزاه في حقولنا المصرية كثيرا وشكل ٢ ترى فيه الزهرة مفصلة أوراقها ، وفي شكل ٣ ترى عضو الاناث مكونا من خيط ينتهي من أعلاه بجسم مفرطح يسمونه السمة وأسفله يسمونه المبيض وهذا المبيض فيه بويضات صغيرة وهي أصول البذور يتسكون منها بعد التلقيح الثمر وشكل ٤ عضو الذكور وأعضاء الذكور تكون حول عضو الاناث وهي خيوط صغيرة يحلوها جسم صغير منتفخ يسمى بالاثير أو فيه مسحوق وهو الطلع ووظيفته كوظيفة المنى وقد تعدد أعضاء الذكور في الزهرة حتى اذا فسد بعدها قام الباقي مقامه والذكور حول الأثني كأنها تحفظها وهذه الذكور تحيط بها أوراق التويج للحفظ وللزينة وأوراق التويج تحيط بها أوراق السكاس لحفظها من حوادث الجو والشكل الخامس هو الشكل الذي رسمناه في سورة الأنعام ونعيد هنا لزيادة الفائدة ، فالزهرة السكاملة مؤلفة من حافظ لشكلها محيط به ووسط داخل في ذلك المحيط والمحيط بها مؤلف من طبقتين والأوراق الخضر المسماة بالسكاس ، والأوراق الملونة التي في داخلها المسماة بالتويج وهي ملونة بألوان بهجة تسر الناظرين وتسمى أوراق السكاس بسلا وأوراق التويج بتلا ، والذي هو في الوسط «قسمان» أعضاء الذكور وهي المسماة بالاسدية جمع سداة والسداة كما رأيت في الشكل مركبة من خيوط تنتهي بجزء منتفخ فيه طلع وهذا الانتفاخ يسميه النباتيون (الاثير) والذي عليه هو الغبار أو الطلع أو البلمن ، والقسم الثاني أعضاء التأنيث وهي المسماة بالمدقات جمع مدقة كما رأيت في الرسم وهذه المدقات تنشا من قاعدة الزهرة وهي المسماة (البتخت) وأسفل المدقة يقال له مبيض وأعلاها يسمى السمة وما بينهما يسمى (القلم) ، وقد تقدم ايضاح هذا في سورة الأنعام وفي سورة طه

فاذا ذهبت الى الحدائق والحقول فانقن هذه الأربعة واعرفها فان السكاس والتويج هما الحافظان والاسدية والمدقات هن المقصودات بالذات ، فانظروا تعجب ترى المدقات تقوم مقام الاناث في الحيوان والاسدية تقوم مقام الذكور ولذلك تجد كل أنثى قد عطفت على الذي يجانها وهو قد انعطف نحوها كما رأيت في الرسم وكيف يكون التزاوج بينهما ، كيف يكون ذلك وأكثر الناس لا يعلمون ، يقول الله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - تناقض واختلال . انظر تجد أن الطلع وهو الغبار المسمى (البلمن) يقع من الاثير على السمة في أعلى المدقة فيلقح بذورها في المبيض بأسفل المدقة . إن البلمن المذكور غبار دقيق اذا بحثناه بالآلة المعظمة وجدنا أشكاله هندسية منها السكروى والهرمى والبيضى والمستطيل والمثلث ومنها الأملس والمخطط والشائك واذا أمكنك بحث دقيقة من ذلك الغبار وجعلتها تحت المنظار المعظم وجدت عبارة عن حويصلة لها غلاف مزدوج وفي جوفها سائل تسبح فيه كريات تسمى بالملايين سموها (الاحياء الأنثوية) فالاسدية والمدقات

تجتمع في زهرة واحدة كما رأيت ويقع الغبار على السمة فيتعاقد بأهداب لها هناك ثم ينزل الغبار المذكور وله تنوء يستطيل ويخترق القلم حتى يصل إلى أسفل المدقة وهو المبيض وفي هذا المبيض جراثيم البذور فإذا لامسها ذلك التنوء النازل من الطلع تلقى صارت بذرا إذا بلغ وغرس في الأرض نبت وأثمر . هذا إذا كان في زهرة واحدة وهي القاعدة العامة وذلك كالورد والنفسيج والآس والمان والشتيق والدفة وقد تكون سلة واحدة ومدقة واحدة في الزهرة كما في نبات مائي يسمى (ذنب الفرس) وقد تكون الاسدية على زهرة والمدقة على زهرة أخرى في النبتة الواحدة وذلك كالخيار واليقطين والكستنه والكوسا والقرع وقناء الحمار وقد تكون الاسدية على شجرة والمدقة على أخرى كما في الصنوبر والصفصاف والبطم والتين

﴿ الزهرة الكاملة ﴾

الزهرة الكاملة هي التي لها كأس وتويج وسداة ومدقة كما رأيت وإن فقد منها واحد فأكثر فهي غير مستوفية

﴿ الزهرة القانونية ﴾

هي الزهرة التي تشابهت فيها أقسام الكأس والتويج كالخوخ والكرز والاوز وإن اختلفت سميت الزهرة غير قانونية مثل (البسلة) و (رأس السمك)

﴿ الزهرة المنتظمة ﴾

هي التي أوراق الكأس والتويج والاسدية فيها على عدد واحد أو مضروب عدد واحد ، إذا فقدت الزهرة الاسدية والمدقات فهي عقيمة لا يكون لها بزور كعوض الزهور البستانية الزاهرة النمو كالورد البستاني إذا فهمت ما ذكرته لك عرفت كيف قسموا النبات إلى أجناس وأنواع ورتب وفصائل الخ ذلك التقسيم على حسب الزهرة منتظمة وغير منتظمة ، قانونية وغير قانونية ، كاملة وغير كاملة ، وأجزاء التويج وأجزاء الكأس أهي متصلة أم منفصلة ، وهل اتصلت بالصف الذي يليها أم انفصلت عنه ، وما عدد أوراق كل من الكأس والتويج والاسديات والمدقات وما أشبه ذلك ، فهذا الاختلاف أمكن تقسيم النبات إلى أنواع بلغت آلاف وآلاف فتجب من العلم والحكمة

﴿ زهر العليق ﴾

الزهرة قانونية الكأس خمس قطع متصلة عند قواعدها ، التويج خمس كذلك لكنها متبادلة الوضع مع القطع التي في الكأس ، الاسدية كثيرة ولكنها موضوعة على التويج والمدقة مؤلفة من عدة جويقات

﴿ الخبازي ﴾

الزهرة قانونية ذات خمس فصوص ، الكأس خمس قطع متصلة ، التويج خمس قطع منفصلة متبادلة مع قطع الكأس الاسدية كثيرة ، المدقة عدة جويقات متصلة وعدة أقلام وعدة سمات مختلفة

﴿ جمال العلم والحكمة ﴾

اعلم أنه قد يقع على السمة الواحدة التي في أعلى المدقة ألوف الألوف من الغبار الدقيق المنتشر عليها من السداة ، ومعلوم أن الواحدة منها فيها ملايين من مخلوقات سباحة كما قدمنا ومع ذلك هي لا تحتاج إلا إلى واحد من ذلك كله ، فهذه كلها أشبه بخطاب جاؤا إلى عروس واحدة فتقبل واحدا وترفض الباقي

﴿ الآية الخامسة . اهتزاز النبات عند التلقيح ﴾

قد لاحظ الاستاذ الفسيولوجي (بورداخ) أن النبات يهتز في أثناء التلقيح اهتزازا خاصا فتتعطف السداة نحو السمة وقد تشاركها هذه فتتعطف نحوها كأنهما تتعاقبان ، ثم إن الحرارة تعظم في أثناء التلقيح وبعض النبات لا تعرف اشتداد حرارته عند التلقيح إلا بمقياس دقيق وبعضها تظهر بالترمو متر المعتاد وبعضها ترتفع وتشتد الحرارة حتى إذا لمست الزهرة شعرت بحرارتها وعجبت كيف لا تحترق الزهرة بهذه الحرارة وذلك كزهرة

النبات المسمى (ارام) بلسان الفرنجة ومنه نوع في إيطاليا تبلغ حرارته (٦٢) بميزان سنتسراد وهذا النبات أسديته في زهرة ومدقته في زهرة أخرى وكلاهما على شجرة واحدة كالخيار ، ثم ان تقيح البسات التي هي مفردة الجنس يكون بالهواء أو بالحشرات كما هو واضح في هذا التفسير فيما تقدم

﴿ الآية السادسة . النبات يحس ويتحرك ﴾

قد ظهر لك مما تقدم أن في الحيوان مبدأ الحس ومبدأ الحركة . قال (بيشا) العالم الفيسيولوجي الفرنسي المتوفى سنة ١٨٠٢ م « إن في النبات حسا بالسموم فهي تشله والسكر بائية تميته ، وبعض النبات اذا سقى الأفيون نام نوما عميقا » وهكذا السلامة (جوبرت) و (مقار) « إن الحامض البروسييك يسم النبات بسرعة كسرعة سم الحيوان به » وايضا يلاحظ الناس أن النبات الحساس ينكمش اذا لمست مائة مهيجة . وقال (كارودوري) « إنك اذا هيجت أطراف ورق الحس درت بهض عصارها ، إن بعض النباتات التي يستنبتها الناس في القاعات تكون يانعة أثناء النهار ولسكنها في الليل تطبق أزهارها وترخي أغصانها وتنام ، هكذا الستط الحساس متى لامست بعض أوراقه تطبق بعضه على بعض وذبل » فالحس في هذا النبات تبعته الحركة كما علمت ، وهناك نبات هندي اسمه (دسموديا) اذا أشرقت الشمس عليه تحركت ورقتان فيه بالتقارب والتباعد على الدوام كعقرب الدقائق في الساعات ، واذا قطعت غصنا منه ظلت أوراقه تتحرك بعد القطع مدة طويلة وربما كان ذلك بضعة أيام ، ومنها (مصيدة الفأر) وهو نبات له غدد اذا وقعت فيها ذبابة انطبقت أهدابها عليها ولسعتها بأشواكها ، فاذا حاولت الذبابة الفرار انقضت الكاس عليها حتى تخمد أنفاسها ، واذا اردت فتح الكأس بيدك عنوة تمزقت ولم تفتح وانما تفتح من تلقاء نفسها متى ماتت فريستها

﴿ الآية السابعة ﴾

يشاهد في كثير من الأزهار أن السداة عضواً التذكير والمذقة عضواً التأنيث كما فهمت في زمن اللقاح يهتز اهتزازاً ظاهراً أحدهما نحو الآخر لاتمام اللقاح وقد تنعطف احدهما دون الأخرى وبعض الأزهار المائية تطفو نهاراً على سطح الماء فاذا جاء الليل غاصت في قاع البحر

﴿ الآية الثامنة ﴾

إن العلماء رأوا أن الطلع وهو المسمى (البكن) الذي عرفته فيما تقدم قد يكون له في بعض النبات أجنحة أو أهداب يسبح بها على الماء أو يطير في الهواء لاتمام العمل الذي خلق له

﴿ الآية التاسعة . شجر المسافرين ﴾

في (مداغشكر) شجرة تسمى (شجرة المسافرين) وهذا النوع تحمل كل واحدة منه ٢٤ ورقة وطولها يختلف ما بين متر و ٨ سنتيمتراً وقد يكون مترين وخمسين سنتيمتراً ، وعرضها من متر إلى متر و ٨ سنتيمترات وهي أشبه بمظلات وتحت كل ورقة منه ما يشبه القارورة وفيه نحو لتر من الماء الصافي . ويكثر هذا الشجر في الصحاري وينفع المسافرين أيام القيظ حيث لا يوجد ماء فيشربون تلك القارورة فينسكب منها الماء الصافي فيروى عطشه ثم يتركها فتعود كما كانت أي يلتحم مكان الشق

﴿ الآية العاشرة وهي الأخيرة . شجرة اللبن ﴾

هذه الشجرة توجد في بلاد أمريكا وأهل المكسيك يستخرجون لبنها . وقد كشف هذه الشجرة (اسكندر همبولت) وقد حلل العلماء لبنها فوجدوه كاللبن الحيواني وهو أكثر شها بالقشدة وفيه أيضاً مقدار كبير من شمع يشبه شمع العسل وأشاروا بتربية هذا الشجر لارتفاع شحمه وهذه الشجرة من الفصيلة الدفلية تنبت في أواسط أمريكا وتبلغ في الارتفاع ثلاثين متراً وينمو في (فنزويلا) حيث تقل الأمطار وقد تمر على الشجرة أشهر لاتصيدها قطرة ماء حتى ترى كأنها ميتة فاذا جرحتها بمعدية انسكب منها سائل أبيض كبير الشبه

بالبن رائحته بلسمية خفيفة وطعمه يشب القشدة المحلاة وهو مغذ، يمكن تناوله بكميات كثيرة صباحا ومساء
ولا يحصل منه ضرر مطلقا وهو لزج القوام اذا عرّض للهواء غشيته مادة صفراء متجمدة كالجبين . ثم ان بعض
النبات يفرز مادة مثل (سنّ الفيل) . فانظر كيف أخرج النبات سنّ فيل ولبنا وشمعا وهو أيضا يضيء كما تقدم
في سور قبل هذه ويسقى الناس ماء في الصحراء

أيها الذكي . هذا هو المقصود من قوله تعالى - أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم -
يقول الله لجميع الناس ومنهم المسلمون لأن هذا القرآن تذكرة لنا معاشرا لمسلمين أعميتهم أيها الناس فلم تنظروا
عجائب النبات المذكورة وذلك بعد أن أنذر بقوله - إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها
خاضعين - فسكان الله بهذا الكلام يقول للعقلاء إن لم تفكروا في آياتي وتعاقوها كالآيات التي في النبات فاني
أهلككم كما أهلك أهل أمريكا الأصليين وكما أهلك أهل استراليا . فأننا لا أبقى في ارضي إلا الذين
يصحون فيها عن عجائب صنعي إن نشأ نزل عليهم من السماء بلية ولكننا أبقيناهم عسى أن يفكروا فيما
خلقنا فيصالحوا لهارة أرضنا فلأنهلكهم . هذا هو مقصود القرآن على ما يقتضيه الزمن . ومن العجب أن
القسم الثاني من السورة ينحو هذا النحو . ألم ترالى نبأ موسى المذكور فيه كيف كانت محاجة موسى لفرعون
على هذا الخط فانه لما سأله مارب العالمين لم يجبه بالعصا ولا باليد وانه قادر على ذلك بل ابتداء بما ابتداء به في أول
السورة فقال - رب السموات والأرض وما بينهما - فلما راجعه - قال ربكم ورب آبائكم الأولين - فلما
راجعه - قال رب المشرق والمغرب وما بينهما - فجعل عماد الدعوة راجعا لخلق السموات والأرض وخلق
الانسان والمشارك والمغرب التي كانت من نتائج النور وما بينهما من نبات وحيوان وانسان فرجع الأمر الى
النظر في هذا العالم ، فتبين من هذه الأساليب القرآنية أن هذا الدين جهله أهله وسيظهر أمرهم ويعاوشأئهم
ويرتقى المسلمون بالعلوم والمعارف والكمال

فن هذا فليفهم المسلمون قوله تعالى في (سورة ق) - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها
من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات
وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد -

فانظر أيها المسلم الذكي كيف قال - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقال - رزقا للعباد - فاذا
كان المسلمون لا يقرؤون هذه العلوم فقد أعرضوا عن التبصرة والذكرى وأعرضوا عن الرزق لأنه قال - رزقا
للعباد - فهما (أمران) علم وغنى - ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا - فهنا اعراض عن
الذكر وعن الذكرى فتكون المعيشة ضنكا

أيها الذكي قل للمسلمين هذا كلام ربكم يقول - ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا - أي في
الدنيا - ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - وآيات الله منها ما ذكر هنا وهو اخراج النبات وما فيه من كل زوج كريم والله
يقول انه جعله - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وجعله - رزقا للعباد - فالعرضون عن هذه العلوم
والتحريض عليها أعرضوا عن ذكر ربهم وتكون لهم عيشة ضنكا ، فالعقول خاوية والدور خالية من
الثروة وهذا هو الذي حصل للمسلمين اليوم ، فالبصائر نائمة والأفئدة تريد اقتناصهم لجهلهم وتأخذ أموالهم وهم
غافلون لأنهم ليسوا مستبصرين كما أمر ربهم ولم يحافظوا ولم يحشوا عما خلقه ربهم لهم من الرزق فغفلت
العقول من العلوم والجيوب والدور من النقود ، فعليك أيها الذكي أن تعلن هذه الآراء للمسلمين بما وهبك الله
من قوة بيان . وكيف يتسنى للمسلم أن يدرك قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون *
ففرّوا الى الله - وكيف يتسنى له ذلك إلا اذا درس أمثال ما كتبناه هنا وتفكر فيه فيحسن بأن دافعا يدفعه

الى ربه مشتاقا الى لقائه أو معرفته كما أحسست في نفسك وأنت تقرأ هذه الآيات العشر وقد دهشت مما رأيت من عجائب ربك . فمن هنا فليفهم لم قال الله - ففرّوا الى الله - بعد قوله - ومن كل شيء خلقنا زوجين - ومن هذا تفهم بعض أسرار القرآن التي عجز عنها كثير من الناس . أوليس من هذا السر أن التعبير بالزوجين يرجع الى حال الذكورة والانوثة في النبات . أوليس هذا هو الذي عليه المعول عند علماء النبات في تقسيمه انظر الى ما كتبه العلامة (لينيو) إذ شاهد أن الزهر في النبات تميز وفي أقله اما غير متميز بتانا أو متميز لكن على غير الهيئة التي يميز بها في أكثر النبات ثم أمعن النظر في التميز فتري انه إما خنثى واما ذكر واما أنثى وأن الزهر الخنثى يختلف في العدد والوضع واجتماع أعضائه التذكيري والتأنيث . وأن الزهر سواء أكان ذكرا أو أنثى إما أن يكون ذا مسكن واحد أو مسكنين أو كثير المساكن وعلى ذلك قسم النبات الى (٢٤) رتبة

الأول أحادي أعضائه التذكيري . ثنائي أعضائه التذكيري . ثلاثي أعضائه التذكيري والرابعي والخماسي والسادسي والسباعي والثماني والتساعي والعشاري وذو أحد عشر عضوا تذكيري . الثاني عشر أعضائه التذكيري فيه زائدة عن (١٩) مندخمة في التويج . الثالث عشر أعضائه التذكيري الزائدة عن (١٩) مندخمة في أسفل المبيض . الرابع عشر له أربعة أعضاء ذكور اثنان أطول من اثنين . الخامس عشر له ستة أعضاء ذكور أربعة أطول من اثنين السادس عشر أعضائه التذكيري المجتمعة خزمة بواسطة خيوط الحشفة . السابع عشر فيه أعضاء الذكور اجتمعت خزمتين بواسطة خيوط الحشفة . الثامن عشر فيه أعضاء الذكور اجتمعت خزما كثيرة بواسطة خيوطها . التاسع عشر فيه أعضاء الذكور اجتمعت خزما بواسطة (الانثرا) وقد عرفتها فيما تقدم . العشرون فيه أعضاء التذكيري المتصقت بعضها بالتأنيث . الواحد والعشرون فيه أعضاء تذكيري وتأنيث وخنثى في نبات واحد . الثاني والعشرون فيه أعضاء ذكور وأنثى في نباتين . الثالث والعشرون فيه أعضاء ذكور وأنثى في نبات واحد أو أكثر . الرابع والعشرون نباتات خفية أعضاء التناسل

هذه هي الرتب والرتب تنقسم الى أجناس عالية والجنس العالي يشتمل على أجناس والجنس على أنواع

﴿ الحروف الهجائية والزهرة ﴾

أفلمست ترى أن الزهرة بما فيها من كاس وتويج وعضو تذكيري وعضو تأنيث واتحادها عددا واختلافها وافتراقها واجتماعها وما أشبه ذلك كوّنت رتبا وأجناسا وأنواعا عدها العلماء فبلغت (٣٣) ألفا . أليس هذا العدد كله نتج من اختلاف هذه الأعضاء وجودا وعدما وكثرة وقلة واجتماعا وافتراقا على آراء بعض العلماء فأشبهت الزهرة فم الانسان فانه جمع (٢٨) حرفا أو (٢٥) أو أقل وأكثر وبهذه الحروف كوّنت لغات فالحروف المعدودة كوّنت لغات والأعضاء المعدودة في الزهر باختلافها كوّنت رتبا وأجناسا وأنواعا وأصنافا في النبات - فتبارك الله أحسن الخالقين - انتهى الكلام على القسم الأول من السورة

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ * فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَلَمْ نَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْبَغْيَ فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ

الْكَافِرِينَ * قَالَ فَمَلَأْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ
 لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَخُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ *
 قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ
 * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تُسْمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنْ رَسُولَكُمْ
 الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ *
 قَالَ لَنْ أُنْخِذَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَ لَكُم مِّنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ *
 قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ
 فَإِذَا هِيَ بِيَمْنَاهُ لِلنَّاطِقِينَ * قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ
 مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأُبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ *
 يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ * فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ
 مُجْتَمِعُونَ * لَمَلَأْنَا تَبْعُ السَّحَرَةِ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ
 إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ
 مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَالْتَقُوا جِبَاهَهُمْ وَوَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
 الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ *
 قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ
 لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ
 خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبُكُمْ أَنْجَمِينَ * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ
 لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ
 مُتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ
 لَنَا لَنَاطِقُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ
 كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ
 قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
 أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَازْلَفْنَا ثَمَّ الْأَخْرِينَ

﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْدُو الْمُزِينُ الرَّحِيمُ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (واذ نادى ربك موسى) أى واذا ذكر وقت ذلك (أن انت) أى انت (القوم الظالمين) بكفرهم واستعبادهم بنى اسرائيل واذلاهم ثم أبدل منهم (قوم فرعون) أى فرعون وقومه (الآيتقون) أى انتهم زاجرا لهم فقد آن لهم أن يتقوا وهذه الجلة مستأنفة للبحث والاغراء (قال رب إني أخاف أن يكذبون) الخوف غم يلحق الانسان لأمر سيقم (ويصدق صدرى) بتكذيبهم إياى معطوف على - أخاف - (ولا ينطلق لسانى) وذلك للعقدة التى كانت على لسانه (فأرسل الى هرون) لبوازرنى ويعيننى (ولهم على ذنب) أى دعوى ذنب وهو قتله القبطى (فأخاف أن يقتلون) به (قال) تعالى (كلا) أى لن يقتلوك (فأذهبنا بآياتنا إنا معكم مستمعون) سامعون ماتقولون وما يقال لكم (فاتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) الرسول يكون بمعنى المرسل فيثنى ويجمع ويكون بمعنى الرسالة كما هنا وهى مصدر يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع فهو مصدر وصف به ، ومن هذا المعنى قول الشاعر

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

أى برسالة ، وقوله (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) بمعنى أى أرسل لأن معنى الرسول يتضمن الارسال والارسال فيه معنى القول فتكون - أن - مفسرة ، يقول خذ بنى اسرائيل يذهبوا معنا الى فلسطين فاتيا فرعون فقالا أرسل معنا بنى اسرائيل (قال) فرعون جوابا لموسى كيف تنكر نعمتنا عليك ونحن غديناك ورينناك وعلمناك (ألم نربك فينا وليدا) أى ألم تكن صغيرا فرينناك (ولبثت فينا من عمره سنين) قيل ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشرين سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين سنة ثم بقي بعد الفرق خسين (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى ، قال ذلك توبيخا له بعد تعداد النعم عليه (وأنت من الكافرين) بنعمتى إذ قتلت أحدا خواصى ، وهذا القول من فرعون يتضمن ﴿ أمرين ﴾ الأول ﴿ المنة على موسى بالترية وهو طفل ﴾ الثانى ﴿ توبيخه بأنه كفر نعمته بقتل القبطى فأجاب عن الثانى لأنه أهم ﴾ قال فعلتها إذن وأنا من الضالين) من الجاهلين أو من المخطئين لأنه لم يعتمد قتله أو من الزاهلين عما يؤول اليه التركيز لأنه أراد به التأديب بجاء القتل خطأ (ففررت منكم) الى مدين (لما خفتكم فوهب لى ربي حكا) حكمة (وجعلنى من المرسلين) فليس ذلك قدحا فى نبوتى كما يظهر من كلامك . وأجاب عن الأول بقوله (وتلك نعمة) أى أولئك نعمة (تمنها على) وهى (أن عبت بنى اسرائيل) وتركنتى وحذف همزة الاستفهام هنا كحذفها فى قول عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم أنس يوم الرحيل وقفها * وطرفها من دموعها غرق

وقولها والركاب واقفة * تركنى هكذا وتنطلق * يقول وهل تلك نعمة تمنها على وهى انك استعبدت بنى اسرائيل وتركنتى فلم تستعبدنى . وكيف تمن على بالترية وقد استعبدت قومى ومن أهين قومهم فقد ذل فاستعبدك بنى اسرائيل أحبط احسانك الى ولولم تستعبدهم ولم تقتل أولادهم لم أرفع اليك حتى ترى بنى وتنكفنى ولكان لى من أهلى من يربىنى ولم يلقونى فى الميم . وهذه الأجوبة الشريفة السديدة يجب أن تكون أجوبة الشرقيين لأهل أوروبا فقد استعبدوا أمراءهم والأمراء يخوفون الأمم ويدلونهم بما نالوا من المال والجاه على أبدي أهل أوروبا . فليقل كل مسلم للأوروبي الذى له عليه يد كيف تمن على وأنت أذلت أمنا ولولا اذلاك لها لم تعطى تلك النعم . فتلك الخيرات من بلادى ولا فضل لك إلا كما تفضل فرعون على

موسى . إن الله ما قص هذا القصص إلا للاعتبار والآذكار وتفهم الأمم الإسلامية كيف تكون المحافظة على العشيرة وعلى الأهل . وكيف يقاوم الغاصبون الظالمون . وكيف يجب أن يقلب الناس لهم ظهر الحن إذا أساءوا معاملة الأمم المظاومة وأن ينكروا انعامهم فانما انعام الأمم الغاصبة كالنعام المورس ببناء مسجد كما قال الشاعر

بنى مسجدا لله من خير حله * فكان بحمد الله غير موفق

كمطعمه الأيتام من كذا فرجها * فويلك لا ترفى ولا تنصديق

ولما سمع فرعون الجواب ورأى أن موسى لم يرعوب بما خاطبه به شرع في الاعتراض على دعواه (قال فرعون وما رب العالمين) أى انك تدعى انك رسول رب العالمين فما هو؟ (قال) موسى محييا له (رب السموات والأرض وما بينهما) طلب فرعون الحقيقة والحقيقة ان كانت للأشياء فبالتحريف وان كانت للأفراد فانها بالتحايل والمسؤل عنه هنا لا أجزاء له لأنه غير مركب فلذلك أجاب بأظهار الخواص وهو انه ربي السموات والأرض وما بينهما (إن كنتم موقنين) أى ان كنتم تعرفون الأشياء بالادلة فسكني خلق هذه الأشياء دليلا والايقان هو العلم الذي يستفاد بالاستدلال (قال) فرعون (إن حوله) من أشرف قومه (الاستمعون) محجبا قومه من جوابه يقول يا قوم تعجبوا من موسى سألته عن الحقيقة فأجاب بذكر الأفعال فأجاب موسى مستدلا بما هو أقرب الى أنفسهم وهو التناسل المستمر في النبات والحيوان والانسان والعجائب التي تقدمت في القسم الأول وشرحناها بما تقر به أعين أهل العلم وذكري ما هو أهمها وما كان القصد الأكبر منها وهو الانسان وأجياله (قال ربكم ورب آبائكم الأولين) ومن نظر في علم الأجنة وعلوم الأمم وعلوم التشريح وعلوم الطب أدرك نظاما بديعا يدهش العقول . فبقى فرعون في موقفه يريد الاجابة بالحقيقة لا بالأفعال (قال إن رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون) أسأله عن شئ ويحييني عن آخر فأجاب موسى بعجائب الشمس وشروقها وغروبها وانتظام مداراتها وتنوع المشارق والمغارب كل يوم بحيث لا يختل لحظة يشير بذلك الى علوم الفلك وجميع العلوم الرياضية كما أشار قبله الى العلوم الطبيعية وبالأول الى العلوم العامة وهي علوم ما وراء الطبيعة ولذلك قال (إن كنتم تعقلون) أى ان كان لكم عقل علمتم أن لاجواب لكم فوق ذلك لأن دراسة العلوم الطبيعية التي كان من أشرف نتائجها خلقكم وخلق آبائكم الأولين ودراسة العلوم الرياضية ومنها الفلكية لمعرفة شروق الشمس وغروبها واستكمال سائر العلوم ونظامها اجالا بعلم ما وراء المادّة . كل ذلك دلالة على أن هناك لها صور هذه العوالم كلها وأبدعها وزينها ورتبها وحسبها ونظمها . فلما رأى فرعون ذلك عدل عن البراهين الى استعمال القوة كما فعل الذئب مع الحمل إذ شرب الذئب من ماء النهر والحمل المسكين واقف في أسفل النهر فقال له أيها الحمل قد كدرت الماء فقال الحمل أنا في أسفل النهر فليس من المعقول أن يجري الماء اليك بل هو يجري نحوي من عندك فقال أنت كنت شمتني في العام السابق فقال لم أخلق إذ ذاك فقال لعل أباك أو أخاك هو الذي شمتني وانقض عليه وأكاه

هذه هي الحجج التي يحتج بها الأقوياء فاذا ما ضعفت الحجج استعملوا القوة . هكذا هنا في محاجة فرعون لموسى فانه لما لم تفد الحجج لبس جلد النمرود (قال لأن اتخذت لها غيري لأجعلنك من المسجونين) وهذه أيضا عينها ما فعله الأمم القوية مع الأمم الضعيفة كأهل أوروبا مع المسلمين الذين يريدون الانقضاء عليهم ونهب بلادهم وملكهم وتسخيرهم وقوله - من المسجونين - أل فيها للعهد أى الذين تعهدهم وهزم في أشد حالات الضنك فهذا أشد من قوله لأجعلنك مسجوننا فاضطر موسى أن يترك الأدلة العقلية ويذكره بالمعجزات وخوارق العادات (قال أولو جئتكم بشئ مبين) أى أتفعل ذلك ولو جئتكم بحجة بينة لأحوالكم وزمانكم لأنكم قوم مغرمون بالسحر والمغرم بالسحر منصرف عما عداه من العلوم العقلية لأن السحر صرف النفوس عن الحقائق الى أمور اخترعها الوهم وأبرزها الخيال . فأما الحقائق فانها مستورة محجوبة عن هذه الطائفة

فجئني من جنس عاوسكم . وإذا كان الله ما أرسل رسولا إلا بلسان قومه فكذلك ما أرسل رسولا إلا بلسان جنس ما يزال قومه . فترى أمة العرب مفرمة بالسلاغة بقاء القرآن معجزا لهم وكانت الأهم العربية مفرمة بالسحر فأرسل موسى لهم ليحجزهم فيما هم فيه . وإيتت السحرة والالهة حذرهما الأمران الجاهريان بل هما عرضيان لفضل النبوات اقتضتهما حال الأقوام الذين أرسل إليهم الرسل والا فالحقائق أولى بالبحث وأجدر بالتنقيب . يقول موسى إني أهماتم أمور العلوم العقلية والنظرية الصحيح في هذه العوالم المشاهدة فدونكم ما اعتدتموه من السحر وظايفه في سورة البقرة قوله تعالى - يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون * وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله - فانظر وتعجب من المحاورتين محاورة موسى مع فرعون ومحادثة سيدنا محمد ﷺ مع قومه . فأنت ترى موسى يقول الله على لسانه لما لم يفكر فرعون في الدوام المحيطة بنا كما تقدم في هذه الآيات ولم يذكر السموات والأرض والشمس والقمر وخلقه وخالق الآباء الأولين الذين لا يمشون إلا بهام الطبيعة قال له هنا - أولو جنتك شيء مبين - يقول له يا فرعون أنت أعرضت عن التفكير بعقلك والرجوع للحقائق بفكرك أفتنصرف عن الحقيقة ولوأيتك شيء مقبول عندك لما انصرفت عما يقوله سائر العقلاء ألا وهو العاقل عليك في السحر هكذا في سورة البقرة ذكر الله القوم . ذكرهم الله بخلقهم وخالق آبائهم الأولين مثل ما هنا تماما وذكر السماء والأرض كما ذكر هنا وذكر أنزال الماء من السماء وهذا لا يكون إلا بحرارة الشمس التي تغرب وتشرق ولما لم يفدهم ذلك قال لهم - فأتوا بسورة من مثله - ألا تعجب أيها الذكي . ألا ترى إلى ما رمى إليه القرآن وما يقصد به . ألا ترى أن المقامين متشابهان مقام موسى مع فرعون ومقام محمد ﷺ مع قومه . ألا ترى أن العلوم الكونية هي مقصود القرآن وأن البلاغة والسحر ليسا مقصودين . أفلا ترى بعد هذا أن الله لما أنزل القرآن جعل المقامين متشابهين . أتدري لماذا ؟ لأنه علم أن المسلمين سيفرمون بقولهم من عرف البلاغة عرف سر القرآن وهو المجزة الوحيدة . نقول نعم مجزة وحيدة عند من هم أهل البلاغة من العرب أو من تبعوا نحوه ولكن هذه البلاغة جعلها الله حجة عند طائفة مخصوصة . أما الأهم كلها وأرباب العقول فقد جعل الله الحجة القائمة عليهم هذا النظام البديع والخلق العجيب . ومن عرف اللغة العربية وبلاغتها ووقف عند هذا الحد فهو مغرور مغفل لأنه قصر القرآن على ما يعرفه العرب الجاهليون وهذا جهل فاضح فان القرآن باب لفتح العقول وفهم العلوم وإدراك أسرار الكون . فإذا وقف البليغ عند هذا الحد فهو ناظم ساه بل عليه أن يدخل العلوم من أبوابها وأن يأمر الأهم الإسلامية بعرفة سائر العلوم لأن القرآن هو بابها . واهمري ما البلاغة إلحالية الكلام فإني حلية العقول إذن ؟ حلية العقول هي العلوم ، إن في مثل هذا المقام يظهر أعجاز القرآن . يذكر السحر وإبطاله بعد اليأس من فهم الدوام المحيطة بنا ، ويذكر البلاغة بعد اليأس من التعقل إذ يقول - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله -

بمثل هذا فليدرس القرآن ، وبمثل هذا فليستيقظ المسلمون والافاني أنذرهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فليقرؤا العلوم فقد أوضح القرآن مناهجها وأبان طرقها وأظهر مسالكها وبين أن الكلام على البلاغة وعلى السحر بعد اليأس من فهم المعقولات الكونية فقال الله هنا (قال) فرعون مجيبا لموسى (فأنت به إن كنت من الصادقين) في أن لك بينة فإن من يدعي النبوة لابد له من حجة (فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) أي ظاهر أبنائه * يقال أنها لما صارت حية ارتفعت في السماء فدرمى ثم انحطت مقبلة إلى فرعون فقال بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها موسى فمادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين)

حينئذ (قال) فرعون (للملأ) حال كونهم مستقرين (حوله) ومقول القول (إن هذا ساحر عليم) فائق في علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فاذا تأمرون؟) وهذا التعبير الذي أفاد أن فرعون مع ادّعاءه الربوبية قد تشاور مع قومه ، يقصد منه في القرآن أن الشورى يجب أن تكون في الاسلام لأنه اذا قال الله لنبيه ﷺ وشاورهم في الأمر - وزاد على ذلك أن فرعون مع ادّعاءه الالهية تشاور مع قومه فان ذلك دلالة واضحة أن الشورى أمرها جليل عظيم وأن الأمم الكافرة لما جعلت الشورى في أعمالها دام ملكها أمدا طويلا كما نرى من الآثار المدهشة لقدماء المصريين الدالة على ملك عظيم دام آلاف وآلاف من السنين . فالشورى إذن أمرها عظيم فلما شاورهم (قلوا أرجه وأخاه) أى أخر أمرهما ولا تباغتهما بالقتل خيفة الفتنة (وابعث في المدان حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يأتوك بكل سحار عليم) والتعبير بالسحار ليبينوا له انهم أقوى من موسى في سحرهم (لجمع السحرة لميقات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل أنتم مجتमेون) هذه الجملة تفيد الاستبطاء والحث على الاسراع كما قال تأبط شرا

هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أوعبد رب أخا عون بن مخراق

أى ابعث أحدهما الينا سريرا . ثم قل (اهلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا . ومعلوم انهم على دينهم فذكروا اتباعهم على سبيل الكناية يقصد بها انهم لا يتبعون موسى والا فهم في ذلك الوقت على دين المصريين ومنهم السحرة فكيف يتبعونهم من جديد (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وانكم إذن لمن المقر بين * قل لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) وذلك بعد أن قالوا له إما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين (فألقوا حبالهم وعصيهم) المدهونة بالزئبق الذى تفرقه حرارة الشمس فيتطاير . ويقال ان الحبال كانت فوق سبعين ألفا وكذا العصي (وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) وهذا القسم مبنى على اعتقادهم في انفسهم ولأنهم آمنوا بأقصى ما لديهم من السحر (فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف) تبتلع (ما يافكون) ما يقبلونه عن وجهه بالتمويه والتزوير حتى انهم جعلوا الناس يتخيلون العصي والحبال حيات تسمى (فألقى السحرة ساجدين) لأنهم علموا أن هذا منتهى التخيل السحري . ولما ابتلعت الحية ما زوروه ايقنوا ان هذا فوق العاوم فآمنوا وخروا ساجدين لأنهم علموا أن هذه قوة فوق قوة الناس وليس فوق الناس إلا الله وهو الذى ارسل موسى ومقتضى اللغة ان يقال خروا ساجدين ولكن عبر بالاقاء أولا للشاكة وليدل على انهم لم يتمالكوا انفسهم من الدهشة العارمة فكأنهم أخذوا فطرحوا وهذه أعجب ما يكون من جهة البلاغة اللسانية ثم أبدل من قوله - فألقى السحرة ساجدين - قوله (قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهرون) وذلك اشعار منهم بهزل فرعون عن الربوبية وبأن سبب الايمان ما أجراه الله على يدى موسى وهرون (قال آمتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيئا دون شئ أوتوا طأ معكم ، وانما كان ذلك من فرعون ليلبس على قومه (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم ثم بين ذلك الوبال فقال (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين * قالوا لاضير) لاضرر علينا في ذلك في الدنيا (إنا الى ربنا منقلبون) أى لأننا ننقلب أى نصير الى ربنا في الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قوله تعالى (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) أى لأن كنا (أول المؤمنين) من أتباع فرعون (وأوحينا الى موسى أن أسر بهادى إنكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج أى أسرهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجئون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم . وجاء في التوراة في سفر الخروج في الاصحاح الحادى عشر أن الرب أمر أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل

امرأة من صاحبها أمتة ذهب رامة فحسة وأن الله سميته كل بكر في أرض مصر من الانسان والحيوان وأمرهم أن يذبح كل أهل بيت شاة يوم الرابع عشر من شهر الخروج ويذبحون القائمتين والعتة السابيا من الدار ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويا بالنار مع فطير وأمرهم أن يأكلوه بججلة ويأكلون الرأس مع الأكارع والجوف . هذا هو المسمى ﴿ فصيح الرب ﴾ وهذا الدم علامة على بيوت بني اسرائيل حتى يحفظ كل بكر من بني اسرائيل ويتخطاهم الموت الى أبكار المصريين ويكون أكل الفطير سبعة ايام ويكون هذا فرضة أبدية تذكارا بالخروج من مصر من يوم (١٤) الى (٢١) من الشهر كل سنة . وهكذا أمر موسى قومه بذلك ففعلوا كل هذا ونجا أولادهم وصار ذلك سنة أبدية . ولما مات الأبقار من الانسان والحيوان في جميع بلاد مصر انصف الليل اشتغل الناس بالأموات وبنو اسرائيل أخذوا غنمهم وبقرةم وأخذوا عجائهم قبل أن يختمر ومعا جنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم وفعل بنو اسرائيل ما أمرهم الرب وارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكوت ستمائة ألف ماش من الرجال ماعدا الأولاد وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز ملة فطيرا . وكانت اقامة بني اسرائيل في مصر (٤٣٠) سنة فهذه الليلة هي عيد الفصح الى الأبد . وكان الخروج في شهر ابيب . فهذه سبعة أيام يؤكل فيها الفطير تذكارا لخروج بني اسرائيل من مصر (فأرسل فرعون) حين اخبر بسراهم (في المدائن حاشرين) وهم الشرطي يحشرون الجيش ليتبعهم قل (إن هؤلاء لشرذمة قليلون) لأنهم ستمائة ألف وهم قليلون بالنسبة لجيوشه (وانهم لنا لقاتلون) لفاعلون ما يغفلنا (وانا لجميع حاذرون) او حذرون من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور (فأخرجناهم) اى خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب حملتهم عليه (من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم) وهى المنازل الحسنة والمجالس الجيلة (كذلك) مثل ذلك الإخراج أخرجناهم (وأورثناها) أى أورثنا جنسها أى جنس الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم (بني اسرائيل) وهى أرض المعاد التى هم سائرون اليها . يقول الله كما حملنا المصريين على الخروج من هذا النعيم حملنا بني اسرائيل أن يرثوا نظيره فى أرض المعاد فساروا ليلا (فأتبعوهم) أى لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه (مشرقين) وقت شروق الشمس ليصلوا الى ما أعد لهم من أرض الموعد (فلما تراء الجمعان) بحيث رأى كل منهما الآخر (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) للمحقون (قال كلا) لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم (إن معى ربى سيهدين) طريق النجاة منهم (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) القلزم (فانفلق) أى فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك (فكان كل فرق كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب (وازلفنا) وقربنا (ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) بحفظ البحر على الهيئة المذكورة الى أن عبروا (ثم أغرقنا الآخرين) باطباقه عليهم (إن فى ذلك لآية) لعلهم يعجبون لا توصف (وما كان أكثرهم مؤمنين) فلا القبط الباقون فى مصر آمنوا بها ولا بنو اسرائيل فانهم بعد ما نجوا عبدوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يؤمن إلا القليل ، فكما لم يكن أكثر العرب مؤمنين وقد رأوا ما فى الأرض من النبات فى القسم الأول هكذا هؤلاء لم يؤمنوا بالمعجزة التى وقعت على يد موسى وهو انفلاق البحر، فهذا تبين أن الالتجاء الى خوارق العادات لا يفيد إلا أولى العلم كسحرة فرعون فرجع الأمر الى أن الايمان النافع انما يكون للعلماء كعلماء الطبيعة والفاك والنبات وعلماء السحر وهم المتبحرون فيه لأنهم لم يخرجوا عن بحرهم فى أسرار الطبيعة فأصبح الأمر راجعا الى قوله تعالى - شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط - فأما الذين يقلدون أو يظنون أن خوارق العادات كافية فهم غافلون (وان ربك هو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثانى من السورة . وههنا خمس لطائف

(١) فى قوله تعالى - ألم نربك فىنا وليدا -

(٢) وفي قوله تعالى ... قل فعلتها إذن وأنا من الضالين -

(٣) وفي قوله تعالى - ونالك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل -

(٤) وفي قوله تعالى - إن هذا الساحر عليم -

(٥) وفي قوله تعالى - فأخرجناهم من جنات وعيون - ولأقدم قبل هذه اللطيفة جوهرة في قصص القرآن

﴿جوهرة في قصص القرآن من كلام الامام الشافعي رضي الله عنه ومن كلام علماء العصر الحاضر﴾

(١) ما يقوله الامام الشافعي في قصص القرآن

جاء في الإحياء في الجزء الأول صفحة ٣٣ مانعه ﴿روى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل في الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وقيل للشافعي يوما أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين فقال الشافعي رضي الله عنه التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة فإذا امتحن صبر وإذا صبر مكن ، ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا عظيما والتمكين أفضل الدرجات ، قال الله عز وجل - وكذلك مكنا ليوسف في الأرض - وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم - الآية . فهذا كلام الشافعي رحمه الله يدل على تبهره في أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء وكل ذلك من علوم الآخرة * وقيل للشافعي رحمه الله تعالى متى يكون الرجل عالما قال إذا تحقق في علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيها فانه فيها فعند ذلك يكون عالما فانه قيل لجالينوس أنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجتمعة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته لان الافراد قاتل . فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة ﴾ انتهى بالحرف من الإحياء للامام الغزالي أقول ان الشدة خير مذهب للنفوس فانظر ما جاء في كتاب تيسير الوصول للجامع الاصول ﴿عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فوجد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأسألهما عن خروجهما فقالا اخرجنا الجوع فقال وما أخرجني إلا الجوع فذهبوا إلى أبي الهيثم بن التيهان فأمرهم بشعير فعمل وقام إلى شاة فذبحها واستعذب لهم ماء (١) مهلقا عندهم في نخلة ثم أتوا بالطعام فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال ﷺ لتسألن عن نعم هذا اليوم﴾ أخرجه مسلم ومالك والترمذي

وعن علي رضي الله عنه قال ﴿بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا مصعب بن عمير رضي الله عنه ماعليه إلا بردة مرقعة بفرو فلما رآه ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة ثم قال كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة وراح في حلة أخرى ووضعت بين يديه صحيفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كما تسترا الكعبة قالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير مننا اليوم نكفي المؤنة ونتفرغ للعبادة فقال بل أتم اليوم خير منكم يومئذ﴾ أخرجه الترمذي فأعجب لهذا الحديث الصحيح الذي أفاض اللثام عن حال المسلمين في جميع العصور فانهم لما مالوا للمال والدعة والترف حرمهم الله الملك ولما كانوا هداة للأهم نافعين لها مكنهم الله في الأرض وهذه قاعدة عامة فإذا رأيت الله عز وجل يذكر قصص القرآن فاعلم انها رمز إلى أمثال هذا ، وترى قابس اليوناني المتقدم ذكره في (سورة البقرة) عند آية - وبشر الصابرين - يقول ان السعادة لا تكون إلا بعد معاناة الشقاء والصبر في هذه الدنيا وكذلك ما يقوله عالم آخر في كتاب ﴿الكونخ الهندي﴾

أقول وإنما نقلت هذا ليكون نصب أعين أولى العلم عند قراءة قصص القرآن ، فهذه القصص نموذج لما يفعله الله عز وجل بالمصلحين في الأمم الاسلامية فهو يبتلي بالمحنة ثم يلهم الصبر ثم يعطيهم التمكين وقليل من

(١) استعذب لهم ماء أي استقى لهم ماء عذبا

الناس من يوفق للتمكين . ان قصص الانبياء اذا لم تلاحظ فيها هذه الازاه والمعاني لم تؤثر في العقول ولم تهذب النفوس ولم تعط فكرة ، فن هذا الباب فليج المسامون ومنه فليدخاوا لاصلاح النفوس ومداواة عيالها وأستقامها واذن يكونون خير أمة أخرجت للناس

(٣) مايقوله علماء العصر الحاضر في علم التاريخ ، فهو ك ما جاء في بعض المجالات العامة للكتبتان (جون مادوكس) دكتور في الفلسفة من جامعة (بال) بأمریکا وها هوذا

سمع أحد علماء الرياضة أديبا كبيرا يتاوقصيدة (ملتون) الخالدة وهي (النعم المفقود) بصوت مرتفع ولم يكده تاليها يفرغ من انشادها حتى سأل العالم الرياضي من حوله ؟ أى شئ تجدى هذه القصيدة في عالم الحقائق ولما أخفق في الحصول على جواب يخلق في نفسه الاقتناع صرح بأن الشعر لاجدوى منه وبالتالي هو منتج لا قيمة له . ولا ريب في أن عقيدة العالم الرياضي في الشعر وهي عقيدة المعارضة أشبه بعقيدة رجل الأعمال في التاريخ إذ يرى ثانيهما أن قارئ أية قطعة تاريخية عما نهل الانسان في ماضى الحقب لا يخرج منها مالم كانت متسقة الأسلوب بأية قاعدة عامة معينة يستطيع بها أن يشيد جسرا بل ولا يحصل منها على أية فائدة تجديه في مشروعاته العامة ، وسرعان ما يصرح : وكذا أن دراسة التاريخ لا تؤدى بصاحبها الى أى غرض نافع وأن الوقت المبذول فيها ضائع هباء . وبديهي أن اثبات القيمة العملية من قراءة التاريخ يتوقف طبعا على تفسير كلمة (عملي) فان كان معناها لا يفيد إلا الدناير والدراهم والاستيلاء على الاكديس منها فيجب أن يتقرر في الأذهان أن دراسة التاريخ لا تعلم الانسان تعلما مباشرا كيف يحصل على المال . واذا كان في معنى كلمة عملي ما يدل على شئ آخر غير التنقيب عن الذهب فقد اختلف الحال عن سابقتها . أما اذا أفاد معناها إثارة جهود الانسان للعمل مندفعاً اليه بتأثير مثل من الأمثلة السابقة النبيلة ، أو أن يكون معناها توسيع نظرات الانسان الى الحياة وتدريبه على واجبه منها بأدق الوسائل وأنقنها أو ترقية مستوى معوماته . اذا كان هذا فان قراءة التاريخ أعلى قيمة وأجدى على الأذهان من أية دراسة أخرى . وبديهي أنني حين أحيد دراسة التاريخ فاني اقصد بهذا تحييد التاريخ المسطور حديثا بدقة عامة ذلك لأن الاطلاع عليه يشفي مواضع الدهشة مما فيما يختص بالماضى ولولا أن انسانا في العصور البائدة قد سبق في الطريق المؤدى الى تحقيق ما يدور بخاطره من الاطماع وما يتلهف الى ادراكه منها لبقينا الى اليوم على حالتنا الممجية الأولى نعيش في المغاور ونرتدى الثياب المتخذة من جلود الحيوان وحينما صار أجدادنا على اهتمام بايجاد أحسن الوسائل لأداء الأعمال ونارت في نفوسهم عوامل الرغبة في الوقوف على ما ابتكرته الشعوب الأخرى من الطرق لتأدية تلك الأعمال نفسها لعب التقدم دوره الحقيقي في عمران الحياة . إن في دراسة التاريخ منظارا لاغنية لنا عنه لفهم العصر الذي نعيش فيه ولنتمكن بواسطته من التفريق ما بين العناصر الأولية في الحياة اليومية وبين تلك العوامل العارضة الزائلة ، واذا عرفنا التاريخ معرفة وثيقة فاننا نصبح كما يقول الكاتب الانجليزي (مورلي) أشبه كل الشبه بالطائر الذي يحلق في أعلى طبقات الجو كما يستطيع أن يرى سلسلة من الجزائر بحيث تكون نظراته اليها كأنها أجزاء من سلسلة جبال واحدة قد طغت عليها الأمواه وليست كأنها قطع منفصلة كل الانفصال عن اليابسة . واذا قارنا الحاضر بالماضى فسرعان ما نجد أن العصر الحالي يفوق سابقه في النواحي المادية والعقلية والأدبية فقد زالت العبودية والرق وأخذت قوة الرجال الجسمية والعقلية في قوامتهم على النساء تقل وتتناقص بينما قد اتسع نطاق الشعور بمساعدة الضعفاء والعطف عليهم وسرت روح العدالة والرحمة بين كل شعب بل وبين الشعوب قاطبة بهد أن كانت لا تتجاوز قلوب الأفراد في الأسرة أو القبيلة الواحدة فكيف نستطيع وقد نفهم نواحي التقدم في هذه الحالات ؟ لا يتسنى لنا ذلك إلا بدراسة الماضى الذي نتمخض عنها

لقد كان (فون سيل) السياسي الألماني والمؤرخ المحقق قبل الحرب السبعينية يقول دائما في الكلام عن

الشؤون السياسية ، إن من يعرف « من أين » لابد أن يعرف « إلى أين » ولا ريب في أن السياسة غير الواقفين على حقائق الأمور يرتكبون الأغلاط دائماً لأنهم لا يعرفون ماذا أحدثت في الماضي تلك الخطأ السياسية التي ينتهجونها في حاضرهم

إن دراسة التاريخ تزودنا بالمعلومات الضرورية للحصول على فهم صحيح عن الجماعات الانسانية العامة . ولا سبيل إلى أن نقف على منشأ أوضاع حكوماتنا ولغاتنا أو مصدر حبنا للحرية وأفكارنا ومبادئنا الأدبية إلا بقراءة التاريخ وبغيره لا نفقه شيئاً من كل هذا وهو تراثنا النفيس في عصرنا الحالي بل إن التاريخ ليمدنا بالوسائل التي نستطيع بها التسكّن عن المستقبل والتأهب للملاقاة الأيام ، ولأضرب لذلك مثلاً بحادث وقع على مشهدين أيام الحرب العالمية فقد تساءل ذات يوم أحد الجنود قائلاً : ماذا سيكون مصير إمبراطور ألمانيا في نهاية هذه الحرب هل حقاً سيشتق ؟ ألقى الجندي هذا السؤال وأردفه بالصمت برهة عرض فيها لذاكرته حوادث الماضي ثم قال كلا . انه لا يشتق ولكن سينفي وبذلك يحال بينه وبين جلب الأذى والأخطار على العالم مرة أخرى ، مثله مثل نابليون بونابرت في خاتمة أيامه . وبديهي أن هذا الجندي ليس على موهبة التنبؤ ولولا درايته بالتاريخ ومواقع فيما مضى من أمثال هذه الظروف والحالات لما تسنت له هذه المقارنة التي تضمنتها اجابة على نفس سؤاله . إن الدراية بالماضي ومواقع فيه ذات جسدوى عظيمة ليست في معاونتها إيانا على حل المسائل العظيمة الأهمية فحسب ولكنها أيضاً تعاون الأفراد على معالجة شؤونهم الخاصة وأن الذين يتحطمون سفن آمالهم حيث طاحت آمال غيرهم من قبل لا يلومون إلا أنفسهم فقد كان واجباً عليهم محتوماً أن يدرسوا تجارب سواهم من الرجال ، والتاريخ لا يعيد نفسه ألبتة إعادة دقيقة إذ أن العوامل لن تكون هي نفسها في كل زمان ومكان وبذلك لا يكون تحليلها دقيقاً ، ومتى ثبت هذا تجلت قيمة المقارنة ما بين الحاضر بحوادثه وبين الماضي وما تم فيه . وأزيد من هذا أن دراسة التاريخ تبعث من نفوسنا الهمّة على أداء واجباتنا التي أنيطت بنا فان الأمثلة السامية التي نقتبسها مما فعل الأبطال في الماضي تولد النشاط لدى الناهضين بأعباء الحاضر . ولا ريب في أن ما فعل (ليونيداس) ومواطنوه الاسبارتيون من أجنى اليونان في مضيق (ثرمبولى) لابد وأن يحفظ على كل وطني شجاعته في الدفاع عن وطنه بل ويكون بمثابة المحرّك لأعصاب ذراعه بينما أن وقوفنا على كيفية نهوض الرومانيين وتفوقهم في الانتصارات التي لم يسبق لها مثيل على يدي (هانيبال) . كل هذا يلهب حماسة الناس عن اوطانهم إلى النهاية . يجب أن ندرس التاريخ فإذا ما استوعبناه ووقفنا على خفاياه امتلأت أذهاننا بصورة جمة عن الغرائز والصفات وبمناظر يتجسم فيها مصير الأفراد والجماعات بل والأمم وبالأفكار العظيمة عن النظام الاجتماعي وارتقائه وبذلك نشعر بأنفسنا وقد كبرت وبعقولنا وقد اتسع نطاقها . ويقول (اللورد بيكون) اقتباساً عن أحد مؤرخي اليونان « إن التاريخ فلسفة تعلمانها بالأمثلة بل إن مثله مثل كل علم جليل القيمة إذا درسناه بدقة ونظام خلق فينا ذاكرة يسهل عليها الرجوع إلى الحوادث مهما يبعد بيننا وبينها الأمد وعينا دقيقة الملاحظة وقدرة على تفهم العلاقات بين الأسباب والنتائج . انتهت الجوهرة

﴿ اللطيفة الأولى والثالثة - ألم نربك فينا وإيداً - إلى قوله - وذلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل - ﴾
اعلم أن هذا القول قصه الله علينا ليعلمنا كيف تكون المحافظة على الأوطان وحب الآخرين فان فرعون لما منّ على موسى بأنه ربه قال موسى كيف تمنّ علىّ بذلك وأنت لولا استعبادك لنا ما تمنّيت لك ذلك ، وقد وضع هذا المقال في تفسير الآية وإنما جعلها لطيفة ليتفكر فيها الأذكىاء

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - قال فعلتها إذن وأنا من الضالين - ﴾

اعلم أن موسى عليه السلام لم يعقه ما اتفق له من قتل القبطى خطأ عن المضي في الأعمال النافعة وإنما جاء ذلك القصص لنا لنضرب الذكراً صفحاً عما مضى من الأعمال ونتوجه إلى أعمالنا العالية الشريفة ولا نجعل

ما انفق لنا من الخطأ بحسب ما يظنه الناس عانقا عن الأعمال النافعة ، فليجأ المسلم في عمله وليقيم بما وجب عليه وليتذكر أن سيدنا موسى عليه السلام لما وكز القبطى فبات لم يهتق ذلك عن ترقية بنى اسرائيل واسعادهم ﴿ الناطقة الرابعة . السحر عند الفراعنة ﴾

لقد ذكرت هذه القصة في القرآن مرارا وتكرارا وفيها ذكر السحر عند قدماء المصريين وفيها أن البحر انقلب لموسى فلا سمعك ما جاء عن قدماء المصريين من السحر لتطاع على عقائدهم وآرائهم ولتعلم أن قصة موسى وفرعون وراؤها من الأخبار كل عجيب وغريب ، لأنقل لك ما وجد على ورق البردى وفي الآثار المكتوبة على الأجار التي يجب من الأمم ومن عاوم الأوائ ولتعلم أن الله عز وجل له في الأمم عجائب وغرائب * قال المرحوم أحمد باشا كمال ما ملخصه ﴿ قد كان السحر له تأثير غريب قبل اليوم بخمسة آلاف سنة ولم يكن لطبيب أن يداوى بالعقاقير إلا بعد أن يداوى بالعزائم السحرية ، فالعزيمة مقدمة على الدواء المادى ، وقد ذكر حادثه في الأسرة التاسعة عشرة وهي أن فتاة ابنة ملك (بنتان) قل واعلمها بغداد طلب أبوها من ومسيس الثانى أن يرسل لها أحد المعبودات المصرية فأرسل لها المعبود (خونسو) فودع خونسو إلى الملك وطلب منه أن يخرج العفريت من ابنته المسماة (بنت رشت) فأخرج الجنى وهذا الجنى شرط قبل خروجه أن يصنعوا له مهرجانا لوداعه فأجابوه لذلك وجعلوا له يوما عظيما مشهورا فأحبب الملك أن يبقى المعبود المصرى عنده دائما ولكن بعد مدة مرض وطار الأطباء في أمره فجاء له (خونسو) ليلا كأنه باشق من ذهب وألم عليه أن يرده إلى بلده فاما طلع النهار أرجعه إلى بلده فشفي من مرضه ﴾

(١) وكانوا يعتقدون أن الجن تشفى من الدودة الوحيدة ومن رمد العين والالتهاب وغيره ، وقد دونوا في رسائل الطب كيفية اخراج الجان المؤذية وطردهم إلى أسفل سافلين لينجوا من أذاهم ، وذكر رحمه الله عزيمتين اشتهرتا بحسن الاجابة والقبول وكان الأطباء يتاونهما على كل مرض ولشهرتهما صدروا بهما ورقة (ايروس الطبية) وهالك ترجمة العزيمة الأولى وهي تكرر بالدقة مرارا متى وضعت الأدوية على أى عضو مريض لكي يزول عنه سبب المرض والعين اذا كان استهال العلاج من الظاهر ، وأنا رأيت ألا أذكرها بنصها لعدم فائدتها ، وانما أقول ان ملخصها يرجع إلى الاستغاثة بالالهة (أشوريس) التي خلصت (حوريس) من الأشياء الرديئة التي فعلها أخوه (ست) حين قتل أباه (اسوريس) والاستغاثة أيضا بالالهة (اسيس) المعبودة الكبيرة يستغيث بها أن تخلصه من معبود الآلام ومن معبودة الآلام ومن الموت ومن الموتة ومن المصرع والمصرعة . ويقول يا شمس تكلمى بلسانك (يا أشوريس) تشفع بتدخلك ، الشمس تكلمت بلسانها واشوريس تشفع بتدخله ، فاذن عليك أن تخلصنى من كل شئ ردى انتهى

أما العزيمة التى تتلى اذا كان السوء من الباطن فهالك ملخصها ﴿ بعد شرب الأدوية يخاطب الأدوية بقول هلمى أيتها الأدوية واطردى الأوجاع من قلبى ومن أعضائى ، العزيمة طيبة لأجل الأدوية والأدوية طيبة لأجل العزائم ، ثم يرجع ويقول كلاما كالساق إذ يقول ان (موريس) و (ست) جىء بهما إلى البناء الكبير بهين شمس وحصلت المحاكمة بينهما ففاز (موريس) لأنه كان على الأرض يفعل ما يشاء كالمعبودات معه ويكرر هذا القول مرارا وهو يتعاطى الجرعة ﴾

ولهم عزائم أخرى لابعاد الهوام والديدان وعزائم للمحبة والقبول ويمثلون شخصا على هيئة العدو ويتاون العزيمة ويضربون ذلك التمثال بالمدية فان العدو يحصل به ما حصل بصورة الشمع على زعمهم وكانوا يتخيلون انهم يرون الشمس نصف الليل ويستحضرون الشياطين الذين يجابون لهم ما يريدون . هذا ملخص ما ذكر الباشا في ﴿ مجلة الموسوعات ﴾

وهالك ما ترجمه أستاذى في علم التاريخ والجغرافيا المرحوم أحمد بك نجيب عن اللغة الألمانية المترجمة عن

الورق البردي المصري ترجمة حروفية ، إذ نقل رجه الله سبحانه بين الملك (خوفو) أحد ملوك الأسرة الرابعة وهو الباني للهرم الأول بالحيزة سنة ٣٧٠٠ قبل الميلاد . ان هذا الملك جمع أولاده الـ ثلاثة وألزم كل واحد منهم أن يقص حكاية من أغرب التواريخ المصرية فامتثلوا أمره ، واني لأخلص لك حكاياتهم ، لماذا ؟ لأن هذا أغرب التواريخ فاطلاعت عليه كالاطلاع على تاريخهم ، وأيضا ان القرآن ذكر سحريهم ، فهالك سحريهم لتقف على عجائب الدنيا وخرافات الأولين وتعلم كيف ذكر هذا السحر في القرآن ولماذا ذكر وكيف كانت هذه الدنيا ومنشؤها ، وإذا رأينا أنفسنا متعجبين من خرافاتهم التي كانوا يزعمونها حقائق فربما جاءت أقوام بعدنا فاعتونا مخترعين - وفوق كل ذي علم عليم -

الحكاية الأولى . قال ابنه الأول

(أنجوبة حصلت أيام الملك نيتا وهو من الأسرة الثالثة ومات سنة ٣٩٠٠)

وقف الأمير خفرع الباني للهرم الثاني وقال لأبيه (خوفو) أنا أقص عليك أنجوبة حصلت مدة أبيكم (نيتا) (ومعنى الأب هنا السلف) حينما ذهب الى معبد المعبود فتباح سيد عنخ توري (مكان بمدينة منفيس به المعبد) وزار أكبر علماء السحر وكانت زوجته تحب رجلا من أهل المدينة وكانت ترسل اليه خادمها كل يوم وهو يجلس معها في البستان منشرا مسرورا وأرسلت له يوما صندوقا فيه ملابس لطيفة فأتي مع الخادمة ومضى على ذلك جملة أيام فلم يحضر ذلك المدي منزلا خلويا في بستان زوجها فطلب منها أن يكونا معا فيه فأصرت أمين المنزل أن يهيئ لهما هذا المنزل في البستان لينشرا فيه ففعل وجلسا معا فيه كما يشاءن أما الخادم الأمين فانه أخبر صاحب البستان وهو زوجها كبير القراء وهو الكاهن فقال الكاهن لهذا الأمين أحضري شمعاً من الصندوق المصنوع من الأبنوس والفضة المذهبة فصنع تمساحاً من الشمع طوله سبعة أشبار ثم طلسم عليه بالسحر ثم قال للأمين متى جاء المدي ليغتسل كما كان يغتسل كل يوم في هذا الماء فألق عليه التمساح الذي من الشمع ثم جاء المدي وجلس معها على عادته وشربا في هناء وسرور وجاء العاشق لزوجته الكاهن ليغتسل في البركة فألقى الأمين عليه التمساح من الشمع فانقلب الى تمساح حقيقي بنفس الطول وخطف المدي وغاص في قاع الماء وكان اسم هذا الكاهن (ويباونز) وبقى (ويباونز) الكاهن المذكور سبعة أيام مع الملك والمدي غاطس في البحر في جوف التمساح ثم طلب منه أن يريه عجيبة في رجل مدي في زمانه فتوجه معه للبركة وتلا العزيمة على التمساح أن يحضر الرجل المدي فأحضره فغضب الملك وقال كيف تعذب هذا الرجل بهذا التمساح فأخذ الكاهن التمساح اذا هو شمع كما كان وليس حيوانا وقص عليه قصص زوجته وهذا المدي فغضب الملك وأمر أن يرجع الكاهن التمساح كما كان وينزل في الماء وقد تم ذلك وأمر بإحراق المرأة في جانب البستان فلما أتم الأمير خفرع هذه الحكاية قال لأبيه (خوفو) هذه حكاية حصلت مدة أبيك (نيتا) فقرب الملك (خوفو) ألف رغيف خبز ومائة قدر بوزه (الجمعة) وأمر بذبح ثور وكذلك أمر بحرقين من الروائح العطرية . كل ذلك لروح الملك (نيتا) وقدم أيضا الى روح أول القارئين طعاما وقدرًا عظيما من البوزه وقطعة لحم كبيرة وحقا من الروائح العطرية

الحكاية الثانية . أنجوبة وقعت في أيام الملك (خوفو) نفسه

(ترجمت حرفيا من اللغة الألمانية وهي مترجمة من اللغة المصرية القديمة حرفيا أيضا)

عند ذلك قام الأمير (هرد داف) ابن الملك (خوفو) وقال انك لم تسمع إلا ما كان في الزمن الماضي ولم نشاهده بأفئسنا فهو يحتمل الصدق والكذب ولكنني أخبرك عن شيخ فلاح مصري يعيش (١١٠) سنة ويأكل كل يوم (٥٠٠) رغيف ويشرب مائة قدر من الجمعة ويأكل رقبة ثور وهو يقدر ان يرد رأس الانسان المقطوعة الى مكانها فهو يحيي الموتى واذا جرى حبل على الأرض خلفه خضع له الأسد ومشى خلفه مدة ما يجري

الحيوان وأنه يعرف حساب (ابت) وفيه الأسرار المكنونة للمعبود (توت) ويقال إن هذا الحساب وحدة المقاييس لتصوير الحيوان والإنسان فإن هذه الصور الجببية التي صنعوها وألهمها كل التي اخترعوها لا بد لها من مقاييس فهو إذن (ابت) فقال الملك (بهردداف) أحضره لي وكان اسمه (ددى) فركب زورقا في النيل وسافر إلى بلدة (ددى) في إقليم (سنفرو) ولما وصل (هردداف) إلى الجسر تركه وسار محمولا على كفة من خشب الأبنوس وقوائمه من خشب أرز لثان مشبك بكلايب من الذهب فلما وصل إلى منزل ددى سلم عليه بسلام لأنعرفه الآن ، وكان (ددى) راقدًا على سرير فوق مسطبة و خادم يروح على رأسه بمروحة وآخر يغمز (يكبس) رجله وهذه صورة السلام في السلام عليك حالتك حالة كل من صار في دور الشيخوخة والهرم ، في دور الاحتضار والموت ، في دور النزول في القبر ، في دور الدفن والموارة في التراب الذي تصير إليه عاجلا أنت أيها الفاضل المحترم وإلى أيت إليك من بلاد قاصية لأناديك وهي رسالة من أبي جلالة الملك (خوفو) وإنك متى حضرت تأكل أكلا فاخرا يقدمه لك الملك أبي ويواليك بمثله فتسير وأنت في هذه العيشة الراضية حتى تلحق بآبائك المرتاحين في قبورهم ، فقال ددى سلام سلام بهردداف يا ابن الملك ، يا من يحبه أبوه ويكافئه ويحبل قدره ويرفع شأنه فوق الكبراء والشيخوخة وان (قالك) حية ، ومعنى قالك يعني صورتك الخيالية بعد الموت التي كانوا يعتقدون أنها تسكن في الصورة التي يصنعونها على هيئة جسم الميت ويقدمون لها دور الخبز وكل ما كول و بزعمهم أن هذا يجعل تلك الصورة حية ، ثم إن الأمير (هردداف) ساعده على القيام وسافر معه على الجسر فقل (ددى) مر لي بزورق واحضر أولادي كلهم مع كتبي فأمر له بزورقين مجهزين بجميع لوازمهما . ولما وصل الأمير هردداف هو وددى إلى (منفيس) وهي ميت رهينة الآن دخل ددى على والده الملك فقال له الملك ؟ هل ما يقال إنك تحي الميت حق قال نعم أحيي الإنسان والحيوان فقطع رأس أوزة أمامه فأخذ الأوزة وجعلها في الجهة الغربية من الإيوان وجعل رأسها في الجهة الشرقية منه وأخذ يتلو العزائم السحرية فقامت الأوزة تمشي وتنبخر وكذا الرأس صار يقفز نحو الجنة فالتقيا ولما وصلت لها وقفت الأوزة وجعلت تصيح . فقال له الملك أحيي إنك تعرف حساب (ابت) في الأسرار المكنونة للمعبود توت . قال لا أعرفه ولكن أعرف مكانه أنه في علبة مصنوعة من حجر ريسى (كذا) موجودة بمنزل اسمه (سبتى) بمدينة الشمس (عين شمس) ولست أنا الموعود بها بل الموعود بها أكبر أولاد المرأة (رددت) امرأة الكاهن المسمى (را) الخادم للمعبود سخيو والمعبود المذكور وعندها أن يعطى أولادها أكبر الوظائف في القطر المصري وأكبرهم يكون هو الكاهن الأعظم لمدينة الشمس وهذه المرأة تلد في الخامس عشر من شهر تي (طوبه) وأكرم الملك هذا الساحرا كراما كثيرا ورتب له كل يوم ألف رغيف من الخبز ومائة قدر من الجعة وثورا ومائة ربطة من البقول والخضر انتهى

﴿ الحكاية الثالثة هي أعجوبة وقعت في أيام الملك سنفرو ﴾

لما انتهى الأمير خفرع من كلامه قام أخوه الأمير (بيوفرا) وتقدم للكلام أمام أبيه الملك خوفو وهذه الحكاية ملخصة فيما دار بين المؤلف وبين تلميذ بمدرسة عالية وقد نشر هذا الحديث في جريدة الاخلاص تحت عنوان ﴿ السحر في وزارة المعارف ﴾ وهالك نص الحديث

(س) - لقد جاء في الكتب السماوية وفي العلوم الأثرية أن قدماء المصريين كانوا بارعين في السحر فهل بقي من هذا العلم شيء الآن

(ج) إن السحر اليوم في وزارة المعارف

(س) عجبا . كيف تقول هذا وأنت كنت مدرسا بها وأنا تلميذ بل أنا كنت تلميذا بالمدرسة الخديوية .

أجدا تقول أم أنت من الهازلين ؟

(ج) اني لا امزح وانما أقول لك حقا ان وزارة المعارف قد عمها السحر من اوطأ الى آخرها وهذا

السحر قد انام العقول

(س) أوضح فاني لم أدر ما تريد

(ج) ان كل شيء يصرف العقول عن الحقائق يسمى سحرا . ألا ترى أن المنوم (بالكسر) يأتي في المراسح العامة ويضع سكرًا في فم المنوم (بالفتح) ويقول له هذا حنظل فيلفظه المنوم ويقشعر وإذا عكس الأمر استحلى الحنظل وابتلعه وهو قرير العين . هذا أحد أنواع السحر فقد صرف المنوم عن الحقائق حتى صار الخاو سرا والمرحوا . أولست ترى أن الرجل يقول له المنوم (بالكسر) أنت امرأة فيفعل فعل المرأة ويسمى نفسه باسم المرأة ثم يقول له أنت ملك فيفعل فعل الملوك وهو مصدق ذلك في كل حال والناس يشاهدونه في المراسح . إن هذا نوع من السحر بلا جدال

(س) وهل هذا التنويم يدرس في المعارف

(ج) لا ولكن التنويم في المعارف أشد وأشد . لاجرم ان كل ما صرف العقول عن الحقائق حكمه حكم التنويم فاذا رأينا فعلا يؤدي الى هذه النتيجة عددناه سحرا وان لم يسمه العامة ولا القاموس سحرا . إن المقام مقام حكمة وعلم . وهل لك أن أقص عليك عجيبة من مرويات قدماء المصريين السحرية المكتوبة على ورق البردي سواء كانت على الحقيقة أو خرافية . ذلك أن الأمير يوفرا وهو أخو الملك (خفرع) قام أمام أبيه الملك (خوفو) وقص عليه عجيبة وقعت وقد ظهرت على يد أكبر العلماء المسمى (زمام عنخ) ذلك أن الملك (سنفرو) كان منقبض الصدر فوصف له أكبر العلماء أن يتوجه جلالة الى بركة قصره ويجعل فيها زورقا مصفحا بالذهب جيلا فيه عشرون فتاة بكرا يجذفن فيه بمجاذيف من خشب الأبنوس المحلى بالذهب وهن محليات بالقلائد والعقود ولا بسات ملابس (شبكة) ففعل وركب فسرن به في الزورق ونظر رجال الزورق ومن فيه وجمال الأشجار والأزهار حول البركة فأنشرح صدره وكانت الفتيات صفين ولكل صف قائدة فوق حجر دهنج من قرط إحدى القائدات في الماء فارتاعت لذلك وتوقفت عن العمل هي ومن معها فضمن لها الملك مثل حجر قرطها فقالت لا أبغى سواه وهذا الحجر أخضر زاهي اللون كالزمرد فتسكتر الملك فأغاثه أكبر العلماء المذكور وقرأ العزيمة على الماء وكان عمقه اثني عشر ذراعا فانطبق أحد نصفي الماء على النصف الثاني وصار عمقه أربعة وعشرين ذراعا وصار مكان النصف يبسا فوجد حجر الدهنج في الأرض على سقف من الزجاج فالتقطه وناول له صاحبه ثم تلا العزيمة مرة أخرى في الماء فرجع الماء لحالته وأنشرح قلب الملك هو وفتياته

(س) وما فعلت المعارف من هذا

(ج) ان أكبر العلماء أشبه بحكام أوروبا في كلياتهم والملك سنفرو وفتياته أشبه بملوك أوروبا وجنودهم والماء أشبه بالعلم فكلاهما للحياة والحجر الواقع من قرط الفتاة هي النعم والخيرات المنجوبة في أرض مصر مثلا وما فيها من النعم . أما العزيمة فهي أن أولئك الفلاسفة والحكام في أوروبا يعطون التعاليم للمدرسين ولولا الامور الأوروبية بين فيعلنون أهل البلاد يقولون لغتكم لاتصلح للتعليم واخلاق آبائكم وآدابهم . كل ذلك نقص وينقصون على العلوم فيحذفونها ولا يبق إلا قشورها . ألم تر أن التلاميذ قبل زمن الاحتلال وفي أوائله كانوا يدرسون علم الأشياء في الابتدائي والفلك والحيوان والانسان والنبات في التجهيزي . ألم تحذف هذه العلوم من البلاد ؟ اليس الانسان يرى بعينه النبات ويرى الحيوان وأجسام الناس ويرى الكواكب

(س) بلى ولكن لا يدرسها لأنه ليس في منهج الدراسة

(ج) هذا هو السحر الحقيقي وما فعل سحرا أكبر علماء سنفرو لم يفده إلا حجرا هو قرط ولكن سحرا أوروبا الآن أفادها قطرا كبيرا والقطر خير من القرط بل فيه ما يساوي الآن ألف حجر من هذا . ومن تلك العزيمة قول الدول المحتلة أعطينا التلميذ الشهادة فيغتر المتعلم بذلك وكفى بالغرور جهلا وأما الماء الذي ارتفع عن احد

نصف البركة فهو هذه العلوم انتشعت من البلاد بالتدريج في زماننا والناس في مصر ساهون لاهون مسحورون وأما الحجر فهو مال مصر كله وأما الآخذ فهي أوروبا فانها لا تجرأ على نهب أموالنا ونحن علماء ، انما تأخذه ونحن جهلاء ، فاذا أراحت العلم انكشفت لها كنوز مصر وأخذتها والا فلماذا تدرس هذه العلوم في مدارسها ولماذا نرى أمتنا المصرية كانت تدرسه قبل قدوم الانجليز وأصبح ذلك نسيا منسيا ، بل ما بالنا نرى الكتب الانجليزية التي كانت تدرس فيها بعض هذه الأشياء غيرت وحل محلها قصص ككاليات المجائر والأطفال (س) إذن الساحرون من أوروبا

(ج) نعم والناس اليوم مسحورون يسبرون في الحقول وينظرون النبات والحيوان وينظرون نوع الانسان وينظرون النجوم وهم غافلون لأن المنوم قال لهم هذه هي شهادة العلوم فغفلوا (س) وهل الوزراء المتعاقبون شاركوا الانجليز ؟

(ج) لم يكن للوزراء قبل الاستقلال أمر أما بعده فالوزراء رجالات الأمة فيغيرون ويرجعون الامور الى نصابها وما ذلك عليهم بعزير وأما اذا رجعت مصر الى عهد الاحتلال (اسمح الله) فالسحر يستمر والجهالة تدوم وليس للمصريين إلا أن يفكروا جميعا . انتهى الحديث وبه تم الكلام على الحكايات الثلاث

﴿ تقديم كتيب السحر وأكابر السحرة عند قدماء المصريين ﴾

جاء في كتاب ﴿ أدب الدنيا والدين ﴾ عند قدماء المصريين ما نصه بصفحة ١١٨ « كانت كتيب السحر داخلية في العلوم المقدسة ومندرجة أيضا في علوم البيان وكتب الطب والحكمة ، وكانت هذه الكتيب تحفظ في دور الكتيب الملكية المجاورة للمعابد والهيأكل ومن المحفوظات الآن في مدينة لندن ورقة بردية في السحر اكتشفها كاهن في القاعة الكبرى من معبد كنتوس مذكور على جوانبها أن الأرض كانت مظلمة حتى ظهر القمر فجأة وأضاءت أشعته سطوحها ، فأنى ذلك السكاهن بهذه الورقة الى خوفو أحد ملوك الأسرة الرابعة ، أما السحرة فكانوا ينقسمون الى ﴿ طائفتين ﴾ الواحدة قانونية والأخرى غير قانونية فاقانونيون هم الذين كانت تأذن لهم الحكومة بمباشرة السحر وتعتمد عليهم وتعول على آرائهم في الطوارئ ولذلك كان لهم النفوذ الأكبر والمقام الأسمى أمام الفراعنة والرعية واشتهر في هذا العلم كثير من أبناء الملوك والأمراء كامنحبت بن حابي وزير الملك امنحبت الثالث الذي نبغ في السحر حتى أقاموا له تمثالا محفوظا اليوم بالمتحف المصري تحت (نمرة ٣) . ومن اشتهر أيضا بالنبوغ في هذا الفن الملك سيزوستريس حتى فاق جميع السحرة في عصره . وكانت الفراعنة يجالون هؤلاء السحرة ويثقون بهم ويلقبونهم بكتبية بيت الملك وكتبية الحياة ويدعونهم لتفسير أحلامهم والانتصار بهم على أعدائهم باظهار أعاجيبهم المدهشة كما حصل في قصة سيدنا موسى عليه السلام أول عمل الألعاب السحرية لتسليتهم ورياضة أفكارهم ، وكان الساحر لا ينبغ في هذا العلم إلا بعد التمرن الطويل ومضى مدة طويلة في حسن السيرة والسريرة ومقاومة شهوات النفس والتمسك بالطهارة والعفاف والامتناع من أكل اللحوم والأسماك والانفراد والانزواء في الخلوة كل أيام حياته ولا يجوز أن يحترف أمة حرفة أخرى حتى تشغله عن مهمة وظيفته وقد أنقن السحرة هذا العلم وتفننوا في أساليبه وأحكموها حتى لم يتركوا غاية جهدهم فيه ورسخت قواعده في أذهانهم حتى كان أحدهم يأتي بأكبر الخوارق التي تبهر الأبصار والبصائر بدون تكلف كأنها ألحوبة صبيانية . ومما ذكر عنهم انهم فلقوا البحار وقطعوا رأس رجل وفصلوها عن جسده ثم أعادوها اليه بدون أن يشعر بأذى وجعلوا التماثيل والأشباح المصنوعة من الشمع تتحرك بحركات مختلفة طوع ارادتهم وكانوا يختمون عن الأبصار وهم جلوس في المجلس فلا ينظرون أحدا حتى ان الداخل لا يعتقد انهم موجودون في هذا المجلس ويقرؤن الرسائل المطوية داخل ظروفها فيخبرون بما فيها بدون أن يفوضوها

يفضوها ويخبرون الناس بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم . ومن أعجب أمر أقاصيصهم أنهم قبلوا نظام الطبيعة حتى صنع أحدهم من الشمع تمثال تمساح صغير ثم تلا عليه صيغة سحرية فتحرك هذا التمثال وساطه على رجل زان استحق العقاب فابتلعه وألقاه في البحر » انتهى
هذا ماجاء في الكتاب بنصه وفصده ولست أذكره على انه حقيقة ولكن أقول هكذا كان القوم يستبدون والحمد لله رب العالمين

جمال العلم وبهجة الحكمة

اعلم أيها الذكي أن ما كتبه الآن لا يفيد فائدة يحسن السكوت عليها ولولا انه قد جاء مكتوبا في الورق البردي ما كتبه فلا ترك الآن جمال العلم وبهجة الحكمة ونور الله المشرق في هذه الدنيا وسرته الظاهر وعجائبه المدهشة . اللهم انك أنت الظاهر والباطن وأجل الأنوار وأبدع الأسرار هذه النفوس الانسانية التي سكنت أجسامنا وزينتها بحواسنا وكرمتها بعقولنا وأقدرتها أن تعرف الكائنات علويها وسفليها . اللهم انك أنت الذي أبدعت أرواحا علوية أدارت الكواكب ودبرت الأشباح الأرضية وخلقت أخرى أصغر منها كالنفوس الانسانية وشوقتها الى أن تطلع على كل عجيب وغريب ، ذلك لأنها قبسة من نورك وسر من أسرارك فهي أبدا تحن الى الجمال والكمال وتصبو الى ادراك الأسرار ، ومن عجب اننا نحن من أجل الأسرار وأبدع العجائب الكنا نجعل أنفسنا ولا نفطن لما فيها من الجمال البديع والنقش الغريب . يا الله كأنك حكمت علينا بالحبس في الجهل حتى ندفع ثمن علمنا بأنفسنا غاليا كما يدفع الرجل مهر عروسه ، وما ذلك المهر إلا دراسة هذا الوجود وعجائبه وتحلي النفس بالأخلاق الفاضلة وهنالك تتجلى لها معانيها فتعرف انها قبسة من نورك فتطير فرحا الى لقاءك وتموت فرحة بمشاهدتك . أما في الآن (كتابان) كنت دائما أحافظ عليهما لأخصهما في هذه السورة المناسبة قصة سحرة فرعون ، فهذه الآن تطبع ولم يوقظني لذلك إلا بعض الاخوان قبل أن تضع الفرصة فعلمت أن هذا الايقاظ أمر إلهي نبه في النفس ما كان خاملا ، والكتابان أحدهما يسمى السحر الحلال في الألعاب السبائية وبعض فوائد صناعية مجربة ، والثاني يسمى المختار في كشف الأسرار . أما أولهما فهو مؤلف مستخرج من العلوم الحديثة وفيه فوائد فائقة وعجيبة ويظهر لي انها كلها صحيحة وأقربية من الصحة والكتاب الثاني مؤلفه يسمى الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن عمر الدمشقي كان في القرون الوسطى فلا سمعك أولا ما اصطفيته من كتاب السحر الحلال . ثم أقفي ببعض ما اصطفيته من كتاب المختار في كشف الأسرار لترى جمال الله المحبوه في العناصر ، وتنتفع بفوائد ومنافع في الحياة ولطائف تفرح الخلال وتونس الجلاس وأخرى للاعتبار والاحتراس من الناس . أما كتاب السحر الحلال فقد اصطفيت منه (٣٣) فائدة وهالك بيانها

(الفائدة الأولى . كيفية جعل رأس عجل مطبوخ يعج على المائدة كأنه حي)

الطريقة في ذلك هي أن تأخذ ضفدعة حية وتضعها في أسفل الرأس من جهة الخنجرية تحت طرف اللسان الداخلي ويكون وضعها عند اخراج الرأس من الطنجرة حالا وهو شديد الحرارة بحيث ان حرارته تلذع الضفدعة فتصرخ هناك فيخرج صوتها من فم ذلك الرأس نظير صوت العجل تماما واحترز أن لاتضعها إلا عند ارادة استعمال ذلك قبل أن يبرد الرأس أو تموت الضفدعة

(الفائدة الثانية كيفية إطفاء شمعة مشعلة واشعال شمعة أخرى مطفأة في وقت واحد)

(أولا) ينبغى أن تكون الشمعتان كاملتين وفتائلهما جديدة لم تمسها نار (ثانيا) أن تشق طرف الفتيلة التي تريد أن تشعلها بواسطة دبوس ونحوه وتضع في ذلك الشق قطعة من الفوسفور (١) بقدر حبة حنطة واجعل

(١) يجب الاحتراز السكلي عند استعمال الفوسفور ، ينبغى أولا أن لاتمس به بأصابعك لئلا يعلق بها شيء

المسافة بينها وبين الشمعة المشعلة مقدار خمس أقدام ونخذ بيدك غدارة وأطاقها على المشعلة فيطفئها البارود بهزمه ويشعل الثانية التي في رأسها الفوسفور

﴿ الفائدة الثالثة . كيفية عمل برق في حجرة ﴾

ينبغي أن تكون الحجرة التي تريد أن تصنع فيها البرق صغيرة ومظلمة ولا يكون فيها منفذ الى الخارج يدخل منه الهواء ثم تأخذ إناء من نحاس أو نحوء فتشعل فيه شيئا من العرق مع الكافور وتركه في غليانه حتى يحترق العرق والكافور برمتيهما ولا يبقى شيء في الإناء ، وحينئذ إذا دخل أحد الى تلك الحجرة ويده شمعة موقدة يرى في الحال لمعان برق شديد في المكان ، وذلك البرق لا يخشى منه ضرر لا للإنسان الذي يفشاه البرق ولا البيت الذي يسطع فيه

﴿ الفائدة الرابعة . كيفية اظهار شبه قوس قزح ﴾

طريقة ذلك أن تملأ بك ماء وتقف في باب أو في شبك حجرة نافذة منها نور الشمس الى الداخل وتجعل ظهرك موجها الى أشعة الشمس ثم تنفخ ذلك الماء بخا بحيث يكون نور الشمس واقعا عليه فيظهر للنظر قوس منقنع نظير قوس السحاب

﴿ الفائدة الخامسة . جعل الورق غير قابل للاحتراق ﴾

عليك أن تأخذ قطعة من ورق الكتابة الاعتيادي وتغمسها بماء الشب ثم تجففها وتعيد ذلك عليها مرتين أو ثلاث مرات وتجففها في كل مرة جيدا فإذا وضعتها بعد ذلك على لهيب الشمعة لا تحترق أصلا

﴿ الفائدة السادسة . تسكين شراب حتى يضيء في الظلام ﴾

عليك أن تأخذ قطعة من الفوسفور بقدر الحصة الصغيرة وتقسمها الى قطع ثم تضعها في وعاء من فخار يكون فيه مقدار ثلاثة فناجين اعتيادية من الماء وتغاوله على نار خفيفة ونخذ زجاجة طويلة بيضاء لها سدادة من جنسها تكون مضبوطة وافتحها وضعها في ماء حار ثم ارفعها وأفرغ فيها مقدارا من ذلك الماء الذي كانت فيه وأضف اليه الماء المغلوق بالفوسفور حالا وانغمس السدادة في الغراء وستبها القينية بالسرعة لكي لا يدخل الهواء كليا فيبقى هذا الماء لماعا مضيئا ليلا مدة جملة أشهر . فإذا وضعتها في مكان مظلم احترز من أن تحركها وإذا كان وقت حر وجفاف هز القينية فترى حينئذ لمعانا أشبه بلعان البرق في وسط الماء

﴿ الفائدة السابعة . طريقة لابقاء الزهور محفوظة زمانا وإبرازها في غير أوانها ﴾

خذ زهرا من أي نوع شئت بشرط أن يكون كأس الزهرة (١) سالما ممتلئا وتويجها (٢) قريب التفتح واقطعها بمقراض تاركا لها عنقا طويلا ما أمكن ولبس طرفها المقطوع بقطعة من الشمع الأحمر وعند ماتجف لفها بقطعة ورق ناشفة وضعها في محل ناشف . فإذا أردت بعد حين أن تبرزها أخرجها واقطع منها محل الشمع الأحمر وضعها في ماء به قليل من ملح البارود أو الملح الاعتيادي واتركها حتى تنفتح وتأخذ نضارتها

﴿ الفائدة الثامنة . طريقة لغليان حامض النتريك من دون نار ﴾

ضع في زجاجة كمية قليلة من حامض النتريك وزدها قليلا من برادة النحاس الأصفر فترى الحامض في غليان شديد ضمن الزجاجة حتى انه من قوة حرارته يلدغ لذعا مؤلما

منه فتأخذ قطعة من الورق وتبلها بالماء وتمسك بها لأنه سريع الانهاب عند الضغط أو التقسيم وإذا اتفق واصق شيء منه بالأصابع والتهب يصعب جدا اطفأؤه فربما آذى وآلم بشدة لجه فلا يطفئه حينئذ إلا الغمس بالبول وغير هذه الوسطة لا يزيده إلا التهابا . ولكي يؤمن خطر هذا العنصر أمنا تاما عند استعماله ينبغي أن يوضع في قينية مملوءة من الماء بحيث ان الماء يغمره بجملته والأحوط أن يمسك بواسطة ملقط فليستبه جيدا

(١) هو ورقاتها الخضراء المحيطة بالتويج (٢) هو الأوراق الملونة

﴿ الفائدة التاسعة . إظهار ماء في لون وتحويله الى لون آخر بدون صباغ ﴾
الطريقة لذلك أن تأخذ قنينة بيضاء جلية وتفرغ فيها مقدارا من روح القلي وتحل فيها كمية من برادة النحاس الأصفر فيزرق حينئذ السائل ، فإذا سددت القنينة اختفى لونه فإذا أردت إظهار اللون ثانية افتح القنينة بالتأني فيزرق وهكذا

﴿ الفائدة العاشرة . طريقة لتغيير هيئة جماعة في مكان ﴾
تأخذ كمية من الملح واخرى من الزعفران وتعليهما في قليل من العرق وبعد أن يتم مزيجك هذا خذ قطعة من القطن وانغمسها فيه حتى تشرب منه جيدا ثم أشعل طرفا منها وأشعل بها المصابيح الموجودة في المحل فكل شخص أبيض يقع عليه هذا الضياء يصير لونه أخضر وتستحيل حجرة الحدود الى لون زيتوني مشرب

(١١) ﴿ طريقة لتغيير لون طائر أو تويج زهره ﴾
لأجراء ذلك ينبغي ان تستحضر زجاجة واسعة يمكن أن تسع الطائر الذي تريد ان تحوّل لونه واستحضر لها سدادة من الفلين مجوّفة على قدر غلظ عنق الطائر الذي ينبغي أن يكون رأسه خارجا والأجود ان تكون الفلينة منقسمة الى شطرين يقع بينهما التجويف بحيث يمكن ضمهما على عنق الطائر من دون أن يتأذى أو يجرح وبعد أن تكون هيات ذلك تأخذ الزجاجة وتلقى بأسفلها أوقية من الكاس الجديد وثلاث دراهم من ملح النشادر وعند مآري الفليان قد ابتدأ في الزجاجة تسريع بوضع السدادة مركبا فيها عنق الطائر حسب التفصيل المتقدم حتى تكون جثته ضمن الزجاجة ورأسه في الهواء وينبغي ان تكون الزجاجة طويلة لئلا يلحق الطائر الى أسفلها فيتأذى وتبقى الطائر على هذه الحالة نحو دقيقتين الى ثلاث دقائق فيتغير لونه الطبيعي الى لون آخر واحترس ان يبقى أكثر من ذلك فانه يتألم وربما يموت . وكذلك تصنع اذا أردت ان تغير لون زهرة ما ولكن يكفي أن يكون في الفلينة ثقب بحيث يدخل فيه عند الزهرة

(١٢) ﴿ كيفية جعل صينية القهوة تدور من نفسها على الجلاس ﴾
تأخذ سلحفاة وتلصق بظهرها قطعة من الشمع العسلي إصاقا محكما بالتسخين ثم تأخذ الصينية فتلصقها بتلك الشمعة على ظهر السلحفاة بعد تسخين مكان الاصاق من الصينية بحيث تتمكن جيدا وبعد ذلك تغطي الصينية بقطعة من القماش ترسلها حول أطرافها لئلا تظهر السلحفاة من تحتها وتضع عليها الفناجين وتوجهها الى الجلاس ومن طبع السلحفاة ان تدور فتدور هكذا من واحد الى آخر بحيث يظهر للناظرين أن الصينية تدور من نفسها

(١٣) ﴿ كيفية وضع شئ في العين وإخراجه من الفم ﴾
تأخذ قطعة من الرصاص أو نحوه بطول قمتين وغلظ قعّة أو أقل مستديرة من قوامها وطرفيها بحيث لا يبقى لها حرف يחדش داخل العين وتأخذ قطعة أخرى على هيئتها تماما فتضع الواحدة في فك خفية ثم تأخذ الثانية فتدخلها أمام الناظرين في عينيك في (المناق الانسي) أي في طرف العين الذي من جهة الأنف وهكذا تغيبها تحت جفئك الأسفل بالتدريج مع الرفق منحرفا بها الى الجهة الوحشية فإذا غابت باجمعها أجر أصبعك من عند العين الى جهة الخد مدبرا إياه بالتدريج أيضا كأنك تضغطها تحت الجلد حتى توصلها الى الفم ومتى وصل أصبعك الى قرب فك ألق منه القطعة الثانية التي وضعتها أولا فيتخيل للناظر أن القطعة التي خرجت من فك هي التي وضعتها في عينك . وهكذا يمكنك العكس أيضا فتعيد تلك القطعة الى فك وتدير أصبعك منه الى العين عكس ما فعلت أولا ومتى انتهى أصبعك الى العين تضغط به تحت الجفن ضغطا منحرفا الى جهة الأنف مرتين أو ثلاثا فتخرج القطعة وتسقط وابق القطعة الثانية في فك ولا تخرجها إلا خفية لئلا يكشف سر الصناعة . ولكي لا يسمع لها صوت عند اصطكاكها بأسنانك أو يتغير منطقك بسببها ينبغي أن تضعها وراء

اللمة مما يلي الأناب مادامت في فلك

(١٤) كيفية تحويل نصل سكين من الفولاذ الى نحاس أصفر ﴿

خذ أوقية من صفائح النحاس الأصفر الرقيقة وطهرها على النار حتى تنقى و بعد أن تقسمها الى قطع صغيرة ضعها في كاس زجاج وأرق عليها ثلاث أواق من حامض التريك و اتركها خمس أو ست ساعات فيذيب النحاس وينحل و بعد أن يسكن من غليانه اغمس فيه نصل السكين فيكتسى غشاء من النحاس المحلول

(١٥) طريقة يظهر بها الفولاذ كأنه سائل ﴿

تأخذ قطعة من الفولاذ أو الحديد وتحميها الى درجة الاحرار الكامل ثم تمسكها بملقط باليد الواحدة وتأخذ باليد الثانية عصا تضع في رأسها قطعة من الكبريت وتلقيها على قطعة الفولاذ المحمرة فيذيب الكبريت ويسيل عن قطعة الفولاذ التي يظهر للناظر كأنها هي السائلة

(١٦) اخراج عشرين طلقة من قنينة نظير صوت الغدادة ﴿

خذ قنينة من الزجاج الاسود متينة الجدران وضع فيها مقدار نصف لتر من الماء مع خمسة وتسعين جراما من برادة الحديد وستين جراما من زيت الزاج وسد القنينة و اتركها حتى تسخن ومتى سخنت افتحها وأدن اليها من جهة فيها قطعة ورق ملتهبة فيخرج منها طلقة ثم أعد السدادة وهكذا تكرر هذه العملية فيخرج منها عشرين طلقة

(١٧) كيفية اصطناع الجليد من الماء في فصل الصيف ﴿

خذ قنينة او شبرها من الفخار واملأها ماء مغلوا ثم أضف اليها ثمانين جراما من ملح البارود وعشرين جراما من عرق الطيب ثم سدها سدا محكما وأنزلها في بئر عميقة وأبقها هناك نحو ثلاث أو أربع ساعات ثم أخرجها بعد ذلك واكسر القنينة فتجد الماء قد تجمد

(١٨) سرٌّ خاص في عدد ٣٧ ﴿

أى عدد من الأعداد الآتية ضربت فيه عدد (٣٧) يحصل ثلاثة أرقام متشابهة أخذت بالنسب من (١) الى (٩) حسب نسق الأعداد المضروب فيها وهى هذه (٣-٦-٩-١٢-١٥-١٨-٢١-٢٤-٢٧) وهذه صورة العمل

٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
٣	٦	٩	١٢	١٥	١٨	٢١	٢٤	٢٧
١١١	٢٢٢	٣٣٣	٤٤٤	٥٥٥	٦٦٦	٧٧٧	٨٨٨	٩٩٩

(١٩) طريقة للكتابة بحبر يظهر ويختفي ﴿

تأخذ مقدارا من تراب الزرنيج وتحله بالماء المحلل وتضيف عليه شياً من الماء الاعتيادى ثم تكتب به على الورق فلا يظهر له لون ، فاذا سخنت الورقة على النار ظهرت الكتابة بلون أخضر ومتى رفعت عن النار يذهب اللون وهكذا . وهناك طريقة أخرى لاظهار الحبر السرى على الورق بعد الكتابة به وهى أن تأخذ كمية قليلة من البصل الاعتيادى مع جزء من عصير الليمون الحامض وتمزجها معا في وعاء من زجاج وتكتب ما شئت على الورق و بعد أن تجف الكتابة أعرضها على الحاضرين فلا يرونها إلا ورقة بيضاء وعند ذلك يمكنك في أى وقت شئت اظهار الحبر وذلك بعرض الورقة لحرارة النار فتظهر لك الكتابة بلون ذهبي لا يمحو

(٢٠) طريقة لأجل الكتابة بالاحبر ﴿

غطس ورق الكتابة في محلول الزاج الأخضر أى (كبريتات الحديد) وانشره على خيطان منصوبة حتى ينشف تماما ثم خذ من مسحوق العفص الناعم جدا وافرك به الورق بكرة تصنعها من خرق نظيفة ثم أزل ما بقى

على الورق بلا التصاق بفرشة ناعمة ثم اصنع منه دفترًا فان بليت قاسما أوقشة بماء أو ببصاق ورسمت به على هذه الورقة تظهر لك الرسم أسود كما لو استعملت حبرًا ، وبهذه يستغنى عن الدواة وقلم الرصاص

(٢١) ﴿ كيفية منديل يدل على المطر ﴾

خذ منديلا وصور عليه صورة رجل حامل شمسية مصبوغة بكاروريد الكوبلت فان كان الطقس حسنا ناشفا ظهرت الشمسية زرقاء ، وان اختلف صارت رمادية ، وان أمطر صارت بيضاء وان غسلت زال لونها تماما

(٢٢) ﴿ منديل غير قابل للاحتراق ﴾

خذ شبا ونوشادرا واعجنهما بزلال بيض واطل بهما منديلا ، فاذا ألقيته بالنار لا يحترق

(٢٣) ﴿ طريقة لأجل امساك النار ﴾

خذ زونيخا أصفر مورقا وشبا يمانيا وامزجهما بزلال البيض وادهن بهذا يدك فاذا مسكت النار لا تحرقك

(٢٤) ﴿ طريقة لجعل بيضة تطير لذاتها ﴾

خذ بيضة حمام واقبها وأفرغ ما فيها واملاها من الندى ثم سدّها بقليل من الزيت واطلها بدهان أبيض نظير لونها وحينما تريد تطيرها ضعها في الشمس فتراها تطير لذاتها

(٢٥) ﴿ طريقة لعمل حبر سرّي ﴾

خذ من حليب التين واكتب به على الورق وبعد أن تنشف الكتابة أعرضها على حرارة النار فتظهر الكتابة بلون ذهبي غامق

(٢٦) ﴿ طريقة لعمل حبر لا ينظر إلا في الليل ﴾

خذ نوشادرا وحمله في حليب واكتب به فيظهر في الليل ولا يظهر في النهار

(٢٧) ﴿ طريقة لنزع الحبر عن الثياب ﴾

خذ نوى المشمش اللوزي ودقه ناعما وافرك به القطعة الملوخة فيزيل الحبر عنها

(٢٨) ﴿ طريقة لإهلاك البراغيث ﴾

انقع مسحوق الكبريت الأصفر في خل كاف يغمره مدة ثلاثة ايام ثم رش به الموضع المطلوب فتقرّ البراغيث منه ولا ترجع اليه أبدا مادامت تنتشق رائحة الكبريت (مجرّبة)

(٢٩) ﴿ طريقة لإهلاك البق ﴾

خذ (١٦) جزءا من الصابون وجزأين من الزرنخ الأحمر وجزأ من الكافور وضع الجميع في مقدار كاف من العرق حتى يصير المزيج كالدهن وادهن به الموضع الماكن فيه البق فيجمد لا محالة (مجرّبة)

(٣٠) ﴿ طريقة لإهلاك الصراصير ﴾

امزج قليلا من مسحوق الزرنخ بتفاحة مشوية وضعها في الخلات التي تكون فيها الصراصير فتهلك لا محالة . ولكن يجب الاحتراس من أن يصل اليها الأولاد فيأكلوها فيسموا

(٣١) ﴿ طريقة لطرد النمل الصغير النر ﴾

امزج ملء ملعقة صغيرة من الطرطير المقيّ بملعقتين من الدبس وضع المزيج في ماء وحركه واجعله حيث رايت النمل وفي الصباح تجد نملا كثيرا ميتا على وجهه - والبقية قد ارتعبت وهربت ثم اهرق النمل الميت عن وجه المزيج وأعد هذا العمل في كل مكان يظهر فيه النمل فتهلكه بأقرب وقت

(٣٢) ﴿ ضوء الفوسفور ﴾

يمزج (١٢) قحمة من الفوسفور و (٤) دراهم من زيت الزيتون في قنينة صغيرة ثم تسد هذه القنينة سدا غير محكم وتضعها في وعاء فيه ماء مسخن حتى يذوب الفوسفور فتسد القنينة حينئذ سدا محكما وتهز حتى

تسكاد تبرق فكلاما فتحت بعد ذلك أخاوت إضاءة تكفي لإظهار الكتابة وتقوم إضاءتها هذه بنزع سنين انتهى ما أردته من الكتاب الأول

وأما الكتاب الثاني فإن مؤلفه يقول إنه عمده للملك المسعود ذكر فيه حبل المتنبيين والشيوخ الكاذبين والأخبار والرهبان وأصحاب الكيمياء وطلاب الكنوز وهكذا . فلا ذكر لك ما فيه فوائد للاستبصار والاتعاظ

(القصة الأولى في كشف أسرار من ادعى النبوة)

قد كان ظهر في آخر خلافة السفاح بأصفهان رجل يعرف باسمحق الأخرس فادعى النبوة وتبعه خلق كثير وملك البصرة وسمان وفرض على الناس فرائض وفسر لهم القرآن على ما أراد ثم قتل . وكان حديثه أنه نشأ بالمغرب فتعلم القرآن ثم تلا الانجيل والتوراة والزبور وجميع الكتب المنزلة ثم قرأ الشرائع ثم حل الرموز والأقلام ولم يترك علما حتى أتقته ثم ادعى أنه أخرس وسافر فنزل بأصفهان وخدم قوما في مدرسة وأقام بها عشر سنين وعرف جميع أهلها وكبرائها . ثم بعد ذلك أراد الدعوة فعمل له أدهانا ودهن بها وجهه حتى لا يمكن أحد النظر إليه من شدة الأنوار ثم نام في المدرسة وأخلق عليه الأبواب فلما نام الناس وهدأت الحواس قام فدهن وجهه من ذلك الدهن ثم أوقد شمعتين مصبوغتين لهما أنوار تفوق السرج . ثم صرخ صرخة أزعج الناس ثم أتبعها ثمانية وثلاثة ثم انتصب في المحراب يصلي ويقرأ القرآن بصوت أطيب ما يكون وبنغمة أرق من النسيم فلما سمع الفقهاء ثوابوا وأشرفوا عليه وهو على تلك الحالة فحارت أفسكارهم من ذلك ثم أعلموا المدرس بذلك فأشرف عليه وهو على تلك الحال فلما رآه خروا فشيا عليه ، فلما أفاق عمد إلى باب المدرسة ليفتحه فلم يقدر على ذلك فخرج من المدرسة وتبعه الفقهاء حتى انتهى إلى دار القاضي والأخبار قد شاعت في المدينة فأخبر القاضي بذلك فخرج القاضي واتصل الخبر بالوزير واجتمع الناس على باب المدرسة وهو قد فتح الأقفال وترك الأبواب غير مفتحة ، فلما صار القاضي والوزير وكبراء البلد إلى الباب اطلع عليه الفقهاء وقالوا له بالذي أعطاك هذه الدرجة افتح لنا الباب فأشار بيده إلى الأبواب وقال تفتحن أيها الأقفال فسمعوا وقع الأقفال إلى الأرض فدخل الناس إليه وسأله القاضي عن ذلك فقال أنه منذ أربعين يوما رأى في المكان أثر دليل واطلع على أسرار الخلق ورأها عيانا فلما كان في هذه الليلة أتاني ملكان فأيقظاني وغسلاني ثم سألاني عن النبوة فقلنا السلام عليك يا نبي الله نفقت من ذلك وطلبت أن أرد عليهم السلام فلم أطق وجعلت أتأمل رد الجواب فلم أقدر على ذلك فقال أحدهما افتح فاك بسم الله الأزلي ففتحت في وأنا أقول في قلبي بسم الله الأزلي فجعل في في شيئا أبيض لا أعلم ماهو أبرد من الثلج وأحلى من الشهد وأذكى من المسك فلما حصل في أعالي نطق لساني فكان أول ما قلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالا وأنت رسول الله حقا . فقلت ماهذا الكلام أيها السادة . فقالا إن الله قد بعثك نبيا . فقلت وكيف ذلك والله تعالى قد أخبر عن سيدنا محمد أنه خاتم النبيين . فقالا صدقت ولكن الله أراد بذلك أنه خاتم النبيين الذين هم على غير ملته وشريعته فقلت اني لا ادعى بذلك ولا أصدق ولاي مجزات . فقالا يوقع في قلوب الناس تصديقك الذي أنطقك بهدأن كنت أخرس منذ خلقت ، وأما المجزات التي أعطاك الله عز وجل فهي معرفة كتبه المنزلة على أنبيائه ومعرفة شرائعه ومعرفة الألسن والأقلام ، ثم قالوا اقرأ القرآن فقرأته كما أنزل ، ثم قالوا اقرأ الانجيل فقرأته ، ثم قالوا اقرأ التوراة والزبور والصحف فقرأت الجميع كما أنزل ، ثم قالوا قم فأندر الناس ، ثم انصرفا عني وقت أنا أصلي وهذا آخر خبري فمن آمن بالله وبمحمد ثم بي فقد فاز ومن كذب فقد عطل شريعة محمد وهو كافر والسلام ، فعند ذلك سمع له خلق كثير واستقام أمره وملك البصرة وسمان وغيرهما واستفحل أمره ولم يزل كذلك حتى قتل وله شيعه بعمان إلى يومنا هذا قبحهم الله تعالى

﴿ القصة الثانية ﴾

ظهر في سنة تسعين وخمسمائة صاحب من الاسماعيلية يقال له (سنان) ونزل (بمسياط) وحكم فيها وفيها لها من القلاع وكان خبيراً بالخيول والنواميس الافلاطونية وسمع به أهل تلك الجبال وأطاعوه طاعة لا حد لها حتى انه كان يقول أريد الساعة عشرة من الرجال تصعد على السور ويرمون أرواحهم فيسارعون الى تلف أرواحهم وهذا رباط لا يقدر عليه أحد وكان يعمل لهم مثل هذه الخيل كثيراً وهذا مشهور عن سنان وهي صفة عمل أهل النار ، ومن جملة حيله انه كان حفر في محاسنه المصطبة التي يجلس عليها حفيرة بمقدار ما اذا جلس الانسان فيها جاءت الى رقبته ثم حسنها وبلطها وعمل لها غطاء من الخشب الرقيق مقورا على مقدار ما يسع رقبة الرجل ثم أخذ طبق نحاس وقوره في وسطه ثم جعله مصرعين ولم يطلع عليه أحد فكان اذا أراد أن يفعل ذلك أخذ من يختاره من أصحابه بعد أن يهبه الأموال العظيمة ثم يوصيه بما يقول وينزله في الحفرة ويعطى عليه ويخرج رأسه من القوارة ثم يأخذ الطبق المقور فيجعله في رقبته ثم يسقط عليه السواقط فلا يظهر منه شيء إلا رأسه ثم يجعل في طبق شيئا من الدم ثم يشيع انه قد ضرب رقبته ، ثم يدعو أصحابه اليه فاذا حضروا أمرهم بالجلوس فاذا جلسوا واستقر بهم الجلوس قال لملوكه اكشف هذا الطبق فيكشفه فيجدون فيه رأس صاحبهم فيقول له حدث أصحابك بما عاينت ما قيل لك فيحدثهم بما أوصاه فتذهل عقولهم من ذلك ثم يقول له في آخر الكلام أيما أحب اليك الرجوع الى أهلك والى ما كنت فيه من الدنيا أو السكنى في الجنة فيقول وما حاجتي بالرجوع الى الدنيا والله ان خردلة مما أعد لي في الجنة ما أبيعها بمثل هذه الدنيا سبع صرات فانتبهوا يا أصحابي وأنتم عليكم سلامي وأرجو أن تكونوا في جوارى في الجنة ، فالله الله والحذر من مخالفة هذا صاحب الذي هو خليفة الامام وهو الحاكم في الموقف كما قال لي الخالق جلت قدرته والسلام ، فاذا سمعوا ذلك صدقوا ثم ينصرفون فاذا انصرفوا عنه أطلعه من الحجرة وحجبه الى الليل فيضرب رقبته ويدفنه . فهذا الخبيث قد استعبد أهل تلك الجبال مدة حياته والى يومنا هذا الرباط باق

﴿ القصة الثالثة في كشف أسرار من ادعى النبوة أيضا ﴾

ظهر في خلافة المعتز بالديار المصرية رجل ادعى النبوة ونزل (تنيس) وكان يعرف بفارس بن يحيى الساباطي وسلك مسلك عيسى ابن مريم عليه السلام وادعى إحياء الميت وبراء الأبرص والأجذم والأعمى ، وبني له صومعة بتنيس على البحر شمالى البلد وهي باقية الى يومنا هذا ثم أحيا لهم الميت أيضا ، ثم ذكر طريق الغش والايهام فلا تظيل به وإنما تذكر بعض معجزاته التي يقول انه كشف أسرارها ، قال انه كان يمشى على الماء على ساحل البحر فيطلع السمك اليه من البحر ويقبل أقدامه وذلك انه كان يأخذ من خرد الآدمي جزأ ومن الباذرورج جزأ ومن حب القثاء جزأ ثم يدقها ناعما ويحجتها بدهن الياسمين ويلطخ به أقدامه ثم يمشى على ساحل البحر فيطلع السمك على رائحة الدواء ويلبس أقدامه فيتوهم فيه الأوهام بالنبوة وغيرها ، ولأكتف بهذا القدر في ادعاء النبوة

﴿ القصة الرابعة . الشيوخ الكاذبون ﴾

ثم ذكر الشيوخ فأتى على الجنيد وابراهيم بن أدهم والحسن البصري وسرى السقطي ومعروف الكرخي وأبي سليمان الداراني وغيرهم ، فهذه هي الدرجة الأولى . أما الدرجة الثانية فهم أصحاب الرياضات والعلم بالأسماء مثل عبادان وبهاول والشيخ أبي العباس ، قال وقد ظهر سنة ثمان وثلاثمائة رجل يعرف بالحسين بن منصور الخلاج وكان يدعو الناس الى عبادة الله فوشوا به الى علي بن عيسى الوزير فأحضره وضربه ألف عصا وقال انه كان ينشد هذا الشعر

وحمة الود الذي لم يكن يطمع في إفساده الدهر

مانالى عند نزول البلا * جهنم ولا مسنى النسر
ماقتلى عضو ولا فصل * إلا وفيه لكم ذكر

قال وأما الدرجة الثالثة من المشايخ فهم أصحاب الدخن المختلفة والتباخير ، فهذه الطبقة هي المذمومة وإنما نذكرها هنا لنوقف المسامحين الى الشيوخ الكاذبين الذين يجهلون الدين وسيلة للدنيا وهذا الكتاب قد جهله الله من السيوف المرفهة لقطع دابر هذه العصابة من بلاد الاسلام وهذا مناسب للسحر فى القرآن لأن ما ستمسه هنا ملحق بالسحر فليحترس المسامون منه

﴿ القصة الخامسة ﴾

قال . فن المشايخ أصحاب الزوايا من أهل هذه الدرجة ، فمنهم من يتعاطى النزول فى التنور وقد أوقد فيه قنطار من الحطب فينزل فيه ثم يغيب ساعة ويطلع وعلى يده طاجن فيه سمك مقلى أو دجاج محشو أو خروف مشوى أو ما اتفق من ذلك فيذهل الناس ويحرق عقولهم وذلك أن هذا التنور يكون مريض (كذا) الأعلى فتكون حرارة التنور من أعلاه وأسفله بارد إلا أن هذا التنور يكون محكم البنيان وله صاج من الحديد فى أسفله ولذلك الصاج خلوفى الحائط مهندس محكم بحيث أن النار جميعها تكون فى الصاج وبمقدار ما يضع يده على حافة التنور يسبح ذلك الصاج بما عليه من النار فى ذلك الخلوف فيبقى أسفل التنور خاليا من النار باردا فيقعده فيه ويكون قعوده بقدر ما يعلم أن الخروف مثلا قد استوى فإذا طلع أخذه معه وأطعمه لمن قد حضر ، وإذا كان هو أسفل التنور فإن أعلى التنور لا يقدر أحد أن يقابله من وهج النار

﴿ القصة السادسة ﴾

ومنهم من يفعل غير ذلك قبضهم الله تعالى فينزل فى النار وقد روي جميع جسده بالترايبص التي تمنع من النار وفعلها ، ولذا كراترايبص التي يعملونها لمنع النار ، فن ذلك يؤخذ الضفدع ويساق حتى ينضج ويتفتت ولا يبقى له أثر ثم يرفع عن النار حتى يبرد فإذا برد جد الدهن على وجه الماء فيأخذ ذلك الدهن ثم يضيف إليه شيئا من البارود الثلجى ثم يلطخ به جسده وجميع أعضائه ويدخل النار فانها لا تضره شيئا . ومنهم أخراهم الله من إذا عمل السماع أخلى الزاوية من الماء فإذا رقصوا عطشوا فيشكون للشيخ ذلك فيقول هاتوا شيئا وخذوا ماء للشرب فيه طونه ابريقا أو غيره فيأخذه بيده ثم يفتح باعه ويدور فى الطابق ثم يدفع لهم الوعاء ملأنا ماء مبخرا بمسك فيقول هذا من نهر الكوثر (أخراهم الله) فيشرب الجماعة من ذلك الماء وقد حارت عقولهم من ذلك « وكشف ذلك » انه يأخذ مصران غنم فيدينه بعد غسله ثم ينقعه بماء الورد سبعة أيام وبعد ذلك يأخذه فير بطرفه الواحد ربطا جيدا ثم يجعل فى طرفه الآخر عقدة قصب ثم ينفخه فى الهواء حتى يجف فإذا جف رفعه عنده فإذا أراد العمل به أخذه ثم ملأه ماء وقد جعل فيه قليل مسك وماء ورد ثم جهله فى قبضه وقد عمل له حالات من تحت قبة القميص من كمه الشمال الى كمه اليمين فإذا أراد أن يسقى الجماعة جعل رأس المصران فى فم الوعاء وهو دائر من حيث لا يعلم به أحد ثم يفك رأس المصران بظفره فينزل الماء فى الوعاء ثم يدفع لهم الوعاء ويدعى ما أراد ويقع منهم غير ذلك

﴿ القصة السابعة ﴾

ومنهم من يكون فى السماع ويتقدم الى الشمعة أو الى المصباح فيمد يده ويشعل أصابعه العشرة فتشتعل كما يشعل الشمع فإذا أشعلها أطفأ ما يكون من الشمع ولا يزال يرقص وأصابعه تشتعل حتى يضج الخلق ثم يدنى الشمعة فيشعلها ويطفى أصابعه وهذا ناموس عظيم ، والسرى كشف ذلك انه يأخذ من الدواء الذى ذكرناه فى نزول التنور فيلطخ أصابعه جميعها الى العقد ويدعها حتى تجف ثم يأخذ النفط ويلبسه على ذلك الدهن ثم يشعله فى النار فلا يزال يشعل حتى ينفد النفط ولا يدرك يده شئ من الحرارة فافهم . ومنهم من يدهن يده

بالدهن ثم يمسح له عشرة قوع من اللبد الأحمر الطالقاني ثم يلبسها أصابعه العشرة ثم يسقيها بالنفط ويشعلها فتشعل ولا تضره شيئاً . ومنهم من يكون جالساً في الزاوية وعند جباعه فيشتهي كل واحد منهم على الشيخ شهوة فيحضر شهواتهم على الوصف الذي طلبوه وقد كنت اجتمعت في بلاد الحجاز بشيخ يعرف بسليمان وكان من أهل المغرب فكنا عنده ثمانية أنفار فاشتبهى كل واحد منا شهوة فقام الى بيت الخلوة يصلي ويدعو ثم خرج فلم نشعر إلا والذي طابنا قد حضر نغرق عقول الناس وشاع ذلك عنه وجاءته انفتوحات من كل اقليم وكشفت عن هذا السر فوجدت للشيخ قعيدة في المدينة وعنده في بيت الخلوة طائر يأتي بيت القعيدة ، فإذا اشتبهى كل واحد مافي قلبه قام الشيخ الى بيت الخلوة ثم كتب جميع ما طلبته الجاعة في بطاقة ثم علقها على الطير ثم أرسله بجميع ما يكون قد طلب منه ترسله القعيدة فلا يشعرون إلا وقد حضر فيذهل من كان حاضرا فافهم أسرار هؤلاء القوم ودهاءهم . ومنهم الذين كراماتهم أكل الحيات والنار ، فوالله لو فعل هذا أمام أطفال لضحكوا على من يفعله ، فيا عجميان القلوب أهذه كرامات الصالحين ؟ فانتبهوا يا بنيام وتيقظوا

﴿ القصة الثامنة في كشف أسرار كذبة الوعاظ ﴾

ثم تكلم عن الوعاظ فقال ومن دهائهم أن أحدهم يصعد على المنبر بخشوع وسكينة فإذا شرع في الكلام وذكر أهوال يوم القيامة بكى بدموع أحرم من الجمر ، فإذا أراد ذلك يأخذ الخردل فيسحقه ثم ينقهه بالخل يوما كاملاً ثم يسقى به المنديل الذي يمسح به وجهه ثم يتركه حتى يجف فإذا حصل على المنبر مسح وجهه بذلك المنديل تنزل دموعه مثل المطر وهذا أول ما لهم من الدهاء ، ومن ذلك أنهم يجوزون بعض نساءهم في زى آرباب البيوت فيظهرانها قد أخنى عليها الزمان ولا تقدر تبذل وجهها في السؤال الى الخلق فيعطف عليها القلوب ويردد الكلام في ذلك المعنى ويورد فيه أخباراً وحكايات ثم يخلع ثوبه ويرمي عليها ويقول والله لو ملكت يدي شيئاً من النفقة لكنت أنا أحق بهذه المثوبة ولكن العذر واضح فهذا ثواب يساق اليكم فإذا رأت الجاعة ذلك لم يبق أحد حتى يردفها بشئ على قدره ومكنته وما يحصل فهو للشيخ الواعظ

﴿ القصة التاسعة في كشف أسرار كذبة الرهبان ﴾

اعلم أن بعض هذه الطائفة أعظم الأهم كذباً وفاقاً ودهاء وذلك أنهم يلعبون بعقول النصارى ويستبيحون النساء وينزلون عليهم الباروك ولا يعلم أحد أحوالهم وهم أضمر الخلق وأخس من غيرهم لأنهم إذا خلوا بأنفسهم يعترفون بأنهم على ضلالة وقد غيروا الأحوال والأفعال والأقوال ولهم أعمال عظيمة لاتعد ولا تحصى وهم يأكلون الأموال بالباطل ويرتبون الكذب وزخارف القول وهم أكذب الخلق على كل حال ، فمنهم من عمل لديره عيلاً وجعل له ناموساً من بعض النواميس يأكل به أموال النصارى ، وهذا إذا أثبت الآن لك شيئاً من ذلك فأقول ، اعلم أن هؤلاء القوم أعظم ناموس لهم قنديل النور في كنيسة قمامة بيت المقدس وهو من عمل الرهبان وقد ارتبط عليه جميع النصارى وأسباطهم وأجناسهم ، وقد كان الملك المعظم ابن الملك العادل قدس الله روحه دخل الى القمامة يوم سبت النور فقال للراهب لا أبرح حتى أبصر هذا النور كيف ينزل فقال له الراهب أيما أحب اليك هذا المال الذي يتحصل من هذا الوجه أو اطلعك عليه فانك ان كشفت سره عدمت هذا المال فتركه مستورا مصاناً وارح هذا المال العظيم ، فلما سمع ذلك علم باطن قول الراهب فتركه على حاله وخرج ، وهنا ذكر أن الراهب يضع الكبريت في حق في رأس قبة الكنيسة والحق معلق في سلسلة وهي تدهن بدهن البيلسان وبين كيفية ذلك فلانظيل به

﴿ القصة العاشرة . أهل الكيمياء ﴾

وذكر أهل الكيمياء ، قال ومن أعظم ما وقفت عليه أن السلطان الملك العادل نور الدين بن زنكي جرى له حديث يكتب بماء الذهب ملخصه أن رجلاً أعجمياً جاء الى دمشق ومعه ألف دينار جعلها في بنادق وصرها

في محلاة وسماها (طبرمك خراساني) وقال لطار هذه تنفع لسموم و باعها له بخمسة دراهم ثم لبس أنفخ الثياب وأخذ يحسن للناس ويجالس العلماء ويقول أنا أقدر أن أستخرج الذهب ولكن ذلك يكون النفعة المسلمين في الجهاد وهو في ذلك الوقت ينفق باليمين والشمال فبلغ خبره الملك فاخلى به وأخذ عليه العهد أبصر المسلمين بالمال وقال له لابد من (طبرمك الخراساني) فبحث الجيش والوزراء في جميع الدكاكين وهو معهم إلى أن وصلوا إلى الدكان المعلوم فاشترأها الملك منه ثم وضعها الملك بنفسه في البودقة فخرجت سبيكة ذهب فأعطاه الملك مالا وجهزه بستين جسلا منها شراب عمل تيس ودمياط ومن عمل اسكندرية ومنها سكر بالأجمال والأجل والجالين ثم أعطاه خيمة ومطبخا وفراشين ونفقة الطريق إلى بغداد وإلى الحج وكتب له كتباً إلى سائر البلاد بالمرعاة والخدمة والاعانة ثم خرج السلطان وأرباب الدولة إلى وداعه وراح وقد وصل هذا إلى الجرح المكرم وحصل له الأكسير الأعظم . ومن أعجب ما في هذه القضية انه كان بدمشق رجل يكتب أسماء المغفلين المخرفين فسمع بهذه القضية فكتب في رأس جريدته « السلطان نور الدين محمود رأس المغفلين » فشاع ذلك ولم يعلم أحد باطن القضية حتى قيل للسلطان قد كتبك شخص رأس المغفلين فقال أي شيء أبصر من تغفلي حتى يكتب اسمي (هاتوه) فنزلت إليه الجند وقالوا له بسم الله كالم السلطان فأخذ الجريدة في كفه ومشى معهم فلما وقف قدام السلطان قال أنت فلان الذي تكتب أسماء المغفلين ، قال نعم ، قال وكتبتني ، قال نعم وهذا اسمك ثم أظهره ، فقال وما ظهرك من تغفلي حتى كتبتني ، فقال ومن يكون أغفل منك جاءك أعجمي نصاب عمل عليك حيلة ودك عليك ألف دينار أخذ بها مال المسلمين وراح ، فقال راح يأتي بطبرمك وكأنك به وقد جاء ومعه الطبرمك نعمل منه أموالا لاتحصى ، فقال له ياخوند ان رجع الأعجمي وجاء محوت اسمك من الجريدة وكتبت اسمه وما يكون في الأرض أغفل منه . فلما سمع السلطان ذلك ضحك وقال اعطوه شيئا ينفقه عليه فأعطوه شيئا وراح . وكان كلما أفلس أخذ الجريدة ووقف على باب القلعة فإذا ركب السلطان فتح الجريدة ويقول ماجاء وهذا اسم السلطان مكتوب فيضحك ويطلق له شيئا ، فانظر إلى هذا الدك والجسارة على بيع ألف دينار بخمسة دراهم فأقام السلطان على هذا حتى توفاه الله والطبرمك لم يأت

وأختم هذا القول بما جاء فيه من كشف أسرار الصيارف وتلاعيبهم قال ، اعلم وفقك الله أن هذه الطائفة من جلة اللصوص وقطاع الطرق ولهم أمور لا يعلمها إلا كل فاضل وأحوال لا يطلع عليها إلا راجح العقل وهم أشد الناس أجراما وأصنعهم في أخذ أموال الناس مع أن فيهم متميزين وذوى هبة ووقار ولهم في الدك أبواب فأول ما رأيت في الهند رجلا صيرفيا له من الخشمة شيء عظيم وجميع التجار تورد إليه أموالهم ويستدينونها منه قليلا قليلا ورأيت قد صنع شيئا لم يسبق إليه وذلك اني رايت في يده خاتما بفص وعليه نقش فأدمت الجاوس عنده وأدمت النظر إلى ذلك الخاتم فرأيت ان قبض الذهب من التاجر يجعل فص الخاتم من قدام لسان الميزان إلى ناحية الصنيج . وإذا دفع للتاجر الذهب حول فص الخاتم إلى قدام لسان الميزان فإذا قرب الخاتم لعب بلسان الميزان لعبا زائدا فعلمت أن هذا الخاتم فيه شيء من الدك ولم أزل أبحث عنه وأفكر فيه . ففي بعض الأيام انقذ لي فيه شيء فقلت هذا والله دك لم يسبق إليه وإذا فص الخاتم من حجر المغناطيس فإذا قبض الذهب أدار الخاتم إلى ناحية الصنيج فيأخذ لسان الميزان هواه ويمنع من النزول بمقدار ما يجذب من الحجر فيكون في الوزنة زيادة مثقال وأكثر من ذلك . انتهى ما أردته من الكتاب الثاني

هذا ما اخترته من الكتابين ونقلته ولكني لم أجرب شيئا منه . وإنما أردت بالسحر الحلال أن يدل ما صح منها على جلال الله وبدائع صنعه . وأما ما اخترته من الكتاب الثاني فذلك ليعلم المسلمون كيف كان الغش والتدليس في بلاد الاسلام ليعتبروا منه الآن والحمد لله رب العالمين

ولما انتهيت من هذا المقام حضر إلى عالم ذكي فقال ما القصد من هذه الحكايات الخرافية . فقلت لقد

أوضحته فيما مضى وهأنذا أوضح المقام فأقول إن القصد من هذه الحكايات ﴿أولاً﴾ أن نعطي التفسير حقه فنذكر السحر عند قدماء المصريين ﴿ثانياً﴾ أن نذكر ما كانوا يزعمون انهم يفعلون البحر بالعزائم فلئن ضرب سيدنا موسى البحر بعصاه فهى معجزة وليكن هؤلاء يزعمون انهم يفرقون البحر بالعزيمة فيكون موسى عليه السلام ألى معجزة تبهرهم ﴿ثالثاً﴾ أن هذا التفسير ماهو إلا روضة من رياض العلم ، فإذا كان أهل ألمانيا ينقلون عجائب قدماء المصريين ومناعهم وقد بقيت هذه الحكايات في بطون النواويس المصرية آلافاً من السنين ثم احتفظ بها أهل أوروبا من ألمانيا وغيرها فكيف لا تذكر الناس بها لاسيما أن القرآن قد أشار إليها واعتنى بها ومدح سحر فرعون وشرفهم بالآيمان لأنهم محققون في العلوم ﴿رابعاً﴾ أن البراعة في العلوم فرض كفاية وقد قدمنا في (سورة البقرة) أنواع السحر ، وأن بعض السحر الآن يجب تعليمه فهو فرض كفاية (راجع ما كتبناه في البقرة) فافهم هناك كيف يقول الله - وما يهامان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة - الخ ﴿خامساً﴾ أن علم السحر المذكور متنوع بعضه خرافة وبعضه له أصل ولتعلم اننا لانهتم بالتفاصيل وانما نذكر كما مضى في هذا التفسير في سورة البقرة فقد ذكرت لك هناك كيف يؤثر المنوم على المنوم وقد تبين لك ذلك في الحكاية الثالثة المتقدمة ، فتأثير زيد في عمرو أمر له وجود اليوم في المسارح العامة يراها الناس في الشرق والغرب ، واعلم أن للنفوس الانسانية قوة كامنة اذا استثارتها الانسان نفعته * قال اللورد (أفبري ان كينلا) الشهير العالم بالفراصة بلغ من شدة قوى عقله في نقطة واحدة أن استطاع أن ينسى جميع أوجاعه فلا يشعر بها وهذا يصدق على جميع الذين يستطيعون أن يتحكموا في ارادتهم فانهم بذلك يتمكنون من تحرير نفوسهم من ربة الأوجاع الصغرى وانتعاشهم ﴿وبعبارة أخرى﴾ انهم يصلون الى حيث يمتلك العقل قياد الجسم ويصبح السيد المطلق الأمر الناهي انتهى

هذا ما يقوله اللورد أفبري الانجليزى . ويقول الفلاسفة ﴿إن النفس الانسانية لها تأثير في بدنها مثل كيفيات الفرح والحزن وكالتوهم الذى يجعل الماشى على الحائط يسقط مع انه لومشى عليه وهو على الأرض سقط ومتى قوى عزيمته مشى على الحبل وعلى الحائط ولا يسقطون لأنهم أذهبوا عنهم هذا الوهم﴾ ويقولون ﴿إن النفس الانسانية كما تؤثر في جسمها تؤثر في غيرها لأنها أرقى من عالم الماديات والسحر عندهم لا يحتاج الساحر فيه الى معين وصاحب الطلسمات يحتاج الى معين كروحانية الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في العالم العنصرى والفرق بين السحر والمعجزة انها قوة إلهية تبعث في النفس ذلك التأثير فالتأثير فالتأثير مؤيد بروح الله على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية وامداد الشياطين له في بعض الأحوال ونحن نعرف الفرق بينهما بأن المعجزة لصاحب الخير والسحر لصاحب الشر﴾

ولبعض المتصوفة خوارق للعادات ، واذا قدر أحدهم على فعل الشر فلا يأتية لأنه مقيد بالأمر الإلهي ومن أتاه منهم فقد عدل عن طريق الحق وربما سلب حاله ، ومن الطلسمات أعمال قوم قابلهم ابن خلدون بالمغرب يعرفون بالعاجين وهم يشيرون الى الكساء أو الجلد فيخترق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتبعج ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج ، هكذا قال ابن خلدون لأنهم أكثر ما ينتحلون من السحر بعج الأغنام وهم يخيفون بذلك الأغنياء فيعطونهم من أموالهم ، قال وهم لهم وجهة رياضية بدعوات كفرية واشراك لروحانية الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى (الخزيرة) قال وقد شاهدت أعمالهم الكفرية وهى حقيقة . انتهى ملخصاً

أقول ، واعلم أن هؤلاء البعاجية قد أخبرنى بهم أحد أبناء (طيطوان) وقال انهم يجلسون على هيئة الصوفية في جهة مرا كش ويدعون انهم على طريقة شيخ زاهد ومتى جلسوا في مكان وأخذوا يتلون أقوالاً مخصوصة أمكن أحدهم أن يطير فوق القبة التى فوقهم واذا كان وحده لا بقدر ، واذا أهدى اليهم أحد شاة

بقرها بأيديهم وسكاكينهم ثم شوهها بجلدها وأكلوها ، فلما سمعت هذه الحكاية قاتل انهم من أولاد أولئك البعاجة تسموا باسم الصوفية تسترا لأن هذا عمل من لادين له ، واعلم أيها الذكي أن طوائف كثيرة من الذين ينسبون للصوفية يخيفون الناس بأنهم يؤذونهم وهم في ذلك كاذبون يريدون أن الناس يهبطونهم الطعام وهم نائمون في بيوتهم وهذا ظلم مبين فيجب إزالة هذه الطوائف من المسلمين ، وإذا وجد سحر تصرف أولشيخ في الطريق فلا قوة لهم على إيذاء العاملين وكفالك معجزة موسى وعصاه وكيف كانت تلقف ما يافكون واعلم أن الأمة الإسلامية يجب عليها أن تعلن هذه الحقيقة وأن لاتدع أهل الطرق يهبطون بالمسلمين ويخيفونهم فهذا ضياع للأمة ولاتأثير لأحد على أحد والرجل النافع للأمة يغلب آلاف من أولئك الساحرين والذين يدعون أنهم صوفية وماهم بصادقين وقد تبين هذا بنفسى وعامت أن الخداع عم الأمم الإسلامية والله لا يهدي الخائنين

﴿ حقيقة ﴾

اعلم أنه لا فرق بين أولئك الذين يقاتلون الناس بالمدافع والغازات الخائفة أو يدسون لهم السم في الطعام والذين يأتون بالعقاقير الطبية ويقاتلون الناس بها سرا واللصوص والسارقين وأمثالهم وبين الذين يستعملون السحر أو يتصرفون في الناس أو يخبرون بالمغيبات حقا أو باطلا لأجل أخذ أموال الناس بالباطل ، فكما اننا نعت الطيب الذي عرف السم فقتل به الناس ونعت الذين يحاربون بالغازات الخائفة ويميتون الناس أو يعمونهم هكذا يجب علينا أن نقاتل السحرة والذين يهيجون الغم كما قاله ابن خلدون وأولئك الذين يقرؤن أدعية ويخيفون الناس بأنهم قادرين أن يؤثروا فيهم . فهذه الطائفة من المسلمين الذين يقولون نأكل أموال الناس بطريق إخافتهم من دعايا عليهم وكرامتنا ، لا فرق بينهم وبين السحرة فكاهم يمتقرون لأن الله لم يجعل الكرامة وسيلة لجلب الطعام وإنما جعلها وسيلة للهداية ، فإذا وجدنا من يفعل هذا حققرناه وعلمنا أنه هو والساحر سواء لا فرق بينهما وهما يريدان أكل أموال الناس بالباطل

واعلم أن الله أنزل هذه الآيات ليرينا أن الحق يغلب السحر لأن عصا موسى ابتلعت عصى السحرة هكذا يجب على علماء الاسلام أن يزيلوا هذه الخرافات من المسلمين ، وليعلموا أن القرآن جاء لازالة السحر لا لتقويته ، ومن عمل السحر وزعم انه كرامة فهو ملهون ، واعلم انك اذا تصديت لرقى الأمة الإسلامية لا يؤثر فيك مؤثر ألبتة وتغلب كل من يناورتك والاسلام محتاج الى مصلحين والله هو الولي الحميد

ومماثل النفوس إلا كمثل النبات فيها السام ومنها المغذى ، فلنعمل مع النفوس الساحرة والتي تصيب بالعين مانفعل مع الحشائش الضارة بزرعنا ومع الحيوانات الصغيرة المسماة بالمكروب فانا نجتهد لإبادتها فلا فرق بينها وبين النفوس المنحرفة

واعلم أن هذه الدنيا دار اشتبه فيها الباطل بالحق . ألا ترى أن أكابر العلماء يقولون انها دار خيال ويستدلون بقوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه - ويقول بعضهم - هالك - اسم فاعل وهو حقيقة في المتلبس بالفعل فكأن الدنيا هالكة الآن . ويقولون إن ما في هذه الدنيا من سموات وشموس وأرضين ونبات وحيوان وضياء . كل هذا له حقائق غير هذه وإنما هذه ظل الحقيقة ، ويقولون فهذه ظلال الحقيقة والحقيقة وراءها ولقد تمادوا في ذلك حتى أوضحوه وهذه تسمى ﴿ نظرية اينشتين ﴾ فقد جاء في بعض الجرائد المصرية يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٣٥ ما يأتي

﴿ جبايرة العقول ﴾

(اينشتين ونظريته . الزمان والمكان)

في عام ١٩١٥ والحرب العظمى في أشد أدوارها خطرا أعلن نابغة الألمان الدكتور اينشتين الجزء الخطير

من نظريته وهي النسبية العامة التي تبحث في هندسة خاصة بالكون ليست بالاقليدية ودخل ضمنا في هذا البحث أمر الجاذبية وظل ما يقال عن النسبية العامة والجاذبية محصورا في داخل حدود ألمانيا إذ كانت منعزلة عن العالم في هذا الأوان ، فلما وضعت الحرب أوزارها خرجت النسبية العامة خارج ألمانيا ، وحدث أن كان الكسوف الكلي للشمس عام ١٩١٩ م وهو عام الهدنة وفيه تحققت بعض آمال اينشتين فانتشرت النظرية انتشارا عظيما في هذا العام وفي الأعوام التي تليه حتى انك قلما ترى مجلة لاتذكرها أوجامعة لا يلقى فيها محاضرات عنها وانتشرت الكتب الانجليزية والأميركية وأعطيت جوائز مالية كبيرة لمن يشرح النظرية شرحا ممتعا مختصرا فأنت ترى أن عام ١٩٢٠ و ١٩٢١ وما بعدهما هي أعوام الثورة الفكرية في الخارج أي خارج ألمانيا والحد لله ، فحركة الاهتمام بالنظرية قائمة بين أبناء مصر الآن . وانرجع بعد هذه الكلمة القصيرة الى النسبية العامة التي ذكرناها فنقول إن أمر خطورتها يتعلق بشئ واحد وهو النظر الى الكون بعين غير العين التي ألفنا أن ننظر بها . كننا ننظر الى الكون قبل (اينشتين) بمنظار مجسم فنقول هذا شئ ونعني به كل ما نلمسه أو نراه ، أما نابغة الألمان فيقول يقوم ليست هذه حقيقة ، ماهي الحقيقة إذن ؟ مسألة من أخطر المسائل تلك هي السؤال عن الحقيقة ؟ هل لو قلت لك ان الشمس طالعة وهي في رابعة النهار وكان لك عينان ترى بهما تلك الغزاة ، ليست هذه حقيقة ؟ يقول العلم الحديث كلا ، باللهول . أليست تلك الكتلة النارية التي أراها شمسا يقول العلم الحديث . العالم مظلم ساكن لا صوت فيه وانما العقل هو الذي يصنع كل ذلك فليس السرفى العالم بل السرفى هذا الذي تحمله بين عظام جججججك ، مامعنى هذا ؟ معناه في نظر فلاسفة الكون الآن أن هذا الفضاء الواسع فيه تموجات مختلفة الطول فان كانت هذه التموجات الأثيرية بحالة خاصة وطول خاص أثرت على أذنك فقلت عنها صوتا وان كانت بحالة أخرى وطول آخر غير السالفة قلت انها ضوء إذ ميزتها عيناك ، فأنت ترى أن الأمواج تملأ هذا الأثير من الفضاء وهي لا تصنع صوتا ولا تحدث ضوءا أشبه بأمواج ماء البحيرة الراكدا ماؤها وانما عقلك هو الذي اخترع كل هذه الكلمات من نور وصوت . مامعنى خير الماء لنفس الماء ، ومامعنى خفيف الريح للأغصان ان لم تكن أنت واقفا هناك بالغاب . أليس الصوت والضوء أشياء وأمورا خاصة بك دون الطبيعة وتزيد الفلاسفة اليوم على ذلك أنه قد يكون في أثير هذا الفضاء الواسع موجات أخرى تختلف في سرعتها عن تموجات الضوء والصوت ، ولكننا لانراها ولا نعرف عنها شيئا إذ ليس لنا من الحواس غير الخمس . و بعد كل هذا ماهي الحقيقة ؟ ان كان العالم مظلما هامدا صامتا وان كانت كل هذه الأشياء التي نراها هي صنع أعيننا أو من صنع عقولنا كما يقولون إذ أن مركز الابصار في المخ وبه وحده نرى صور الكون على استقامتها بعد أن تكون معكوسة على شبكية العين أي ان الشمعة الموقدة ترسم على الشبكية معكوسا نورها الى اسفل ومركز الابصار في المخ هو الكفيل باعتدالها . والآن فلنرجع الى الحقيقة وأمرها في نظراينشتين . الحقيقة في نظره ليست كل هذه الأشياء التي نراها إذ انها مهما تجسست فهي ظواهر فقط و فرق كبير بين الظاهرة والحقيقة . نعم هذه الأشياء التي أمامنا هي ظل الحقيقة كما يقول العالم الألماني (منكوسكي) والذي منه استمد (اينشتين) آراءه في النسبية العامة فقد قال (منكوسكي) في مجمع علوم بمدينة (كولونيا) عام ١٩٠٨ قبل ظهور النسبية العامة الخاصة بالمكان والزمان ما يأتي بالحرف

« يجب علينا من الآن ان نعتبر ان الفضاء قائم بنفسه أو الزمان قائم بنفسه ظل الحقيقة التي ماهي إلا اتحاد المكان بالزمان وإيجاد عالم منهما يحدث فيهما الحوادث وهي الأشياء . فالأشياء في نظره هؤلاء الجبابرة ماهي إلا حوادث ناشئة من تقاطع « أربعة إحداثيات » ثلاثة منها للمكان وواحد للزمان فالقوانين التي تحكم هذا الاطار المكزم هي الحقيقة بعينها » اهـ

فانظر رعاك الله كيف كان علماء هذا العصر يقولون إن هذا العالم ظل الحقيقة وأن حقيقة هذا الانسان

وهذا الثوب وهذا الحجر وهذه الشمس إن هي إلا حركات في الأثير لا أكثر ولا أقل وهذه الحركات تختلف فتختلف الأنار على حواسنا الخمس ، فحواسنا هي الشبكة التي بها اصطدنا هذا العالم فإذا متنا كان العالم في نظرنا غير هذا . انظروا أثر المشهور ﴿ من مات فقد قامت قيامته ﴾ وانظروا السكاهن المصري المدكور فيما تقدم الذي صنع الشمع تمساحا والتمساح ابتلع الرجل فلما أخذه مرة أخرى صار شمعا ، وكأن الله أوجد هذا في الدنيا سواء أكان خرافة أم صدقا ليبحث فينا فكرا جديدا . وكما أصبح التمساح الصناعي شمعا هكذا أصبح هذه الشهوات والنزوات الحيوانية شيئا لا قيمة له في النظر الحقيقي بل هذه العوالم ما هي إلا حركات بالنظر الحقيقي المصري وذلك الفكر الجديد أن هذه الدنيا لو كشف عنا سجاجها لوجدنا الهموم والغموم والأحزان والطمع والمال والولد والغنى والفقر وما أشبه ذلك إنما هي عوارض جاءت بها الحواس وهي التي خدعتنا ونحن بها مخدوعون ألا ترى أن الناس يتعاطون المخدرات ليغيثوا عن الحواس ولكن تلك سبيل ضلال والعصاة المستقيم . عرفة الحقائق حتى نرى الأشياء على ما هي عليه بل ليس في الوجود سوى واجب الوجود وسواء فأنما هي شؤنه . فانظر كيف كانت هذه الجلة مقولة الحكماء المسلمين . ثم انظر كيف جاء علماء العصر الحاضر فقالوا ﴿ إنما الوجود خداع الحواس ﴾ * قال الشاعر

ففر يعلم تعيش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

﴿ خطاب للأمم الاسلامية ﴾

(ان هذه العلوم واجبة وجوبا كفائيا)

عرفت الشر لا للشر * لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر * من الناس يقع فيه

أيها المسلمون هذه صفحة من تاريخ الشعبذة والشعوذة في الأمم الاسلامية . فالشعوذة أمثال ما ذكرناه هنا من إيهام الناس بوضع الابرة في العين وإخراجها من الفم وبالعكس وهي ترجع لخفة اليد والشعبذة ترجع للعلوم الطبيعية مثل مسألة البيضة التي تطير بخاوية صيرورة الماء بخارا فيها بحرارة الشمس كما تقدم . هذه صفحة من تاريخ أولئك الذين اتخذوا الدين سلما للمال ولللك كما ترون في مسألة الذي أوهم الناس أن الراس بعد قطعها أخبرت بأنه مختار من الله كما رأيتم وبهذه الوسائل المضللة استعبدوا الأمم الاسلامية قديما وجعلواهم كالأنعام يمتطونهم بل هم أضل من الأنعام . لمثل هذا نزلت قصة السحرة في القرآن . نزلت قصة السحرة ليدكر الله المسلمين بالتفكر لئلا يضلوا فوالله لا منجى من هذا إلا بالعلوم والمعارف . ليقرأ المسلمون جميع العلوم الطبيعية والكيمائية طلبا لمنافعها واحتراسا ممن يتخذونها ذريعة لطمس العقول واستضعاف الأمم الاسلامية . إن الأمم الأوروبية قد نبغت في كل علم وكل فن ولما عرفوا أمثال هذه الحجائب اتخذوها ذريعة للغلبة في الحرب فاصطنعوا الغازات الحارقة والميتة لفتح الممالك الأخرى ولم يجعلوها وسيلة للتدليس على أممهم حتى يجعلواهم دواب يمتطونهم كما فعل أولئك الرؤساء المضلون الذين جعلوا أتباعهم غنيمتهم وتركواهم في غيابة العماية والجهالة فضاعت تلك الممالك ولم يبق لها شرف ولا فخار . هذا هو السبب في انحطاط الأمم الاسلامية اليوم قد خدتها الرؤساء تخديرا دام أثره الى هذه الأجيال . ولقد تقدم في سورة الكهف عند قوله تعالى - وما كنت متخذ المضلين عضدا - أن حسن بن الصباح منع أتباعه من العلم تخديرا لعقولهم وتخديرا من الاطلاع على ما يكنه قلبه من اضماتهم الجهالة . فهالك ما قاله (سديو الفرنسي) في صفحة ١٣٧ في الكتاب المترجم بالعربية عنه قال مانصه ﴿ كان لأبي عبد الله آخر رؤساء السكرمانية التصرف المطلق في المتعصبين لمذهبه فنهج نهجه رجل يسمى حسن بن الصباح (انظر مذهبه في سورة الكهف وانظر مذهب أحد أتباعه في زماننا

بأهلند الذي قدم أتباعه عربضة فيه نشرت في الأهرام وذكرتها في سورة إبراهيم) سافر كثيرا وتبحر في العلوم وعرف فرق الدين الحمدي وأخذ في نهاية القرن الحادي عشر من الميلاد يهبط الناس ويحكمهم على اتباع مذهب جديد يغلب على الظن أنه قريب من (مذهب الكرمانية) فتبعه جموع غفيرة ملك بهم عدة قلاع وحصون واستوطن حصون الموت المشيد على هضبة قرب (قزوين) فلحق بشيخ الجبل وأعلن الصداوة للنصارى والمسلمين ورأى نفسه بينهم بمنزلة الإله الثاني الذي شغل الاقتصاص من الظالمين للظالمين ونفذت أوامره فيمن معه فسكران إذا أمر بقتل أحد منهم بادر بالقاء نفسه من شاهق جبل على أسنة الرماح أو طعن بانه بخنجر أو بقتل أحد من غيرهم بادروا بقتله ولو زيرا أو سلطانا أو خليفة عباسيا . انه أخبر قومه أن شارب الحشيش يذوق جميع لذات الفردوس فكانوا كالبهائم بسبب السكر بالحشيش مستعدين لارتكاب أكبر الكبائر ولذلك سماهم المؤرخون (الحشاشين) لا الحشاشين أى القتالين كما زعمه الفرنجة . كلا . وأذن لهم في النهب فنهبوا وجالوا بأسلحتهم في الشام حتى بلغوا جبل لبنان وبنوا في الشام أماكن محصنة ونهبوا جميع القوافل التي تمر بأرضهم وقطعوا الطرق وملكوا في غرة القرن الثالث عشر من الميلاد كثيرا من المنازل في العراق والشام وحصونا أخرى قرب دمشق وحلب وتوطنوا من ابتداء سنة إحدى وستين ومائة وألف ميلادية بالعراق الفارسي فبذل (الملك شاه) عزائمه في اعدامهم ولم يبالوا بذلك بل يقال ان نظام الملك الذي كان الوزير الأعظم لهذا السلطان قتله أحدهم لشدة تعصبه وغيرته على مذهبه الديني ، وكان هؤلاء الحشاشون مع الفاطمية كحزب واحد لشدة محاصمتهم وادمان مشاجرتهم مع أهل السنة . انتهى بالحرف

ولقد تقدم كما ذكرت هنا في سورة إبراهيم أن أغا عنون بأهلند الآن يقول أتباعه انهم معه أشبه بأتباع حسن بن الصباح له وانهم سائر على منهجهم حذوا القذة بالقذة وأن العبادة له هولا لله ، وقد أرسله الانجليز الى الديار المصرية أيام غياب عباس باشا حلمي الخديوي السابق ليكون ملكا لمصر باعتبار أن الفاطمية كانوا بها سابقا وهذا من أتباعهم فكان ذلك سببا في أن المغفور له السلطان حسين باشا كامل رضى بتولى الملك في مصر ، فانظر لأهم أوروبا الذين يقرؤون التاريخ ويأخذون منه ما يوافق سياستهم ، فلينظر المسلمون في ماضى تاريخنا فان قصة السحرة ماجات إلا لاحتس من المدلسين ولكن الجهل هو الذى أوقع آباءنا في أيدي المضلين الماكين ، وأنا أحمد الله الذى جعل هذا التفسير كحد فاصل بين زمان العرفان الآتى وبين القرون المتأخرة التى أورثنا ضلالة وملأت بلادنا بالمضلين من الشيوخ الذين اتخذوا الدين وسيلة لجمع المال ولحوز الملك والاتحاد مع الحكام الأجانب أو غيرهم . كل هذا لأن الله يحاسب الناس على ضياع عقولهم ونبد نوره الذى وهبه لهم وذكائهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وقال (سديو) أيضا في صفحة (١٢٢) مانعه . ظهر في زمن الأموية عدة فرق دينية تهوى ازالتها كالخوارج والقدرية والأزارقة والصغرية ، وفي عصر العباسية فرقة المعتزلة وفرقة الراوندية الزاعمة أن الخلقاء يعبدون كعبادة الإله وتعتبر دورهم كعبة حديدية وقتلهم المنصور فقا بآله بأعظم ما يكون من الشجاعة والبأس ليهبده قهرا عنه وظهرت أيضا فرقة الزيدية القائلة بحرمة أكل الحيوان وتملك الانسان شيئا خاصة نفسه . أليس هذا كله من سحر العقول بالتأثير والايهام والتغريب ، وليس ينجى المسلمين من هذا إلا قراءة كل تاريخ وكل علم واتهاج الحطة المثلى وتعميم التعليم والاحقة كلمة العذاب . هذا هو الذى جاءت لأجله قصة السحرة في سور القرآن ، فانظر الى المنصور أيام صولة الدين وعزته كيف قاتل من يهدونه ، وانظر الى حسن ابن الصباح والى بعض شيوخ الطرق اليوم كيف يعملون أنفسهم في مصاف المقتسين كأنهم معبودون وكأنهم هم المختصون بالشفاعة وكيف يحرم بعضهم أن ينظر أتباعه لوجهه بل لا يسمون عليه إلا وهم مطأطئون رؤسهم وكيف كثرت هذه الخرافات في أمم الاسلام وخالف الناس أخلاق الصدر الأول . لهذا انحطت المدارك وذهبت

الأم الإسلامية فحياها الجهادية وقد أنذرت و... نزلت والله هو الرزق الحليم . تم الكلام على القسم الثاني من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ)

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ
لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُوكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ * قَالُوا
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ
الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَادُوا لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ
يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي
لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْ لِي مِنْ وَرَثَةِ الْجَنَّةِ النَّجِيمَ * وَأَعْرِضْ عَنِّي تِلْكَ الْكُفْرَ
الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ الْمُتَّقِينَ * وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيُّكُمْ كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُوكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ * فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ *
وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *
إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْجُرْمُؤُونَ * فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صِدْقٍ
حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ نُوحُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ
وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عَلَّمِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ *
* وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ
مِنَ الْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ يَدَيَّ وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَانْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ *
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (واتل عليهم) على مشركي العرب (نبا إبراهيم) إذ قل لأبيه وقومه ماتعبدون) أى أى شئ تعبدون ، وهذا الاستفهام للاستخفاف بما يعبدون وأنه لا يستحق العبادة (قالوا نعبد أصناما فننزل لها ما كفين) أى نقيم على عبادتها ليلا ونهارا (قال هل يسمعونكم) أى دعاءكم (إذ تدعون) هل يجيبكم الآلهة إذا دعوتهم (أو ينفعونكم) فى معاشكم إذا أطعتموهم (أو يضررون) فى معاشكم إذا عصيتموهم (قالوا) لا (بل وجدنا) ولكن وجدنا (آباءنا كذلك يفعلون) يعبدونها فنحن نعبدهم مقتدين بهم (قال) إبراهيم (أفرايتم ما كنتم تعبدون) أأنتم وآباؤكم الأقدمون) وما كان يعبد آباؤكم الأولون (فانهم عدو لى) أى أعداء لعبادتهم لأن عبادتهم أضرت على العابدين من الأعداء وانما نسب الأمر لنفسه ليكون أدعى الى القبول وأفرد العدو لأنه فى الأصل مصدر وأريد به الجنس (إلرب العالمين) استثناء منقطع أى ولكن رب العالمين ثم وصفه بثمان صفات ترجع الى افاضة الخير والنعمة على العبد فانه أولا خلقه (١) من نطفة (٢) ثم هداه لثدى أمه ولما بعده من أمور المعاش والعلم واصلاح نفسه (٣) وانعم عليه بالطعام (٤) والشراب لبقاء بدنه (٥) وانعم عليه بالشفاء اذا مرض وذلك إما بالعقاقير وإما باجابة الدعاء حتى اذا دنا أجله (٦) أمانه فاذا جاء اليوم المعلوم (٧) أحياه واذا جاء دور حسابه غفر له خطاياه وأدخله الجنة ، فلخص ذلك أن إبراهيم دعا قومه الى الله بما دعا به موسى وبما دعا به محمد ﷺ ألا ترى أن نبينا ﷺ جاء على لسانه فى أول السورة - أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم - والى موسى كيف ذكر السموات والأرض وخلقهم وخلق آباءهم الأولين والمشرق والمغرب وما بينهما ، وهنا ذكر خلق الانسان وتطوره فى جميع أحواله من يوم الولادة الى الوقوف بين يدى الله تعالى فرجع الأمر الى العلوم الطبيعية التى هى المنفذ الوحيد للسعادة فى الحياة من حيث منافعتها وفى الموت من حيث التفكير فيها ، فانظر كيف جعل الله سعادة الآخرة متوقفة على التفكير فيما به حياتنا من غذاء وشراب ودواء وهداية لتلك وغيره ، انظر كيف ذكر خلقنا وذلك عينه هو علم الأجنة وعلم التشريح وذكر الهداية وذلك منوط بعلم الحكمة وعلم الدين والشرائع وذكر طعامنا وذلك متوقف على درس الأشياء المحيطة بنا والاجتهاد فى استثمارها وذكر السقى وذلك يكون بالماء وهو ينزل من السحاب الجارى بالهواء المتحرك بالحرارة السارية من الشمس الجارية فى مدارها الجاذبة لما حولها من السيارات المجذوبة بغيرها من الشمس وذكر المرض وهو أنواع كثيرة تختلف اختلافا كثيرا تحتاج الى دراسة خاصة وعلماء يختصون بها وذكر الشفاء منه وذلك بدرس جميع العقاقير الطبية والمناسبة بينها وبين الأمراض وآثارها فى أجسامنا واختلاف الآثار باختلاف الأقاليم والفصول والأشخاص وأن هذا تشتت الحاجة اليه فى المدن وتقل فى البدو لجودة الهواء وقلة أنواع الغذاء وعدم تسكنها الموجب تهفن الأخلاط فى الجسم فهم أقرب الى الصحة من أهل المدن كما أن الحيوانات الوحشية تقل فيها الأمراض وتكثر فى الحيوانات الأهلية كما تكثر فى الناس لفساد الهواء والازدحام فى المدن والحياة التكيفية والأمور العارضة ، كل ذلك يستوجب ذكر الشفاء ثم اذا جاء أجل الانسان مات ليخلو وجه الأرض لمن بعده لأنه لو بقى الناس بلاموت لازدحوا ولعسرت الحياة فلاموت نعمة على الأموات وعلى من بعدهم من الأحياء وكراهة الموت ناشئة من جهل هذا الانسان وعدم إلمامه بعلم الحكمة ونظام هذه الدنيا ، ولو فكر العقلاء وأدركوا الحقائق لفرحوا بالموت وكيف لا يفرحون بما هو نعمة عليهم . إن النعمة والرحمة حاصلتان فى حسن النظام العام والنظام العام لا يتم ولا يكمل إلا بأن يرسل قوم من الأرض لتخلو لمن بعدهم لأنهم لو بقوا معهم لكانت الحياة لا تطاق . فهذا الاعتبار كان الموت من النعم العامة كالحياة وربما كان قدما للمصريين قد أدركوا هذه الحقائق . ألا ترى الى خطاب ابن الملك للكهنة فى الحكايات المتقدمة

في هذه السورة وقوله له انك بلغت الحال التي لاحياة بعدها وانك عن قريب ستوضع في القبر الى آخر ما هذا
مهناه فارجع اليه فيما تقدم

(٨) ثم يبحث الانسان بعد الموت لينال جزاء ما عمل في الحياة الدنيا والبعث نتيجة هذه الحياة
فهذا القول استدلال على الله وعلى الآخرة بعلم الطبيعة كما فعل موسى وكما جاء في أول السورة عند دعوة
رسول الله ﷺ وهذه المعاني الثمانية هي قوله (الذي خلقني) الى قوله (والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي
يوم الدين) ثم أخذ يدعو الله بدعوات خمس متدرجا فيه من حال الحياة الى حال الموت على منوال ما تقدم في
كلامه ، فأولا طلب من الله أن يهبه (حكما) أي كمالا في العلم والعمل ليستعد بذلك لخلافة الله ورئاسة الخلقين
وذلك هو صفة الصالحين التي تلحق الانسان بهم ولذلك أعفها بالثانية فقال (وأخفني بالصالحين) أي وفقني
للكمال في العمل لأنظّم به في عداد الكاملين في الصلاح بحيث لا يذنبون ذنبا صغيرا ولا كبيرا وذلك متى حصل
يعقبه الصيت والذكر الحسن وهو قوله (واجعل لي لسان صدق) جاهها وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره (في
الآخرين) الى يوم الدين ولذلك ترى جميع الأمم محبين لابراهيم عليه السلام وقد جاء من ذريته نبينا ﷺ
يحدث أصل دينه ويدعو الناس الى التوحيد كما دعا اليه ، ولما كان ذلك ليس بعده إلا ثواب الآخرة قال (واجعلني
من ورثة جنة النعيم) في الآخرة ، فانظر كيف طلب الكمال في العلم والعمل وذلك يلحق بالصالحين وذلك يورثه
الصيت والذكر الحسن وبعد ذلك تكون الجنة فلم يبق إلا أن يدعو لأقرب الناس اليه بعد أن أتم الدعاء
لنفسه فقال (واغفر لأبي انه كان من الضالين) عن طريق الهدى وهذه الدعوة للوفاء بوعد أبيه كما جاء في آية
أخرى - وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه - الآية ثم أتبع ذلك بدعوة يريد بها وصف
أحوال الآخرة فقال (ولا تخزني يوم يبعثون) أي ولا تخزني بمعانتي على ما فرطت أو بنقص مرتبتي والضمير
في يبعثون للعباد لأنهم معامون ، ثم أخذ يبين حال يوم البعث فقال (يوم لا ينفع مال) كثرة المال (ولا بنون
* إلا من أتى الله بقلب سليم) خالص من الذنب وحب الدنيا أي لا ينفعان أصلا إلا مخلصا سليم القلب من
العيوب وكبائر الذنوب فان مثل هذا يجعل المال فيما خلق له ويرشد البنين الى الحق ويعلمهم الخير ليكونوا
مطيعين لله (وأزلفت) قربت (الجنة للمتقين) فصارت لهم منزلا (وبرزت الجحيم) أي ظهرت (للعاوين)
للكافرين ، ثم أخذ يصف ما يهانيه هؤلاء من قذفهم في النار وطرح بعضهم على بعض وحشر الآلهة معهم والجن
وتخاصمهم مع المعبودين عند ما ظهر الحق وقولهم كيف نعدكم رب العالمين ومادعانا الى عبادتكم إلا المجرمون
ثم اعلانهم اليأس من كل شافع وكل صديق قريب ثم تحسرهم وتمنيهم بعد اليأس أن يرجعوا الى الدنيا ليؤمنوا
وهذا هو قوله تعالى (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون * من دون الله) في الدنيا من الأصنام (هل ينصرونكم)
يمنعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) لأنفسهم (فكسكبوا) جمعوا وقذفوا وطرحوا بعضهم على بعض
(فيها) في جهنم (هم والعاون) الذين أغووههم وهم الآلهة والجن (وجنود ابليس أجمعون) أتباعه (قالوا
وهم فيها يختصمون) مع آلهتهم ورؤسائهم وذرية ابليس (ثالثه إن كنا) انه أي الحال والشأن كنا (إني
ضلال مبين) ويخلق الله السمع في الأصنام كما يخلق النطق (إذ نسويكم رب العالمين) في استحقاق العبادة
(وما أضلنا) ما صرفنا عن الإيمان (إلا المجرمون * فإلنا من شافعين) كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء
والعلماء الذين أفاضوا عليهم العلم في الدنيا فانتفعوا بالعمل في الآخرة فكانت الشفاعة وقوله (ولا صديق حميم)
ذي قرابة بهم أمرنا (فلو أن لنا كرة) لولتني أي ياليت لنا رجعة وجواب التني (فنكون من المؤمنين *
إن في ذلك لآية) أي ان فيما ذكر من قصة ابراهيم لحجة وعظة للمستبصرين فان ما جاء في هذه السورة مقو
للتعقل وانباع الحكمة والعلم فقد استبان لك كيف شرح حال الحياة الانسانية من خلق وهداية وطعام وشراب
ودواء وموت وحياة ووصف أحوال السعداء والأشقياء وتخاصمهم وكيف يختصمون عند ظهور الحقائق ويلقى

بعضهم للتبعة على بعض ، وكيف أبان أن الحياة الآخرة لا خير فيها إلا لمن أخذ المقصود منها وهو سلامة القاب من حبها ومن الكفر والنفاق ثم كيف أظهر القوم اليأس وتمنوا أن يرجعوا الى الحياة كره أخرى وانظر كيف كانت الآية هنا مؤيدة لآية موسى إذ صرف العقول الى الحكمة والعلم ولم يعبأ إلا بالنظر في السكائنات ولم يكن لمعجزة العصا واليد سبيل الى الهداية إلا عند السحرة الذين هم علماء فأصبحت قصة ابراهيم وموسى ومبدأ السورة في مستوى واحد ولم يذكر في هذه السورة من قصص ابراهيم غير ذلك . كل هذا نبت لطريق السحرة ولطريق الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون بل الشعر الذي به تحسين اللفظ واحداث الصور التخيلية التي ذكرها علماء البيان والبديع والمعاني جعلت لفتح باب الخيال فهي مقدمات لولوج باب الحكمة والعلوم الطبيعية فن ظن من الأمة الاسلامية أن علم الشعر مقصود لذاته فقد جهل وضل ضلالا مبينا . نعم علم الشعر وتاريخه من عصور الجاهلية الى عصرنا الحاضر والنظر في تطوره وتطور الأمم التي كان فيها الشعراء والاعتبار بما كان في تلك الدول من ظلم وعدل وخفض ورفع . كل ذلك نافع في اتساع عقول المسلمين كما أخذ بذلك المسلمون في مصر بدار العلوم وغيرها في هذه الأيام ، وسنتم هذا البحث ان شاء الله في آخر السورة عند ذكر الشعراء ، وقوله تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي أكثر قومه مؤمنين به كما حصل لموسى ولحمد صلى الله عليهما وسلم وكل واحد منهم دعا قومه بالنظر والعلم الصحيح (وان ربك هو العزيز) القادر على تهجيل الانتقام (الرحيم) بالامهال لكي يؤمنوا هم أو ذريتهم

﴿ جوهره في قوله تعالى - واذا مرضت فهو يشفين - ﴾

اعلم أن شفاء الله للأمراض مثله كمثل الرزق ، فكما أن الرزق يهوزه علم الانسان وعمله كذلك الطب واذا وجدنا الناس شرقا وغربا اشتروا في أمور الرزق من حيث النظام العام هكذا نجد الأولين والآخرين من بني آدم اتحدوا وساعد بعضهم بعضا في الطب . علم بذلك العلماء ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، فساد ذكر لك ما حاولته أمة اليونان ومن نحنا نحوها في الطب ، ثم أتبعه بما أفادنا به قدماء المصريين في الكشف الحديث ثم أتبعه بشروط حفظ الصحة ثم الكلام على العلاج الطبيعي

يقول الله عز وجل على لسان ابراهيم - واذا مرضت فهو يشفين - نسب الشفاء لله ليفتح لنا باب البحث والنظر في أسرار الشفاء وعلم الطب وقد جاء في سورة النحل عند قوله تعالى - يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس - . اعلم أن العلماء لما بحثوا في أصل الطب من أين جاء تحيروا ولكن بعد الالتيا والتي وجدوه لا يعدو ﴿ ثلاثة أحوال ﴾ الحال الأولى ﴿ التجربة ﴾ الحال الثانية ﴿ الإلهام ﴾ الحال الثالثة ﴿ المصادفة والانفاق ﴾ فهذه الأحوال الثلاث هي أصول الطب

﴿ الحال الأولى ﴾

(١) يقولون ﴿ ان امرأة كانت بمصر وكانت شديدة الحزن والهلم مبتلاة بأمراض كثيرة منها ضعف المعدة . ومنها امتلاء الصدر بأخلاق رديئة . ومنها احتباس حيضها فاتفق أنها أكلت (الراسن) صارا كثيرة شهوة فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت الى صحتها فلما سمع به الناس استعملوه فبرئوا من ذلك المرض ﴾ (٢) وقال حبيش الأعسم ﴿ إن رجلا اشترى كبدا طرية من جزار ومضى الى بيته فاحتاج أن ينصرف في حاجة أخرى فوضع تلك الكبدة المشتراة على أوراق نبات مبسوبة كانت على وجه الأرض ثم قضى حاجته وعاد ليأخذ الكبدة فوجدها قد ذابت وسالت دما فأخذ تلك الأوراق وعرف ذلك النبات وصار يبيعه دواء للتلطف حتى فطن به وأمر بقتله ﴾ قال صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء بعد ما ذكر هذه الحكاية انها كانت في زمن (جالينوس) * وروى عنه أنه قال ﴿ وأسرت أيضا في وقت مروره الى القتل أن تشد عيناه حتى لا ينظر الى ذلك النبات أو أن يشير الى أحد نحوه فيتعلمه منه ﴾

(٣) وأيضاً قال حدثني جمال الدين النقاش السعدي أن في حلف الجبل الذي بناحية (الهرد) عشياً كثيراً أن رجلاً نام على نبات هناك فلم يزل نائماً حتى رآه الناس والام يسبح من أنه ومن ثم خرجوا حتى ظهر لهم أن ذلك من النبات الذي نام عليه ، قال صاحب الكتاب ان جمال الدين أخيه أنه خرج الى ذلك الموضع ورأى النبات وذكر أنه أشبه (بالهندبا) وهو صرّ المذاق وقال له أنه شاهد كثيراً من الناس يقربونه من أنوفهم ويستشقونه مراراً فيحدث لهم رعاف ، قال ابن أبي أصيبعة ولم يتحقق عندي أهو الذي أنار له (جالينوس) أم غيره ، قال ابن المطران : إن النفس الفاضلة تنظر وتقول إن الدواء فعل ذلك الفعل فلا بد أن يكون هناك دواء آخر ينفع بهذا العنق وحينئذ نأخذ في التجربة ونطلب كل يوم حيواناً نضع عليه الدواء الأول ثم الثاني وهكذا وأخذ يضرب الأمثال ، وملاحظتها أن أمثال هذه الحوادث تنبه الأذكى الى البحث والتنقيب حتى يركبوا أدوية كثيرة باجتهادهم . هذا ملخص أمر التجربة في الطب

﴿ الحال الثانية . الإلهام وذلك بالرؤيا الصادقة ﴾

حكى جالينوس في كتابه في الفصد إذ فصد العرق الضارب لما أمر به قال : ﴿ إني أسرت في منامي مرتين بفصد العرق الضارب الذي بين السبابة والابهام من اليد اليمنى ، فلما أصبحت فصدت هذا العرق وتركته الدم يجري الى أن انقطع من تلقاء نفسه لأنني كذلك أسرت في منامي فكان ماجرى أقل من رطل فسكن عني بذلك المكان وجع كنت أجده قديماً في الموضع الذي يتصل به السكبد بالجباب وكنت في وقت ماعرض لي هذا غلاماً

(٤) وقال جالينوس : ﴿ رأيت رجلاً عظم لسانه وانتفخ حتى لم يسعه الفم فتحايلت في مداواته ففي ليلته رأى قائلاً يقول له أمسك في فك عصارة الخس فاستعمل هذه العصارة كما أمر في المنام وبرا برأ تاماً ﴾ ثم قال جالينوس في شرحه لكتاب الايمان لأبقراط مانعه : ﴿ وعامة الناس يشهدون أن الله تبارك وتعالى هو الملهم لهم صناعة الطب من الأحلام والرؤيا التي تنقذهم من الأمراض الصعبة ، وذلك أنا نجد خلقاً كثيراً ممن لا يحصى عددهم أتاهم الشفاء من عند الله تبارك وتعالى بمثل ذلك ﴾

(٥) قال (أريباسيوس) في كتابه السكير : ﴿ إن رجلاً عرض له في المئانة حجر عظيم قال وقد داويته بكل دواء فلم ينجح فلما أشرف على الهلاك رأى في النوم انساناً أقبل وفي يده طائر صغير الجنة فتال له هذا الطائر يكون بموضع السباخات والآجام نخذه واحرقه وتناول من رماده حتى تسلم ، فلما انتبه فعل ذلك فخرج الحجر من مئانته مفتتاً كالرماد وبرا برأ تاماً ﴾

(٦) قال ابن أبي أصيبعة : ﴿ إن بعض خلفاء المغرب مرض مرضاً طويلاً وتداوى كثيراً فلم ينتفع بها فرأى في بعض الليالي النبي ﷺ في نومه فشكاه ما يجده فقال ﷺ ادهن بلا وكل لا تبرأ . فلما انتبه من نومه بقي متعجباً من ذلك ولم يفهم مأمراه ولم يعرف المبهرون عنه شيئاً إلا على بن أبي طالب القيرواني فانه قال يا أمير المؤمنين ان النبي ﷺ أمرك أن تدهن بالزيت وتأكل منه فتبرأ لأن الله يقول : من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية . فلما استعمل ذلك صح وبرا ﴾

(٧) قال ونقلت من خط علي بن رضوان في شرحه لكتاب جالينوس في فرق الطب مانعه : ﴿ قد عرض لي منذ سنين صداع مبرح عن امتلاء في عروق الرأس ففصدت فلم يسكن وأعدت الفصد مراراً وهو باق على حاله فرأيت جالينوس في النوم وقد أمرني أن أقرأ عليه حيلة البره فقرأت عليه منها سبع مقالات فلما بلغت الى آخر السابعة قال فنسيت ما بك من الصداع وأمرني أن أحجمهم (القمحخدوة) من الرأس ثم استيقظت فحجمتها فبرأت من الصداع على المكان ﴾

(٨) وقال عبد الملك بن زهر في كتاب التيسير : ﴿ انني كنت قد اعتلّ بصري من قي بحراني أفرط عليّ

فعرض لي انتشار في الحذقتين دفعة فشنغل بذلك بالي فرأيت فيما يرى النائم من كان في حياته يعني بأعمال الطب فأمرني في النوم بالاكتحال بشراب الورد وكنت لم أزل طالبا لم يكن لي حنكة في الصناعة فأخبرت أبي فنظر في الأمر مليا ثم قل استعمل ما أمرت به في نومك فاتفقت به ، ثم لم أزل أستخدمه الى وقت وضي هذا الكتاب في تقوية الابصار . هذا أيضا كثير مما يحصل بالرؤيا الصادقة فانه قد يعرض أحيانا لبعض الناس أن يروا في منامهم صفات أدوية ممن يوجددهم إياها فيسكون بها برؤهم ثم تشتهر بالمداواة بتلك الأدوية فيما بعد . انتهى الكلام على الحال الثانية

الحال الثالثة

أن يكون قد حصل لهم شيء بالاتفاق والمصادفة مثل ما حصل لأندروماخس وغيره فيما تقدم في آخسورة النحل إذ ذكرت لك هناك كيف عرف الأطباء بالاتفاق كون سم الحيات يشفي بلعومها . وهكذا كل سم حيوان يمنع ضرره لحم ذلك الحيوان . وهكذا يشفي كل مرض مزمن قوى بلعوم الحيات كالبرص والجذام فارجع الي إن شئت هناك لتعرف هذه الأحوال الثلاث وهي التجربة والاحلام والمصادفات والاتفاق وانما ذكرت لك ذلك لتفهم قوله تعالى هنا - وإذا مرضت فهو يشفين -

إن الشفاء من الله فانه إما أن يلهم الناس في أحلامهم وهذا منه تعالى واما ان يلهمهم في اليقظة فيفسكرون كما في الحال الأولى وهذه هي التجربة واما أن تقع لهم الأشياء مصادفة فيفسكرون فيها فسواء أكان بالأحلام ام بالاعتبار والبصيرة فكل هذا من الله . ولتعلم أن الله عز وجل لا يحب أن تكون جميع علومنا بالأحلام والرؤى ولا بوحى الأنبياء لأن الأحلام انما هي موقظات فتطعم ان الناس عليهم أن يجتوا بأنفسهم ليرتقوا أما الأنبياء عليهم السلام فان الله جعلهم قليلا في الأرض هكذا النابغون في الأمم والحكماء . ذلك لأن الله يريد أن يجعل هؤلاء الأنبياء موقظين فيوحى اليهم قولاً اجاليا ويطلب من أتباعهم أن يفكروا فيه فلو أن الناس أتت لهم جميع أعمالهم بطريق الرؤى أو كان الأنبياء معطين الناس كل علم وكل حكمة بحيث لا يفسكرون ولا يدرسون وانما يعيشون على أحلامهم الصادقة وأنبيائهم الصادقين لكان ذلك وبالا ولذلك تجد الأحلام الصادقة قليلة جدا والأنبياء قلوا والعلوم التي أتوا بها تحتاج الى التعقل والتفكير حتى لاتموت عقول الشعوب التابعة لهم بالاتكال على ماسمعهوه وعلى كل فالشفاء من الله إما بالرؤيا واما بالجهد والاجتهاد والتفكير والأول مبادئ وما بعده هو الأغلب الأكثر الأعم

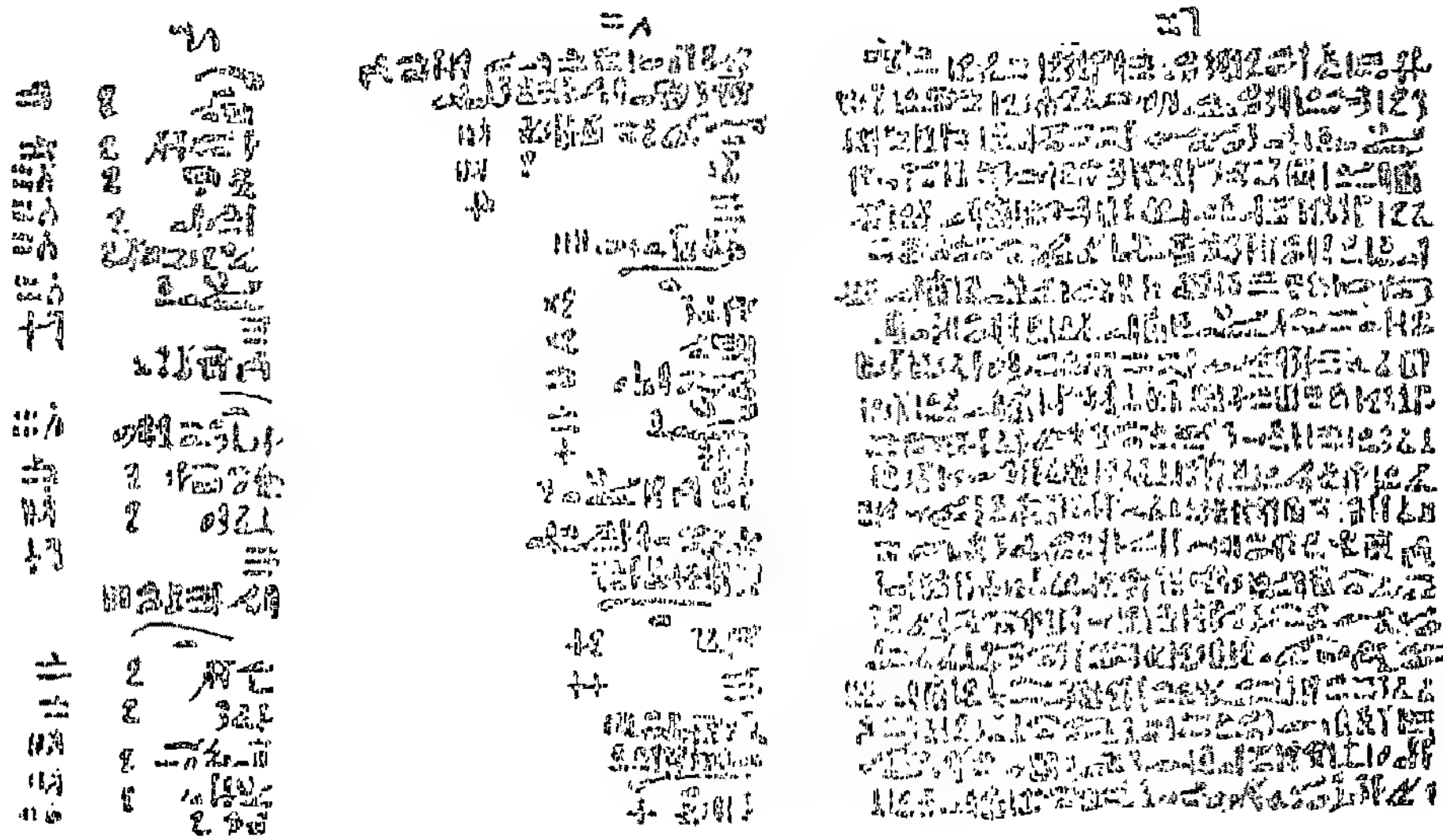
وهناك **حالة رابعة** وهي ما يشاهده الناس في الحيوان مثل ما ذكره الرازي في كتاب الخواص أن الخطاف اذا وقع بفراخه اليرقان مضى بجحر اليرقان وهو حجر أبيض صغير يعرفه فجعله في عشه فيبرأ وأن الانسان اذا أراد ذلك الحجر طلافراخه بالزعفران فيظن أنه قد أصابهم اليرقان فيمضى فيجىء به فيؤخذ ذلك الحجر ويعلق على من به اليرقان فينتفع به (هكذا يقول ابن أبي أصيبعة والله أعلم بالحقائق) وكذلك من شأن العقاب الأثني انه اذا تعسر عاها بيضها وخروجها وصعب حتى تبلغ الموت ورأى ذكرها ذلك طار وأحضر حجرا يعرف بالقلقل لأنه اذا حرك تقلقل في داخله فاذا كسر لم يوجد فيه شيء وكل قطعة منه اذا حركت تقلقلت مثل صحيحه . وأكثر الناس يعرفه بحجر العقاب ويضعه فيسهل على الأثني بيضها والناس يستعملونه في عسر الولادة على ما استنبطوه من العقاب . ومثل ذلك ايضا أن الحيات اذا أظلمت أعينهن لسكرتهن في الشتاء في ظلمة بطن الأرض وخرجن من مكانهن في وقت ما يدفأ الوقت طابن (نبات الرازيانج) وأمررن عيونهن عليه فيصلح ما بها . فلما رأى الناس ذلك وجربوه وجدوا من خاصيته اذهاب ظلمة البصر اذا اكتحل بمائه . وذكر جالينوس في كتابه في الحقن عن (أرودوطس) أن طائرا يدعى (ايبس) هو الذي دل على علم الحقن وزعم أن هذا الطير كثير الاغتذاء لا يترك شيئا من اللحوم إلا أكاه فيحدث بس بطنه لاجتماع

الأخلاق الرديئة وكثرتها فيه فاذا اشتد ذلك عليه توجه الى البحر فأخذ بمنقاره من ماء البحر ثم أدخله في دبره فيخرج بذلك الماء الأخلاق المحققة في بطنه ثم يهرد الى طعامه الذي عادته الاغتذاء به

(الحال الخامسة)

ان يكون حصل شيء منها أيضا بطريق الإلغام كما هو لكثير من الحيوانات فانه يقال ان البازي اذا اشتكى جوفه عمد الى طائر معروف يسميه اليونانيون (ذريفوس) فيصيده ويأكل من كبده فيسكن وجعه على الحال وكما تشاهد عليه أيضا السنابير فانها في أوقات الربيع تأكل الحشيش فان عدمت الحشيش عدلت الى خوص المكائس فتأكله ، ومعاوم أن ذلك ليس مما كانت تتذى به أولا وانما دعاها الى ذلك الإلهام لفعل ما جعله الله تعالى سببا لصحة أبدانها فاذا أكلته تقيأت أخلاطا مختلفة قد اجتمعت في أبدانها ولا تزال كذلك الى أن تحسن بالصحة المأنوس اليها بالطبع فتكف عن أكله ، وكذلك أيضا متى ناله أذى من بعض الحيوانات المؤذية ذوات السموم أو أكلت شيئا منها فانها تقصد الى السيرج والى مواضع الزيت فتعال منه وعند ذلك يسكن عنها سورة ما تجده * ويحكى أن الدواب اذا أكلت الدفلى في ربيعها أضرت ذلك بها فتسارع الى حشيشة هي بادزهر للدفلى فترتعها ويكون بها برؤها ، ومما يحقق ذلك حالة جرت من قريب وهي ان بهاء الدين بن نفاذه الكاتب حكى انه لما كان متوجها الى السكر كان في طريقه بالليل وهي منزلة كثيرة نبات الدفلى فنزل هو وآخر في مكان منها والى جانبهم هذا النبات فربط الغلمان درابهم هنالك وجعلت الدواب ترعى ما يقرب منها وأكلت من الدفلى فأما دوابه فان غلمانها غفلوا عنها فسابت ورعت من مواضع متفرقة ، وأما دواب الآخر فانها بقيت في موضعها لم تقدر على التنقل منه ولما أصبحوا وجدت دوابه في عافية ودواب الآخر قد ماتت بأسرها في ذلك الموضع * وحكى (ديسقوريدس) في كتابه أن المعز البرية باقريطس اذا رميت بالنبل وبقيت في أبدانها فانها ترعى النبات الذي يقال له (المشكطرامشير) وهو نوع من الفوتنج فيساقط عنها مارميت ولم يضرها شيء منه * وحكى القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكرندي أن اللقلق يهشش في أعلى القباب والمواضع المرتفعة وأن له عدوا من الطيور يتقصده أبدا ويأتي الى عشه ويكسر البيض الذي للقلق فيه قال وان ثم حشيشة من خاصيتها أن عدو اللقلق اذا شم رائحتها يعمى فيأتي بها للقلق الى عشه ويجعلها تحت بيضه فلا يقدر العدو عليها . وذكر أوحده الزمان في الاعتبار أن القنفذ لبيته أبواب يسدها ويفتحها عند هبوب الرياح التي تؤذيه وتوافقه * وحكى أن انسانا رأى الحبارى تقاتل الأفعى وتنهزم عنها الى بقلة تتناول منها ثم تمود لقتالها وأن هذا الانسان عاينها فنهض الى البقلة فقطعها عند اشتغال الحبارى بالقتال فهادت الحبارى الى منبتها ففقدتها وطافت عليها فلم تجدها نفرت ميتة فقد كانت تتعالج بها ، قال وابن عرس يستظهر في قتال الحية بأكل السذاب والكلاب اذا دودت بطونها أكلت السنبل وتقيأت واستطلقت ، واذا جرح اللقلق داوى جراحه بالصمغ الجبلى ، والثور يفرق بين الحشائش المتشابهة في صورها ويعرف ما يوافقه منها فيرعاها وما لا يوافقه فيتركه مع نهمة وكثرة أكله وبلادة ذهنه ومثل هذا كثير ، فاذا كانت الحيوانات التي لا عقول لها ألهمت مصالحها ومنافعها كان الانسان العاقل المميز المكلف الذي هو أفضل الحيوان أولى بذلك وهذا أكبر حجة لمن يعتقد أن الطب انما هو إلهام وهداية من الله سبحانه خلقه . وبالجملة فانه قد يكون من هذا وما وقع بالتجربة والاتفاق والمصادفة أكثر ما حصله من هذه الصناعة ثم تكاثرت ذلك بينهم وعرضه القياس بحسب ما شاهدوه وأدتمهم اليه فطرحهم فاجتمع لهم من جميع تلك الأجزاء التي حصلت لهم بهذه الطرق المتقنة المختلفة أشياء كثيرة ثم انهم تأملوا تلك الأشياء واستخرجوا عللها والمناسبات التي بينها فتحصل لهم من ذلك قوانين كلية ومبادئ منها يتبدأ بالتعلم والتعليم والى ما أدركوه منها أولا ينتهى فعند السكمال يتدرج في التعليم من الكليات الى الجزئيات وعند استنباطها يتدرج من الجزئيات الى الكليات اه

هذا ما اصطفتيه من كتب المتقدمين وقد ظهر منه أنه ليس لمن قبل اليونان طب ذلك لأن سلسلة التاريخ الطبي لم تظهر بين الأمتين في التاريخ فانظر ماذا جرى . الذي جرى أن مدرسة الطب المصرية قد ضي لها منذ تأسيسها (١٠٠) سنة وصادف أن ذلك وقت طبع هذه السورة أى قبيله بقليل والأمة المصرية كثر عددها فوجب توسعة المدرسة فهناك أخذت الحكومة تبنى لها بناء جديدا واجتمع مؤتمر طبي لهذه المناسبة ووضع الحجر الأول بحضورهم ، وبهذه المناسبة كتبت الجرائد المصرية تاريخ الطب فرأيت أن ما كتبتة الآن ليس أول الطب في العالم المعروف بل ظهر أن قدماء المصريين كان الطب عندهم منذ آلاف السنين مشابه للطب الحديث الآن كل المشابهة ، فبينما نرى هؤلاء الأطباء الذين ذكروا هنا لا يزالون ينتظرون الطب من الرؤى في المنام ومن التجارب إذا قدماء المصريين قبلهم بالآلاف السنين قد وصلوا لما وصل اليه الناس الآن ، فهناك ما جاء في إحدى المجلات العلمية بتاريخ (٢٠) ديسمبر سنة (١٩٢٨ م) و ٨ رجب سنة (١٣٤٧ هـ) وهذا نصه (شكل ٦)



(شكل ٦)

﴿ مخطوطات هيروغليفية ﴾

«منقولة عن ورقة البردى المعروفة بورقة (اير) التي اكتشفها العلامة (جورج اير) سنة ١٨٧٥ ويرجع تاريخها الى سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد وهي تبين أول أقرباذين عرف في تاريخ العالم ، فالى اليمين إحدى عشرة وصفة لعلاج التهاب القرنية المصحوب بافراز ويحتوى على مرهم (فرديجرى) ويعرف بالمرهم المصرى ، ومن محتوياته بذور خاصة تثبت فى الوجه القلبي واكسيد الرصاص وعسل بكميات متساوية ، وفى الوسط أربع وصفات لطرد الديدان من الامعاء تؤخذ فى مدة أربعة أيام والى اليسار ثلاث وصفات لعلاج الاسهال تحتوى على عنب وعسل وبصل وثين ورصاص أخضر(?) ودقيق وزلال بيض ، والقراءة من اليمين الى اليسار»

وقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية أنه ثبت من علم الآثار أن السكينة المصريين القدماء كانوا قسمين الأطباء والصيادلة على نحو ما هو جار الآن وأن بابل نقلت منهم هذا التقسيم واستمرت الحال الى يومنا هذا حيث يصف الطبيب الدواء فيحضره الصيدلى وكلاهما يفهمان بعضهما ، ولا يمكن للغريب عن هذه الدائرة فهم مخطوطاتهم حتى يقول العامة «خط الطبيب لا يقرؤه سوى الصيدلى» يقول العالمى ذلك وهو

متعجب ويمنى أن يتمكن من حل هذه الألغاز ويقصد إلى من يعرف القراءة جيدا ولكن على غير جدوى لأن الأخير يتعجب بدوره لعدم امكانه قراءة الوصفة ، هكذا كان الأطباء من الكهنة القدماء يكتبون وصفاتهم على ورق البردى الى الصيادلة من الكهنة أيضا الذين يحضرون بدورهم الدواء للمريض والمريض بين الاثنين مذهول فنشأ عن ذلك الاعتقاد بأن الكهنة يملكون بالسحر اه

إن الله عز وجل قد أذن لهذا التفسير أن ينال حظا عظيما . فبينما نحن نقرأ في كتبنا القديمة أن الطب كان مبتدئا في أزمان قريبة اذا بحادثة مدرسة الطب المصرية قد قرئت البعيد ونشرت هنا النصوص المصرية القديمة مع نصوص الأدوية . إذن علمنا أن العلم قديم وتام أيضا وهذا يفسر قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - والذي قدر فهدى - وقوله - الذي خلقني فهو يهدين -

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يسألني في الامور الهامة فقال هأنت ذا ذكرت أقوال الأطباء المتقدمين من أمم اليونان والاسلام . ولما عثرت على أن الطب أقدم من ذلك أظهرته فما هذا التطويل ؟ فهل التفسير أصبح تاريخا للعلوم ؟ إن هذا لشيء عجاب . اللهم إن هذه الطريقة مما يزهده القارئ في القراءة فيقول انه بأدنى مناسبة يطيل الشرح والقول ويخرج القارئ عن المقصود من الكتاب الحكيم . فقلت لنفاري يقول الله هنا . إنه يقول على لسان ابراهيم عليه السلام - الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * واذا مرضت فهو يشفين - ثم أتبع هذا بالموت والبعث . فهنا (ستة أحوال) (الخلق . الهداية . الاطعام . السقي . المرض . الشفاء) أما الخلق فقد تقدم في أول سورة المؤمنون . يقول الله تعالى - ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين - فكرر الخلق (٦) مرات وقال في آية أخرى - إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه - فالخلق وهي الحال الأولى ملازم الابتلاء والاختبار مع الخلط لأن الانسان مخلوق هو والحيوان والنبات من عناصر مختلطة وكل مركب متوقف على كل جزء من أجزائه وهذه الأجزاء دائما في الذوبان والتحليل . ألا ترى رعاك الله الى ما تقدم في (سورة النور) وكيف استبان هناك أن هذه الأجسام كلها راجعة الى الجوهر الفرد والجوهر الفرد يرجع الى كهرباء سالبة وكهرباء موجبة أي ان العوالم التي نعيش فيها ومنها خلقنا ماهي إلا حبيبات مضيئة نورية كهربائية السالبة تجري حول الموجبة وتدور كما تدور الكواكب حول الشمس وذلك بسرعة ملايين في الثانية الواحدة فاقرأه هناك محققا فأشبهت في نورها وفي جريها أحوال الكواكب السيارات الجارية حول الشمس وهذه النقط الضوئية الجارية بعضها على بعض من سالبة وموجبة باختلاف أبعادها وسرعتها وكميتها تختلف العناصر المركبات منها كالحديد والنحاس والذهب والاكسوجين والودروجين وهكذا مما وصل عدده الى (٨٠) فأكثر . هذه هي العناصر وهذه هي التي خلق الله فيها أجسام الحيوان والنبات وخلق الانسان من أمشاج كما خلق كل نبات وكل حيوان . إذن الانسان مكون من أشياء قد خلط بعضها ببعض والجسم والعقل فيه مرتبط بهذه البنية . لذلك ترى الله كما جعل خلقه أخلطا وضع فيه وفي كل حيوان نوعا من الهداية والهداية مقترنة بقدر على مقتضى الحاجة . فاذا كان النبات من أخلط فله هداية تخصه كما في إلقاحه ونموه (انظره في سورة الحج وغيرها) واذا كان الحيوان أرقى من النبات والانسان أرقى من الحيوان فانك ترى الله ألزمهم أقوى باطنة فطرية فطرهم عليها . مثال ذلك الاحساس بالجوع وبالعطش وبالمرض وبالخوف من العدو وبالفيرة من القرين وبالحسد وبالغيظ وبالحب وبالشبق وبالذل وبالفخر . كل هذه عواطف خلقت مع أنواع الحيوان ثقل وتكثر على حسب الحاجة ولولا هذه الاحساسات لم يبق حيوان ولا انسان على الأرض . أفلا ترى أن هذا الاحساس المتنوع الى هذه الأنواع هداية . هذا هو معنى قوله تعالى هنا - الذي خلقني فهو يهدين - فعبير بالفاء إشارة الى أن الهداية مقترنة بالخلق ملازمة له ملازمة تامة . فالخلق من المركب يلزمه هداية لحفظ هذا المركب ولذلك نجد كل حيوان يحس بألم الجوع والم

الشبق وألم العطش وألم المرض . فلماذا هذا ؟ هذا لحفظ ذلك المركب فان لم يكن هذا الألم وهذا السوط المؤلم أو هذه المقامع من حديد تساق بها النفوس الى حفظها ما عاشت فهذا والله عذاب أريد به الرحمة وشفاء أريد به النعيم وذل أريد به العزّ واهانة أريد بها الاكرام . إن العوالم التي في أرضنا ناقصة بالنسبة لعوالم أخرى والله لم يسلط عليها هذه الآلام فكافية بها ولا اذلالا لها ولا كن سلطها عليها ليحفظ كيانها ويجعل لها حياة ولم يكن من الممكن بالنسبة لها أن تخاطب بخطاب اللطف من هذا انتهدي به . فهذه المؤلمات هي اللغات الإلهية التي ليست بحرف ولا صوت ركبت في طباعها وغرست في نفوسها تهدي بها الى المطاعم والمشارب والأدوية . هذا هو معنى قوله تعالى - الذي خلقني فهو يهدين -

فلما سمع ذلك صاحبي قال لقد والله شرحت صدرى . ما أجل العلم . ها أنا ذا أصبحت بعد هذا أقرأ في الهرة وفي الجمل وفي الانسان علوما هي أسمى مكشوفة ولكنى لم أفك طلاسمها ولا رموزها ولكنى الآن أخذت أفك رموزها وطلاسمها وقد ظهر لى أن هذه الدواب وهذا الانسان فضلا عن مساعدة الجميع بعضهم لبعض هم صحائف منشورة تقرأها نفوس أعلى من نفوس أهل الأرض فان هذا القول يظهر لى أن وراءه ما هو أعلى منه وأجلّ وأبهج وأشرف مخبوء لم يظهر لنا معاشر بني آدم في الأرض فأرجو أن تتم القول فانه جميل وهو حقا في نفس القرآن وفي نفس الآيات في هذه السورة . فقلت الحمد لله الذى شرح صدرى لما أقول وانى أشعر أن ما رضاء أنت يرضاه جميع أحبائى قراء هذا التفسير ويشعرون بما تشعر به أنت شعور سعادة ومحبة وسرور فلا تتم هذا المقام فأقول والله المستعان

إن الهداية في الآية على (قسمين) هداية فطرية وهداية تعليمية ، فأما الهداية الفطرية فهي ما قلته لك من الجوع والعطش وماتلاهما ، وأما الهداية التعليمية فانها تظهر أولا في الحيوان وترتقى في الانسان . وأضرب لك مثلا الغراب انه من أكالة اللحوم فان لم يجدها حية أكل اللحم وهو يأكل السود والفراش والخنافس وصغار الحيوان وقد يسرق عش الطائر مع أفراخه الزغب ويخطف قطعة الجبن ولقمة الخبز وهو جبان وإذا صاح أحدها اجتمعت منها جماعات كثيرة وهو يقوم مبكرا ، كل ذلك بغريزة فيه . فانظر ماذا ترى ، تراه يعلم صغاره الطيران فهو يأخذها خارج العش ويطير بها . ههنا أيها الذكى وصلنا الى المقصود وهو أن الحيوان ارتقى بعضه طبقا عن طبق حتى كان منه ما وصل الى درجة في بعض شؤونه استعملها الانسان . فانا نشاهد الضباط يمرتنون العسكرية الكرك والفر واستعمال السلاح والمشى والاصطفاف . فهذه هوذا الغراب لم يقف عند حد الهداية الفطرية بل أخذ يمرّن صغاره على الطيران كما فتحت الأم في أيامنا مدارس للطيران

الجراد لا يربى صغاره والعقرب الذكر يموت غالبا قبل وضع صغاره وأنتى العقرب تموت متى قويت أبنائها كما ترى شرحه في سورة المائدة عند آية الغراب . فهذه هوذا الغراب أخذ يعلم أى أنه انتقل من الهداية الفطرية الى الهداية التعليمية . الله يقول - ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والأولى - فإله تولى هداية خلقه كلهم فالهداية الفطرية عامة أما الهداية التعليمية فهي التي جعلت خاصة وترى مثلها في الغراب . ومثلا آخر في النمل فقد تقدّم في هذا التفسير أن النملات الصغيرات اذا كانت في شرنقتها (فياجتها) وأرادت الخروج منها عند تمام مدتها حضرت لتجدها وإخراجها النملات الكبيرات كأنهن الأطباء أو القابلات فيميزقن الأربطة التي تستعصى على صغارها لتخرجها من محبسها كما تساعد القابلة الأم في استخراج جنينها من رحمها

فلما سمع صاحبي ذلك قال أنا الآن عرفت الفرق بين الهداية الفطرية والهداية التعليمية ولكن أرى الفرق بينهما عسرا فما المانع من أن يكون تعليم الغراب لابنه الطيران غريزة أى فطرة تعليمية . فبالت شعري ما الفرق بين الغريزة والتعليم هذا ما لا أتعقله . فقلت له ان الفرق بينهما عسرا كالفرق بين الحيوان والنبات فانظر في سورة الحج وفي غيرها تجد عند قوله تعالى - فتصبح الأرض مخضرة - أن الفرق بينهما

عسر كذلك الفرق بين الفريزة والتعليم عسر دقيق واما بما لنا أن نقول ان هناك ارتقاء عن الفريزة شيئاً فشيئاً
يبتدىء ذلك في الحيوان ويرتقى في الانسان وكل كان الانسان أرقى كان أكثر تعقلاً وفعل باختياره ولم
يتشكل على غريزته . إن الانسان كما أعطى غريزة كالحيوان ارتقى ونال هداية أعلى من الغريزة وهذه
الهداية تبتدىء في طعامه وشرابه ولباسه والهواء والنور . فالتناس غرقوا في الهواء وفي الضياء واحتاجوا
إلى الماء وإلى الغذاء وإلى الدواء فهم في ذلك كالحيوان ولكنهم لما كانوا أعم تركيباً أعطوا قوة عاقلة وهذه
القوة العاقلة سلطوها على أنواع النبات التي تعد بمئات الألوف وعلى أنواع الحيوان التي تعد بأكثر من ذلك
فعرفوا ما ينفعهم وما يضرهم وأخذت الأسم القديمة جميعها تتعلم لآلهة يون وحدهم بل هناك أعم وأعم لم تصل لنا
أخبارهم وصلت إلى ما لا نعلم . وتنحصر الهداية التعليمية عند جميع الأمم في ﴿ قسمين ﴾ قسم حفظ الصحة
وقسم مداواة المرض . فأما قسم حفظ الصحة فهو ﴿ نوعان ﴾ نوع يختص بالطعام والشراب والهواء والماء
وهذا تقدم في (سورة طه) عند ذكر آدم فاقراءه هناك وتدبره ونوع متمم لذلك

(١) مثل المحافظة على نظافة الجلد بأن يستحم مرة في الاسبوع شتاءً وصيفاً
(٢) ومثل أن يغسل الانسان يديه بالصابون قبل الشروع في غسل عينيه ووجهه وقبل تعاطي الغذاء
(٣) ومثل أن يغسلهما بعد الفراغ من الأكل وبعد لمس أى جسم غير نظيف وبعد الاستيقاظ من النوم
وقبل ارادة النوم ، كل ذلك بالماء والصابون فانه يبعث في الجسم نشاطاً وانشراحاً
(٤) ومثل غسل القدمين بالماء والصابون صباحاً ومساءً كذلك يخلل ما بين الأصابع ويزيل ما بينها
من الأقدار

(٥) ومثل ان شعر الرأس يجب غسله كل اسبوع بالماء والصابون
(٦) ومثل أن تقلم الأظفار ثم تغسل الأصابع بعد القص بالماء مع الليفة أو نحوها لازالة (التف) أى
القذر تحتها

(٧) ومثل غسل الأنف وتنظيفه وانه لا يجوز نتف الشعر الذي فيه أوقصه فان الله خلقه لصحة أبداننا فهو
يضعف تيار الهواء اذا كان شديداً

(٨) ومثل انه لا ينبغي ادخال الأصبع في الأنف لأنها عادة رديئة وانه عند التخطئ تسد إحدى فتحتي
الأنف ليخرج المخاط من الأخرى عند نفخ الهواء ثم يعاد ذلك بسد الثانية وفتح الأولى

(٩) ومثل العناية بالأسنان وتنظيفها بحيث تغسل بالماء والصابون قبل الأكل وبعده لئلا تبقى بعض
الفضلات فتضر وتعقب أمراضاً لا قبل لها . ويستحسن التنظيف بزحوا السواك (والفرجون) بعد غمسه
في بعض العقاقير عند الصيادلة ويكون ذلك التنظيف بالعقاقير مرتين في اليوم عند الاستيقاظ من النوم وعند
الذهاب إلى الفراش . هذا كلام الأطباء وديننا أمر بأكثر من ذلك بحيث يكون السواك عند كل وضوء
وعند كل صلاة وهكذا . ويجتنب تكسير الأجسام الصلبة بالأسنان لئلا تتلف ويدخلها السوس

(١٠) ومثل تنظيف الأذن من الخارج بالماء والصابون والأفضل أن يكون الماء (دفيئاً) . ولا ينبغي
استعمال أجسام صلبة في تنظيف الأذن هكذا لا يدخل جسماً غريباً كالخشب أو قطعة من الخشب

(١١) ومثل أن يفعل بالعين ما يفعله بالأذن فيغسلان بالماء والصابون لئلا يضع الذهب بيضه فيهما .
فليغسل الانسان وجهه ويديه كل يوم مرتين بالماء والصابون ومعلوم أن الوضوء يتكرر وهذه نعمة اسلامية
عظيمة . ومن الحبيب أن عناية ديننا الاسلامي بالصحة أرقى من عناية الأطباء

(١٢) ومثل أن وضع السكحل في العين مضره ومثل أن من ينام على فراش أرمم يصيبه الرمد سريعاً
ومثل انه اذا دخل جسم غريب من ذرات التراب في العين وجب غسلها بالماء الفاتر مرات كثيرة بعد اغلائه

فان لم يتيسر اخراجه بهذه الطريقة فليذهب الانسان حالا الى الطبيب

﴿ من بدائع وعجائب الاسلام في الطب « السواك » ﴾

أيها المسلمون . هل كان منا أحد يظن اننا في القرن العشرين نرى دين الاسلام الذي ظهر في جزيرة العرب التي لا علم فيها ولا ملك ولا دين ولا مدنية ولا كتابة ولا قراءة تظهر آثاره ظهورا بينا في المستشفيات ومدارس الطب وكشف العلماء . ومن ذا الذي كان يخطر له ذلك . أيها المسلمون نحن كنا في الجامع الأزهر نحضر السروس على شيوخنا وهذه صفحة مما قرأناه من كتاب المنهج مع شرحه وحاشيته في مذهب الشافعي ملخصا قال مامليخصه ﴿ إن الاستياك سنة لأن النبي ﷺ يقول « السواك مطهرة للفم » ويسن أن يكون ذلك الفعل في عرض الأسنان لقوله ﷺ « اذا استكنتم فاستاكوا عرضا » ويجوز أن يكون الاستياك طولا وهذا في الأسنان . أما اللسان فيسن فيه الاستياك طولا وتكون آلة السواك مادة خشنة كهودالاراك وجريد النخل والزيتون وكل ماله ریح طيب ثم بقية الأعواد وهذه يفضل فيها اليا بس المندي بالماء ثم المندي بماء الورد ثم المندي بالريق ثم الرطب ثم اليا بس غير المندي . ويقال إن اليا بس غير المندي مقدم على الرطب لأنه أقوى في إزالة التغير ﴾

﴿ فوائد السواك ﴾

انه يبيض الأسنان ويزيل قلعها ويثبتها ويطيب النكهة ويشد اللثة ويزيل رخاوتها ويصفي الخلق ويفصح اللسان ويزيد في العقل ويذكر في الفطنة ويحسن الخلق أي لون البدن وقيم الصاب ويقطع الرطوبة من العين ويحد البصر ويبطئ الشيب ويسوي الظهر ويرهب العدو ويصلب اللحم ويضاعف الأجر ويرضى الرب ويسخط الشيطان ويزيد في ثواب الصلاة وينمي الأموال ويقوى القلب والمعدة وعصب العين

﴿ أوقات السواك ﴾

هو مؤكد في مواضع وهي الوضوء والصلاة وتغير الفم والقراءة ودخول المنزل وإرادة النوم واليقظة . ومن الأحاديث الواردة في السواك خبر ابن خزيمة ﴿ لولأن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء ﴾ وحديث الشيخين ﴿ لولأن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ﴾ أي أمر إيجاب . وحديث الشيخين أيضا ﴿ كان النبي ﷺ اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك ﴾ أي يدلكه به . وحديث مسلم ﴿ كان النبي ﷺ اذا دخل البيت بدأ بالسواك ﴾ انتهى

هذا ما جاء في دين الاسلام من الحث على السواك . فلننظر الآن في الكشف الحديث ، من عادة طلاب العلم الديني في العالم أن بعضهم يعمل بأواصر دينه والأكثر من ينصرفون عن بعضها كالسواك لأنه سنة والسنة لا عقاب عليها وقد كنت أنا أتساهل في أمر السواك ولا سيما لما صرت مدرسا في المدارس الأميرية ، ثم اني يوما توجهت الى مدرسة الوعظ والارشاد التي أقامها الشيخ رشيد رضا فلما دخلتها وجدت المرحوم الدكتور صدقي يعطى درسا وفي يده كتاب باللغة الفرنسية وهو يترجم والتلاميذ يكتبون فسمعتة يقول وهذه الشجرة تسمى شجرة محمد عليه الصلاة والسلام (يريد بذلك شجرة الاراك) وأخذ يشرح المقام شرحا وافيا ، يقول ان مؤلف الكتاب يفضل في السواك شجر الاراك على الفرشة المعتادة ، وهذه الشجرة يسميها الفرنجة شجرة محمد ﷺ لأنه أمر أمته بأن يستاكوا بأعوادها . هنالك استيقظت من غفلي وقلت يا لهجب ، علم قرأناه ثم أهملناه جهلا بزياده ومن ذلك الوقت أخذت أواظب على السواك ثانيا . والأهم من ذلك ما جاء اليوم في الطب الحديث فاسمعوا ما يقوله الأطباء في عصرنا جاء في مقال طبيب بمجلة (الجديد) ما هذا نصه

خطر لا يفتن اليه كثير

(هل للأمراض الباطنية علاقة بأمراض الفم ؟)

(للدكتور يوسف زكي)

قد يدهش القارىء إذا عرف أن بعض جهابذة الطب يطلبون من بعض مرضاهم أو بالأحرى من معظمهم أن يزوروا طبيب الأسنان ويأتوا لهم بتقرير منه عن حالة فمهم وأسنانهم ، وربما تزداد دهشتهم إذا عرفوا أن مريضنا بالرمد استعصى علاجه على أكابر الأطباء وكاد يئس هذا المريض وأن يفقد بصره لولا أن أشار عليه بعضهم باستئصال أسنانه أو بعضها ولم يكذب يفعل ذلك حتى استجاب مرضه للدواء ونال تمام الشفاء

إن الفم هو أول أجهزة القناة الغذائية وهو العامل الأول في اعداد الغذاء لعملية الهضم فإذا حصل بأجزائه أو ببعضها عطب أضر ذلك بالجهاز الهضمي أو ببعضه وأفسد عمله وربما تهتدى ضرره الى أجهزة أخرى وقد تختلف بالفم بقايا من الطعام تتعفن وتنفو فيها جراثيم الأمراض فتتسرب تلك الجراثيم الى الأعضاء المجاورة كاللحم والخنجر ثم الى المعدة فتحدث بها الأدوار المختلفة المعروفة ، ثم ان نسبة سرطان الفم واللسان التآكل الأسنان وتقيح اللثة مثلا أمر معروف مؤكد بل قد ذهب بعض الأطباء الى أن سرطان المعدة نتيجة لازمة للأمراض التقيحية المزمنة التي تعترى اللثة أوخراجات الأسنان ، وأيد رأيه هذا بالأدلة الدامغة ثم جاء بعده كثيرون أثبتوا ذلك أيضا . قلنا إن الأعضاء المجاورة للفم هي أول ما يتأثر بأمراضه وتأتى بعد ذلك المعدة فنواز لها الحادثة والمزمنة قد تكون أيضا من أمراض الفم ، وأول من تنبذ لذلك هو الدكتور (هنتز) سنة ١٩٠١ ونشر ملاحظاته فكان منها أن صار أطباء الأمراض الباطنية يفحصون أسنان مرضاهم قبل كل شيء فإذا بدا لهم أمر ما نصحوا هؤلاء المرضى بمعالجة فمهم قبل البدء في معالجة أمراضهم الباطنية ، وقد أكد الدكتور (جوربي) أن التهابات المعلقة السودية وتقيح الأعور تسبب في الغالب من ذلك القيح المتولد في الفم وأضاف الدكتور (هنتز) على ذلك أن القيح المتولد في الفم يسبب أيضا الأنيميا الخبيثة ، وإذا وجدت خراجات الأسنان سبيلا الى الدورة الدموية يحدث منها أمراض القلب مثل التهاب غشائه الداخلي أو غلافه المسمى (بالتامور) وقما يشفى القلب من الأمراض متى تسمم بالمواد القيحية أو العفنة ، ولاننسى هنا أن نذكر أن مرض الريماتزم والمفاصل بنسبة ٩٠ في المائة تدخل في أسبابه أمراض الفم ، ففي إنكلترا وألمانيا يبدؤن في المستشفيات بعلاج أسنان كل من تقدم اليهم بمرض من أمراض الريماتزم على اختلاف أنواعها . وأخيرا نقول ان كثيرا من الضعف أو النهوكة أو ارتفاع درجة الحرارة أو الخمول قد لا يكون لها سبب غالبا سوى فساد أسنان المريض وفه . ولانذهب بعيدا اذا ذكرنا في النهاية أن مستشفيات الأمراض العقلية ارتفعت فيها نسبة من نالوا الشفاء التام من (٤٢ في المائة الى ٨٧ في المائة) عند ما بدؤوا يهرون أسنان المريض وفه عناية تامة فيعالجونها بالاستئصال والنظافة التامة وما الى ذلك مما يعرفه أرباب الصناعة . كذلك زادت نسبة الذين تحسنت صحتهم في المصحات المعدة لمعالجة مرضى الندرن الرئوي (السل) عند ما أخذ الأطباء في إعارة أسنان المرضى الالتفات المطلوب . ويجدر بي أخيرا أن أقول بأنه من البديهي أن يكون لقلة وجود الأسنان بالفم أعنى سقوطها أسباب خطيرة لاضطراب عملية المعدة لأن المضغ يصدر الى المعدة دون أن يكون قد طمحن في الفم طحنا كافيا وبذلك يقل مجهود الغدد المعدية ويصعب عليها أداء الوظيفة على كامل هيئتها فتنشأ التهابات البسيطة والتي لاتلبث هذه أن تنقلب الى حادة . فعلى الانسان إذن أن لا يهمل أمر فمه وأسنانه بل يجب عليه أن يعرض نفسه على الطبيب اذا ما شعر بأقل شيء فان ذلك خير له وأبقى . فاذا تعهد الانسان فمه بالغسيل وأخرج ما يعلق بأسنانه من بقايا الطعام ونظفها جيدا بالفرشة (أو السواك) عقب كل أكل آمن شر كثيرا من أمراض الفم

والإنسان وطرد من فيه أعداء كثيرة لا يستهان بها . انتهى

هذه أهم النصائح التي أعانها أطباء الأمم قديما وحديثا وهي متممات للمحافظة على الصحة التي تقدم بعضها في سورة طه من حيث الطعام والشراب والهواء وهكذا تقدم بعضها الآخر في سورة الأعراف عند قوله تعالى - وكالوا واشربوا ولا تسرفوا - فقسم المحافظة على الصحة الذي ذكرته لك مجمله هنا لأن تنفع به أنا وأنت وكل من قرأ هذا التفسير هو المذكور في قوله تعالى - الذي خلقتي فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين - فذكر الخلق وقد بيناه سابقا وقد قلت لك ان الخلق تصاحبه الهداية وقلت ان الهداية إما فطرية وأما تعليمية ونحن الآن في الهداية التعليمية والهداية التعليمية كما قدمنا ﴿ قسمان ﴾ قسم حفظ الصحة وقد تم الكلام عليها وقسم مداواة المرض . فالهداية في الطعام والشراب المذكورين في الآية قد تقدم الكلام عليها وسيأتي بعد استيفاء هذا المقام شرح الأمراض في قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين -

قد قدمنا أن المحافظة على الصحة تكون بالتعليم والتعليم على ﴿ قسمين ﴾ تعليم في تناول كل واحد معرفته وتعليم يختص بتعليم الأطباء ثم الأمة تتبعهم في ذلك

﴿ الكلام على التعليم الذي يختص بمعرفة الأطباء ﴾

فلأذكر لك هنا منه ﴿ مسألتين * المسألة الأولى ﴾ في بيان أعداء الإنسان في داخل جسمه . وكيف كنا ونحن في هذه الحياة نجد في أجسامنا جنودا مجندة داخلية خارجة تصطف صفوفًا وتتحارب في داخلها كلها ولا علم لنا بها . إن في ذكر هذا القيل جلا وحكمة وبيان لما جاء في القرآن من ذكر حفظ الإنسان وبيان العجائب فيه وهي دقيقة جدا فكيف يكون جسمي كأنه دولة وفيها آلاف آلاف الجيوش والجنود المجندة وهي ﴿ فريقان ﴾ فريق معي وفريق على وهذه الجيوش لا تنفث في حرب وضرب أمد الحياة فهي في حركة دائمة ومد وجزر تشابه في سرعتها سرعة النور والكهرباء التي خلقت منها أجسامنا وأجسام نباتنا وحيواننا - إن الله بكل شيء عليم - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر - ﴿ المسألة الثانية ﴾ ما جاء في قانون الصحة من رسم الدودة الوحيدة ورسم عضلات لحم الخنزير التي تحوى هذه الدودة ورأس الدودة الوحيدة ، وكيف عرف هذا قدماء المصريين قبل نزول القرآن فخرموا أكله بقصة اخترعوها وهذا من أعجب العجائب في أسرار ديننا الإسلامي . إن في هذا القول حكما بديعة . اللهم إني أجدك على نعمة العلم . أرى أننا ياربنا العلم عيانا . حرمت في القرآن لحم الخنزير فتركه المسلمون وإن لم يتركوا الخمر ، وهل كان يدور بخلد أحد في العالم أن علماء الأمم الآن يرسمون لحم الخنزير والدودة الوحيدة فيه ، وهل كان يمر بخلد امرئ في الأرض أننا نسمع أن أمما قبلنا بآلاف السنين حرمت الخنزير كالأمم المصرية ، وهل كان يخيل لأحدنا أن الله جنودا مجندة تروح وتغدو داخل أجسامنا فنمها الحاجة ومنها المدافعة . اللهم إن هذا توحيد وعلم ثم طب وبه تفهم قوله تعالى - فهو يهدين - فهو كما هدى أناسا بنصيحة الأطباء ففسادوا وجوههم وأيديهم ونظفوا أسنانهم هكذا هدى الأطباء فتوغلوا في العلم وعرفوا أسرارها هي عينها أسرار الإسلام . إذن فلأذكر لك المسألة الأولى من المسألتين المذكورتين لينشرح صدرك بالعلم والحكمة والطب لحفظ الصحة ، فهناك ما جاء في إحدى المجلات العلمية في ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧ م وهذا نصه

﴿ الوقاية أفضل من المعالجة ﴾

(أعداء الإنسان)

للدكتور شخاشيري

أما أعداء الإنسان فهي المكروبات التي ان أصابت الجسم أحدثت فيه مرضا يعرف نوعه من الأعراض

والتغيرات التي تبدو على الجسم بسببها ، والأمراض المعدية وأسبابها وطرق الوقاية منها هي التي أشدّت عنها الآن وتنتقل هذه الأمراض من المريض المصاب بها إلى السليم إما بواسطة الهواء أو الماء أو الحشرات أو الطعام أو باللامسة وأسبابها جميعا المكروبات . ولكل مرض مكروب خاص كما أن لكل شجرة فصيلة خاصة وهذه المكروبات صغيرة جدا لا تراها العين المجردة وإنما ترى آثارها وما تنفله في الأجسام من آلام وتدمير وقد يختلف عدد المكروبات في الهواء الذي نتنشق باختلاف المكان فإذا كان المكان مزدحما بالناس كان عدد المكروبات فيه كبيرا بسبب آثارهم للتراب ولهذا السبب يكثر المكروب في هواء المدن ويقل في هواء القرى وإذا كان المكان المأهول بالسكان خاليا من معالم النظافة لأمصلحة الرش والكنس ولا الساكن فيه يبذل جهدا ولو قليلا في تنظيفه ولا شك أن المكروبات تنمو فيه بكثرة هائلة . وتكثر المكروبات في الأماكن المنخفضة بنوع خاص لأن الهواء فيها غير طلق كما هو طلق في الأماكن العالية ولأن نور الشمس لا يدخل إلى جميع أجزائها ولذلك تراكم فيها المكروبات العفنة فتحدث بحسب ميزتها التفتن والتخمر وتنبعث منها رائحة كريهة . وأما في المياه فتكثر المكروبات في الرأكدة منها كالتي في البرك وفي الجداول الصغيرة ، ومن الضروري أن تغلى المياه المشوبة أو المشتبه في سلامتها من الأدران . وفي التراب توجد مكروبات وفي الأقدار كذلك وعلى جلد الإنسان وفي فمه وأمعائه . وإذا علمنا أن المكروبات موجودة في كل مكان يقيم فيه إنسان أو حيوان استطعنا أن نتصور نطاق هؤلاء الأعداء الواسع وشدة حرصهم على الاشتباك بفرستهم واستعدادهم للفتك بها في كل ساعة وحين ولكن لحسن الحظ أنه ليس كل هذه المكروبات خطرة أي ليس كل هذه الأعداء تحدث مرضا وإنما فيها ما هو نافع ووجوده لازم وضروري للحياة الحيوانية والنباتية . ولولا هذا الأمر لانعدمت الحياة في مقاومتها والتخلص منها

يخلص لنا عما تقدم أن الإنسان مهدد بأنواع من المكروبات التي تنشأ عنها الأمراض المختلفة وأن للبيئة والعناية بنظافتها شأنًا عظيمًا الأثر في تقليل هذه الأمراض وإضعافها ، ومن هذا يتبين كم هو لازم أن نعمل بنص القول المأثور « درهم وقاية خير من قنطار علاج » وأن التوقي من داء خير من التعرض له مع وجود من يداويه ، وأنت تعلم أن ما تكابده من العناء وتبدله من المال في سبيل الوقاية من الأمراض هو أقل بكثير مهما عظم قدره من الأكلاف التي تدفعها على التداوى والمعالجة فضلا عن التي يدفعها جسمك ويظهر تأثيرها في بعض أعضائه ، وإذا تصوّرت عدوا قادمًا عليك يريد أن يفتصب منك الذي تملكه من مال ومتاع فهل تنتظره إلى أن يصل إليك ويمتد يده إلى متاعك فتنهض للدفاع عن ممتلكك وكيانك أم تعد عدتك وتستعد للقاء قبل أن يشرف عليك مقدمه ؟ وهل لا ترى أنه أسهل عليك بكثير أن تقارمه وتدفع أذاه وأنت مستعد له أكثر منك وأنت على غير استعداد . إن الحيوانات تحسن الدفاع عن نفسها ويخاف الضعيف منها القوي فيها وهي بذلك تساق لغريزتها إلى الدفاع عن حياتها وناموس الطبيعة قائم على قاعدة الأخذ والدفع وبقاء الأصلح والإنسان بفطرته الأولى كان يحسن الدفاع عن نفسه وبقى جسمه من تقلبات الجو وطوارئ الحدثن على قدر ما وصل إليه فهمه واختباره وعلى هذه النسبة ارتقت مداركه وأدرك اليوم ما لم يكن يدركه من قبل

وعلم الوقاية من الأمراض أفضل بكثير من علم المعالجة والتداوى ويريد منكم هذا العلم اليوم أن تنشروا لواءه في كل مكان وترفعوا علمه في صدر كل إنسان . وأمة تريد أن تحيا سعيدة وأن يكون لها المقام المحترم بين الأمم هي التي تنشئ بنيتها على قاعدة صحية سليمة الأساس فتصلح البيئة وتطهرها من جراثيم الأمراض وتقضى على أثر هذه الأمراض في وسيلة علمية معروفة ، ففي تعليمهم كيف يعيشون وكيف يدافعون عن صحتهم من غواذى الأدوية وجيوش المكروبات مرمى سام من أسمى مراميها وغرض جليل من أجل أغراضها وهي الأمة التي يحق لها أن تعيش وأن يطيب لها العيش . وأنت تعلم أن للجسم أعضاء رئيسية كبرى وثانوية

صغرى ولكل عضو منها عمل خاص به كما ان لهذا العضو وظيفة يقوم بها وحده فهو من هذا الوجه حاصل على الاستقلال التام وحفته أو فر من حظ الشهوب الصغيرة التي نشد الاستقلال وتتقنى به ولكن لا تدنس أن استقلال اعضاء الجسم انما هو استقلال ذاتى فهي تشغل مستقلة ولكنها فى مجموعها تعمل لمصلحة الجسم كله وانما تعمل بمفردها لمصلحتها ومصلحة المجموع ولها نظام تحترمه وتريدك أن تحترمه لأن الاخلال به يشوش على ذلك العضو عمله أولا وعلى سائر الأعضاء ثانيا . فاذا أثقلت على معدتك بالأكل الغليظ مثلاً والشرب اللذيذ وأكلت من غير نظام ولا ترتيب و بلا انقطاع أى استمررت فى الأكل والشرب من غير أن تحسب أن لهذا العضو الأمين نظاماً وأن له قوة محدودة على الهضم وأن له دائرة وحجماً لا يتعداهما وليس فى وسعك أن يتعداهما تسكون النتيجة اسدات الخلل فى نظام الجهاز الهضمى والارتباك فى وظيفته وتشعرك الممنة بألم التخممة وتحس بصداغ وعسر بالتنفس وتوعك وانحراف ونفور من أهلك ومعارفك وتصيح كأنك بمنزلة تامة عن الناس جميعاً لا يشفكك عن الافتكار بمعدتك أحد منهم

فقليل من العناية والنظام فى نوع الطعام ودواعيه يهلكك من هذا التعب ويدفع عنك أمراض التخممة وتظل معدتك على ولائها لك كما وجدت أن تكون (كذا) ولواقته تضرار الاخلال فى نظام هذا العضو على ما تقدم فقط لمان الأمر وكانت الاساءة قصيرة المدى وانما تمتد اضراره الى ابعد من التخممة والتلبك وفى الغالب أن من أهمل القاعدة الصحية ولم يكن له نظام صحى فى مديته يكون عرضة لأمراض معدية وخيمة العاقبة عليه فمليك قبل أن تأكل وتشرب أن تفصل يدبك ووجهك وفك وبهذا تدفع عنك أخطارا عظيمة الأثر والذى يهمل هذه القاعدة أهمل النظام كله فبأكل كل ساعة ويشرب دائماً لا يفصل بديه ولافه لا قبل الأكل ولا بعده ويسخر منك ان رآك تفصل يدبك قبل أن تجلس الى المائدة فتجد هذا المهنش شاكياً مريضاً لأنه فى عدم غسل يديه قبل أن يتناول طعامه يرسل مع الطعام بعض الميكروبات والجراثيم الى معدته ومنها تجد هذه الجراثيم طريقها الى الدم وتبدى إذ ذاك تأثيرها بعد مدة قصيرة ، ومن عود نفسه على النظافة أراح جسمه وفكاهه من مشاق وأهوال لا يدركها غير الخبير ، وأرجو أن لا تكون اختبرتها بعد ولن نخبرها فى مستقبل أيامك ولا يذهب عن البال أن للجسم جنوداً جراء وبيضاء متنوعة ، وهذه الجنود وظائف تقوم بها فى أمانة وإخلاص لا مزيد عليهما لمزيد وليس لها غرض من وجودها غير الدفاع عن مجموع الجسم فهى أشبه بالأساطيل السابحة على الماء والجنود القائمة على حراسة الأمة وربما يصدر عن هذه الجنود المسلحة بعض التوائى والتسكوى فى الواجب الملقى على عاتقها . أما جنود الجسم وأساطيله السابحة فى دمه فلا تعرف للتوائى معنى وليس للخيانة سبيل الى عقيدتها فهى تحت السلاح فى الخدمة العامة دائماً وفى كل وقت لاهسنة ولاهودة فى عملها ، وانفرض انك أصبت بجرح فى أصبعك فاذا ترى ؟ ترى أن هذه الأمانة فى حركة غير عادية هى أقرب الى حركة حرب منها الى حركة سلم فتشاهدها حاجة على محل الإصابة خففاً وسراعاً تبغى أن ترمم الجرح وترغم أحياناً ان كان الجرح بالغاً الى الخروج منه ، ومتى تمّ هذه الجنود الكشافة الثبات فى محل الإصابة تقدم الى هذه الساعة لاسعافها جنود أخرى للمناضلة والدفاع عن هذه الساحة ومقاتلة الميكروبات والجراثيم التى تريد احتلال الجرح واحداث الالتهابات فيه فتندشب المعركة بين هذه الجنود والميكروبات والغلبة تسكون للأقوى كما هو منتظر فاذا كنت بحالة حسنة تراعى بمعيشتك النظام الصحى فلا خوف على جنودك من الغلبة واحراز النصر واذا كنت تسيء الى معدتك فتأكل من غير نظام وتشرب غير الماء النقي وتعرض جسمك الى متاعب غير لازمة فنصيب جنودك الفشل بلاريب

بعد هذا التمهيد الاجالى أحدثكم قليلاً فى إنجاز عن بعض الأدوية المنتشرة فى القطر ولا سيما فى الارياض وطرق الوقاية منها ، وأول هذه الأدوية هو داء الرهقان المنتشر انتشاراً هائلاً يكاد لا يخلو منه بيت من بيوت المدن

واقرى والتكفور والعزب الرقية فهي عدا وسبعين . جلا وامرأة وانى وقتة وطفل ونسلة من كل مائة منهم
أى ان سبعين فى المائة من ساكنى الأرياف ، وسبعين به متألمون ، وأسبابه ديدان تدخل الجسم من الفم مع
الماء أو مع الطعام فتستقر فى اللحم الدقيق وتتكاثر فيها وتفاقم الحسب منه ونشابه قوته بل حياته اه
فانظر فى عجائب صنع الله وتفكر فى الحكم العلية والطبية ، واعلم أن التهاون بأمر الصحة ولو فى أمر
ضئيل يوجب اسراع الداء ، فانظر ما جاء عن نفس هذا الطبيب ونفسه فى ٢٩ مارس سنة ١٩٢٨ م

الوقاية أفضل من المعالجة أيضا

(داء الكزاز)

بينما كان أحمد حسن عبده المقيم فى المقياس بالروضة أخذنا بمهام عمله الذى يهيش وأولاده منه عشر بمسار
اخترق باطن قدمه اليمنى حول الابهام الأكبر مدى ثلاث سنتين نراف ، فقد يده وهو من الأشداء وانتزع المسار
من قدمه وظل متابرا على عمله كأنه لم يحدث له شئ إلا أنه شهر بعد مضى خمسة عشر يوما على الحادث أن
بمفصل فكك تيسا وأن هذا التيس امتد الى عقه فأصبح غير قادر على فتح فم وغير قادر على تحريك عنقه
أو تحويل وجهه من ناحية الى أخرى وعاده الطبيب ووصف له دواء وحققنا ، ولم يزل الداء ولا الحقن ملأه
من تيس قصد فى اليوم الثانى عيادة طبيب آخر فلم يجده ، وفى اليوم الثالث اظهروا أعراض عاده طبيب آخر
وكانت أعراض التيس أو (داء الكزاز) قد ظهرت على أشدهما لافى الفك والعنق فقط بل فى سائر الجسم
فوصف له الحقن بالمصل المضاد لهذا المرض وسقته بالرريد أولا وبالمفصل ثانيا ، ولكن اذا انتشر سم الداء فى
الجسم انتشارا ملك به عليه ارادته فى تحريك المفاصل والأطراف قلما يجدى الدواء فى مغالبة الداء فقلما تعادل
قوة الدواء قوة الداء اذا خسر الجسم المعركة الأولى وفقد اسباب المقاومة والدفاع السكامة فيه ففقد المرض
على أحمد وذهب ضحية اهماله وعدم اكترائه للجرح الوحزى الذى أحدثه المسار فى باطن قدمه وذهب اهتمام
اهله وذويه واهتمام الأطباء وما استخدموه من دواء فى سبيل اتقاده ذهبت هذه الآمال والوسائل العلمية أدراج
الرياح ، والمرض اذا احتل الجسم احتلالا تاما صدد عليه منافذ الرجاء من المعالجة والمداواة وأبعده عن امنية
الشفاء. وفن الوقاية على صواب فى نظريته وصواب فى الدعائم القائم عليها نظامه هو يقول لأمثال أحمد الذى
ذهب مبكيا عليه من ذويه وأهله تاركا زوجه وأولاده على رحمة الأقدار ، فان أصابك جرح وخزى من مسار
أو غير مسار فلا تهمله مهما كان فى نظرك بسيطا بل اعرض نفسك على طبيب فى الحال وهو يتولى أمره ويدفع
عنك خطر هذا المرض والخوف منه ، وأعنى بقولى « فى الحال » فى الوقت الذى تصاب به بالجرح لافى اليوم
الثانى ولا فى اليوم الثالث أو الرابع منه

ها أنت ذا قد رايت ماجرّه الاهمال على أحمد من البلاء وأنزل بأهله من الأحران والأكدار ، فاعمل
بنصيحتى أو بالخرى بنصيحة علم الوقاية والله يقيك شر الأمراض ويريح جسمك من أوصابها ويهدد عنك
وعن أهلك غصة تتأججها والسلام . وبهذا تم الكلام على المسألة الأولى
(المسألة الثانية) وهى أن لحم الخنزير مضر وأنه يحوى البودة الوحيدة ، وبيان ذلك بالرسم وأن قدماء
المصريين عرفوا ذلك ، واليك ما فى تاريخ مصر القديم عنه

صفحة من تاريخ مصر القديم

(تحريم الخنزير . أصله من الأساطير المصرية)

قال كاتب وجدت الأسطورة التى أترجمها فيما يلى فى ورقة مما يسميه علماء الآثار « كتاب الموتى » ومع انها تصف

إحدى المعارك التي حثي وطيسها بين (حورس وست) لم يرد ذكرها فيما كتب عن تلك الحرب على جدران معبد حورس في (ادفو) ولا في موضع آخر خلا هذه الورقة ، على أن الفر يضة التي رسمها هذه الاسطورة كانت تمارس في هذا المعبد فيؤتى بخنزير فيقتل في نهاية استقبال كان يقام هناك لإحياء ذكرى انتصار حورس على ست وقتله ، ويؤخذ من نقوش فيه أن العادة كانت قبل هذه الفر يضة أن تمثل في هذا الاستقبال معارك الحرب فيمثل الملك دور (حورس) ويمثل (ست) رجل من العامة كان يقتل في ختامه

وواضح أن هذه الاسطورة قد وضعت إذن لإبطال هذه الديعة البشرية وكان وضعها في زمن متأخر عن الزمن الذي وضعت فيه الاسطورة التي تضمنت سائر معارك هذه الحرب المقدسة المنقوشة على جدران معبد (ادفو) فلم تكتب معها لهذا السبب . أما كتاب الموتى الذي تألف هذه الاسطورة أحد فصوله فمجموعة صلوات وأناشيد وتهاويد وشذرات من قصص الآلهة وهي في اعتقاد الأقدمين أحرازتقي من عذاب الآخرة فإذا كان لأحدهم ميت فاما أن يضع الخرز منه أو يكتبه على الكفن الذي يلف به هذه الغاية ومن ذلك تسميتها بكتاب الموتى والاسم حديث استحدث علماء الآثار أولوا الفضل في جمع هذه الاحراز وصراحتها وترجمتها . أما اسمها القديم فهو (فصول في التقسم نحو اليوم) أي يوم الدين ، وفي هذا الاسم إشارة غير خافية الى فائدتها عندهم

﴿ أسطورة الخنزير الاسود ﴾

(حورس) و (ست) خصمان يتربص أحدهما بالآخر الدوائر من فرط العداوة والحقد وكانت الحرب بينهما سجالا بيد أن الآلهة كانت في صف (حورس) وتلك العداوة لأنهما على طرفي نقيض . أما (ست) فخب مخائل يعتمد في الحرب على الخديعة أكثر من اعتماده على الشجاعة والخبرة فبنون القتال فتراه يلبس لسكل حالة لبوسها ويتشكل بالشكل الذي يراه قيما بأن يضلل الناس والآلهة على السواء . وأما حورس فلم يكن كذلك حاشا له أن يغش أو يكون من الكاذبين ، انه على صراط مستقيم ، استبق والاستقامة من أخص صفاته ، عيناه الزرقاوان لوج مسطور حسب المرء أن ينظر فيهما لينكشف المستور ويسرف المستقبل . من أجل ذلك يهرع اليه الناس والآلهة جميعا ليلتمسوا عنده علم ماسيكون ، علم ست مرة أن سيجتمع (رع بحورس) للتشاور في بعض الشؤون وألفى ست الفرصة قد سنحت ليضرب حورس ، وكان من تدبيره لذلك أن اتخذ هيئة خنزير أسود باون الفهم ذى أنياب حادة طويلة شرس هائل المنظر يلقي الرعب في قلوب الرجال ، وأقبل (رع) على (حورس) وخاطبه فقال « دعني أقرأ في عينيك ماسيكون » ونظر في عينيه اللتين لونهما كالون البحار حينما يكون الفصل صيفا والسماء صافية مشرقة بالنور وبينما هما في ذلك ظهر الخنزير وصراخه هب لكن غم عليهما أمره فلم يفظون (رع) انه إله الشر وصاح وهو مأخوذ بروعة منظره انظر هذا الخنزير الاسود أنا مارأيت قط أضخم منه جثة أو أشرس منظرا ، تلفت (حورس) ليراه فما وقع بباله هو كذلك ، أن صاحب هذه الهيئة المنسكرة هو (ست) لكن حسبه خنزيرا برياً من أدغال الأرض الشمالية وفي هذه الفترة وحورس غافل عن تدوّه تهباً (ست) فنفخ عليه نارا أصابته في عينه فصرخ من الألم وعلمسكه الغيظ فصاح « قد قذف على ست نارا أصابتنى في عيني » وكان ست قد حل نفسه بهيدا واختفى الخنزير الاسود عن الأنظار ولعن (رع) الخنزير من أجل (ست) وقال « ليسكن الخنزير نجسا ومكروها حورس » والناس الى هذه الأيام كلما بلغ البدر التمام يذبحون الخنزير تشفيا لأن (ست) عدو (حورس) وقتل أوزيريس اتخذ هيئته ليلحق الأذى بالإله ذى العينين الزرقاوين ، ولهذا السبب يعتبر رعاة الخنازير في أرض مصر أنجاسا لا يؤذن لهم في دخول المعابد ولا تقبل منهم قرايين للآلهة ولا يسمح لأولادهم أو بناتهم أن يتزوجوا من المتعبدن لله المخلصين له العبادة

هذا ما جاء عن قدماء المصريين بلقظم في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨ فانظر ما جاء في كتاب ﴿ قانون الصحة ﴾ ونصه ﴿ الأغذية المتعفنة أو المتحللة خطرة جدا ولا تصالح في الغذاء وذلك كاللحم الحيوانات المصابة بالدرن لأنها

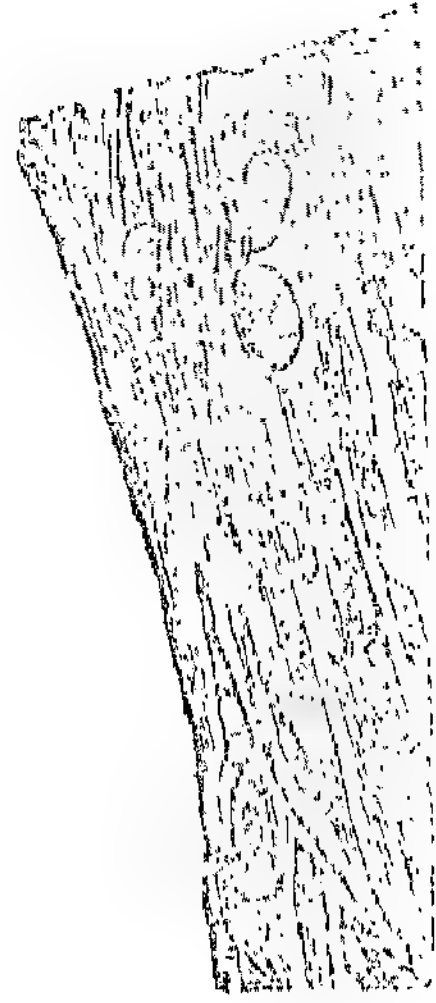
قد تسبب الإصابة بهذا المرض عند الإنسان . وكذلك لا ينبغي استعمال الخضم قبل غسلها خوفاً من أن تحمل
البكتيريا بعض الديدان . فمرض السوءة السوداء (انظر شكل ٧ وشكل ٨ وشكل ٩) والطبخ في أوان
من أناس قدرة يحدث التسمم ويكون ذلك مصحوباً بقيء ومغص . اسهال . وطبخ الأغذية مع الخل في أوان
من الرصاص بسبب التسمم بالرصاص { انتهى



(شكل ٩ - « التريشين »
ديدان لحم الخنزير)



(شكل ٨ - رأس
الدودة الوحيدة)



(شكل ٧ - عضلات من لحم الخنزير محتوية
على أكياس الدودة الوحيدة)

{ اشراق النور الإلهي في هذا التفسير واعانة الله تعالى فيه إذ انه نور السموات والأرض }
في هذا التاريخ فخمى يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م . بعد أن كتبت هذه المقالة ومعها رسم لحم
الخنزير والدودة التي تعيش فيه خرجت من المنزل فشاهدني في نفس الشارع الذي أسكنه وهو شارع زين العابدين
أحد الاخوان فأسرع جرياً مشيراً الىّ يناديني يافلان يافلان فوقفت وسمعت عليه فقال اسمع اسمع هنا أمر
عجيب في القرآن والاسلام . فقلت وما هو يرحمك الله . فقال ماذا تفهم في حديث { فرّ من المجذوم فوارك من
الأسد } فتذكرت أن بعض محرري الجرائد المصرية الكبرى في مصر صرّة قال لي { إن الفرنجة قد وجدوا
أن الحيوان المذكور سكوب في الذي يحدث الجذام في الانسان مخلوق على شكل الأسد } ولكني لم أرد أن أقول
له هذا المعنى لأنني لم أراه في كتاب ولم أسمع من طبيب مطلع ، فأجبت قائلاً وماذا أصنع بفهمي في مثل هذا
الحديث أنا لا أعرف فيه شيئاً . قال إذن أقصّ عليك قصصاً عجيباً . ذلك أن رجلاً عظيماً من ضباط الجيش
المصري الذي هو أركان حزب فيه مع عمر إلى باشا أيام الحرب مع الانجليز كان له تاريخ عجيب إذا اختلف مع الضباط
في الاستحكامات العسكرية وظهر صدقه وهو من أمهر الرجال العلماء العسكريين الذين تعاضوا في أوروبا وقد ظهر
في البلاد المصرية الطاعون بعد دخول الانجليز فكان مما استعملته الحكومات لدفع الخطر عن البلاد انها
احضرت أطباء من ألمانيا ، ولما كان هذا الضابط (وهو قسم بك الهلالي) ممن يعرفون لغات كثيرة قابلهم
وأنس بهم وتحدثوا في أمور الطب التي هم قادمون لأجلها فجري في المجلس العدوى بمرض الجذام فقال طبيب
ألماني ان حديث { فرّ من المجذوم فوارك من الأسد } لما اطلع عليه الأطباء عندنا أخذوا يبحثون لماذا
عبر النبي العربي ﷺ بالأسد ولم يسبق بكلمة أخرى مثل أن يقول فوارك من النار أو من السيل أو من الغر
أو نحو ذلك فوضعوا تلك الذرات التي تخفق في جسم المجذوم تحت المنظار المعظم فوجدوها على صورة الأسد
فأدهش علماءنا النبي العربي ﷺ فلما سمعت هذا عجبتم لماذا أخذ محدثي بهذا الحديث يناديني من بعيد

حتى استوقفني ثم لماذا قصّ عليّ هذا القصص الآن ، ولماذا لم يكن إلا في هذا اليوم وفي هذه الساعة بعد كتابة موضوع لحم الخنزير الذي هو معجزة نبينا ﷺ والقرآن تبياناً لقوله تعالى : حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير . فلماذا يكون النص على لحم الخنزير في القرآن دون غيره ولماذا يحرمه قدماء المصريين وههنا نقول أيضاً كما روينا عن علماء الألمان لماذا خصص النبي ﷺ مرض الجذام بالأسد ، فرأيت أن أثبت ههنا هنا اعتراف بنعمة الله تعالى واغترافاً من كوثر علمه وباهر حكمته وبديع تبيانته وسابغ رحمته والحمد لله رب العالمين . انتهى الكلام على المسألة الثانية وبها تمّ القول في أمر حفظ الصحة التي هي أفضل من المعالجة في تفسير قوله تعالى : الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعني ويسقين .

فها نحن أولاء عرفنا جمال الله عز وجل وحكمته في الحيوان وأنه درجات وفي الإنسان وأنه أرقى ورأينا العلم ابتدئ في الحيوان وينتهي في الإنسان وأن هذا الأخير تماطى ما حوله من نبات وحيوان وغيرهما فأكمل ولبس وشرب ثم ظهر فيه أطباء استخرجوا بواطن الأشياء كما عرفوا ظواهرها ، أسروه بغسل جسمه والحفاظ علىه وتنظيفه ، ثم درسوا له جسمه وأجسام الحيوان فراءوا ما لا تراه أمم قبلنا من جيوش مدججيات بالأسلحة متقاتلات ثم أرواه الدودة الوسيدة في الخنزير الذي حرّم الله على الناس وبهذا ظهر أن دين الإسلام هذا وقت ظهور عجائبه بل هو دين الحب العام والعلم العام وأن حصر أفكار المسلمين في علوم الفقه في القرون المتأخرة بعد العصر الأول يظهر لي أنه كان عقاباً من الله لهم لما شره ماؤتهم على خطايا الدنيا وتركوا وصايا القرآن فخيرهم الله في قضايا البيوع والميراث والتاجرات والحيض والنفس وقالوا أيها المسلمون لقد أتقنت قضائى فيكم لأنى أرسلت نبي محمد ﷺ لينقذ الناس من الضلال وتعاليمه قد تجاوزت حدود الصين ودخلت أوروبا والكتب القديمة ترجت ، ولما علمت أن المتأخرين منكم لا يصلحون لإصلاح مبادئ أرجعتكم من أوروبا إلى الأقطار الأخرى وألهمت الأمم الأخرى أن تحمل العلم عنكم فرقوه بأمرى وأرجعت العلم الآن لكم من بلاد الغرب فطلعت شمس من مفر بها فهل أنتم متبهون ؟

اللهم إن هذا التفسير وامثاله التي فوجئ المسلمون بها اليوم سترجع هذه الأمة إلى سيرة السلف الصالح ويحيون الأرض بعد موتها وإلى الله عاقبة الأمور ، فلنشر اليوم مبادئ علوم الدين الإسلامي في هذا التفسير فالتفهنة قائمة والأمة مستيقظة وعين الله ترعاه . ألم نشرح لك صدرك . ولنختم الكلام في هذا القسم أى قسم حفظ الصحة ونشرع في القسم الثاني وهو المعالجة لتفسير قوله تعالى : وإذا مرضت فهو يشفين .

فأعجب لقوله تعالى : وإذا مرضت فهو يشفين . هو يقول : فهو يهدين * والذي هو يطعني ويسقين . ولم يذكر في ذلك لفظ . إذا . أما الشفاء فجعله معلقاً على الشرط وهذا من النكت اللطيفة لأن الأطباء أجمعوا أن تعاطي الأدوية أمر اضطرارى كاستعمال السلاح لطرد العدو ، ومن الحرج والجهد أن تترك أبواب الحصون في المدن حتى يلج منها العدو ويدخل ثم يحارب داخل البلاد ، فهذه هي حال المحافظة على الصحة ، فإذا حافظنا على صحتنا ثم رأينا مرضاً لم تقدر على الاحتراز منه هنالك نستعمل العقاقير ، أما ذلك الذي يشرب المسهل لكل طارئ ويتعاطى المقويات ويشرب التبغ والقهوة والشاي والكافور كما تقدم في (سورة طه) وغيرها فهو لاء ملومون يخربون أجسامهم بأيديهم ويفتقون حصون مدتهم لأعدائهم جهالة ، فهذا معنى قوله تعالى : وإذا مرضت فهو يشفين . معبراً بأذا الشرطية

﴿ الكلام على مداواة المرض وهو القسم الثاني من تفسير الآية ﴾

لقد وعدت في (سورة طه) أن أذكر لك ما استحسنته مما جمعه الزعيم الهندي (مهاتما غاندي) الذي نشره « المنار » في المجلد (٢٦) و (٢٧) من « مجلة المنار » ونشر في كتاب وحده وهذا نصه

﴿ الباب الأول . العلاج بالهواء ﴾

قد فرغنا الآن من البحث في أساسيات الصحة وأصولها وكذلك عن طرق مياستها والمحافظة عليها وأما جميع الناس رجالا ونساء يخضعون لقوانين الصحة ويمسكون بالتجرد التام لا تبقى أي حاجة للأبواب الآتية لأنهم يكونون في مأمن من جميع الأمراض والأوصاب سواء في أجسامهم أو عقولهم ، ولكن أين نجد هؤلاء الناس ؟ وأين الذين لا يصابون بالأمراض ، وعلى كل فانا كلما اعتنينا بالتمسك بالاصول التي دؤنت في هذا الكتاب فالأغلب اننا نسلم من الأمراض ولكن ان أصابنا مرض يجب أن نعالجه باهتمام والأبواب الآتية تبين كيفية العلاج بدون الاستعانة بالطبيب . إن الهواء النقي كما هو لابد منه لصيانة الصحة كذلك لا غنى عنه في معالجة الأمراض ، فالمصاب بالنقرس مثلا اذا عوج بالبخار الساخن يعرق بكثرة وتلين أعصابه وتستريح مفاصله ، وهذا القسم من علاج البخار يسمى (الاستحمام التركي)

ومن كان يشكو حتى شديدة فليجرد من ملابسه ويلقى في الهواء الطلق تنزل الحرارة حالا ويشعر براحة يئنة وعند ما يحس بالبرد يلف في ثوب فيعرق حالا وتزول الحمى سريرا ، ولكن ما نفعه عادة هو على عكس ذلك تماما حتى اننا نمنع المريض من البقاء في الهواء الطلق ولو اراده بنفسه ونغلق عليه جميع أبواب تجربته ونوافذها ونغطي جميع جسده مع رأسه وأذنيه بالأعطف والأغطية فتكون النتيجة أن المريض يجزع فيزداد ضعفا عن مقاومة مرضه . ينبغي أن نفهم أنه ان كان سبب الحمى شدة الحر فالعلاج بالهواء الذي ذكر آنفا غير مضر أصلا ويشعر بتأثيره حالا ، نعم يجب الاحتراس لئلا تأخذ المريض القشعريرة في الهواء الطلق فان كان لا يستطيع البقاء عاريا يجوز تغطيته جيدا بالدفار . إن تغيير الهواء علاج مفيد للحمى المزمنة وغيرها من الأمراض فالعادة العامة التي جرت بتغيير الهواء ليست إلا عملا باصول العلاج الهوائي وكثيرا ما نغير محل اقامتنا متوهمين أن البيت الذي تعاوده الأمراض محل الأرواح الشريرة ، هذا وهم محض

إن الأرواح الشريرة الحقيقية في مثل هذه الاحوال انما هي الهواء الفاسد في داخل البيت . إن تغيير البيت يتبعه تغيير الهواء وهذا هو الذي يدفع المرض . إن العلاقة بين الصحة والهواء قوية جدا حتى إن التغيير القليل له يؤثر حالا تأثيرا رديئا أو حسنا . يستطيع الاغنياء أن ينتقلوا الى أماكن بعيدة وأما الفقراء فتكذلك يستطيعون الانتقال من قرية الى قرية ، أو على الأقل من بيت الى بيت بل إن تغيير حجرة بحجرة في البيت نفسه كثيرا ما ينفع المريض نفعا محسوسا ولكن يجب مراعاة الاحوال ليكون للتغيير نفع حقيقي فالمرض الذي سببه الهواء الرطب مثلا لا يمكن علاجه بالانتقال الى محل رطب . وبما أن الناس لا يهتمون بمثل هذه الاحتياطات البسيطة الاهتمام الكافي لذلك لا يجدي تغيير الهواء نفعا في أكثر الأحيان

﴿ الباب الثاني . العلاج بالماء ﴾

إن الهواء غير منظور فنحن لا ندرك تأثيره الجيب ولكن عمل الماء وتأثيره الصحي يمكن ادراكه وفهمه بسهولة . يعرف جميع الناس شيئا من استعمال البخار وسيلة صحية فكثيرا ما نستعمله في الحيات ونعالج به وحده الصداع الشديد ، وكذلك المصاب بالوجع الروماتيزمي في المفاصل يشتر بالراحة السريعة عند استعمال البخار واتباعه استحماما باردا ، والسامل والقروح لاتبرأ بمجرد وضع المرهم أو الدهان عليها ولكنها تشفى تماما باستعمال البخار ، ثم إن الاستحمام الحار أو الاستحمام بالماء الحار يتبعه مباشرة الاستحمام البارد مفيد جدا في التعب الشديد ، وكذلك النوم في الهواء الطلق بعد الاستحمام البخاري يصحبه استحمام بارد نافع جدا في الأرق . إن الماء الساخن يصح استعماله دائما كبديل للبخار . واذا أصيب الانسان بوجع شديد في بطنه يشفيه حالا تدفئة البطن بقنينة مملوءة بماء مغلي توضع فوق قماش غليظ على البطن . واذا ما أريد التقيؤ يمكن ذلك بشرب كمية وافرة من الماء الساخن . إن الذين يشكون الامساك يستفيدون كثيرا بشربهم

كثرة من الماء الساخن إما وقت النوم في الليل أو بعد تنظيف الأسنان صباحا مباشرة
أن سير (جوردن سبرنج) قد عزي صحتة الجيدة الى تعوذه شرب كوبية من الماء الساخن يوميا قليل
النوم في الليل و بعد اليقظة صباحا إن كثيرا من الناس لا تلين معتادتهم إلا اذا شربوا الشاي صباحا فيعتقون
حقا أن الشاي هو الذي أحدث هذا التأثير مع ان الشاي وحده مفسر في الحقيقة وانما الذي أثر هذا التأثير
هو الماء الساخن في الشاي فهو الذي يلين المعدة ويزيل الامساك

قد اخترعت أرجوحة تستعمل عادة للاستحمام البخاري ولكنها ليست ضرورية جسدا بل يصح أن
يوقد و ابور من الاسبرتو أو الفاز أو كانون من الوقود أو الفحم تحت كرسى اعتيادي من الخيزران ويوضع فوق
الموقد قدر مملوء بالماء منطى بغطاء و يثرفوق الكرسي رداء أودثار بحيث تنزل أطرافه الى الأمام لتقي المريض
من حر النار ثم يقعد المريض على الكرسي ويلف في رداء أودثار وعند ذلك يرفع غطاء القدر بحيث يكون
المريض معرضا للبخار الذي يتصاعد منه ، أما ما تعودناه من تغطية رأس المريض فهو احتياط غير ضروري
إذ حرارة البخار تتصاعد من طريق الجسم الى الرأس وتسبب عرقا كثيرا في الوجه وان كان المريض ضعيفا
جدا بحيث لا يستطيع القعود حينئذ يصح أن يضجع على سرير ذي فتحات وفرجات ولكن يحترس أن لا يذهب
شيء من البخار سدى ، وكذلك كما لا يخفى يجب الاحتياط لئلا تصل النار ملابس المريض أودثاره ، وكذلك
تجب المراجعة التامة لحالة صحة المريض لأن استعمال البخار بدون مبالاة يخشى منه الخطر أيضا . إن المريض
لا بد من أن يشعر بضعف بعد هذا الاستحمام البخاري ولكن ضعفه لا يلبث أن يزول . إن الاكثار من
استعمال البخار يضعف البنية على كل حال ولذلك لا ينبغي أن يستعمل إلا للضرورة شديدة والبخار كما يستعمل
للجسد كله كذلك يصح استعماله لجزء خاص منه ، فمثلا اذا استعمل في الصداع فلا احتياج الى عرض سائر
الجسم له بل يوضع الرأس وحده فوق قدر صغير المملوء بماء فاتر ويلب عليه قماش ثم يستنشق البخار
بالأنف ليتصاعد الى الرأس ، واذا كانت المناخر مسدودة فهي تفتح بهذا العمل وهكذا ان تورم عضو من
الجسم فهو وحده يعرض للبخار

قليل من الناس يعرفون القيمة الصحية للماء البارد مع انه في الحقيقة أنفع في هذا الباب من الماء الساخن
ويمكن أن يستعمله حتى أضعف الناس بنيسة ، فالتلف بثوب مبادل بالماء البارد نافع جدا في الحمى والجذري
والأمراض الجلدية ويمكن لجميع الناس استعماله بدون أدنى خطر . إن الدوار والتهتر (جنون الحمى) يمكن
دفعه حالا بلف ثوب مبادل في ثلج مذاب على الرأس ، والذين يشكون الامساك ينفعهم جدا لف ثوب مبادل
بثلج مذاب على البطن حين من الزمن . وكذلك يمكن منع كثرة الاحتلام في أكثر الأحيان بهذه الطريقة
نفسها . إن نزف الدم من أى عضو كان يمكن منعه باستعمال ثوب مبادل بماء بارد مثالج . وكذلك الرعاف
يمنع بصب الماء البارد فوق الرأس . إن أمراض الأنف والزكام والصداع يمكن معالجتها باستنشاق الماء
البارد من الأنف ويمكن استنشاقه بمنخر واحد ومنخر آخر أو يستنشق بمنخرين معا ويخرج من الفم ،
ولا ضرر من وصول الماء الى المعدة إن كانت المناخر نظيفة ، إن هذه أحسن طريقة لجعل المناخر نظيفة دائما
وأما الذين لا يستطيعون استنشاق الماء بالمناخر فيجوز لهم أن يستعملوا المحقن ولكنهم يتعلمون بسى قليل كيفية
الاستنشاق بسهولة بل يجب على جميع الناس ان يتعلموها لأنها سهلة ونافعة جدا للصداع والرائحة الخبيثة في
الأنف وكذلك لازالة الأوساخ في مجرى الأنف

يخاف كثير من الناس من استعمال المحقنة بل يزعم بعضهم أن الجسم يضعف به ولكن هذه المخاوف ليست
إلا وهمية ليس هناك طريقة للاسهال القوى أكثر تأثيرا من هذه الطريقة وقد ثبت نفعها العظيم في كثير
من الأمراض حينما لم نجد غيرها من المعالجات ، ولا عجب فهي تنظف الأغشاء تماما وتمنع تراكم المواد السامة

بها ، إن الذين يأخذون الأوجاع الروماتيزمية أو سوء الهضم أو الأوجاع من سوء حالة الأحشاء الصحية ينبغي لهم أن يتحققوا بطلين من الماء فيرون تأثيره السريع القوي ، قال أحد الكتاب في هذا الموضوع إن كان يشكو مرة سوء هضم منهن واستعمل جميع الأدوية سدى وعيننا فنحتل جسمه بذلك ، وإن كان حقته الماء ردت اليه شبهة النجاسة وسفت من داءه في بضعة أيام حتى إن بعض الأمراض مثل اليرقان يمكن معالجتها باستعمال حقنة الماء . إن الذي يستعمل الحقنة أحيانا كثيرة يجب أن يستعمل الماء البارد لأن الماء الحار ربما يصفى البذبة بتدريجه . إن الدكتور الألماني (لويس كوهن) قد حكم أخيرا بعد التجارب المتوالية بأن العلاج المائي نافع في جميع الأمراض . وقد نالت كتبه في الموضوع قبولا عاما حتى أنها ترجمت الى جميع لغات العالم تقريبا ومن جملتها بعض اللغات الهندية . قل هذا الدكتور (إن البطن هو بيت الأدوية كلها فإذا كثرت الحرارة في البطن كثرة رائدة تيجلت على الجسم في صورة الحمى والروماتيزم والقروح والبثور وغيرها من الأمراض إن منافع العلاج المائي قد عرفها قبل (كيوهن) كثير أناس عديدون ولكنه هو أول من قال بأنه أصل مشترك لجميع الأمراض . لسنا بمجبورين على أن نسلم بأرائه كلها على علاتها ولكن الحقيقة التي لا مرء فيها هي أن أصوله وطرقه قد ثبتت نجاحها في كثير من الأمراض وإني أذكر لك مثالا واحدا من أمثلة كثيرة قد اختبرتها بنفسى وذلك في مصاب بروماتيزم شديد جدا فقد حصل له الشفاء التام بطريقة (كيوهن) بعد أن خابت جميع المعالجات الأخرى .

قال الدكتور كيوهن (إن حرارة البطن تزول باستعمال الماء البارد) وعلى ذلك أكد غسل البطن ومحاولة من الأضياء بماء بارد جدا . ولتسهيل الغسل قد اخترع نوعا خاصا من المغسل من الصفيح ولكنها ليست لازمة إذ قصاع الصفيح الملائية الشكل في مقادير مختلفة لأناس مختلفي القامات التي تباع في أسواقنا تقوم مقامها تماما . يجب أن يملأ ثلاثة أرباع من القصعة بالماء البارد ويجلس فيها المريض بهيئة تبقى معها رجلاه وجسمه الأعلى خارج الماء ويبقى وسطه من المخذ الى مافوق البطن في داخله والأحسن أن تسند الرجلان على كرسي قصير ويجلس المريض في الماء عاريا بالمره وإن كان يحس بالبرد يغطي رجله وجسمه الأعلى برداء وإن لبس القميص فليبق القميص خارج الماء بالمره . يجب أن يكون هذا الغسل في مكان طلق حيث يكثر الهواء النقي والنور ثم يفرك بطنه بنفسه أو غيره بخرقه خشنة من خمس الى ثلاثين دقيقة أو أكثر فيرى نفع هذه العملية حالا في أكثر الأحوال . ففي الروماتيزم مثلا يأخذ المريض في الخروج حالا في صورة الحشاء وغيره . أما في الحمى فتزول الحرارة درجة أو درجتين وتنظف الأحشاء بهذه العملية تماما ويؤزل التعب وإن كان يشكو الأرق محل محله النوم وإن كان النعاس والارتخاء يأخذ مكانه اليقظة والنشاط . لا تعجب من اختلاف النتائج لأنه ليس في الحقيقة أمرا عجيبا كما يظهر وذلك لأن قلة النوم وكثرته علتها واحدة وكذلك الدوسنتاريا والإمساك اللذان هما نتيجة لسوء الهضم يعالجان بنفس هذه الطريقة ، والبواسير المزمنة يمكن معالجتها أيضا بهذا الاستحمام مع ترتيب حسن في الغذاء ، والذين يشكون كثرة البصاق الدائم يجب أن يسرعوا حالا الى هذا العلاج ، وكذلك المصابون بالضعف يتقوون بهذه الطريقة وقد عولج بها حتى الروماتيزم المزمن فشفي تماما وهو كذلك علاج مؤثر في النزف الدموي والصداع وقد قال عنه (كيوهن) انه علاج ثمين حتى للسرطان والحامل التي تستحم هذا الاستحمام بنظام تجد الوضع سهلا ، والخاصل انه يمكن لجميع الناس بدون استثناء في العمر والجنس الاستفادة به . وهناك نوع آخر من الاستحمام يسمى (ويت . شيت . بك) وهو علاج نافع دائما للأمراض المختلفة وطريقته كما يأتي (يوضع سرير أو كرسي يمكن نوم المريض فيه براحة نامة في هواء طلق وينشر فوقه نحو أربع بطانيات كبيرة يتدلى طرفها من جانبيه أو أكثر أو أقل حسب حالة الجو وتنشر فوقها ملاعتان بيضاوان مغموستان في الماء البارد وتوضع المخذة تحت البطانيات

في طرف من السرير وعند ذلك يجرد المريض من ثيابه إلا إزاره سفير في وسطه إن كان يريد أن ينام على الملاءتين مع بسط يديه حذاء جنبه وعند ذلك تلف الملاءتان ومن فوقهما البطانيات على جسمه مع الاعتناء برفع الأطراف النازلة جهة الرجل حتى تغطيها جيدا ، وإن كان المريض متعرضا للشمس يوضع ثوب مبلول فوق رأسه ووجهه مع ترك الأنف مكشوف دائما فيشعر المريض في أول الأمر ببعض القشعريرة واسكنها لا تلبث أن تزول ويحمل معها الشعور بحرارة لذيذة فيبقى في هذه الحالة من خمس دقائق إلى ساعة أو أكثر وبهدوء يتسبب العرق من جسمه ويفرق هوائا في النوم في أكثر الأحوال ، وعقب خروجه من هذه اللقطة يجب أن يغتسل بالماء البارد وهذا علاج ناجع للجذري والحصى والأمراض الجلدية مثل الجرب والقوباء والنفطات والدمامل حتى أن أقبح أنواع الحصبية والجذري يشفى به تماما ويمكن لسائر الناس أن يتعلموا بسهولة استحمام (ويت . شيت . باك) بأنفسهم ويصفوه لغيرهم وهكذا يرون بأنفسهم تأثيره العجيب ، وبما أن الداس كله ينتقل من الجسم إلى الملاءة السفلى الملائقة للبشرة يمتنع أن تستعمل ثانيا بدون غسلها جيدا في ماء فاتر لا احتياج إلى التذكير بأن الفائدة التامة من هذه الاستعمالات لا يمكن أن تحصل إلا بعد مراعاة الأصول التي ذكرت في أبواب الغذاء والرياضة وغيرها مراعاة تامة فإن كان المصاب بروماتيزم مثلا يستحم استحمام (كيوهن) أو استحمام (ويت . شيت . باك) ولكن يأكل غذاء رديئا ويعيش في هواء فاسد ويعرض عن رياضته فلا ينال أي فائدة من الاستحمام . إن المراعاة التامة لجميع قوانين الصحة هي التي تجعل العلاج المائي نافعا ناجحا بلاريب والا فلا

(الباب الثالث . العلاج بالتراب)

نشعر الآن في بيان الخواص الصحية للتراب الذي نفعه أكبر من الماء في بعض الأحوال . لا ينبغي لنا أن نتعجب من خواصه لأن جسمنا نفسه مركب من عناصر أرضية وفلا نحن نستعمل التراب للتطهير فنغسل به الأرض نزيل الروائح الخبيثة منها ونغطي به الأشياء المتعفنة لنمنع فساد الهواء وننظف به أيدينا . وكذلك نستعمله لنظف أواني المراحيض . إن رهبان الهندوس يلمطخون به أجسادهم ويعالج به بعض الناس القروح والبثور وتدفن الأموات فيه لئلا يفسد الجوّ . كل هذا يثبت جليا أن في التراب كثيرا من الخواص الثمينة للتطهير والعلاج . وكما أن الدكتور (كيوهن) بذل جهده الخاص في موضوع العلاج المائي كذلك الدكتور الألماني الآخر قد تفرغ لدرس التراب وخواصه وقد توسع حتى قال بأن التراب يمكن استعماله بنجاح في معالجة جميع الأمراض حتى أشدها وأعقدها . وقد حكى عنه أنه قال (لسم أسبان رجلا فيئس الناس من حياته ولكنني داريته بأن واربه في التراب مدة من الزمن فرأى السم من جسمه وشفى تماما)

ليس لنا أن نطعن في صدق الدكتور لأننا نعلم أن حرارة شديدة تتولد في الجسم إذا دفن الإنسان في الأرض وأنا وإن كنا لا نستطيع بيان تولد التأثير تماما لا يمكن أن ننكر أن في التراب خاصية جذب السم . أجل قد لا تنجح هذه الطريقة في كل حادثة للسوء ولكن يجب حتما تجربتها في كل حادثة وأنا أستطيع أن أقول بتجربتي الشخصية أن استعمال الطين في مثل حوادث لدغ العقرب نافع جدا

قد جربت بنفسى الأشكال الآتية للعلاج الترابي ونجحت فيها ، فالإمسالك والدوسنطاريا ووجع المفاصل المتأصل قد عالجته باستعمال لبخة من الطين فوق البطن يوميا مدة يومين أو ثلاثة أيام وقد تحقق النفع العاجل في حوادث الصداع باستعمال ضمادة طينية تشد على الراس ، وكذلك قد عولجت العيون المتهيجة بنفس هذه الطريقة فشفيت . إن الإصابات سواء كانت متورمة أو غير متورمة تعالج كذلك بها ، وإنى قد كنت في حياتي الماضية السوداء لا أستريح بدون المواظبة على استعمال ملاح الفاكهة (فروت سالت) وماشاكاه من المسهلات ولكنني منذ عامت في سنة ١٩٠٤ قيمة العلاج الترابي لم أستعمل أي مسهل ولا مرة واحدة إلى الآن

إن لبخة طينية فوق البطن والرأس تنفع كثيرا في الحمى الشديدة وأن الأمراض الجلدية مثل الدمل والقروح والقوباء والحرق بالنار أو الماء الحار قد عولجت بالطين أيضا إلا أن القروح النقيحة ذات الصديد لا تشفى به بسهولة وكذلك البواسير تعالج بنفس هذا العلاج ، وإذا احترت الأيدي والأقدام وتورمت بسبب البرد فالطين علاج نافع جدا لها وكذلك وجع المفاصل يزول به ، فهذه وغيرها من التجارب في العلاج الترابي قد علمت أن التراب عنصر مفيد للعلاج البتة للأمراض

نعم إن جميع أنواع التراب ليست بنافعة على سواء ، فالتراب الجاف الذي حفر في مكان نظيف يكون أنفع بكثير من غيره . لا ينبغي أن يكون التراب لزجا جدا بل أحسنه ما كان بين الرمل والأملس ويجب أن يكون خاليا من الروث والقذرة فيصفى جيدا في غربال نفيس ويحجن بماء بارد عجنا جيدا قبل الاستعمال ثم يربط في قماش نظيف غير مكوى ويستعمل كلبخة غليظة ، ويجب رفعها قبل أن يأخذ الطين في اليبس وهو لا يتجفف في الأحوال العادية من ساعتين إلى ثلاث ساعات . إن الطين الذي استعمل مرة لا يستعمل بعد ذلك أبدا ولكن الثوب المستعمل يصح استعماله ثانيا بعد أن يغسل جيدا لينتظف من الدم وغيره من المواد الوسخة وإذا أريد استعمال اللبخة على البطن يوضع فوقه قماش دافئ . يجب شلى جميع الناس أن يبقوا عندهم صفيحة من التراب المجهز للاستعمال لئلا يضطروا إلى البحث عنه هنا وهناك عند الحاجة إليه وربما تفوت الفرصة في حوادث مثل لدغ العقرب التي تؤدي إلى التأخير فيها إلى خطر شديد

﴿ الباب الرابع . الحمى وعلاجها ﴾

لننظر الآن في بعض الأمراض الخاصة ونبحث في طرق علاجها وأولها الحمى . نحن نطلق كلمة (الحمى) على حالة للحرارة في الجسم غير أن أطباء الأفرنج قد نوعوا هذا الداء على أنواع كثيرة وخصصوا لكل منها علاجاً ولكننا نظراً للخطة التي سلكناها في هذا الكتاب والأصول التي دونناها فيه نقول إن أنواع الحمى كلها يمكن معالجتها بعلاج واحد وبطريقة واحدة . لقد جربت هذا العلاج الساذج في جميع أنواع الحمى من أخفها إلى أشدها مثل الطاعون القلدي وحصلت على نتائج حسنة عامة فقد انتشر هذا الطاعون سنة ١٩٠٤ بين الهنود في أفريقية الجنوبية وقد كان فظيها للغاية حتى إن (٢٣) إصابة حدثت قدمات بها (٢١) نفسا خلال (٢٤) ساعة . أما الاثنان اللذان بقيا فقد أرسلنا إلى المستشفى ولكن لم يسلم منهما إلا واحد وقد كان هذا الناجي هو ذلك الذي استسلم له اللبخة الطينية . نعم ليس لنا أن نستنتج من ذلك بأن هذه اللبخة هي التي شفته ولكن مما لا شك فيه أنها لم تضره أي ضرر . كلاهما كانا مصابين بحمى شديدة كان سببها التهاب الرئوى وكانا قد أغمى عليهما وكان الرجل الذي استعمل عليه اللبخة الطينية في أخطار الأحوال فكان يبصق الدم وعلمت بعد ذلك من الدكتور بأنه كان لا يغذى إلا بلبين قليل جدا

وبما أن أكثر أنواع الحمى تكون نتيجة للارتباك في الأحشاء فأول ما ينبغي عمله هو تجويع المريض والقول بأن الضعيف يزداد ضعفا بالتجويع وهم باطل إذ علمنا بما تقدم أن الجزء الذي ينفع من الغذاء إنما هو ذلك الذي يتحلل في الدم . وأما الباقي فيبقى حلا على المعدة . وبما أن القوى الهاضمة تضعف جدا في الحمى لذلك يتوسخ اللسان وتتصلب الشفاه وتجف فإن أعطى المريض طعاما في هذه الحالة فلا ينهضم ويزيد الحمى ، ولكن التجويع يعطى القوى الهاضمة وقتا لاتمام أعمالها ولذلك فإن تجويع المريض ليوم أو يومين ضرورى . وكذلك يجب عليه في الوقت نفسه أن يستحم كل يوم على الأقل مرتين على طريقة (كيوهن) فإن كان ضعيفا أو مريضا إلى درجة لا يستطيع فيها الاستحمام يجب أن تستعمل على بطنه اللبخة الطينية وإن يشتك الرأس كبيرا أو يحس بحرارة شديدة تستعمل اللبخة على رأسه أيضا ومهما أمكن ينبغي أن ينوم المريض في الهواء الطلق ويغلى جيدا ويعطى وقت الطعام عصير الليمون بعد أن يصفى جيدا ويمزج بماء بارد أو مغلى حار

ولا يخلط معه السكر ما أمكن . إن هذا العصير يؤثر تأثيرا نافعا جدا ويقدم وحده للمريض إن كانت أسنانه تحمل حموضته ويجوز بعد ذلك أن يقدم إليه نصف موزة أو موزة كاملة بعد أن تمزج جيدا بملعقة من زيت الزيتون وبلعقة من عصير الليمون وإن كان المريض يحس بالهطش فيعطى ماء مغليا مبردا ولا يسمح له بشرب ماء غير مقلى ويجب أن تكون ملابس المريض خفيفة وتغير كثيرا

وقد شفى بهذا العلاج السهل محمومون كثيرون حتى الذين أصيبوا بالحمى التيفودية وأمثالها من الأمراض الخطيرة وهم يتمتعون إلى الآن بصحة نامة . إن (السكينا) كذلك تؤثر وتنفع بآدى الرأى ولكنها فى النتيجة تجلب أمراضا أخرى حتى إن الحمى الملاريا التى تعتبر فيها السكينا نافعة جدا قلما رأيتها تعطى شفاء دائما ولكنها بالعكس رأيت حوادث مختلفة فى المصابين بالملاريا قد شفوا شفاء دائما بالعلاج الذى ذكر آنفا

يقتصر كثير من الناس على اللبن وحده أثناء الحمى ولكنها وجدته بتجربتي مضرا فى الدرجات الأولية من الحمى لأنه عسر الهضم فإن كان لابد من اللبن فالأحسن أن يكون مخلوطا بقهوة القمح أو بقليل من دقيق الرز المقلى جيدا بالماء ولكن لا يصح أبدا أن يعطاه فى الحمى الشديدة بل ينفع فى مثل هذه الحالة عصير الليمون نفعا كبيرا فإذا زالت الحمى وتنظف اللسان يصح أن يزداد الموز فى الغذاء على الطريقة الميئة آنفا وإن كان هناك إمساك فحقة من الماء الساخن والبورق (لزاق الذهب) عوضا عن المسهل يصحبها غذاء زيت الزيتون لتنظف البطن جيدا

الباب الخامس . الإمساك والدوسنطاريا والمغص والبواسير

يبدو لأول وهلة ذكر هذه الأمراض الأربعة المختلفة فى باب واحد عجيبا ولكن الحقيقة أنها كلها مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا شديدا ويمكن معالجتها تقريرا بطريقة واحدة لأنها إذا انضطت المعدة بغذاء غير مهضوم سببت مرضا من هذه الأمراض حسب استعداد الرجل واختلاف بنيته فيحدث عند بعضهم الإمساك فلا تتحرك المعدة مطلقا أو تتحرك بعض التحرك أو يحدث وجع شديد عند قضاء الحاجة حتى أنه ينتج نزيف الدم أو المادة المخاطية أو البواسير ويحدث لبعضهم الاسهال الذى كثيرا ما ينتهى بالدوسنطاريا ويحدث لبعضهم المغص المعوى الشديد مصحوبا بالوجع فى البطن والمادة المخاطية فى البراز ، وفى جميع هذه الحوادث يقهى المريض أى يفقد شهوة الطعام ويصفر جسمه وتضعف بنيته ويتوسخ لسانه ويتعفن نفسه ، وكذلك يتذى كثير من الناس بالصداع وغيره من الأمراض . إن الإمساك عام جدا حتى إن المئات من الحبوب والمسحوقات قد أوجدت لمعالجته . إن الوظيفة الأصلية لمثل هذه الأدوية المسجلة مثل ملح الفاكهة (فروت سالت) إزالة الإمساك ، ولذا ترى ألولا من الناس يجرون وراءها فى رجاء باطل لينالوا فيه الشفاء . كل طبيب يخبرك بأن الإمساك وما شاكله من الأمراض إنما هو نتيجة لسوء الهضم فأحسن طريقة لمعالجتها هى إزالة سبب سوء الهضم وقد صرح أصدقهم قولا بأنهم قد اضطروا إلى اختراع هذه الحبوب والمسحوقات لأن المرضى لا يتركون عاداتهم القبيحة التى ألفوها وفى الوقت نفسه يريدون الشفاء

إن أرباب الاعلانات عن هذه الأدوية يبالغون مبالغة عظيمة حتى أنهم يعدون الذين يشترونها بأنهم لا يحتاجون إلى مراعاة أى أصل من أصول الغذاء والوقاية بل يجوز لهم أن يأكلوا ويشربوا ما يحبون إذا استعملوا أدويتهم ، وأظن أن قرائى لا يحتاجون إلى التذكير بأن هذا كذب محض . إن جميع أنواع المسهل حتى أكثرها اعتدالا مضر بالصحة لأنها وإن أزال الإمساك ونفعت نفعا بالجملة تحدث أنواعا أخرى من الأمراض فيجب على المريض أن يغير طرق معيشته تماما حتى لا يضطر إلى المسهل مرة أخرى فيقع فى مرض جديد . إن أول ما يجب عمله فى حالة الإمساك وأمثاله من الأمراض هو تقليل الغذاء لاسيما السمن والسكر والقشدة وما شاكلها والاحتراز التام من الخمر والدخان والحشيش والشاى والقهوة والكافور والخبز المصنوع من

دقيق المطاحن وأن يحتوي الغذاء في أكثر أجزائه على ثمار طرية مع زيت الزيتون يجب ان يجوع المريض قبل البدء في العلاج (٣٧) ساعة وتستعمل أثناء هذا ويمده البسطة الطيفية على البطن أثناء النوم ويستريح المريض كما ذكرنا مرة أو مرتين كل يوم على طريقة (كيوهن) ويجب أن يكره المريض على المشي على الأقل ساعتين كل يوم . لقد رأيت بنفسى أشد حوادث الإمساك والدوسنطاري والبواسير والمغص قد شفيت تماماً بهذا العلاج السهل . لاشك أن البواسير لا تزول كلية ولكنه يبطل أذاها حتماً . ثم انه يجب على المصاب بالمغص أن يحتاط فلا يأكل شيئاً غير عصير الليمون في ماء طارحتى يبطل نزيف الدم أو المخاطية وان كان وجع المغص شديداً جداً في المعدة يمكن معالجته بتسدفئة البطن بقارورة من ماء ساخن أو بآجر ساخن جداً ، ولا احتياج الى التنبيه بأن المريض يجب أن يعيش في هواء طلق . إن الثمار مثل البرقوق والزبيب والبرتقال والعنب نافعة خاصة في الإمساك لكن ليس معنى ذلك انها تؤكل حتى بدون الجوع ولا يجوز تناولها أصلاً في حال المغص الذي يصعبه طعم رديء في الفم انتهى بالحرف

﴿ فوائد صحية عامة ﴾

(من كتاب ويلسكوكس في الطب)

- (١) حسن المضغ يمنع البواسير ، وفيه فوائد كثيرة ويكفي الانسان نصف ما يأكله عادة
- (٢) تحديد مواعيد الأكل يمنع الإمساك
- (٣) كل من غير أن تشرب واشرب من غير أن تأكل . إن الأكل من غير شرب عدو الإمساك فلتشرب بعد الأكل بساعتين أو ثلاث أو أربع باختلاف الأحوال ولك أن تشرب قبل الأكل بساعة أو بنصف ساعة
- (٤) كل بمقدار طاقتك
- (٥) يجب تنظيف المعدة بدون دواء كل سنة لأكثر الناس مرة أو مرتين وذلك بصيام (٤) أو (٧) أو (١٠) أو (١٣) يوماً فلا يشرب إلا عصير الفواكه مثل البرتقال والليمون والعنب مع الماء ، والتين الشوكي ينظف المعدة اذا أكلته صباحاً قبل كل أكل
- (٦) لا تشغل عقب الأكل والا كنت معرضاً للإمساك
- (٧) اذا مشيت كيلومترين قبل النوم فهو يمنع الإمساك
- (٨) لاتأكل الفواكه قبل نضجها ولا الخضراوات الباتية وامتنع عن الفطير والسكر الأبيض والحلويات ومتى كان عندك إمساك لاتعاط إلا عصير الليمون والبرتقال
- (٩) كل طيبخ طيبخ مرتين نضيج قوته تقريباً
- (١٠) هذه الفواكه مرتبة حسب منفعتها (البرتقال ، اليوسف أفندي ، الليمون الأفريقي والبلدي والتين ، والتفاح ، والعنب ، والكمثرى ، والبرقوق ، والخوخ ، والمان ، والفراولة ، والبطيخ ، والشمام ، والجوافه) كل هذه الفواكه وكل كل قشرها الذي تقدر عليه ثم الزبيب المنقوع في الماء عشر ساعات يقوم مقام العنب

(١١) اذا كان طفل عنده جرب فليعط عصير البرتقال كل يوم فانه يبرأ ، وقد ظهر للأطباء قوى ثلاثة عليها مدار الحياة قوة (أ) و (ب) و (ج) فقوة (ج) تساعد الهضم وتمنع الجرب وتحرس الدم وتنظفه وهي ﴿ أربع درجات ﴾ الدرجة الأولى ﴿ البرتقال ، الليمون ، الطماطم ، كل الخضراوات الخضراء بورقها الأخضر ﴾ الدرجة الثانية ﴿ البصل ، الجزر ، السكدة النية ، ورق الفجل ﴾ الدرجة الثالثة ﴿ بقى الفواكه تقريباً والخضراوات الخضراء المطبوخة مدة قصيرة والبطاطس المسلوقة واللبن الحليب الذي لم يغل والسكدة المطبوخة مدة قصيرة ﴾ الدرجة الرابعة ﴿ اللفت الأبيض البنجر . وأما قوة (ب) فهي ﴿ ثلاث درجات ﴾ الدرجة

الأولى في الخلية والسق الذي في القمح (الدرجة الثانية) القمح ، الفول ، البسلة ، الدقيق بحاله أى مع الردة والسق ، ومعنى هذا انه لا ينخل والجوز وصفار البيض والكبد والقلب واللحمة والسكية والمنع . وقوة (ا) تنفع من ضعف الأسنان كما ان قوة (ب) تساعد في منع مرض (البري بري) الذي ينتج من أكل الرزالمقشور وقوة (ج) تساعد على الهضم وتمنع الجرب وتحفظ الدم وتنظفه كما انها وهى (أربع درجات بالدرجة الأولى) زيت كبدا لوت (الدرجة الثانية) بطارخ السمك ، الزبدة ، صفار البيض (الدرجة الثالثة) الكبد ، السكية ، قلب الحيوان ، المعده الطازج ، اللبن الحليب ، جميع الخضراوات ، الجزر ، الطماطم (الدرجة الرابعة) جميع الطعام المسنوع من الدقيق الذي لم ينخل أى لم يخرج منه النخالة ولا السق (جدول لأدوية طبيعية)

مرض	دواء طبيعى
السكية	أكل البقدونس ، كشك الماز ، فجل
الأعصاب	أكل الخس والسبانخ
مرض الرجرج	أكل الطماطم والليمون
لأجل حصول الشجاعة	أكل البرتقال والليمون

(لطيفة في إزالة سوء الهضم)

ابتدى بتنظيف المعدة ثم كل من غير أن تشرب الخضراوات المطبوخة مثل (السبانخ ، الخس ، الجزر ، البصل ، الكرفس ، الكرنب ، البامية ، الباذنجان ، الخبيزة ، الملوخية ، أوكل الخضراوات التى لم تطبخ وإذا كانت أسنانك ضعيفة يجب أن تدقها فى (هاون) وهى (الخس ، الكرفس ، الطماطم ، الكرنب ، الفجل ، الخيار) خصوصا قشره واعصر عليها زيتا مع ليمون ، أوكل فواكه مثل (البرتقال ، التين ، الرمان ، العنب ، البرقوق المسلوقة مدة قليلة ، التفاح المحمر) فهذه تبعد عنك سوء الهضم ، انتهى ما ردته من الفوائد الطبية

فقال صاحبي ، أهذا كتاب طب حتى انك تكثر فيه من هذه المسائل . فقلت ليس كتاب طب وإنما هو كتاب الله تعالى والله يقول على لسان نبي من أنبيائه - وأد مرضت فهو يشفين - فقله - فهو يشفين - جلة اسمية خبرها فعل مضارع تقتضى الثبات والدوام مع التجدد كقله - هو يحي ويميت - فهنا نستفيد (فائدتين) فائدة الطب العملي ينتفع به قارئ التفسير وفائدة علمية حكيمية . ألا ترى رعاك الله أن الأذكاء يدهشون حينما يقرؤن فى هذا التفسير أن السكية فى جسم الانسان اذا مرضت قد زرع الله لها فى حقولنا البقدونس والفجل وألهم الناس فصنعوا لها الكشك . وأن أعصابنا اذا مرضت خلق الله لها الخس والسبانخ وأن نفوسنا اذا أصابها الخور والجبن والخوف ذهب ذلك بما أنبتة هو لها فى الارض من شجر البرتقال والليمون وأن مرض الرجرج أنبت الله له الطماطم والليمون . وأن مرض الجرب ومرض الامساك وعدم نظافة الدم ينفعها كلها أكل مافى قوة (ج) من الأطعمة مثل الطماطم والجزر وهكذا . وأن مرض الأسنان يزول بأكل مافى قوة (ب) وأن الجير الذى يشفى الجروح وينقى العظم يوجد فى الكرنب واللبن والجبن التى لم يزرع زبدها والسبانخ والبصل والشمس والتين والبرقوق والطماطم والكرفس والبامية والردة وآلة المغنسيوم الذى يساعد الفضلات ويمنع الفتق موجود فى السبانخ والخس والخيار والطماطم والبرتقال والشير والذرة والقمح والليمون والتين والبامية . وأن السكرى الذى ينظف الدم وهو عدو الروماتيزم موجود فى السبانخ والقرنبيط واللفت والفجل الأحمر والطماطم والقرلة وكشك الماز والجزر والكرنب والبصل والبامية . وأن الفوسفور

الذي يغذى المخ موجود في السمك والخمص وصفار البيض والسبانخ والكشك (الماز) والفجل والقنبيط والخيار والجوز والبسلة والعنبر والقمح . وأن الحديد الذي يعطى الدم حرته ويمنع فقر الدم موجود في الكرنب الأحمر والسبانخ والبصل والزبيب وصفار البيض النبيء والتمر والبرقوق والبنجر وكشك (الماز) والطماطم . وأن الكنورين المساعد للهضم المنظف للمعدة موجود في الكرنب وماعج البحر والجزر والسبانخ والمابن وسمك البحر المالح والفجل والجبنه وجوز الهند والبنجر

وأن كبار الأطباء كما جاء في ﴿ مجلة الجديد ﴾ يقررون أن مخ الانسان تهلوه طبقة خضراء رقيقة هي وحدها مصدر تفكيره وهي تتجدد في كل ست سنوات وتكون في كل مرة مخالفة من حيث طبيعة مادتها للطبقة السابقة ، وذلك لعدة عوامل أهمها اختلاف الغذاء ، فإذا كان الشخص مثلاً قد وجدت عنده رغبة وقتية في أن يكثر من أكل الجزر فإن الخلايا التي تتكوّن في الدهن تكون (فوسفورية) وتتكوّن صالحة للتفكير وتكون على العكس من ذلك إذا أكثر من أكل الخوخ . وإذا استمرّ الانسان مدة ثلاثة شهور يأكل التفاح كان ذلك منتجاً لخلايا قوّة التفكير . ويعرف « الشليك » بأنّه من أحسن أنواع الأغذية في هذا الشأن . وعلى ذلك يكون الدهن متغيراً حسب الفصول وما ينتج فيها من الثمار والحبوب (وأحسن أوضاع خلاياه ما كان في شهر ديسمبر أو مارس وأسوؤها ما كان في أغسطس وأكتوبر) وأن الدهن وإن يكن يتغير بأجده كل ست سنوات فالتغير الجزئي يحصل فيه من وقت لآخر وعلى ذلك يكون الدهن في كل حين قصير بشكل جديد . ويقدر عدد هذه الأشكال التي تظهر في رأس انسان عاش ثلاثين عاماً نحو (١٨٠) شكلاً أي (١٨٠) ذهنًا مختلفاً . وإذا كان هذا الشخص قد ابتداءً يفكر وله من العمر (٥) سنوات فإن مقدار ما عرض له من الأفكار التي اشتغل بها ذهنه يبلغ (١٨٩٢٠٠٠٠٠٠٠) فكرة . وإذا كان يشتغل عملاً عقلياً فإن عدد أفكاره يكون ضعف ذلك . ويبلغ ذهن المرأة نحو (٥٠) أوقية وهو أخف من ذهن الرجل ولكنه أجود من حيث المادة وأشد كثافة منه . ويمتاز ذهن المرأة في الستين من عمرها بنحو ٢٠ في المئة على ذهن رجل في سنّها

وانه ليس بين الثمار ما هو أعظم نفعاً من الليمون فإن فوائده الكثيرة لا يمكن أن تقدر فإن في استعماله اقتصاداً للوقت والمال وتخفيفاً للعمل والمشقة ولا يمكن أن يحصى ما يستعمل فيه من الأغراض . فإذا أريد تنظيف المناديل وقطع النيل يوضع معها عند الغلي قطع من الليمون فإنها تصير بيضاء كأنها جديدة . وإذا أريد أن يحلى النحاس بسرعة وأن يمكث بريقه ولمعانه مدة طويلة فليحك بخرقه مبتلة بعصير الليمون . ويمكن أن ينظف به الرخام الأبيض إذا تغير لونه بتأثير الدخان أو غيره . وإذا أرادت ربة الدار أن تذهب من يديها رائحة السمك النبيء بعد أن قامت بتنظيفه فليستعمل الليمون بدلاً من الصابون . وإذا تأملت العين من أثر الرمذ فليقطر فيها بعض نقط الليمون . وإذا ظهر في الوجه الخش يمكن إزالته بشرب عصير الليمون في كوب ماء في الصباح . وإذا ظهر اسوداد في الأسنان يمكن جعلها بيضاء إذا استعمل الفحم وعصير الليمون وهكذا من الفوائد التي يطول سردها . انتهى والله أعلم

أقول لك أيها الذكي إذا قرأ هذا القول قراء هذا التفسير يدهشون ويعجبون ويقولون هذا الجير نراه أمامنا . وهأنذا في مصر أراه يستخرج من جبالنا وأصله وأصل جميع الجبال مخلوقات في البحر المالح يرثي هناك في أجيال ودهور فهذا الجير أدخله الله في نبات الكرنب والسبانخ والبصل والمشمش والتين وهكذا الخ وأعد هذه كلها للانسان وجعلها مضمة لجراحه مقوية لعظامه . وهنا موضع الدهشة . بعض الجير يدخل في البصل والمشمش مثلاً وكلاهما يشفي الجروح ويقوى العظم . فهذا عجب . ماهذه العجائب . جير يدخل في نبات يصلح جسم الانسان . إن العقلاء إذن يقولون إن الله مافرق هذا الجير في أنواع النبات ثم أحوج

الانسان اليد إلا لأمر عجب وهو أن يدرس هذا الوجود . إذن هذه الأمراض خلقت فينا لنعلم . فن اقتصر على مجرد علم الطب فيها ونعمت ، فالطبيب عالم والمريض يتداوى بماعلم الطبيب ولكن ليعلم الطبيب والمريض أنهما لم يخلقا هذه الدنيا وحدها فالمداداة الجسمية لهذه الحياة ولكن المداداة العقلية هي المقصودة بالذات وهي أن النفس تتغذى بهذه العلوم وتسعد وتتذكر جمال هذه الدنيا وأن الحكمة التي أبدعت الجير أولاً ثم احتالت في ادخاله في النبات ثم أبدعت الانسان وألهمته أن يتداوى ويتغذى بتلك النباتات تريدنا شيئاً أعلى من هذه الحياة وهو أن نكون سادة هذه المادة وأن هذه المادة لوحنا نقرأه وكتابنا نفهمه . إذن المداداة الجسمية مقدمة للمداداة العقلية . يمرّ الناس على هذه العجائب ويحمدون ربهم انه قد شفاهم من أمراضهم والأطباء يفرحون بأنهم نجحوا في طبهم . إن الوقوف عند هذا حقارة لهذه الانسانية في الأرض ، فلينظر هذا الانسان لم خلق . إن الأمراض عظيم . يمرّ الليل والنهار ونرى الكواكب ليلاً والنبت وغيره نهاراً وتمرض أجسامنا وتصح والفيلة مستحكمة في أكثر الناس ونرى الأمم تفرح بأنها غلبت أمماً أخرى والناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله اليوم شديد . اشتدت الحرب على الأمم والعداوة والأمراض في الأجسام وكر الليل والنهار والناس كلهم غافلون . إني أرى هذا الانسان محبوساً في هذه الأرض ويخيل لي انهم كلهم يجلدون ويهذبون . ذلك لجهلهم ولقصور عقولهم ، فالليل والنهار يرجعان لعوالم جيلة والأمراض في الأجسام يراد بها فتح البصائر لما في الأرض من العجائب

فلهي أي مناسبة بين عصير البرتقال وبين الجرب ، فالذي عنده جرب يشرب هذا العصير فيذهب المرض وأي مناسبة بين نحو البرتقال والليمون والطماطم وما أشبهها من كل أنواع قوّة (ج) وبين شفاء الجروح وكذلك ما العلاقة بينها وبين العين بحيث إذا قلت تلك القوّة مرضت العين وتعم قوّة (ج) يمنع مرض العين وهذا تعاطى زيت كبد الحوت يشفي العين ، فما هذه المناسبات في البر والبحر للعين والجلد أقسم طنطاوى قسماً حقاً لاحاتاً فيـه ولا آثماً أن هذه كلها لغات أفصح من لغات الألسنة فالمرض لغته تفهم العناصر الأرضية وتذكرنا بها اجالا والنور والظلمات لغتان لبحث العجائب السماوية وهذا مما يرمز اليه قوله تعالى - يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن - فهذه الأمراض عذاب لنا ولكنها من جهة أخرى رحمة لأنها مذكرات لنا لنعلم هذه العوالم فنرقي الى عوالم أخرى أرقى من هذه الأرض المبرع عنها بالجنات فقله تعالى - فهو يشفين - معناه أن الأمراض تتجدد بتجدد الأجيال والنباتات وغيرها تتجدد بتجدد تلك الأمراض وأنا الذي أدير الأفلاك وأنظر لكم في أرضكم وأصلح أحوالكم وأصنع معكم صنع الأب الشفيق مع الابن الصغير أرى بكم بالخير وبالشر والنتائج كلها أردت بها الخير . والدليل على ذلك أن الأسبانيين لما دخلوا بلاد أمريكا منذ نحو أربع قرون رأوهم يحفرون حفراً ويضعون فيها حشيشة (التبغ) الذي يدخله الناس في أفواههم فأمرؤا بقتل كل من فعل ذلك ثم وقع نفس الأسبانيين في نفس الشرك ثم نقلوه الى أوروبا ومادخل التدخين أمة إلا قابله قسيسوها بالكفر وسؤاها بالمنع ثم تغلب التبغ حتى هاجم بلاد الاسلام ودخل قلعته إذ ذاك وهي بلاد الترك سنة ٩٩٩ هجرية فخرمها علماء الدين وقاومها السؤاس فتغلبت ودخلت بلاد الاسلام . إذن التبغ هاجم الأمم كلها واستحوذ عليها واستعمرها فأصبح الناس في الشرق والغرب يدخنون لماذا ؟ لأن المتوحشين في أمريكا كانوا يدخنون . فلهي أي فرق بين الحيوانات التي ظهرت في اللثة فانتشرت في جميع الجسم وبين التدخين بالتبغ الذي ظهر في القارة الجديدة فانتشر في القارات كلها . إذن الانسانية كلها جسم واحد ولن تنجو أمة من الذنب والعقاب في هذه الدنيا إلا بمساعدة غيرها . اللهم إن الأمم كلها أشبه بجسم واحد في الأرض كما ان عوالم السموات والأرض أشبه بحيوان واحد . وقد قام الدليل على أن العضو في الجسم يمدى بقية الأعضاء والضعف في أمة له أثر في سائر الأمم وستكون الانسانية بعد اليوم

أشرف من السانية اليوم وأرقى ولله عاقبة الأمور

(بهجة العلم والطب)

(محاورات طيماس الحكيم مع سقراط)

إن الله عز وجل قد أنعم بهذا التفسير وجهه له معرضاً لآراء الأمم ، هاأنذا قد ذكرت لك آراء الأمم في علم الطب قديماً وحديثاً بحيث اصطفت اللب ونبتت القشير وجعلته باذن الله عذبا سائغاً شرابه صافياً فلا ذكر لك الآن محاورات طيماس الحكيم مع سقراط وهي المحاورات الموسومة بطيماس ذلك ، انه حاور سقراط فبحث معه في السماء ونظامها وجمالها وأبان أن العالم حادث وأنه جميل وأنه نسخة لما هو أجل منه وهي عوالم جوهرية ارفع من المادة ، وذكر أن صانع هذا العالم انما صنعه لأنه جواد ولولم يصنعه لم يتصف بهذا الوصف وأنه عمد الى المادة المضطربة فنظمها وجعلها متزنة مهندسة وأن هذا العالم كله أشبه بحيوان له عقل عام يديره وله نفس وله مادة ، فالعقل العام لا يتصرف في المادة إلا بنفس تكون واسطة بينهما . وذكر الأيام والليالي فأبان أنهما من صنع خالق العالم وبهما يحصل الزمان ولا زمان بالنسبة لصانع العالم بل الزمان مقياس لنا فلما مضى والمستقبل والحال لنا نحن أما الله فلا يحكم عليه زمان لأنه هو محدث الزمان ، ويقول أيضاً ان هذه السكواكب كلها منظمة بهنول تدبرها مستدلاً بالنظام السكامل في دورانها وأن السكواكب والعقول القائمة بها قد حدثوا بعد العدم . ويقول إن الأرواح الانسانية بينها وبين الأرواح التي تدبر السكواكب (وهي بلغة الشرع ملائكة) مناسبة فكما تدبر أجسامنا عقول هكذا السكواكب تدبرها نفوس كبيرة . وذكر أن الله جمع الأرواح الانسانية وشرح لها العوالم قبل نزولها الأجسام وأبان لها الآثار التي تحصل لها اذا اتصلت بالأجسام . وأن من اتبع الشهوات فإنه يرجع بعد الموت الى أسوأ حال ومتى عدلت في الأرض رجعت الى حال أرقى ونسكن الأماكن الشريفة في العالم العلوى . وبين أن البصر انما خلق فينا لنعرف به الليل والنهار وبهذا نعرف الزمان ونتوجه الى الحكمة والفلسفة وهما أعظم نعمة من الله . ثم ذكر المادة بحسب زمانهم وانها عناصر أربعة الخ وأن ذكر العناصر لا معنى له لأنها كلها أمر واحد غير الظواهر فهي أمور غائبة عن الحس يظهر في صور هذه العناصر إذن المادة في أصلها لا صورة لها . ثم ذكر اللذة والألم وأن المادة عبارة عن مثلثات تتركب منها أشكال هندسية بسيطة وباجتماعها تكون الحش واللين والبارد والحر والمؤلم والذي يحدث المادة فالاختلاف في الأشكال يوجب الاختلاف في التأثير في أجسامنا فالتأثير الملائم طبعنا به تكون اللذة والتأثير الذي لا يلائم طبعنا يكون به الألم وإن كان متوسطاً لم يكن ألم ولا لذة . ثم تكلم عن الجسم الانساني وهو الذي سقنا لأجله الكلام هنا لأننا في الكلام على صحته ومرضه بمناسبة الآية ولم أذكر ما تقدم إلا كالمقدمة لينشط الأذكياء للقراءة وليفرضوا بما يسمعون من العلم والحكمة وليزدادوا علماً بما جاء من الطب المجل في كلامه . ثم قال بالحرف الواحد وشرع بعد ذلك في الكلام على تصوير الانسان على يد (الملائكة حسبما أمر به الله) فقال انهم تسلموا من الله النفس الأزلية التي خلقها للانسان وألقوا بها نفساً مائة جعلوها مركزها في الصدر . أما الجزء الفضي منها ففي أعلى الصدر . وأما الجزء الشهواني منها ففي أسفل البطن ثم صوروا بقية البدن بغاية الاتقان نظراً الى مصالح النفس وما تحتاجه من الخدمة حتى تكون جميع أجزاء البدن متصلة بالروح مستعدة لقبول أوامره . ثم بين مدفع جميع الأجزاء جزءاً جزءاً وكيفية منفعتها ثم تصوير العروق وتفرعها من الرأس الى أقاصي البدن كما تتفرع السواقي في البسائين لجل الدم المركب من أجزاء الأغذية وتوصيله الى الأعضاء والمفاصل لتختلف ماتحلل منها . قال فاذا كان ماتحلل زائداً على ما يخلقه الغذاء فإن الحيوان ينقص ويذبل واذا زاد الغذاء على ماتحلل من الحيوان فقد ينمو البدن ومنه يتبين نمو الحيوان في شبابه ثم تناقصه شيئاً فشيئاً في الشيخوخة والمرض الى

الى أن ينتهى ذلك به الى الموت . وشرح في بيان الأمراض البدنية وأمراض النفس وهى تابعة للأمراض البدنية وقسمها في ثلاثة أقسام : منها ما يتبع افراط اللذة والألم المؤثر في الفكر ، ومنها ما سببه افراط الحرارة والبلغم والاخلط إذ بها يتعطل سريان النفس في البدن فيكون سببا لسوء الخلق والتهور والجبن وجود القريحة والنسيان . وحاصل ما آل اليه كلامه أن الشر غير اختياري وأن له **﴿ علتين ﴾** العلة الأولى : فساد المزاج **﴿ والثانية ﴾** سوء التأديب ، فالشرير كالمريض يستحق الشفاق عليه والعلاج لأن أغلب ما يهتريه من أسباب خارجة عن قدرته . قال واذا سأل سائل عما ينبغي فعله لتدارك الأمراض وحفظ الصحة للبدن والنفس معاً فالجواب أنه لا طريق الى ذلك إلا بحفظ المعادلة بين البدن والنفس فان النفس اذا كانت مفرطة القوة في بدن ضعيف لا تصبر على صحبته ولا تزال مضطربة فيه لتجهده وتملؤه أمراضاً ، وبالعكس اذا غلب البدن على النفس فان العقل يجمد ويفتر ويحجز عن أعماله ، فالقاعدة أن نروض البدن والنفس معاً ، أما البدن فبأنواع الرياضة والحركة البدنية ، وأما النفس فبالموسيقى وباعطاء كل من أجزائها أى النفس العقلية والفضيلة والشهوانية ما يناسبها من الحركة والرياضة حتى تبقى كل واحدة منها على ما اختصت به من العمل وتكون النفس العقلية الأزلية رئيسة على الجميع كما يوافي شرفها . وأشار في آخر المحاضرة الى منشأ الحيوان وذكر ما كانوا يعتقدونه في زمانهم (وهو يخالف الاسلام وهو أيضاً لا دليل عليه) فقال ان الحيوانات كانوا من البشر فعوقبوا وردوا الى رتبة أدنى مما كانوا عليها لما اقترفوه من الذنوب . أما النساء فقد كانت من قبل رجالاً أظهروا في سيرتهم الجبن والجهل فامحطوا عن رتبتهم السابقة . وأما السواب الأرضية فهى مما كان مدة حياته مسخرها لشهواته والحيوانات فاضلها ممن كان في حياته قد استعبد لأخس الشهوات وأدناها فمسخوا الى أصم الخلائق وأنقصها عقلاً

ثم ختم المحاضرة بأن قال ، وليكن هذا آخر كلامنا عن العالم ، وقد كانت هذه صورة تركيب هذا العالم المحتوى على الحيوانات المائية وغير المائية وهو الحيوان المرئى المحتوى على جميع الحيوانات المرئية وهو إله محسوس على مثال الإله المعقول (أقول وهذه الجملة لا تتجاوز في ديننا والتعبير بها كفر ولكن هم كانوا قبل النبوة فأرادوا بذلك أن هذه العوالم ظهرت فيها آثار القدرة الدالة على الجلال الإلهي **﴿ وبعبارة أخرى ﴾** ان الحكمة والعلم والقدرة ظهرت آثارها في هذا العالم المجسم فالظاهر لنا من العوالم عنوان الله الذى اختفى عن أبصارنا وظهرياً بصائرنا بتلك الجباب) ثم قال عن العالم **﴿ فهو السماء الرحيم المنفرد والطبيعة ذوالعظم والحسن والجمال الوافر الكامل من جميع الجهات ﴾** انتهى تلخيص كلام طيماوس

هذا كله نقلته من كتاب الأستاذ (سنبلانه) وهو مترجمه من اليونانية الى اللغة العربية وبذلت جهدي في أن أضع الألفاظ الممنوعة شرعاً أو أنه أنها كفر وأشرحها اهـ

﴿ هذه تذكرة ما جرت به في حياتي من الأعمال الطبية ﴾

قبل أن أختتم تفسير هذه الآية وهى قوله تعالى - الذى خلقنى فهو يهدين - الى قوله - واذا مرضت فهو يشفين - بما عاجلت به نفسى لاسيما في أيام الكبر ليكون تبصرة لأحبابي قراء هذا التفسير فاني من إبان صغري وجدت في نفسى ميلاً قوياً الى رقى الأمم الاسلامية وهذا الميل ازداد بازدياد سنى

لقد ذكرت في مواضع كثيرة من هذا التفسير وغيره اننى نشأت في قرية كفر عوض الله حجازي من بلاد الشرقية واعتزاني في نحو العشرين من سنى حياتي مرض جسمي رشك في هذا العالم وفي الصانع فكنت موجهها قلبي الى **﴿ أمسين ﴾** صحة جسمي وهداية نفسي فالأول بالطب والثاني بالعلم وكنت أسأل كل من أتوسم فيه الافادة ولم أجد وسيلة خيرا من توجه النفس الى مبدع هذا العالم فلا أقصر القول على امر الطب لأنى الآن في صدد الكلام عليه . أقول أخذت إذ ذاك أمتنع شرب الماء مع الطعام وعقبه وأقلل الطعام وتأخير

ما هو أطف وأنتهى الأمر بالشفاء . ثم انى لما بلغت الستين بدا لى أن أترك اللحم بتاتا لما رأيت فى الكتب الطبية ذمه وقد كان مرض الروماتزم ملازما لى فتناقص هذا المرض الى أدنى حد . ولكنى كنت أجده أنرا باقيا يخفى تارة ويظهر أخرى وذلك انى كنت آكل الخضراوات المطبوخة اتى طبخت فى مرق اللحم فكنت أتعاطاه مع أسرتى بالمنزل فى مرقه ، ثم لما قرأت فى العام الماضى كلام العلامة (غاندى) المصلح الهندى الذى حدثك أمها الذكى عنه فى سورة طه (اقرأ ما كتبته هناك فى أسر الطعام عند ذكر آدم وفى سورة الحجر عند قصة آدم أيضا فى أولها وما ذكرته فى سورة الأعراف عند قوله تعالى . ولا تسرفوا . الخ وما ذكرته فى سورة البقرة عند قوله تعالى . أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير . الخ) تركت الخضراوات وجعلت طعامى ما يأتى إلا نادرا

(١) آكل الخبز المصنوع من دقيق البر وفيه جميع أجزائه فما يسمى (نخالة) وما يسمى (السن) يبقى فيه (وبعبارة أخرى) آكل خبز القمح بحيث لا ينخل أدنى نخل فهو إذن بحاله ، وقد تقدم فى (سورة الحجر) أن أجزاء البر (١٦) جزأ كلها داخله فى اللحم وإخراج النخالة والسن منه إخراج لأهم أجزائه المانعة من الامساك المقوية للبدن والعقل

(٢) وآكل معه زيت الزيتون والفواكه مثل التمر والتفاح والبرتقال والليمون وربما أكلت من الخضراوات المطبوخة بشرط أن لا تكون مطبوخة لأن المطبوخة ضارة بالصحة بنص الأطباء وتجربى وتركت الملح اللهم إلا ما يوضع فى الخبز وتركت السكر المصنوع مكتفيا بما فى الفواكه (وبعبارة مجملة) اقتصرت على الفواكه والحبوب اجالا ولكن التفصيل هو الذى ذكرته لك الآن

أقول لما اتبعت هذه الخطة زال الروماتزم بتاتا وصرت أفتح شبابيك حجرة النوم ليلا ونهارا وأنا أكتب الآن ليلا وهى مفتوحة فلا أحس بذلك المرض ، وأنا أعلن حمدى لله عز وجل جسدا كثيرا فقد وجدت أنى أصبح جسما وأصبح عقلا وأقوى تفكيرا من جميع أيام حياتى كما أنى أحده إذ أقدرنى أن أكتب بعض خواص النبات للمسلمين كما كنت أتمنى أيام الشباب عند مرضى ، فاذا كنت الآن فى العقد السابع من سنى حياتى فأنى أقول انى لم أكن يوما ما فى أيام شبابى وقبلها وبعدها منتظم الصحة والعقل والفكر مثل ما أنا عليه اليوم فأنى أقول الآن الحمد لله ولكن هذا الحمد ليس على صحتى وحدها لأن أوقات الحياة محصورة والموت لا يتوقف على حال ما فهو يأتى بغتة . وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت . ولكن حمدى لله على النعمة العائمة فالحمد على نعمة خاصة حمد ضئيل لا يليق بالربوبية والاخلاص لها بل لا يليق لعاقل . وأنا حمدى لله فى هذه النعمة على أنها نعمة على كل ذكى مطلع على هذا الكتاب لأن هذا القول يترك فى نفسه أنرا وهذا الأثر سيفيده يقيمنا وكم من رجال ذوى عقل عند ما يطلعون عليه يغيرون حالا أسلوب معاشهم مع انهم هم أنفسهم قد يكونون أطباء أو مصلحين على الطب ولكن تجربتى هذه تشجع على ابطال عادات موروثة عن الآباء والبيئة ، فهذه نعمة عامة على قراء هذا التفسير فى حياتى وبعد موتى . إذن حمدى لله على توفيقى للصحة موجه لهموم المنفعة للأحياء المنتفعين بهذه التجربة فى كل جيل لأن الحمد انما يكون على النعمة الواصلة من المنعم الى الحامد أو غيره وهذا سر قول تعالى . الحمد لله رب العالمين . ولم يقل المصلى ربى وحدى فهو مربى جميع العوالم كما تقدم فى محاوره (طياوس) فالإنسان يجب عليه أن يوجه وجهه تلقاء العوالم كلها . فأما سموانها وأرضها فبالفكر والعلم والاعجاب بصانعها . وأما نوع الإنسان فيكون ذلك بالعطف عليه وتعليمه ونشر الحكمة فيه . ولقد أثر فى نفسى ما جربته غاندى الهندى مما كتبته فى (سورة طه) أن الإنسان عادة يقتدى بمن يشق بقوله انه مجرب وأنا تجربت مضى لها بضعة أشهر ولا أزال فى حال التجربة ولقد وجدت منافع لاحد لها فى الصحة والعقل كما قدمنا ولكنى لا أريد هذه المدة كافية وأنا موجه وجهى جهة مبدع الكون أن يلهمنى

المحافظة على صحتي مدة حياتي فنه أستمدة ومنه التوفيق . ولقد تبين لي من هذه التجربة معنى قوله تعالى
 - قتل الانسان ما أكفره - وقوله تعالى - وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يدهون
 إلا الظن وان هم إلا يخرصون - ذلك أن هذا النبأ كلما علم به طبيب مدحه وقال ان هذا عمل جليل ولكنه
 لا يكاد يقدم عليه هو نفسه ولا يأمر به المرضى وانما الذي اتهمج به بعض هذه الخطة قوم آخرون . إني لا أشرب
 إلا الماء وقد تركت القهوة والشاي وما أشبه ذلك ولا أشرب شيئاً إلا اذا عطشت وصرت أنادي بأن هذا الانسان
 في سجن الامادات وعرفت اليوم أن الانسان منا هو الذي يضعف عقله وصحته بيديه ، أليس الطعام الذي نتعاطاه
 به قوام بنيتنا . إذن اقامة بنيتي وصحة عقلي راجهان لما ألقى به في يدي فاذا لم أتخيره فاني لم أتخير بناء
 جسمي وحفظ عقلي ، ومن أكل بغير حساب ولا نظام أصبح عقله تبع ما يأكل فتكون الصحة بالمصادفة والعقل
 بالمصادفة . واعلم أن هذا الانسان لما كان ضعيفا في تصرفه حكم الله على أكثره بالفقر لأن الفقر هو الذي يمنع
 القدرة على حوز الطعام الكثير الضار بالصحة والعقل ، وفي ظني أن الناس لو كانت ارادتهم قوية لامتلأت
 الأرض بالخيرات ولكن القوى الارادية لما كانت ضعيفة أنزل لهم المطر والأنهار والسعادة في الأرض بحساب
 لتكثر حركاتهم في الطلب وحركات عقولهم في التدبير فتصح الأجسام والعقول بالحركتين - ولو بسط الله الرزق
 لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إله بعباده خبير بصير - فهو يعلم ضعف الارادات وضعف
 التفكير فأرغمهم على العمل وعلى التفكير بهذه الوسيلة لأن العقول في عالمنا هذا مبلغها وهذا هو نصيبها من
 الفكر والقوة . ومن أعانني على تدبير الصحة قرينتي (السيدة عائشة الحسنية) من ذرية الحسن بن علي
 رضي الله عنهما فهي التي سارعت الى تدبير الخبز على الطريقة المتقدمة وأسرتها كلهم أطباء ، ومما أعانها على
 ذلك انها شاهدت أهل مكة هكذا يفعلون في خبزهم ، وقد خالفت بذلك عادات النساء في مصر واستفادت
 ذريتي بذلك فائدة ظاهرة في هذه السنة كما أنها خالفت أكثر النساء في انها تواظب على الصلوات والعبادات
 هذا وأذكرك بما تقدم في (سورة طه) عند مسألة الطعام وما ذكره العلامة ابن خلدون عن أهل المغرب
 وأهل فاس ومصر وشرح مضار الأطعمة المشهورة في هذه البلاد وشرح المنافع التي يعاينها الناس في الاقتصار
 على النافع من الأغذية ، فتى قرأته نشطت للعمل ببعض ما هنا وما هناك تدريجا وما لا يدرك كله لا يترك كله
 ومما ذكره ابن خلدون أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا ينخلون الدقيق زهدا وهذا عجب أن
 يكون هذا الزهد هو الذي يطلبه الطب للصحة فالعجب كل العجب من حكم ديننا ، يقول الله - أذهبتم طياتكم
 في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما
 كنتم تفسقون - ويقول عمر رضي الله عنه للربيع بن زياد لما حضره هو والأمرء معه وعلى رأسهم أبو موسى
 الأشعري وقد ظهر الربيع بمظهر القانع بالخشن من الطعام والثياب المرقعة ﴿لوشئت ملأت هذه الرحاب صلاتي
 وسبائك وصنابي﴾ يريد بذلك اللحم والرقاق والزيب المصنوع مع الخردل ولكنني رأيت الله غير قوما فقال
 - أذهبتم طياتكم - الخ وانما عجبت لأن هذا هو الذي به سعادة الناس في نفس الدنيا فالأقلال من اللذات
 هو الذي به الصحة والعافية ، والأغرب من ذلك أن سقراط أثبت أن الذي لا عفة عنده لالذة له وبرهن على
 ذلك بأن من شرب الماء وعطشه قليل لالذة له فيه . إذن الذي لا عفة عنده لالذة عنده فهو يطلبه اللذة
 فقدها والعفيف ترك اللذة فجاءت اليه . إذن الصحابة رضوان الله عليهم بزهدهم في اللذات نالوها وبزهدهم
 في الدنيا ملكوها ، ومن عجب أن تكون هذه الأخلاق بنفسها هي التي استنتجها سقراط وأفلاطون بهقولها
 قبل النبوة بنحو تسع قرون فانك اذا قرأت ﴿جمهورية أفلاطون﴾ وجدت الزهد متجليا فيها والحكمة
 والعلم ومع هذا الزهد ينظم المدن ويقم الملوك والأمراء والحكام والجند وبين مراتبهم ورياضاتهم وآدابهم
 وآداب العامة معهم ومع الأمراء فالحمد لله الذي علمنا ما لم نعلم وأرانا العلم والدين توءمين متعدين عند

ذوى البصائر وهذه من أعجب المعجزات إذ كيف تكون نتيجة الفلسفة قروننا وقروننا يزلن بتأثير منها الوحي على
أئمة فيدوم به ملك لم يحلم بها فيلسوف ولا ملك من الملوك
وأختم هذا القول بذكر الحجة التي اتبعتها فأقول ﴿ لقد كانت عادتي انى اذا ارتبكت معدتي أن أتعاطى
زيت الخروع وبعدها لا أكل بل أشرب اللبن أيا من ثلاثة أيام الى (١٤) وفى تلك المدة يضعف جسمى ثم
أتعاطى الغذاء المعتاد بالتدريج وهذا فيه مافيه ، ولستكنى فى التدبير الجديد حصل لى منذ شهر بن ارتباك فى
المعدة فامتنعت عن الطعام نحو يومين لم أتعاط فىهما إلا ماء (البرقال) اتباعا للنصائح الطيبة فشفيت والأطباء
يأمرون بالجوع أكثر من يومين (اقرأ فى كتاب غاندى) انتهى ليلة الجمعة ٢٩ مارس سنة ١٩٢٩ الساعة
الثالثة بعد نصف الليل والحمد لله رب العالمين

﴿ الاستشفاء بنور الشمس ﴾

(ذكر ما خطر لى يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٢٩)

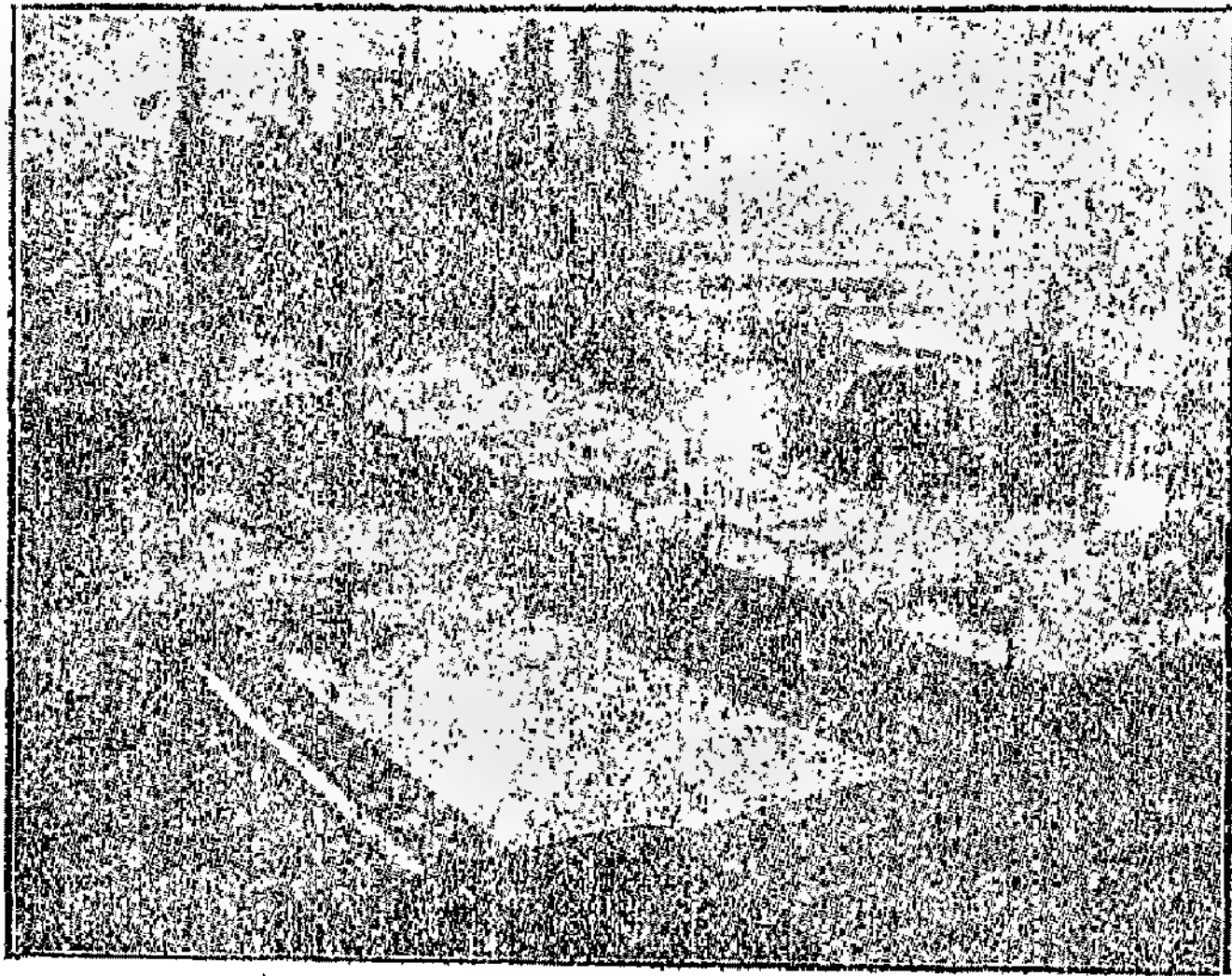
عجب لهذا الانسان يعيش ويموت وأكثره غافل ساه ، يرى المسألة ويرى الكواكب والشمس والأرض
وما عليها ولكن العلم يقول له هذا كله ظل الحقيقة والحقيقة غير ماتراه وفى نفس الوقت يقال له أقم أعمالك
بحسب ماظهر لك من الخواص ، يكون غنيا ويقول أنا اليوم نلت ما أتمناه فىرى الحوادث تكذب ظنه وتغتر به
الحوادث سرورا وغما ويخاطبه العلم قائلا : كلا . فالصحة والمرض والغنى والفقر والعلم والجهل كلها عوارض
والنفس هى هى معرض للسعادة والشقاء . يقول الفلاح ليتنى كان لى مال كثير فلا أخرج الى الحقل ولا أقف
فى الشمس طول يومى لزراع حقلى ، إن الله غضب علىّ ولولا غضبه علىّ لأعطاني أرضا واسعة وأجلستنى فى
الظل وأخذت أقابل الوفود من كل صوب يحادثوننى ، فيقول له علماء الطب كلا أنت جهول أيها الفلاح ان
من اتسع ملكه فى الأرض وهو لا يعلم شروط الصحة كأكثر ذوى اليسار من جهال المصريين وغيرهم يعتبرهم
المرض لقلة حركاتهم وعدم تعرضهم لضوء الشمس القاتل للميكروبات الضارة بأجسامهم وهم لا يعلمون ، فالله
الذى علم غفلة عباده وجهلهم هو الذى تولى قيادة الشعوب والأمم وأكثر من الفقراء وقلل جدا من ملاك
الأرض الواسعة ليكون هؤلاء الأقاوم أشبه بفداء للأكثرين الذين أجاعهم فأخرجهم الجوع الى طلب الرزق
والرزق يكون بالعمل فى الحقول بحراثتها وسقيها والوقوف فى الشمس ساعات من النهار ، فهنا أمور ثلاثة طلب
للرزق من الأرض . وتعرض للشمس . وحركات الأعضاء ، الفلاح يحس بالجوع فيضطر لطلب الرزق وهذا الرزق
لا يعمل له إلا أن يمنع هذا الجوع ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لا يعمل له عند الفلاح إلا إزالة ألم نسيه جوعا كما انه
لا يتزوج إلا لطلب دفع الألم وهو الشبق هذا هو المقصد له فاما أن جسمه يقوى وامانه يلد واما أن الحركات
تساعد على هضم الطعام واما أن الشمس وإلحاح ضوءها عليه طول النهار يقتل الميكروبات (الحيوانات الدرية)
التي هى أكبر عدو للانسان والحيوان وهى السم القاتل لكل حي فانه لا ذكر لهذا كله عنده ولا وزن له ولا
عبرة به ولا خبر بل اذا سمعه يحقره وهكذا اذا قيل له ان الجاوس فى بيتك واقبال الوفود عليك وعدم حركاتك
وعدم تعرضك لضوء الشمس أو اذا قيل له ان أكلك المساك كل الدسمة وأنواع الفطير وكثرة أنواع الطعام
مذهبة لصحتك مضعفة لك ذابة بعمره فان الفلاح يحقر هذا كله ولا يصدق أن قلة المال فى يده وقلة النقود
هى أكبر عون له على السعادة إذ لولا ذلك لم يعمل فى الحقل ولم يتعرض لحرارة الشمس . هذه حال الناس أيام
جهلهم لذلك تولى الله بنفسه علاج الأمم فأكثر من الفقراء وقلل من الأغنياء وجعل ذلك الفقر هو العلاج
لأجسام هؤلاء الفقراء وأسمعنا ذلك فى القرآن إذ قال - واذا مرضت فهو يشفين - فاذا قلت حركات الانسان
لجهله أو اذا قدم الظل على الشمس أو اذا أحب أكل الطعام الفاخر رحم الله عباده فألجأهم الى الحركات فى

طلب الرزق وعرضهم للشمس ليقتل الأمراض الداخلة بالحرركات ويقتل المسكروبات بضوء الشمس ثم في نفس هذه الحال يقلل المال عند أكثر الناس لئلا يبطلوا فيأكلوا ماله وطاب فتذهب صحتهم ويكونون مرضى فلمرى أى رافة وأى رجة أعظم من هذه ، عيال عليله لا يميزون كما لم يميز الأطفال بين الضار والنافع فيمنعهم الآباء من تعاطي ما يضرهم هكذا الله نظر إلى عباده فعاملهم كما تعامل نحن أطفالنا فجعل السواد الأعظم فقراء لتصح أجسامهم وجعل أقل الناس أغنياء وقال هم فداء لكم أيها الأغنياء فاذا مرض أكثرهم وصحت أجسام أكثركم فاني أهتم بالاصلاح العام لأنه أولى

هذا كله في أيام جهل الأمم ، أما إذا عمّ العلم فإن الجهلاء يفهمون هذه الحسب بطريق التعليم فيرضون وتكون عندهم سعادة على قدر ما يشعرون نهم أفضل إذ ذاك من آباءهم الجهلاء ، وأما فريق الأغنياء فإن العلم ينقلهم إلى حظيرة الصحة ويتعرضون لضوء الشمس اختياراً لا اضطراراً ، وهالك مثلاً مما جاء في إحدى المجلات العلمية وهذا نصه

الاستشفاء بأشعة الشمس

« أصبحت المداواة والتقوية بأشعة الشمس أهم ظاهرات العلاج في المستشفيات والمصحات الأوروبية والأمريكية . ويقول الأخصائيون من علماء الطب ان أشعة الشمس أنجع دواء لعلاج كثير من الأمراض وأن الفتاة التي تداوم كل يوم على التعرض للأشعة ساعة من الزمن تنال الصحة التامة والجمال المشرق البهجة . وترى في هذه الصورة (انظر شكل ١٠) قسم من مستشفى الأشعة في فندق ايفرجلاد بكاليفورنيا وأكثر قاصديه من الفتيات الحسنات . فهل آن لفتياتنا أن لا يخفن من التعرض لأشعة الشمس لأنها تسود وجوههن ؟ وهل من الجمال أن تبدو صفراء بمتعة اللون لحرمانها من أشعة الشمس » انتهى



(شكل ١٠ - رسم قسم من مستشفى الأشعة في مصبح فندق ايفرجلاد بكاليفورنيا)

أقول إياك أن تظن أن معنى هذا أن تقف أو تقعد في الشمس بدون علم ولا هدى ولا كتاب منير وإنما يجب أن تستشير الطبيب الصادق والافاقر ما تقدم في هذا التفسير في (سورة يونس) فانك ترى هناك ذكر الاستشفاء بنور الشمس وانه يكون بالتدريج والمحافظة على الرأس وليس معنى هذا أنك تأخذ ما قيل هنا قضية مساهمة بدون بحث ولا تنقيب كلا

إذا عرفت هذا فهمت قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - فالفلاح الفقير يشفيه بحيلة وهي أنه يجيئه

وهذا الجوع يقوده الى الحركة والى ضوء الشمس والمتعلم الفنى يشفيه بحركات المشى والعمل والتعرض لضوء الشمس بسبب العلم وهكذا . إذن الشفاء قد يكون له ﴿ سببان ﴾ سبب طبيعى وهو الجوع المسبب للحركة والعلم المسبب للعمل ، فهذا من المعانى الداخلة فى قوله - واذا مرضت فهو يشفين -

ومن أسباب الشفاء تلك الرؤى التى رآها قدماء الأطباء ومنها التجارب المذكورة وهكذا . إذن ظهر أن الشفاء من الله ولكن بالأسباب فالأسباب كلها مسندة اليه وهو الذى هداها لها وهذا معنى قوله تعالى - ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم - فقال الجهل (الذى تجعل الانسان كافرا بالنعمة بحيث يلجأ الى أن يتعرض للشمس والى أن يحرك أعضائه للعمل قهرا بدافع الجوع وحده) حال غير مرضية عند الله أى ان الله لا يحب أن يبقى عباده جهالا بما حولهم وبما يعترى أنفسهم أى انه لا يحب أن يبقوا كالأطفال تحت مراقبة آبائهم بل هو يحب أن يعرفوا النعمة ولا سبيل لشكر النعمة غير المعرفة فلذلك قال سبحانه - وان تشكروا يرضه لكم - فالفلاح لا يعتد بظهوره فى الشمس نعمة بل يقول انها نعمة ولا يعتد بالحركة نعمة ويظن ان صاحب الأرض الذى هو طول النهار فى الظل وهو مريض لقلة الحركة أسعد منه حالا وذلك كله من الجهل ﴿ تجر بى فى هذا المقام ﴾

أقول وأنا اليوم وقعت فيما وقع فيه الفلاح فى الحقل . ذلك أنى اليوم أكتب فى التفسير وليس لى هم فى هذه الحياة أعظم منه فأراه منية نفسى وأعظم مقاصدى قد ملك على مشاعرى بل أصبح أعظم اللذات . ولكنى ارى قواطع وقواطع من أعمال داخلية وأخرى خارجية توجب أن أقطع العمل وأجد فى تلك الأعمال وأسافر خارج القاهرة وقد خلق الله لى من يناوئنى فى أمور تافهة فى الحقل وفى أمور صغيرة جدا فأوازن ما بين السعادة التى أحس بها فى كتابة هذا التفسير وبين الشقاء الذى أحس به فى الانقطاع عن مواصلته والبحث فى مدافعة هذه القواطع فإذا أفهم فى هذا ؟ أفهم فيه أن الله عاملنى معاملة الفلاحين فى الحقول فقال لى بلسان الحال أنت اليوم مستلذ بما تكتب وتعكف عليه وهذا ربما يسبب ضررا فى صحتك وضعفا فى قواك العقلية لأن المداومة على فكر واحد تؤثر فى المخ ولست أكتفى بمعلوماتك فى الطب وهى قليلة فلا تقوى على حفظ صحتك ولا تكتفى بالرياضة الجسمية التى تقوم بها لأنك تقوم بها مختارا واختيارك وحده غير كاف فلذلك خلقت لك من يناوئوك فى الحقل لحفظ صحتك لأنى بهذا أخرجك فى الهواء الطلق فتسافر وتقابل الناس وتحادثهم فيحصل هناك تعادل فى قواك وتنوع فى الفكر وفى الحركات وتذكر أن نبيك محمدا ﷺ مع أنه نبي أوحى اليه كان يخرج للغزوات ويسافر ويقوم بأمر الأمة ولم يقطع ذلك عن الدين والعلم بل انه فى آخر الأمر كان ينزل عليه الوحي وهو فى سفره وجهاده والحرب قائمة فأتكن لك من ذلك موعظة ولترض بما عملته . هذا ما فتح الله به يوم ٢٨ مارس سنة ١٨٢٩ أكتبه ذكرى لأولى الأبواب

هذا عمل الله فى الأفراد . أما عمله فى الأمم فانه علم أن أمم العالم اعتراها الخول فى بلاد الشرق وبلاد الغرب فبلاد أمريكا كانت قد وصلت الى درجة الانحطاط بعد العز والمدينة بدليل ما وجدوا فيها هذه الأيام من آثار المدنية والحضارة والمباني العظيمة كاهرام الجيزة بمصر وكانت بلاد اليابان والصين والهند كلها قد خيم عليها الجهل والخرافات والنصارى بأوروبا قد أصبحوا فى غاية الخضوع للقسيسين وهم فى حال الوحشية والهمجية فأرسل الله سيدنا محمدا ﷺ فقامت الأمة العربية بالحجة الدينية فهزّت العالم من أقصاه الى أقصاه . فترى الدولة الأموية بلغت جبل طارق وسطت على اسبانيا وفرنسا ونزعتهم من الجرمانيين الحاكمين عليها منذ ثلاثة قرون وهكذا فعلوا فى بلاد المشرق ووصلوا الى الهند والى أطراف الصين . فانظر ما يقوله العلامة (سديو) صفحة ١٠٣ ﴿ خرج من عمان لفتح الهندستان أساطيل اسلامية سنة (١٦) هجرية فأخذت جزيرة طنابج القريبة من مدينة بمباى ومن جزيرة البحرين أساطيل أخرى دهمت فى خليج كامبى (مدينة بارود) وخرجت أساطيل

ثالثة الى مصاب نهر السند ثم أخذ عبد الله بن عامر سنة ٣٣٠ بلاد كرمان وسجستان ثم حارب والى اقليم مكران ومالك السند فغلبهما وأخذ عبد الرحمن بن سمرة بعد ذلك بسنين قليلة (اقليم داور) ومدينة (بست) فكان ملكا قبول والسند حدود الممالك العربية ، ثم ذكر بعد ذلك انهم وصلوا الى جبال (هماليا) ثم أخذوا بلاد (بخوارزم) وماوراء النهر ومعظم مملكة التتار وأحرقوا أصنام (مدينة فرغانه) و (تخشب) و (بيكند) و (بخارى) و (سمرقند) سنة ٩٤٠ و (مدينة كشمير) و (اقصوا) و (خوكان) و بعث الأمير قتيبة من قبل الخجاج اثني عشر سفيرا الى ملك الصين وهددوه بالاغارة فغمرهم بمطايا الذهب الوفرة اتقاء لشركهم وحكم قتيبة مملكة قبول بشرق سجستان وأخذ منها الجزية فلحقه جيش في أرض مكران وانتشر في سهول مدينة (كشمير) ودافعت مدن على شواطئ السند فهزم هؤلاء وهكذا كانوا يناوئون ملوك القسطنطينية ، هذا هو الذي حصل منذ (١٣) قرنا ، لم ذلك ؟ كان ذلك لإثارة القوى الانسانية في الشرق والغرب إذ كانوا نياما ، فهاهي ذه الأمم النائمة استيقظت وهذه الحركة العمرانية انتشرت في الغرب والشرق والمسلمون الذين قاموا بهذه الحركة جميعا ناموا كنعين أبتعين أبصعين . وكأن الله يقول لنا ليس نومهم دائما . كلا ، فكما سلطتهم على الناس فأيقظوهم هكذا أنا أسلط الناس عليهم ليوقظوهم فهاهي ذه المدافع والطيارات والغازات الخائقة وشن الغارات عليهم صباحا ومساء والجيش الاوروبيه تصبحهم وتمسيهم ، لماذا هذا ؟ كل هذا لا يظايرهم من نومتهم ولقد استيقظ كثير منهم وسيتبعهم الباقيون ، يظن الجهال من المسلمين أن هذه الحروب وهذا الاذلال نعمة ، نعم هو نعمة ظاهرا ولكنه نعمة باطنا فهو أشبه بالجوع في مثال الفلاح في الحقل الذي قدّمته لك في هذا المقام

أجاع الله الفلاح وقلل ماله فسعى للزرع فتحركت الأعضاء للعمل وأصابته الشمس وأكل الطعام فكان للجوع (ثلاث فوائد) غذاء بالطعام. ودواء بحركات الجسم. وضوء الشمس ، فالجوع ضرر واحد أنتج ثلاث منافع . إذن الجوع ليس ضررا بل هو نفع بل هو لغة يخاطب الله بها عباده بل هو أفصح من اللغات هذه لغة الجوع . أما لغة احتلال مصر وتونس والجزائر ومراكش وطرابلس وبلاد الشام وفلسطين والعراق بالاطليان وفرنسا وانسكانا فهي تشبه هذه شيها تاما . فانه بهذا الاحتلال يقول لنا

(١) تعلموا جميع العلوم

(٢) ويقول تعلموا جميع الصناعات

(٣) ويقول لنا أيها الناس (تعرفوا)

فهذه فوائد اذلال المسلمين الآن . إن اذلال الأمم لمنفعتهم واذلال الأفراد لمنفعتهم . إذن الله عز وجل حكيم يعطى الدواء على مقتضى الداء . الله علم ضعف هذا الانسان في الأرض فجعله ديانات مختلفات ليفعل ذلك فعمل الجوع في الجهلاء . الله سلط الناس بعضهم على بعض ليستخرج قواهم بهذه العداوة . يقول الله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قلنا أتينا طائعين . قالت السموات والأرض أتينا طائعين . لماذا ؟ لأن المدبر لهما ملائكة والملائكة تدبر حركات هذه الكواكب الكبيرة فلا تخطئ . أما هذه العوالم الأرضية كالأمم الاسلامية والافرنجية فانها تساس بطرق أخرى ولا سبيل لذلك إلا بعث البواعث في عقولهم بالديانات تارة والعداوات أخرى فسلط المسلمين على الأمم ثم أنامهم وأيقظ الأمم وهاهي ذه الأمم تحيط بأكثر المسلمين وهذه الاحاطة نعمة لأنها بعثت فينا الهمم ومن ثم ارتها كتب كثيرة وخطب. ومنها هذا التفسير الذي جعله الله مقدمة لهذه مصاحبة لظهور الطيارات في الشرق والغرب ومتى ارتقى المسلمون قريبا سيشترون مع الأمم في رقي الانسانية العامة . إذن السموات والأرض أتتا طوعا أما المسلمون واليهود والنصارى وغيرهم فانهم أتوا كرها لا طوعا والاكراه بالأمراض في أجسامهم والفقر وقلة المال وحبس المطر والعداوات بينهم ليجتدوا في العمل فيعيشوا سعداء وهذا هو قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - فهو

الذي لما حرضت الأمم بالسكسل شفاها بالحق غير الإسلامية إذ طار بهم الجيوش ولما سرخس المسلمون بالسكسل والجهل ساط عليهم الأمم غار بهم وخلق لهم مؤلفين لبوقظوهم ، ومن التأليف هذا التفسير الذي هو من الأدوية التي ساقها الله للمسلمين لا يقاطهم ورفيقهم تفسيراً للآية والله هو الولي الجيد

﴿ جوهره في قوله تعالى - إلامن أتى الله بقلب سليم - مع قوله تعالى - الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو ذا معني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحييني - مع ملاحظة ما جاء في أول السورة من الأمر بالنظر في الأرض ونباتها على لسان رسولنا ﷺ ووصف السموات والأرض وخلق بني آدم قديماً وحديثاً وخلق المشرق والمغرب على لسان موسى عليه السلام ﴾

يقول الله تعالى على لسان إبراهيم - يوم لا ينفع مال ولا بنون - الخ فهنا ذكر الطعام والشراب والمرض والشفاء والموت والحياة كما ذكر خلق الموالم كلها وخلق الإنسان خاصة ، فبالت شعري لم خلق هذا الإنسان على الأرض

﴿ ففكرت في خلق هذا الإنسان بمناسبة هذه الآية ﴾

اعلم أن هذا الإنسان لا يهتم في الحياة إلا المحافظة على هذا الهيكل المنسوب ، فكل علم وصناعة وأمانة وتجارة ترجع إلى المحافظة على هذا الهيكل . إن الله لما خلق هذا الإنسان جعل له حافظاً من نفسه وواعظاً من نفس هيكله وموقفاً من جسمه ، وما هو ذلك ؟ هو الألم ، فالألم هو الداموس العام الذي نصبه الله في الأرض برحمته فسبحانك اللهم ، نعم أسبحك يا الله ، أنزّهك عما يؤذينا . إنك لم تجعل الألم فينا لمجرد الإيذاء بل جعلته نعمة ولولا هذا الألم في الحيوان وفي الإنسان لم يعيش . إن الله عز وجل لما خلقنا في هذه المادة لم تكن هناك وسيلة في هذا العالم المادي لبقاءنا إلا بالألم ، فنحن نزّهك في صلواتنا فنقول ﴿ سبحان ربّي العظيم ﴾ في الركوع و ﴿ سبحان ربّي الأعلى ﴾ في السجود ونسبح عقب الصلوات ، وقد مدحت يا الله يونس عليه السلام فقلت - فلولا أنه كان من المسبحين لأبث في بطنه إلى يوم يبعثون - المسبحون هم الذين أدركوا أسرار هذا الوجود واعترفوا من بحار الحكمة فعرفوا أن كل ما في هذا العالم من الآلام لم يقصد الله منه إلا المنفعة وأن الضرر التليل ينتج الخير الكثير وهذه طبيعة عالمنا . هذا هو القانون فالتسبيح الحقيقي هو أدراك هذه المعاني ، فإذا سمعت المسلمين صباحاً ومساءً يسبحون فإياك أن يحتاج في قلبك أن اللفظ هو كل المقصود ، إن الله لا يصل إليه إلا أناس ارتقوا عن هذه الأوساط الإنسانية وعرفوا نواويس هذا الوجود بقدر طاقتهم وهؤلاء وحدهم هم الذين يفهمون لم كان الطعام ولم كان الشراب ولم كان المرض ولم كان الموت الخ وينظرون إلى تلك الأحوال نظر الطبيب إلى الأدوية المعطاة للمريض ، إن الطبيب لا يبالي بالآلام المريض لأنها عنده لا قيمة لها في جانب منفعتها ، فمن عرف هذه الأسرار عرف السر في كثرة التسبيح والتقديس الواردة في الكتب السماوية ، ومتى أدركت النفس سر الوجود نزّهت الله عن الإيذاء فصدا بل هو ترقية واسعاد لا اشقاء ، فلنبعث إذن في ألم الجسم ليتضح المقام وينشرح صدرك لفهم العلم والحكمة فان الذي ذكرته إنما هو مقدمة لجمال المقال . إن هذا الجسم الإنساني كما قدمنا لأحيائه له ولإبقاء ولاسعادة إلا على قاعدة الألم . وبيانه أن الألم ﴿ قسيمان ﴾ ألم داخلي وألم خارجي . أما الألم الداخلي فهو الجوع والعطش والشبق لطلب الطعام والشراب والوقاع لصحة الجسم وبقاء النوع بحصول النورية ، وأما الألم الخارجي فذلك بالحر والبرد وتظاهر الاعتماد من الوحوش والخسرات والأشياء من نوع الإنسان فكان لابد من اللباس والسكن والقلاع والحصون والجيوش والعدد . وهذا هو الذي حكم على هذا الإنسان بالصناعات والحرف والزراعة والتجارة الخ ولهذا فتح المدارس ونظم المدن وعظمت المدنية ، إذن الأمر كله راجع لهيكل الإنسان والمحافظة عليه فهذا هو

الأصل وهذا الهيكل له حامل والحامل له ﴿ فرعان ﴾ هما الألم الداخلى والألم الخارجى وما ألم المرض بخارج
عن هذين الفرعين لأن المرض من داخل ومن خارج

﴿ اللذة تلازم الألم ﴾

ومن عجب أن هذه الآلام مهما تنوعت صحبتها اللذة ولا لذة إلا بسابقة ألم ، فالألم واللذة كفرسى رهان
أو كالشبح وظله ، هما شيان متلازمان وعلى مقدار الألم تكون اللذة ، ومن فقد الألم فقد الحياة ، ألا ترى رعاك
الله أن الانسان إذا لم يحسّ بألم الجوع حزن وذهب الى الطبيب شاكيا له فقد هذا الألم ، وإذا لم يحسّ بالشبع
حزن وذهب الى الطبيب شاكيا له هذا المرض . ذلك علما ، منهما أنه إذا لم يكن ألم الجوع فلا طعام وإذا لم يكن
ألم الشبع فلا وقاع كما أنه إذا لم يكن عطش فلا أذنة في الشرب ولا شراب

الله أكبر . إذن الألم كمال لانقص فأننا أثبتنا أن عدم الجوع نقص فالجوع كمال . فكما نقول الذى
لا يقدر على التكلم ناقص هكذا نقول الذى لا يجوع ناقص لأنه لاداعية عنده لطلب الأكل . إذن الألم قوة كماله
لأنها سبب فيما به قوام أبداننا وما ألم المرض إلا كمال لأن ألم المرض احساس يؤدى الى تعاطى الدواء كما أن ألم
الجوع كذلك فلولا نحسّ بالنقص فى أجسامنا عند المرض لمتنا . وأى فرق إذن بين من يحرق بالنار وهو
لا يحسّ وبين من يمرض فلا يحسّ فنحن لو لم نحسّ باحراق النار لمت أكثر الناس وهم لا يبالون بما يصيبهم
منها ، هكذا لو أن المرض أصابنا ولم نحسّ به لزال أكثر هذا الانسان من الوجود . إذن ألم المرض نعمة وألم
الجوع نعمة . إذن لا يكمل دين المسلم إلا إذا عرف معنى ﴿ سبحان الله والحمد لله ﴾ وعرف قوله تعالى
- فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون -

هذا معنى - وإذا مرضت فهو يشفين - فالخير والشر مقرونان فى قرن والخير متبع والشر محذور
وهذه نفسها حال العشاق إذ يقول شاعرهم

إذا لم يكن فى الحب صد ولا جفا * فأين لذات الرسائل والكتب

ولقد حكم (سقراط) على من لاعفة عندهم بأنه لا لذة لهم . إذن علمنا حكم هذا العالم فهذا العالم فيه ليل
ونهار وظلمة ونور وحياة وموت ، وبالجملة فيه كل متقابلين لذلك بنيت حياتنا على هذه القاعدة فكانت الصحة
وكان المرض كما كان الجوع والعطش وتعاطى الطعام والشراب وهكذا الموت والحياة ، ويظهر لى أن عقولنا لو
أنها ارتقت عن هذه الحال قليلا وأدركت سر الوجود لفرحت بالموت كما فرحت بالحياة لأنها إذ ذاك تكون
قد اتصلت بالعوالم العلوية التى تدرك الحقائق وإدراك الحقائق هو نفس السعادة

﴿ ايضاح الكلام على اللذات ﴾

لقد علمت أنه لا لذة إلا بألم فى كل شئ ، فلا شفاء إلا بعد ألم المرض وآلام تعاطى الدواء ، ولا فرح بالفنى
إلا بعد الفقر ، ولا بالنجاة إلا بعد البأساء ، ولا بالنعز إلا بعد الذل ، ومن عجب أن الفرد له أعوان ينفعونه
ويساعدونه والأمة لها أهم تساعدوا بالمعاهدة والصداقة ومع ذلك نرى القاعدة الآتية مطردة وهى أن أقرب
الانسان هم أكثر الناس حسدا له بل كل من كان أقرب منك نسبا أو صناعة أو منزلا أو مرتبة أو علما كان
اسرع الى كراهة نعمة الله عليك وأحقك عليك وأبغض لك بطريق المنافسة وحب العلو ، وهذه حال الأقارب
من كل أمة ودين ونحلة ، فمنهم آلام ومنهم لذات وعلى مقدار الاقتراب تكون العداوات ، إذن قاعدة هذه الدنيا
واحدة - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون - وأتل عليهم نبا أنى آدم - الخ
- قلنا اهبطوا منها جميعا بعضهم لبعض عدو - يا أيها الذين آمنوا إن من أرواحكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم -
- فلا تنجيبكم أمواهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليذهب بهم بها فى الحياة الدنيا - الخ هذه حال أقرب الناس إلينا
وأحبهم وأقربهم منازل منا ، ومثل هذا يقال فى الدولة وحليفتها فكل منهما تتر بص بالآخرى الدوائر فإذا قلنا

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعروا خدع

نقول أيضا

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثر من الصحاب

فان الداء أكثر ما نراه * يكون من الطعام والشراب

إذن الألم مصحوب باللذة لافرق في ذلك بين ما به بقاء الجسم أو النوع أو ما يعين على ذلك كالأصحاب .
إذن القاعدة مطردة ، ألم فلذة ، وغاية الأمر أن اللذة إما لشهوة كالحاصلة من الطعام والشراب والوقوع وبلد في
بهما الحاصلة بلباس الجسم لا تقاها الحر والبرد ، وأما غضبية كاللذة الحاصلة بقهر الأعداء من وحش وإنسان
فهذه لذة أعلى من سابقتها ومنبعها ومحل آثارها فتحات القلب وهي الأذنين والبطينان ، فهذه الفتحات
الأربع محل توارد الدم فإليها يرد ومنها يصدر صاعدا ونازلا في الجسم من فرق الرأس إلى أخمص القدم ومتى
أحس الإنسان بما يحس إحساسه وصل الخبر من الحواس إلى الدماغ والدماغ يرسل حالا بأعصاب الحس رسولا
عصبيا أشبه بالبريد البرقي (التلفراف) فيوصل الخبر للدم في القلب فيسرع في الجريان ويضطرب ويهتز الجسم كله
ويضطرم بنار الأخذ بالنار ويستخدم ويغلي كالرجل ، فهذه قوة أرقى من سابقتها ومتى أخذ بالثار سكنت ثأرته
وهدأت حركاته واطمأنت نفسه وتكون اللذة على مقدار الألم وإنما تكون أعلى من لذة الطعام والشراب
واللباس والمواقع ، فكل هؤلاء لذاتهم تشاركهم فيها جميع الدواب والأنعام . أما لذة الانتصار فهي خاصة
بطبقة أرقى وهي الوحوش والأساد والنمور فلذلك كانت أرقى من سابقتها ، فاتضح بهذا كله أن الفهم في الحياة
بالفرم واللذة مقرونة بالألم وهذا الألم نعمة لا نقمة ويشير لذلك قوله تعالى - ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب
من الرحمن - فجعل العذاب بمن اتصف بالرحمة ، ثم أقول إياك أن تكدر صفو العلم هنا بأن تذكر الكافر
وعذابه فهذا المقام لايسع تفصيله ولقد قدمته في مواضع كثيرة كالذي في آخر (سورة هود) عند قوله تعالى
- فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير - الخ إذن هذا الوجود كله لم تخلص فيه لذة من ألم حتى نفس العلم
يتقدمه جهل ولولا الإحساس بنقص الجهل ما كانت لذة العلم في هذه الأرض ، فما الحكمة في ذلك ياترى ؟
وهل الحكمة الإلهية لم يكن سبيل عندها لاسعادنا أقرب من هذه ؟ ولماذا لم تكن اللذة خالصة ؟ اليس هذا
أليق بمبدع العالم

أقول ، اعلم اني لما فكرت في هذا أيقنت بأن صانع هذا العالم خلقنا في الأرض وهو يعلم أن هناك عالما
أرقى منه فلم يشأ أن يجعلنا طمئنين فيها بل ابتلانا بالخير والشر وقال - ونباوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون -
يعنى انه لو لم يكن عندكم إلا الخير ولم نصبكم بالشر لم تحنوا الى حال أرقى من حالكم التي أنتم عليها ، لذلك قرنا
خيركم بشركم لتبشحوا عن حال تكون كلها سعادة وخيرا وارتقاء ولذلك قال - والينا ترجعون - فرجوعكم
الينا لا يكون بشوق إلا اذا أصبناكم بالآلام فتكرهون المقام في الدنيا فلا تزالون في جوع وشبع وفقير وغنى
وحسد وقراة وحب وبغض حتى تنتقلوا الينا وتخلص نفوسكم ومتى خلصت نفوسكم كانت هناك السعادة التي
لاشقاوة معها وهذا كله معنى قوله تعالى - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - فالقلب السليم
هو الذي خلص من هذه المتناقضات وارتقى عن هذه الدرجات ولم يكن كالغافلين الذين قال الله فيهم - إن
الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار
بما كانوا يكسبون - لماذا هذا ؟ لأنى أذقتهم الحلو والمر والخير والشر فرضوا بهذه الحال ولم يعقلوا الجلال في
هذا الوجود ، ثم قال - ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم - الخ لأن هؤلاء رأوا حالا
ناقصة ففزعوا لأحسن منها وفهموا قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - إذ عرفوا
أنهم خلقوا بين آلام ولذات كحزن وفرح وخير وشر وصح وفساد وفقر وفرا من هذا العالم بهقول ولذلك أعقبه

بقوله

بقوله - ففرّوا الى الله - إذن قوله تعالى - وإذا أمرت فهو يثنين - يقصد من هذه المتناقضات القرار الى الله لتكون - عند ملك مقتدر -

﴿الابداع في هذا الوجود﴾

قلنا إن الألم داخلا وخارجا هو الباعث على السبل ، ومن عجب أن الطعام والشراب ولذة التناسل ولذة الغلبة مع اقترانها بالآلام صاحبت ادراك الجمال ، فهذا الوجود من سموات وأرضين كما أنه غذاء ودواء وفاكهة وشراب هو لوح يدرسه الناس وهو علم وهو جمال . فانظر لآلام حفزتنا الى طلب الطعام والشراب فبقيت أجسامنا حية ونفس النبات والحيوان مصنوعات صنعها دقيقا يصير دراسة لنا فيرقى عقولنا ومناظر النبات والحيوان في البر والبحر وكذا النجوم في السموات ، كل هذه ترىنا الجمال ، فكما عاشت بها أجسامنا ارتقت بها عقولنا علما وابتهجت أنفسنا بجمالها وبهجة أشكالها فهى الغذاء وهى الرياضة البدنية وهى الدواء وهى الجمال وهى العلوم . فهذا هو الابداع فالذين أرساوا لهذا العالم ربقوا فيه أغبياء لم يعقلوا علوم هذا النبات وهذه الحشرات وهذه السموات أى لم يتفكروا فيها فان هؤلاء غافلون والغفلة متى استحكمت فى طائفة لم يتأهلوا لقاء ربهم وهل يجالس السوق الملوكة ؟ فالأغبياء يكتفون من الحياة بقشورها - وفرحوا بالحياة الدنيا - مع أن الدنيا كلها كدر وكيف يفرحون بوجود ضئيل زائل - وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع - فبئس الآلام فى الدنيا كأنها مخاطبة من الله للناس بلسان الحال فن فهم الخطاب وأدرك أن هذه الآلام يراد بها استيقاظ النفس لادراك العلم والجمال والحكمة طار الى ربه فرحا وأحب الموت وسارع الى لقاء ربه ومن لم يفهم هذا الخطاب ولم يعقل ما يراد به بقي مسجوناً فى عالم ضئيل مهان معذب على حسب مرتبته . هذا هو السر فى الآلام التى نحس بها إن المتأمل لأهل الشرق ولأهل الغرب يجدهم متعاونين وان لم يعلموا كل ينفع الآخر وان لم يعقلوا وهم مع ذلك أعداء وهم يعلمون متنابدون متشاكسون . أهل السكر الأرضية ينفع بعضهم بعضاً بالتجارة والصناعة وكل لىكل مساعد . هذه الحياة كلها حيرة واضطراب . وإذا وجدنا الفرد منا يألم اذا لم يكن عنده ألم الجوع لاعتقاده أن عدم ألم الجوع نقص أى ان نقص الألم فىنا عيب فى أجسامنا فانا نجد المجموع يألم اذا لم تقم حرب الأتري ما قاله علماء الألمان قبيل الحرب الكبرى العاتية إذ كانوا يقولون ﴿إن الأمة التى أصبحت آمنة مطمئنة يكون مصيرها الزوال ومن أراد رقى أمة فليثر الحمية فيها بحرب فانها تبعثها من مرقدتها﴾ وانظر الى ما جاء فى مواضع من هذا التفسير ان أرسطاطاليس قل لتلميذه اسكندر فى الرسالة المنسوبة اليه ﴿ان الأمة الآمنة المطمئنة اذا أصبح أفرادها غير موكول اليهم نظام ولا محجدين فى أعمال عظيمة فان هؤلاء ينزلون الى الخسيس ويصبحون فى ملك غيرهم يتولى أمرهم﴾ إذن لافرق بين الاجسام الانسانية والاجسام المجازية الاجتماعية وهى الأمة بتمامها فالفرد اذا لم يحس بالجوع مثلاً والأمة اذا لم تؤلمها الحوادث وتهذبها النوازل والكوارث فان الفرد وان الأمة يعتريهما إذ ذاك الاختلال والاضلال . إذن ثبت بهذا أن حياة الأفراد وحياة الأمم لا تتم إلا بشر يصيبهم ومصائب تنزل بهم والام لم يرتقوا . وأذكر كى بما تقدم فى سورة البقرة إذ ذكرت لك (لغز قيس) اليونانى القائل ﴿ان الانسان الذى لم تهذب به الحوادث معرض لنواب الخدثان لا يزال ذليلاً وليس يحظى بالسعادة إلا من مرت النوازل والمصائب عليه﴾ وهكذا كتاب (الكوخ الهندي) وقد أثرت اليهما فى سورة البقرة عند قوله ... وبشر الصابرين - إذن السلم شئ ورأى الجمهور شئ آخر وبناء عليه تكون هذه الحياة مبناه النقص فليبحث الناس عن حياة أرقى من هذه

فقال بعض الفضلاء بعد ما اطلع على هذا . هذا كلام حسن أى اننا لا نجعل هذه الحياة هى المقصودة بدليل انها لا تكون كاملة فى مرتبتها الا بالآلام وما أقبح حياة يكون من شروطها الشرف أى خير فيها ؟ هذا حسن ثم ان قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففرّوا الى الله - أظهر لنا الموضوع

وجعله مهجرا بديما حسنا وأصحبنا له من مقصود سياطنا الدنيا قهري شر وخير والفرار إلى الله سبحانه في خير لا شر فيه

(اعتراض على المؤلف بأنه لا مسيح إلا من يعرف هذه المعاني)

ولكن أنت قلت إن التسييح في الديانات كتسييح يونس في بطن الحوت يفهمنا أن المسيح الحقيقي من يدرك هذه المعاني ويعرف أن الله بهذه الآلام أنعم علينا بنفس الآلام وأنه بهذا منزه عن أيدائنا ، فعلى هذا القول تكون رسالته ﷺ خاصة بأفراد عدد الأصابع في كل جيل من الأجيال . إن الذين يعلمون ما تقول في هذا المقام قليل . إذن المسلمون في (١٣) قرنا أي بعد العصر الأول لم يسبح الله منهم إلا أناس أقل من القليل وعليه تكون الصلوات والتسبيحات كلها لأفائدة منها . فقلت له إن التسييح اللفظي والعبادات كلها لها آثار فعلية فلا تسبيح ولا تحميد إلا وآثاره ترجع إلى النفس وتؤثر فيها كما يؤثر المنوم (بالكسر) في المنوم (بالفتح) ولولا هذا لألغيت العبادات من الأرض والله عز وجل لا يبق إلا النافع ، ولقد قرأنا في التاريخ وفي الألواح التي نصبها الأمم في كتبهم أنهم جميعا يعبدون والعبادة أقوال وأفعال وهذه كلها تؤثر بطريق الاستهواء الذاتي فكل قول يلفظه جاهل أو عالم مع المعنى الاجمالي يؤثر في النفس تأثيرا حقا فهو نوع من تنويم الإنسان نفسه إذن المنفعة عامة بالصلوات والتسبيحات لا خاصة بالعلماء والحكماء . فقال هذا حسن . فقلت الحمد لله رب العالمين واعلم أيها الذكي أن كلامي هذا لا يعقله إلا قليل وهؤلاء القليلون يتأملون فيجدون أننا أشبه بكره يتجاذبها الحزن والفرح والقرب والبعد والبكاء والضحك والجمال والقبح فتى عرفوا ذلك يقولوا نريد حياة بحال أرق فيقال لهم - وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون - إذا ما بعد النقص إلا الكمال ، فمن فهم هذا فهم قولهم تعالى - إلا من أتى الله بقلب سليم - وقوله - ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - أما إخوان الدنيا فهم حاسدون قد شاب الضر نفعهم كالطعام والشراب والدول والممالك انتهى ليلة ٢ أبريل سنة ١٩٢٩ م (نصف الليل)

وانرجع إلى بقية التفسير اللفظي للقسم الثالث والرابع فنقول ، قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين) أي جماعة قوم نوح وتكذيب نوح تكذيب المرسلين لأنهم يدعون إلى صراط مستقيم واحد والاختلاف في الطرق وفي الفروع ، وأما الأصول فهي واحدة الإيمان بالله واليوم الآخر (إذ قال لهم أخوهم نوح) وقد كان منهم (الانتقون) الله فتركوا عبادة غيره (إني لكم رسول أمين) مشهور بالأمانة فيكم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما أمركم به من التوحيد والطاعة (وما أسألكم عليه) على ما أنا عليه من الدعاء والنصح (من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين * فاتقوا الله وأطيعون) كره للتأكيد ولينبه على أن طاعته تحب عليهم لأمانته أولا ولأنه لا يطمع في مال منهم ثانيا وكل منهما وحده كاف في دفع الشبهة عنه ووجوب طاعته فبالك إذا اجتمعوا فأوردوا عليه شبهة (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) الأفلون جاها ومالا جمع أرذل فانك وإن كنت أمينا ولا تطلب منا أجرا فلاضير عليك من هذه الوجهة إنما الشبهة واردة عليك في اتباعك الفقراء الذين ربما أرادوا باتباعك أن تطعمهم من جوع وهذه شبهتنا فيهم فرد عليهم (قال وما علمي بما كانوا يعملون) أنهم عماوه اخلاصا أو طمعا في مال وما على إلا اعتبار الظاهر (إن حسابهم إلا على ربى) ما حساب بواطنهم إلا على الله فانه هو المطلع عليها (لوتشعرون) لو علمتم ذلك ولكنكم قوم تجهلون فتقولون ما لاتعلمون . ولما كان قولهم ان أتباعك هم الأرذلون يفيد أنهم يريدون طردهم قال (وما أنا بطارد المؤمنين) بقية أن تؤمنوا بي على دعواكم أنهم هم المانعون لكم من اتباعي (إن أنا إلا نذير مبين) لا أفرق في انذارى بين عزيز وذليل فكيف يليق بي طرد الفقراء . فلما أعيتهم الحيلة (قالوا لمن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المضروبين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) في الرسالة وقتلوا من آمن بي من الغرباء (فافتح بيني وبينهم فتحا)

فاقص بيني وبينهم قضاء بالعدل (ونجني ومن معي من المؤمنين * فأنجيناهم ومن معي في الفلك المشحون)
المملوء (ثم أغرقنا بعد) بعد انجائهم (الباقين) من قومهم . وقد تقدمت هذه القصة في سورة هود مستوفاة
فارجع اليها (إن في ذلك لآية) شاعت وتواترت (وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم)
انتهى تفسير القسم الثالث والرابع من السورة

(الْقِسْمُ الْخَامِسُ)

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *
أَتُوبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ تَهْبِثُ * وَتَذْخِدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ
بَطْشَتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ * أَمَدَّكُمْ
بِأَنفَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءٌ
عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ
بِمُعْزِبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ *
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا
تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
* وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْجِدُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُبُوتًا فَرِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا
إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَادِقِينَ *
قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ
يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (كذبت عاد المرسلين) أنت باعتبار القبيلة سموا باسم أيهم (إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون)
إلى قوله (إلا على رب العالمين) كررت هذه العبارة في دعاء الأنبياء للدلالة على أن دعوة الأنبياء لتفيد إلا
إذا كانت مقصورة على ما يقرب إلى الله وثوابه ويبعد عن عقابه وهكذا العلماء لا ينجع في الناس إلا ما هم إلا
إذا كانوا مخلصين في تعاليمهم كأنبياهم وبغير ذلك لافائدة (أتنبون بكل ريع) بكل مكان مرتفع . ويقال

ريع الأرض ارتفاعها وكما يطلق الريع على الشرف من الأرض يطلق على الفج وهو الطريق بين الجبلين (آية)
 عاما للمارة (تعيشون) أي بمن مر بالطريق لأنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة
 فيسخرها منهم ويعيشوا بهم (وتسخدمون مصانع) قصورا مشيدة وحصونا مائة وما أخذ الماء وهي الحياض
 (لعلكم تخدمون) أي كأنكم تبقون فيها خالدين لا تموتون (وإذا بطشتم) أخذتم وسطوتم وعاقبتهم (بالبشتم
 جبارين) متسلطين غاشمين بالرافة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة (فاتقوا الله) بترك ذلك (وأطيعون)
 فما أدعوكم إليه (واتقوا الذي أمركم بما تعلمون * أمركم بأنعام وبنين * وجنات وعيون) أي اخشوا الذي
 أعطاكم ثم بين ما أعطاهم فقال أعطاكم أنعاما وبنين وكرر التقوى لتفاوت المعنيين وهما ترك المنهيات في
 الأول والحذر من انقطاع النعم إذا أهملوا في الثاني وقد فصل النعم في الثاني كتابه على مساوئهم بقوله - ألا تتقون -
 ثم أجل ذلك كله بقوله (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة وذلك العذاب يكون لفعل المعاصي
 أولس كفران النعم (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لا نرجع عما نحن عليه (إن هذا
 إلا خلق الأولين) ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب (وما نحن بمعذبين) على ما نحن
 عليه (فكذبوه فأهلكناهم) بسبب التكذيب بريح صرصر عاتية سخرناها عليهم (إن في ذلك لآية) إلى
 قوله (وان ربك هو العزيز الرحيم * كذبت ثمود المرسلين * إذ قال لهم أخوهم صالح) إلى قوله (إلا على
 رب العالمين) تقدم تفسيرها، وقوله (أتركون) انكار لأن يتركوا خالدين في نعيمهم (في ما ههنا آمنين) أي
 في الذي استقر في هذا المكان من النعم آمنين من العذاب والزوال والموت ثم بين ذلك فقال (في جنات
 وعيون * وزروع ونخل) وخص النخل الداخلة في ضمن الجنات تفضيلا للنخل على بقية الشجر (طلعها)
 أي ثمرها الذي طلع منها (هضيم) لطيف يانع نضيج (وتسحتون من الجبال يوتا فارحين) بطرين أو حاذقين
 من الفراحة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب (فاتقوا الله وأطيعون * ولا تطيعوا أمر المسرفين)
 أي المشركين (الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) فان الفساد الذي غلب صلاحه على فساده يجوز
 بقاؤه، فأما من غلب فساده على صلاحه أو كان فسادا لا صلاح معه فإهلاك أولى به (قالوا إنما أنت من
 المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم (ما أنت إلا بشر مثنا) هذا تأكيد (فأت باية إن
 كنت من الصادقين) في دعواك (قال هذه ناقة) وذلك بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه (لها شرب)
 نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي ومن القوت (ولكم شرب يوم معلوم) فلا تراجوها في شربها
 (ولا تمسوها بسوء) كضروعقر (فياخذكم عذاب يوم عظيم) وعظم اليوم لعظم ما يحل فيه (ففقروها)
 عقروها بعضهم برضاهم فكأنهم عقروها كلهم (فأصبحوا نادمين) على عقروها خوفا من حلول العذاب
 (فأخذهم العذاب) الموعود (إن في ذلك لآية) إلى قوله (العزيز الرحيم) تقدم تفسيرها . انتهى التفسير
 لله ظي للقسم الخامس

(الْقِسْمُ السَّادِسُ)

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
 أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *
 أَتَأْتُونَ الذَّكَرَ أَنْ الذَّكَرَ مِنْ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْفُسَكُمْ بَلْ
 أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخُرْجِينَ * قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ

مِنَ الْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَمْعَلُونَ * فَتَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءً مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْسَى الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْصِيَاءَ اللَّهِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْخَافِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (كذبت قوم لوط المرسلين * إذ قال لهم أخوهم لوط) الى قوله (من العالمين) أى أظنون الذكور من أولاد آدم مع كثرة الاناث فيهم (وتذرون ما خلق لكم ربكم) لأجل استمتاعكم (من أزواجكم) من - تبين لما خلق ويحتمل أن يكون للتبعيض أى انكم تذرون العضو المباح منهم وتجاوزونه الى ما هو محرم فيهن لأن أديار الزوجات والمملوكات محرمة (بل أنتم قوم عادون) متجاوزون الحد في الشهوة لأنكم تذرون ما هو محل التناسل من النساء الى غيره منهم ومن الرجال (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عن نهينا وتقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من المنفيين من بلادنا (قال إني أهلككم من القالين) من المبغضين غاية البغض فأنا أحد المبغضين فليست وحدي في هذا الانكار ثم رجع الى ربه فقال (رب نجني وأهلي مما يعملون * فتجنّبناه وأهله أجمعين) أهل بيته والمتبعين له على دينهم إذ أمرنا باخراجهم من بيوتهم وقت حلول العذاب (إلا عجوزا) هى امرأة لوط (في الغابرين) أى كائنة فيمن بقوا في القرية فانها لم تخرج مع لوط فهلكت مع الهالكين (ثم دمرنا الآخرين) أهلكناهم (وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم * وقيل بل أتبع الائتفاك مطرا من حجارة (فساء مطر المنذرين) مطرهم (ان في ذلك لآية) الى قوله (هو العزيز الرحيم) تقدم تفسيرها أيضا

﴿ لطيفة في قصة قوم لوط عليه السلام ﴾

اعلم أن الله عز وجل أذن اليوم بإبراز الحجاب والحكمة في القرآن لتقرّ به النواظر وتشرح به الصدور وتستقر الأمور، فانظر أبدك الله الى ما جاء اليوم من الكشف والعلم في هذه القصة في المجلات والكتب مثل «مجلة السياسة» الأسبوعية يوم السبت ١٣ أكتوبر سنة ١٩٢٨ وهذا نص ما جاء فيها

﴿ قصة سدوم وعمورة ﴾

(هل هي حقيقة أم خرافية . أحدث آراء علماء الآثار)

في الكتب المنزلة ان الله أهلك مدينتي سدوم وعمورة وثلاث مدن أخرى بجوارهما بأن أمطر عليهما نارا وكبريتا من السماء فلم ينج من سكانها سوى ابراهيم الخليل وأهل بيته ولوط وابنتيه . ولم يكن ابراهيم من أهل تلك المدن ، وإنما كان قد نزح اليها من الشمال طلبا للرعى حسب عادة القبائل الرحل في ذلك الزمن ، وقد اختلف المؤرخون في قصة سدوم وعمورة فذهب بعضهم الى انها خرافة لا طائل تحتها ، وزعم آخرون أنها قصة رمزية ترمي الى العظة والذكى ، وقال فريق ثالث انها حقيقية وان في آثار البلاد المجاورة للبحر الميت ما يثبت صدقها ، وأصل الدكتور (أولبرايط) المشهور بمباحثه الأثرية في بلاد المقدس في مقدمة الذين سعوا لمعرفة حقيقة قصة (سدوم وعمورة) التي قد سر عليها أربعة آلاف سنة وهي لا تزال من الأسرار المستغلفة على علماء التاريخ ، ويظهر من المباحث الأخيرة التي قام بها أن تلك القصة حقيقية بجميع تفاصيلها واننا على وشك اكتشاف مأساة من أفظح المآسي التي شهدتها التاريخ

قام الدكتور (أولبرايط) بمباحث واسعة النطاق في وادي الأردن وعلى سواحل البحر الميت وهما المسكان الوحيدان اللذان يظن أن سدوم وعمورة والثلاث المدن الأخرى كانت فيهما ، وقد انتهى من المباحث الى هذه النتيجة وهي أن القصة الواردة في الكتب المنزلة ليست خرافية ولا رمزية بل هي تاريخية بجميع تفاصيلها وجزئياتها ، وخلاصة هذه القصة هي أن حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد انحدر ابراهيم الخليل من بلاد ما بين النهرين الى فلسطين ومعه أهل بيته وابن أخيه لوط وأهل لوط ومع كل منهما مواش كثيرة ، وفي رواية التوراة أن الأرض لم تحتماهما لسكثرة ما كان معهما من الغنم والبقر والرعاة ، وانه حدثت محاصرة بين رعاة مواشيهما فافترق لوط عن ابراهيم حفظا للسلام ، واختار لوط دائرة الأردن أي الوادي الذي كانت فيه سدوم وعمورة وأقام بسدوم ، واختار ابراهيم المرتفعات التي في الشمال وضرب خيامه في موضع يقال له (بلوطات عمرا) وأقام هنالك مذبحا لله لأنه كان مؤمنا ، أما لوط فيظهر أن اختلاطه بأهل سدوم أنساه عبادة الخالق فافتقأ أثر الوثنيين (هذه يكذبها القرآن) وكان ذلك في القرن التاسع عشر قبل الميلاد أي منذ نحو أربعة آلاف سنة وهذا هو العصر المعروف لدى علماء التاريخ بالعصر البرونزي ، على أن آثار فلسطين التي ترجع الى أربعة آلاف سنة تدل على أنه كان في فلسطين في ذلك الزمن حضارة راقية وليس في تفاصيل قصة ابراهيم ما يناقض آثار تلك الحضارة بل ان جميعها تنطبق على عادات القوم وطقوسهم وشعائرهم كل الانطباق ، فقد كان الناس الرحل يتجمعون المراعى النظرة ويضربون خيامهم حيث تكثر المياه وتسهل وسائل المعيشة وكانت المدن تشاد في الأودية على مقربة من مجرى الأنهر كما كانت الخيام تضرب على المرتفعات وهذا عين ما فعله ابراهيم وليس في هلاك مدينتي كسدوم وعمورة ما هو مدهش من الوجهة العلمية أو التاريخي فقد أخرجت صروف الدهر مدن (تروادة) و (بابل) و (بعلبك) و (قرطاجة) و (بطرا) و (بومباي) و (تدمر) وغيرها ولكن لم يجمع أثر أحداها محو تاما بل لا يزال لكل منها آثار تدل عليها وعلى ما كان لها من المجد والعظمة

أما سدوم وعمورة بل المدن الخمس التي كانت في دائرة الأردن فقد زالت ولم يبق لها أثر قط وهذا ما جعل الكثيرين من المؤرخين يعتقدون أن قصة سدوم وعمورة خرافة لا طائل تحتها أو أنها حكاية رمزية كما تقدم على أن الدكتور (أولبرايط) قد اكتشف آثارا يمكن أن يستدل منها على صحة القصة فقد وجد هنالك آثار حصن قديم يعلو نحو خمسمائة قدم على سطح البحر الميت وبجوار هذا المذبح أي حجارة منصوبة بشكل أعمدة يرجح انها المرتفعات التي كان الوثنيون في ذلك الزمن يقدمون عليها قرايينهم ، ويسمى أهالي الأردن المكان

الذي توجد فيه تلك المرتفعات (باب السراع؟) وهو على الأرجح الموقع الذي كانت فيه سدوم وعمورة لأن الوثنيين كانوا ينسبون مذابحهم في المدن (في المعابد) حيث يقيمون شعائر عبادتهم فلا بد إذن أن باب السراع كانت مركز حضارة وثنية ترجع إلى ذلك العصر ولكن أين آثار تلك الحضارة؟ أي يمكن أن يكون البحر الميت قد طما عليها فطمرها وأزالها؟

هذا فرض كثير الاحتمال وفي التاريخ حوادث كثيرة تشبه ، ففي سنة ١٨٨٣ ثار بركان (كراكاتو) بين جافا وسومطرة (وكان العلماء يظنون أنه قد انطفأ منذ زمان طويل) فغير جغرافية تلك الأنحاء تغييرا تاما وقلبها رأسا على عقب ، وفي سنة ١٨٨٦ أي بعدها بثلاث سنوات ثار بركان (تاراورا) ببلاد نيوزيلندا (وكان العلماء يزعمون أنه من البراكين المنطفئة) فغير معالم البلاد المجاورة وأحدث بها تغييرات حتى صار أهالي تلك الأنحاء لا يعرفونها ، وعليه فمن المحتمل جدا أن يكون البحر الميت قد طما على المدن الخمس التي كانت في دائرة الأردن بل إن بعض علماء الجيولوجيا يؤكدون أن هذا البحر يفمر اليوم بل إذا كانت أهلة بالناس أما المدن الخمس فهي سدوم وعمورة وأدمه وبلع وصبوئيم ، وقد نشر المنقبون في (باب السراع) على آثار يؤخذ منها أن طقوس العبادة الخاصة بالمرتفعات السابق ذكرها استمرت من سنة ٨٠٠ إلى سنة ١٨٠٠ قبل التاريخ الميلادي أي أن باب السراع كان من أمكنة القوم المقدسة مدة نحو ألف سنة ثم هجره أصحابه ولماذا؟ لسبب بسيط وهو خراب سدوم وعمورة

وليس في تسميتنا سدوم وعمورة وأخواتهما بالمدن ما يدل على حقيقتها فإنها لم تكن مدنا بالمعنى المعروف عندنا بل كانت على الأرجح قرى صغيرة تضم كل منها بضع عشرات أو أكثر من المنازل وكان ملوك تلك المدن أشبه بشيوخ بلد لولا ما كان لهم من الشأن عند رعيتهن ، ويؤخذ من رواية التوراة أن ملوك المدن الخمس المذكورة خرجوا لقتال أربعة ملوك من ملوك البلاد المجاورة وحدثت بينهم موقعة تعرف بموقعة (عمق السديم) فهزم الملوك الأربعة أعداءهم وأخذوا لوطا وأملاكه في جملة من أخذوه من الأسرى والغنائم لأنه كان يقيم بسدوم ، فلما سمع إبراهيم بما جرى لابن أخيه خرج في (٣١٨) من رجاله وهاجم الغزاة وكسرهم وأخذ لوطا وأملاكه وأهل بيته ، وفي هذه الرواية عينها أن ملكي سدوم وعمورة قتلا في (عمق السديم) حيث كانت آبار حرك كثيرة وآبار الحرك كما لا يخفى هي قابلة للإنتهاب وفي ذات يوم إذ كان إبراهيم جالسا بباب خيمته في حر النهار أقبل عليه ثلاثة رجال ، وفي التوراة أنهم كانوا ثلاثة ملائكة فاستقبلهم بترحاب عظيم وصنع لهم وليمة واحتفى بهم وفي أثناء الطعام علم أنهم ذاهبون إلى سدوم وكان أهل هذه المدينة مشهورين بشرورهم وانتماسهم في شهواتهم البهيمية ولا سيما المحرمة منها ، فلما وصل الرجال الثلاثة إلى سدوم ساروا توالي منزل لوط ابن أخي إبراهيم ليبيتوا عنده وعلم أهل سدوم بتقدمهم فأرادوا أن يرتكبوا بهم موبقا ولكن لوط دافع عنهم وعرض أن يضحي ببنتيه لينقذهم فأبى أهل سدوم إلا أن يرتكبوا بهم الفحشاء ولكن الضيوف تمكنوا من الفرار وأقنعوا لوطا وأهل بيته بالفرار معهم ، واليك رواية التوراة بعد ذلك

« واذ أشرفت الشمس على الأرض دخل لوط (صوغر) فأمر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من السماء وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض ونظرت امرأة لوط إلى وراء فصارت عمود ملح » ومعنى قوله صارت عمود ملح أنها اختفت بالغازات الكثيرة المتصاعدة من آبار الحر التي نهبت إما بسبب حدوث زلزلة أو بسقوط صاعقة من الجوّ ، وكلا السببين يكفي لاشغال آبار الحر وجعلها آتونا يلتهم ما حوله من نبات وحيوان وإنسان ، ومثل هذا الحادث غير مناقض للنواميس الطبيعية بل له في التاريخ نظائر كثيرة ، وفي تاريخ الكرة الأرضية انقلابات جيولوجية كثيرة شبيهة بحادثة (سدوم وعمورة) فقد ثور بركان وتدفق حممه على المدن المجاورة فطمرها وتهلك أهلها وقد تنخفض بلاد واسعة فيطمو عليها البحر وتزول

هي وما فوقها من نبات وحيوان وانسان وقد تنشق الأرض فتبتلع مدنا بأسرها ، وما يذكر بالذكري انك اذا وضعت الخارطة أمامك ورسمت خطا من بحرالجليل مارا بوادي الأردن فالبحر الميت فالبحر الأحمر فبلاد الحبشة كان لك ما يسميه علماء الجيولوجيا (منخفض ارتيريا) إذ يقولون ان الكرة الأرضية انخفضت في زمن من الأزمان على مدى الخط المذكور فأصبح بحرالجليل يهو (٢٥٣) قدما على سطح البحر الأبيض المتوسط حالة أن البحر الميت أصبح تحت مستوى البحر الأبيض المتوسط بزهاء (١٣١٦) وهذا دليل على أن المدن الخمس التي كانت هناك غمرها البحر الميت وانخفض معها الى أسفل وقد احترقت بالقار والحر واختنق أهلها بالغازات المنبعثة عن ذلك (أقول نحن لا نقر من هذا إلا ما وافق القرآن) انتهى

وقد كتب كاتب في جريدة الاهرام بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٢٩ م مانعه

﴿ البحر الميت أو بحيرة لوط ﴾

لما كان اسم هذا البحر أو البحيرة يرد كثيرا في تلافقات الاهرام الخصوصية بمناسبة امتياز استنباط أملاحه المعدنية وهو المشروع الذي تدور المناقشة عليه في البرلمان البريطاني بين حين وحين في خلال السنوات الأخيرة وكنت قد زرته مرارا في أيام حدائتي التي قضيتها في القدس الشريف رأيت أن أذكر هنا موجز تاريخ هذه البحيرة ووصفها وما أعرفه عنها فأقول

« إن موقع هذه البحيرة التي هي أكبر بحيرات فلسطين وسورية هو في الجنوب الشرقى من القدس الشريف على مسيرة ١٨ ميلا في منخفض من الأرض يسميه الكتّاب (غور السديم) ويرجح انها تغمر جانبا عظيما من المدن الخمس التي أمطرها الله نارا وكبريتا كما ورد في سفر التلاميذ من التوراة وطولها من الشمال الى الجنوب يقارب خمسين ميلا وعرضها عشرة أميال وسطوحها منخفضة عن سطح البحر المتوسط (١٣١٦) قدما . ولما كانت هذه البحيرة مصبا لمياه غريزة وكان لا منفذ لها ظاهرا ولا يبدو فيها أثر من زيادة مائها أو نقصانها تضاربت في امرها آراء العلماء أذكرهم ﴿ رأيين ﴾ قال فريق ما خلاصته ان شواطئ هذه البحيرة وانخفاضها العظيم واكتناف الجبال التي تشد على مخنفها هو مجلبة لشدة الحر الذي يبخر من مائها يوميا كمية تعادل الكمية التي تصب فيها ، ولا ينكر أحد أن حرارة الجو الشديدة ينشأ عنها بخار وافر وضباب كثيف متكاثر ينتشر ويغطي سطوحها وضواحيها مسيرة أميال ولكن يابح من المستحيل تحويل كل الماء الذي يصير اليها بخارا أو ضبابا على ما علمه المحققون من علماء هذا الفن وقد عدلوا كمية الماء الذي يجري اليها يوميا من نهر الأردن وحده بما يربى على ستة ملايين متر مكعب ، هذا عدا مياه الغدران والجداول ومجاري الأودية التي تصب فيها أيام الشتاء من أكثر جهاتها ولا سيما (نهر الموجب) الذي يأتيها من منحدرات الجبال التي تلي شرقيها فانها لعمري كمية لا سبيل الى تحويلها بخارا مهما تناسلت شدة الحر ، وقال فريق آخر انه لا بد لها من منفذ سفلى تصب منه في عمق أحد البحور التي لا يعلم الى الآن غور لجحها تماما وراقبوا الماء الذي ينحسر سنويا بالتبخر وبذهابه في المنفذ المفترض فاذا هو يزيد على القدر الذي يأتيها . وأما خواص مائها فليس له ثقل نوعي واحد بل يختلف في الكثافة والمرارة باختلاف مواضعه منها ، حيث يدخلها ماء الأنهار والسواقي يكون أقل ثقلا ومرارة من غيره ، وعلى وجه العموم يقدر أن في كل مئة جزء منه خمسة وعشرين جزءا من الأملاح المعدنية ذائبة فيها وهي الكثرة أملاحها لاحياة فيها لحيوان البتة . ومهاوم أن مياه البحار الأخرى لا تفوق أملاحها أربعة في المئة . وأعظم جزء بين موادها هو (كلورور الصوديوم) وهو ملح الطعام فله يبلغ ثلاثة أرباع المواد الأخرى التي فيها مثل (كلورور المغنيسيوم) وكبريتات الكلس والمغنيسيا وغيرها من مواد أخرارية وزفتية وكالها تولد فيها تلك المرارة والكرهية وهي من فرط هذه المواد المعدنية وكثرة ما يتصاعد عنها من الضباب والأبخرة صافية رائقة تستهيج النواظر بجمال روائها غير أن الأيدي تتجافى عن لمسها لأنها تذر فيها أثرا

زيتيا ولا مناص لمن خاض فيها أن يتطهر بعد ذلك بماء عذب زلال وأنه لا يلبث زمنا قليلا حتى نجوس في جسمه حكة تهيج فيه البثور كما جرى للكثيرين وأكثر الذين يقصدونها للاستحمام يستحمون فيها على مقربة من مصب الأردن في الجهة الشمالية حيث يتكثرون بهيد ذلك من الاغتسال في ماء الأردن . ولثقل ماء هذه البحيرة يطفو فوقها ما رسب في غيرها ولذا لاحذر فيها على من لا يحسن السباحة فإنه يعوم ولور بطلت كاتا يديه وراء ظهره وكل ما عليه هو أن يرفع رأسه ، ويبلغ عمقها نحو (٤٠٠) متر في الجهة الشمالية وستة أمتار وما ينيفها في الجهة الجنوبية ويختلف ما بينهما باختلاف مواضعها تدرجيا ، وبالأجبال فإنها تصلح لتسيير البواخر الصغيرة

أما أرياف هذه البحيرة فكلها بلاقع قفرة خالية من السكان والدور والشجر ولا يقيم بها إلا بعض البدو وقبائل التعمريين الرحل وذلك في فصل الشتاء وتحيط بها الجبال الوعرة إلا في الجهة الشمالية الشرقية منها فإنها سهل فسيح الأرجاء ولكنه عقيم حتى التربة تغطي قشرة ملحية جعلت أرضه سبخا لا تنبت نباتا إلا حيث تجرى فيها المياه الحلوة ونباتها لا ينتفع به وهو في الغالب الحلفاء والابأة وماشا كلها من النبات المائي وقديما كان ينبت في جوار هذه البحيرة وأريافها نوع من الشجر يعرف ثمره بالعنب السام أو العنب المرقكان ظاهره بهي المنظر إلا أن داخله كان نثنا عفنا مماؤا رمادا وبخارا وقد أشار اليه النبي موسى في سفر التثنية قال « من جفنة سادوم جفنتهم ومن كرم عمورة عندهم عنب سم وعناقيدهم من صرارة » والى الآن نرى أكثر ثمار هاتيك الأرض المجاورة لها نضرة شهية غير أنك إذا ما قطقتها تحوالت بيدك الى غبار ورماد ، على أن هذه الأرض وإن لم تصلح الآن للزراع والتشجير فهي صالحة لاستخراج المعادن فإنها كثيرة غنية بها كالخرو والنطرون والكبريت وزيت البترول الخ . والأسماء المشهورة بها هذه البحيرة هي ما يأتي

- (١) بحيرة لوط نسبة الى لوط ابن أخى ابراهيم الذي أنجاه الله مع آله من سدوم
- (٢) البحر الميت لأن مياهه لا تعيش فيها الحيوانات المائية وتلبث راكدة هادئة إلا عند اشتداد العواصف
- (٣) البحيرة المنتنة لأنها تنبعث عنها في الغالب رائحة خبيثة لوفرة موادها المعدنية
- (٤) بحيرة الملح اعتبارا لمائها الأجاج ووفرة الملح فيها
- (٥) بحيرة الزيت لكثرة موادها الزيتية وانقارية
- (٦) البحر الشرقي لمقابلته البحر المتوسط لكونه غريبه
- (٧) بحيرة البرية والسهل لأنها في برية فاصلة وشمالها الشرق سهل فسيح
- (٨) بحيرة سدوم باعتبار أنها محلها على الرأي الأرجح ، أما المدن الخمس التي أشرت اليها في أول هذه المقالة ويقال انها كانت حولها وفي موضعها فهي سدوم وعمورة وصبوتيم وادمه وزغر . وقد اختلف علماء الآثار على موقعها فمنهم من جعله في الجهة الجنوبية من البحيرة حيث السهل الخراب . ومنهم من زعم انه في الجهة الشمالية حيث السهل القاحل الكبيرتى الممتد منها الى اريحا . على أنهم وإن اختلفوا في ذلك فهم مجمعون رايًا على أن موقعها بجوار هذه البحيرة وأن جانبها منها تغمره مياهها الراكدة . وما يمكن قوله عن هذه المدن انها كانت قبيل أن شملها الخراب الإلهي حافلة بالسكان متردية ثوب الحضارة والمدنية . ونخبرنا الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين أن كلا من هذه المدن كانت قاعدة ملوك جبابرة فضلا عن أن موقعها الطبيعي يستدعي أن تكون زاهرة غناء مزدهية بجمال موقعها بديةة بجنانها وغياضها غنية بوفرة مائها وخيراتها لأن نهر الأردن كان يشعب في غورها الزكي التربة سيولا فيسقى أرياضها ورياضها وحدائقها التي كانت ولا شك تفوق جنات دمشق كثرة وخصبا . ويمكن القول أيضا أن تحضر هذه المدن قديما وتألب السكان فيها قد جلا ابراهيم الخليل على أن يتقدم الى الله العليّ مسترسلا في كلامه مكررا تضرعه اليه تعالى أن يعفو عنها

(تكوين ١٨) غير انه لما كان الفساد قد شمل سكانها وكان جميعهم قد سكروا بلذة الإثم حتى انه لم يعد فيها بار سوى لوط وآله انتقم الله من أهلها بأن أمطر المدين نارا وكبريتا من السماء فألب ما كان هناك خزيها معدا من البراكين النارية التي عجبت دمارهم فطبق ماء الغور الزائد تحتها ووجه هاتيك الأرض فنارت بهم خاسفة وظهرت البحيرة على ما نراه اليوم . انتهى والله أعلم (ن . خ)

ثم قال تعالى (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) الأيكة غيضة تثبت ناعم الشجر ، يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان أجنبيا عنهم فاذلك قال (إذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم وإنما كان من مدين وأرسل اليهم * ويقال الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم (إني لسم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون) الى قوله (إلا على رب العالمين * أوفوا الكيل) أتموه (ولا تكونوا من الخسرين) حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى أو القبان ، وإذا جعلناه عربيا جعلناه من القسط وهو العدل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أى لا تنقصوهم حقوقهم كدراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافها وغير ذلك (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين) أى وذوى الجبلة الأولين أى الخليفة والأمم المتقدمة (قالوا إنما أنت من المسحرين * وما أنت إلا بشر مثلنا) فقد جمع بين وصفين منافيين للرسالة (وانظرك لمن الكاذبين) فى دعواك (فأسقط علينا كسفا من السماء) قطعها منها (إن كنت من الصادقين * قال ربى أعلم بما تعملون) من نقصان الكيل والوزن وهو يجازيك بأعمالكم فعلى البلاغ وعلى الله الحساب (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) إذ أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فأظلمتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا (إن فى ذلك لآية) الى قوله (الرحيم) انتهى التفسير اللفظى للقسم السادس

هذه هى القصص السبع التى جاءت فى هذه السورة مختصرة وهذه القصص دالة على أن هذا وحى من الله فان النتائج التى حصل عليها الأنبياء هى التى حصل عليها النبي ﷺ ولم يكن وقت نزولها ذا شوكة ولا قوة . وهذه القصص السبع نموذج لما أصيب به النبي ﷺ من التكذيب والأذى ولما عوقب به القوم من الخذلان والصغار ولما منع ﷺ من النصر المبين والفتح ، والمتأمل فى هذا يجد هذا معجزة فانه أولا لم يكن من القارئ حتى يطلع على مثل هذا ، وثانيا لم يكن يدور فى خلد أحد أن تكون هذه عاقبة من لامال بيده ولا رجال ولا جند عنده وهذا من أغرب المعجزات . واعلم أن هذه القصص قد تكلمنا عنها فى سورة الأعراف وفى هود فارجع اليها إن شئت

(الْقِسْمُ السَّابِعُ)

وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ * كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا

يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَأَيْتَ إِنَّمَا مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنِعُونَ * وَمَا أَكُنَّا بِمِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ * ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا
ظَالِمِينَ * وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْهَوْنَ عَنْهُمْ وَمَا يُسْتَعْجِلُونَ * إِنْتَهُم مِنَ السَّمْعِ
لَمَعُزُونَ * فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُنْذَرِينَ * وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِئَاسَةٍ مِّمَّا تَتَّبِعُونَ
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَزِينِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ فِي تَقْوَمٍ * وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ * تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ *
يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا وَأَتَّصَرُّوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين) منزل منه (نزل به الروح الأمين) أي جبريل لأنه أمين على الوحي
والوحي فيه الحياة * وقرئ - نزل - بالتشديد أي نزل الله الروح بالنصب أي جعل الله الروح نازلا به والباء
للتعدي (على قلبك) أي حفظك وفهمك إياه وأثبتته في قلبه إثبات من لا ينسى كقوله - سنقرئك فلا تنسى -
(لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) واضح المعنى فصيح ، وانما كان نزوله على قلبه بلسان عربي
مبين لأنه لو كان بلغة غير لغته لكان أول توجه نفسه الى اللفظ ثم المعنى مهما كان ماهرا فيها ، فاذا كان بلغته
التي نشأ عليها كان توجه نفسه الى المعاني بدون عائق ، هذه هي العادة فيمن يعرف لغات كثيرة وهذا سبب
نزوله بلغة العرب وهي لغة الرسول ﷺ (وانه لفي زبر الأولين) وان معناه اني كتب الأولين أودكر محمد
ﷺ وصفته ونعته (أولم يكن لهم آية أن يعاهه عاهاء بني اسرائيل) أولم يكن هؤلاء المعاندين دلالة على صدق
محمد ﷺ أن يعرفه هؤلاء العاهاء بنعته في كتبهم فقد بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن
محمد ﷺ فقالوا ان هذا زمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدق محمد ﷺ والذين
شهدوا بذلك خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد (ولونزلناه) أي القرآن (على بعض
الأعجمين) جمع أعجمي على التخفيف وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا في النسب (فقرأه
عليهم ما كانوا به مؤمنين * كذلك سلكناه) أي أدخلنا الكفر المدلول عليه بقوله - ما كانوا به مؤمنين -
في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) الملحق الى الايمان (فيأتيهم بغتة) فجأة (وهم
لا يشعرون) باتيانها (فيقولوا هل نحن منظرون) معناه انهم يسألون الامهال فلا يجابون ، ولما تكرروا الانذار
على أهل مكة وسمعوا بعذاب الأمم السابقة في مثل هذه السورة قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب ؟
فقال الله (أفبعذابنا يستعجلون * أفرايت إن متعناهم) متعنا أهل مكة (سنين) ولم نهلكهم (ثم جاءهم
ما كانوا يوعدون) وهو العذاب (ما أغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يمتنعون) كأنه قيل ليكن الأمر

كما يعتقدون من تميمهم وتعميرهم فإذا طال الأجل وتمتعوا ثم لحقهم ما أنذروا به فإذا ينفعهم من طول ذلك الأمد والتمتع بالنعيم ، يقول الله إن العذاب واقع عاجلا أو آجلا فإذا لم يكن عاجلا فإنا يفيدهم نعيم وطول عيش هو ذاهب لاحتمال بوقوع العذاب ، إن النعيم المنقطع لا فائدة منه ولا خير فيه * وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظمي فلم يزد على تلاوة هذه الآية ، فقال ميمون قد وعدت فأبقت * وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقرأها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) رسل ينذرونهم إلزاما للحجة كما هي عادتنا في أننا نقدم المرض قبل الموت غالبا إذا رأينا حكمة ، وكما أنذرنا الناس بالردى قبل وقوع الكوارث والحوادث ، وهكذا إذا جاء أجل الأمة أهلكنا خطباءها وعقلاءها فذكروا المستقبل المظلم الذي لها ، وإنما فعلنا ذلك (ذكرى) أى لأجل التذكرة (وما كنا ظالمين) فهناك غير الظالمين وقبل الانذار . كلا .

﴿ جوهره في قوله تعالى : وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾ ذكرى وما كنا ظالمين - مع قوله تعالى في سور أخرى - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - وقوله - وما كنا مهلكي القرى إلا أولها ظالمون - وقوله - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - والظلم هنا الكفر وقوله - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - وقوله - حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون * لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون - وقوله - نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - ﴿

هاهوذا القرآن يقول لنا أيها الناس إن الترف والنعيم والظلم مبدأ الخراب في الأمم ، ويقول إن الأمم إذا أدبر شبابها وولت أيامها وأقبل هرمها أنذرهم منذروها وحذرهم المحذرون ، وهنا نقول ، لماذا أنزل الله هذه الآيات في القرآن الكريم ، ألمجرد التلاوة والتعبد . كلا . بل للتلاوة والتعبد ومعهم العمل . أم الإسلام اليوم في حاجة شديدة إلى الإصلاح والتذكير والله يقول - وذكرهم بأيام الله - إذن نحن مأمورون أصرا حتما وواجبا وجوبا كفايا وعلى كل مشتغل بعلوم الأمم الإسلامية أن يذكرهم بما علم . فإذن هنا أذكر المسلمين عموما بأمتين أنذرهما المنذرون وحذرهما المحذرون قبل سقوط دولتهما وهما أمة المصريين القدماء وأمة العرب بالأندلس . أنا أكتب هذا هنا تذكيرا للمسلمين وخروجا من الإثم بالتقصير لعلمي أن ما أكتبه أنا ويكتبه غيري من أهل العلم ببلاد الإسلام يرفع همهم ويوقظهم إلى المستقبل كما قال تعالى - وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين - وإذا كانت الذكرى قد نفعت الأمم الفرية وأنارت دولهم وبما حكمهم القوية في عصرنا فإنها ستكون هنا في بلاد الإسلام أسرع أثرا وأنفذ قولاً وأبعد مدى . فهناك ما حدث بفرنسا قبل أوائل هذا القرن العشرين . ذلك أنهم أعلنوا أن تحضر الفتيات عاريات في المراسع ليطلع الناس على الجمال باللباس في مرقص من مراقصهم ، فأعلن أحد علماءهم أن يلقي خطبة في ذلك الأمر واستقباحه ، فلما حضر واجتمع القوم رموه بالطماطم حتى صارت ثيابه جيعها ملوثة بلون الطماطم فلم يزد على أن قال « ما كنت أعلم أن هذا يوم الكرنفال » الكرنفال معناه يوم يلبس الناس فيه الملابس المضحكة لمجرد الفكاهة (المسخة) فضحك القوم وأنصتوا للخطبة فقص عليهم تاريخ الرومان قائلا ﴿ إن الرومان في أواخر أيامهم قد تهادى النساء في غوايتهن حتى وقفت فتاة في الشارع وخطبت على عربة وقالت والله لا ترجع عن الزينة والزخرف حتى تكون عر باتنا من ذهب وتصبح المالية وقفا على تفنننا في الخلاعة والزينة ، وزاد الفجور والفسوق فأنحلت تلك المدينة وذهبت ﴾ فلما سمعه القوم أعرضوا عما عزموا عليه ومنعوا حضور النساء عاريات ، ذلك لأن الخطيب ذكرهم بذهاب مجدهم وانحلال ملكهم ، هكذا هنا أذكر المسلمين الآن بهاتين الأمتين وسيكون لذلك أثره إن شاء الله

والله هو الهادى الى صراط مستقيم

فلأجعل الكلام فى ﴿ أربعة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ فى انخطاط ديانة قدماء المصريين بعد ارتفاعها
﴿ الفصل الثانى ﴾ فى ورقة انسطاسى البردية أوسفرابور والنبي المصرى القديم ونبوذة الفيلسوف هرمس
﴿ الفصل الثالث ﴾ فيما حل بالأندلس من احتجاب الخلفاء وتشبه الفتيات بالفتيان وشيوع الترف والانهماس
فى اللذات وتفرق المصيبة

﴿ الفصل الرابع ﴾ فيما توقعه العقلاء من زوال ملكهم

﴿ الفصل الأول فى انخطاط ديانة قدماء المصريين ﴾

أنا أسوق هذا الفصل لأذكر قومنا بأيام الله حتى لانقع فيما وقعوا فيه فأقول ، لابد قبل البدء فى ذكر
انخطاط هذه الديانة من ذكر ارتقاؤها وعلوها حتى نعرف كيف انخطت . إن المصريين استدلووا على الله بعقولهم
أجيالا وأجيالا حتى عرفوا اسمه وصفاته وأحبوه حبا جبا آلاف السنين ثم رجعوا القهقري ونسوا أصل الدين
وعبدوا الحيوانات فزال مجدهم ، وقد جاء فى نص فى قبر الملك (ببى الأول) انهم أولًا كانوا يقولون ان أتوم
وذريتته (آدم) وذريتته كانوا يسكنون مدينة (هليوبوليس) وأتوم هذا كما انه أبوالآلهة هو رئيسهم ورئيس
الآلهة التسع المذكورة فى عقيدة هليوبوليس التى كانوا يسمونها الفردوس الأرضى (هى قرب القاهرة الآن)
وكانت هذه النصرية الآدمية خليطا من الآلهة والبشر فى طهارة وسلام ، ثم ان (رع) كبير الآلهة انتصر على
الحية وهى إلهة الشر و (رع) هذا يحكم للأر باب والمربريين و بعد ذلك زالت هيبته هؤلاء الآلهة الذين استعبدوا
الناس ثم زالت هيبته المعبود (رع) ثم خافوا منه فهربوا للجبال فأهلكهم ثم استبقى من كان يحترمه من الناس
ثم تكبر على الناس جميعا لأنهم مطبوعون على الشر وسكن السماء بعد أن نظمها واستخلف غيره من الآلهة
البشرية وهذه الآلهة جميعها تمرض وتموت كالبشر انتهى ملخصا

ثم تطوّر القوم فعرفوا أن آدم هذا وذريتته جميعا مخلوقون وأن لهم خالقا بدليل ما جاء فى ﴿ كتاب الموتى ﴾
(فصل ٤٣ العدد ١ - ١١ - ١٢) ﴿ لا يعرف الانسان اسم الخالق ﴾ وجاء فى أنشودة المعبود أمون ﴿ ان
اسم الخالق خفى عن الناس ﴾ وجاء فى نصوص اهرام الملك أوناس من الأسرة السادسة ﴿ إن الخالق لا يمكن
معرفة اسمه لأنه فوق مدارك العقول ﴾ ثم استعملوا ألفاظا عامة كاللوهية وبعض ألفاظ تدل على الخالق بطريق
الكناية فقالوا ﴿ السيد المطلق المالك كل شئ وانه لانهاية له ولا حد له ﴾ ثم اهتموا لمعرفة صفاته ورجعوا عرفوا
اسمه من الأنبياء القدماء فقد جاء لفظ الجلالة مرارا فى أمثال وحكم (حتب) الأديب المصرى القديم منصوصة
فى كتابه الذى هو أقدم كتاب فى العالم وهذا نصه ﴿ لا توقع الفزع فى قلوب البشر لئلا يضربك الله بعصا
انتقامه ﴾ . قال (لباج رينون) ﴿ إن اليونان والرومان كانوا عريقين فى الوثنية حتى لم يسمع عنهم انهم
ذكروا اسم الله أصلا . أما قدماء المصريين فلم يرد فى تاريخهم انهم عرفوا الوثنية ﴾ وأن الورقة البردية فى
المتحف البريطانى تضمنت ما يأتى ﴿ أنت الإله الأكبر سيد السماء والأرض خالق كل شئ ، يا إلهى وربى وخالق
قوى بصرى وبصيرتى لأستشعر مجدك واجعل أذنى مصغية لقولك ﴾ فأما نخادهم السماء إلهها أو عبادتهم السكواكب
فإنما جعلوا ذلك رمزاً لله الواحد الصمد . هذا وأذكرك أيها الذكى بما ذكرته فى سورة البقرة من التشيد
الذى جاء فيه التوحيد ومحبة الله والابتهاج بأنواره التى خلقها فى الليل والنهار التى فيها أنت العالم بأسرار الحياة
تظهر بجمالك فى آفاق السماء

هذا هو ارتفاع مدينتهم ، أما انخطاطها الذى سقنا له هذا الفصل التى مبدؤها سنة ١٦٠٠ ق . م الى سنة

٤٣٠ ق . م أى بعد خروج الرعاة من مصر وهذا بيانه

﴿ انخطت مصر فى الدين والأدب فى الدولة الحديثة بسبب الثورات العديدة التى توالى عليها واستمرت

الى العصر الرومانى لاختلاطهم بالأجانب ، وقد كانت الحيوانات عند قدمائهم رمزا للاله السلق واسكن فى الدولة الحديثة جعلوها فوق الهياكل والمعابد وجعلوا المعبودات فى المنزل الثانية من الاعتبار وكثرت الخرافات فعبادوا الطيور والسماك والحيات والتماسيح والقطط والكلاب والأكبش واتخذوها آلهة لهم وحفظوها ودفنوها بعد موتها بالاجلال والاحترام ، وهذا كان من مبدأ الأسرة (٢٦) وامتد الى العصر الرومانى ، وقد عظموا هذه الحيوانات حتى انها اذا لدغتهم أو نهشتهم وافترستهم لا يذنبونها احتراما

وقد أخبر (ديودور الصقلى) أن رومانيا قتل خطأ فقتله الشعب المصرى انتقاما ، وذكر (بوتارك) أن أهل (سينوبوليت) بالأقاليم الوسطى أخذوا صرة نوعا من السمك الذى كان معبودا عند أهالى اقليم (اكسرينيك) وأكلوه فأعلن هؤلاء عليهم حربا عوانا وأخذوا كل ما معبودا لهم وذبحوه انتقاما وتشفيا . وقال (استرابون) انهم كانوا يتكفون وضع المسك للتماسيح فى البحيرات المقدسة ويكابدون فى ذلك نفقات عظيمة . وقال هيردوت انهم كانوا يدفنون حيواناتهم المقدسة فى قبور على مقربة من قبور ملوكهم وأشيانهم وعنوا بدفنها أكثر من عنايتهم بدفن جثث آبائهم وأعزائهم ، وقد كشفوا أخيرا حفرا عميقة وأنفاقا واسعة مملوءة بمئات الألوف من القطط والتماسيح المنطحة ، وقد كشفوا مع أموات الدولة الحديثة كثيرا من التماثيل الصغيرة المسماة (أوشاتى) أى الجنيات تجيب السماء وتجيب عن الميت يوم الحساب أو تقوم مقامه أو تكون فى بدن الميت فى الأعمال التى يسخر الميت فيها (سوريس) وهكذا عبدوا الأفاعى والحيات . انتهى الفصل الأول

الفصل الثانى فى نبوة الفيلسوف هرمس وفى ورقة انسطاسى البردية أوسفر (ابور) النبي المصرى القديم ﴿ ان ديانة قدماء المصريين طال أمدها أربعة آلاف سنة ، وقد أخبر الفيلسوف هرمس بمسئلتها فقال يجب عليكم أيها الحكماء أن تستدركوا كل شئ وتعرفوا انه سيأتى وقت يترك المصريون عبادة الله فيغضب عليهم ويترك أرضهم ويهجر مصر بدون ديانة وتهمل الأشياء المقدسة ويأتى اليها الأجانب من كل صوب فيضعون لها قوانين تحرّم ممارسة الديانة الحقة والتقوى وعبادة الإله وتعاقب من يباشرها وترى فى القبور والأموات بدلا من المعابد والهياكل التى تدنس أرضها ، أواد مصر . أواد مصر . سيأتى عليك وقت لا يبقى فيه من دينك القويم إلا الخرافات وتنهض أخبارك فى بعض أحياءك ويستوطن فيك البرابرة والهنود ويصعد الإله الى السماء ويموت البشر وتصبح مصر قاعا صفصفا لا يقيم فيها الآلهة ولا عقلاء الناس . وأنت أيها النيل المبارك أتبتك انه سيدنس مياهك المقدسة أمواج من الدم وتفيض الى شواطئك وتسكن الأموات وتقل الأحياء وان بقى من المصريين من يتكلم بلغتهم فانهم يكونون أغرابا عنها بأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم التى تسرى اليهم من الأجانب . أنت تبكى اليوم ياهرمس . سيكون فى مصر أشياء محزنة كثيرة . واحسرتاه ستقع مصر فى الضلال والكفر تلك الأرض التى كانت وطن الأتقياء وحيدة الإله ستفسد فيها أخلاق القديسين بعدما كانت مدرسة التقوى والعبادات وستصير مسرحا للشور والموبقات . سيكره العاقل الدنيا وما فيها ويؤثر الموت على الحياة لما يراه من قلب الحقائق وتنضير الظلام على النور حتى يعتبر الفاسق تقيا والأحقى عاقلا والجبان شجاعا والضلال رشدا وتكون حياة الرجل التى عرضة لجميع الأخطار انتهى (منذ ٤٠٠ سنة)

وجد فى متحف (لندن) تحت رقم (٣٤٤) ورقة بردية طولها ٣٧٨ سنتى فى عرض ١٨ سنتى اشتهرت بورقة (انسطاسى) لأنه هو الذى كشفها فى مدينة منفيس بقرب (سقارة) ثم باعها الى متحف لندن سنة ١٨٢٨ وهى مكتوبة من وجهتيها بالخط الهيراطيقى فى مدة الأسرة الثانية عشرة . وقيل انها كتبت فى الأسرة التاسعة عشرة وترجمت الى الألمانية والإنجليزية واللاتينية ثم الى العربية . وفى هذه الورقة تنبؤ (ابور) النبي المصرى القديم وهذا نصها ﴿ سيأتى على مصر زمان ينضب فيه ماء النيل وتبطل زراعة الأرض . وأطال فى وصف الخراب . ثم قال ويتغلب الصعاليك على الأكابر وأكثر من الكلام فى الثورة الداخلية . ثم قال ويجحد البرابرة

فرصة للاستيلاء عليها واستضعافاً لأهلها وتسود العبيد وينهبون أموال أربابهم حتى تشخذ أساؤهم عقود الذهب والفضة والعقيق بينما تسكون الأميرات في الطرق بأئسات الى أن قال « ثم تفتنى هذه الشرور ويهود الهناء على يد رسول يرسله الله فيعيد الحياة في أرض مصر فيسود السلام وتفيض مياه النيل وتتم الزراعة ويسترد المصريون ثغورهم ممن تغلبوا عليهم من العبيد والليبيين والنوبيين ويحلّ الهمار محل الدمار » اه ومعوم أن مصر قاست الشدائد ودخلها الأجانب وقد احتلها الرعاة وبقوا فيها (٥٠٠) سنة والفارسيون وأهل النوبة واليونان والرومان والله مقلب الليل والنهار

ومن العجيب أن أنبياء بني اسرائيل تنبؤوا في التوراة بمثل ما تنبأ به نبي المصريين . انتهى الفصل الثاني وكله ملخص من كتاب « الأدب والدين » عند قدماء المصريين

﴿ الفصل الثالث فيما حلّ بالأندلس من احتجاج الخلفاء وتشبه الفتيات بالفتيان

وشيوع الترف والانغماس في اللذات وتفرق العصبية ﴾

لقد كثرت الترف والنعيم وأخذ الخلفاء الأمويون في أواخر أيامهم في الملاذ والشهوات والاحتجاب في القصور وقد كان المنشدون والسفراء يكلمونهم من وراء حجاب ويقف الحاجب من دون الستر فيكرروا يقولونه وما يحكى أن ابن مقانا الأشبوني ألقى قصيدة على مسمع من الخليفة المحتجب ادريس بن يحيى الحموي قال في آخرها

أنظرونا نقبس من نوركم * إنه من نور رب العالمين

فرفع الخليفة الستر وقابل وجهه بوجهه وأجازه جائزة حسنة ، وبينما الخلفاء يحتجبون عن الناس كالنساء اذا النساء يتشبهن بالرجال * قال الوزير بن شهيد

ظبية دون الظباء قنصت * فأتت غيداء في شكل صبي

فتح الورد على صفحتها * وحماه صدغها بالعقرب

وقد شاعت مجالس الخمر والسماع والرقص على نغمات الأوتار . ولقد صار المرابطون الذين أسسوا ملكهم على التقوى والصالح في أولها أهل خلاعة في آخرها فسكنوا القصور في الأندلس وأكثروا من مجالس الطرب والهوى فضعفت عصبيتهم ودينهم وأخلاقهم فتغلب عليهم الموحدون وانتزعوا منهم البلاد التي بقيت في أيديهم ٢٢ سنة من سنة ٤٨١ الى سنة ٥٤١

جاء في سورة الاسراء عند قوله تعالى . واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفينا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً . من كتاب « الرحلة الأندلسية » للأستاذ البتوني بيان ما حاق بالمسلمين في الأندلس بسبب الاكثار من الاستعانة بالبربر الذين نصروا عبد الرحمن الداخل كما استعان العباسيون بالفرس فكسروا شوكة الأمويين واستكثروا من المماليك . فهؤلاء الأمويون بالأندلس قلدوا العباسيين في الاستكثار من المماليك الصقالبة وغيرهم حتى صارت لهم الكلمة النافذة في البلاد ثم صار حكمها في أيديهم كما صارت البلاد الشرقية التي حكمها العباسيون في حوزة الترك والفرس في زمان مختلفة . إذن هذه قاعدة مطردة ﴿ ان الترف والنعيم وانكسار الأمم على الدخلاء يضع المجد ويذهب الملك - ولله الأمر من قبل ومن بعد -

فاقرأ ما في سورة الاسراء ثم اسمع ما جاء في نفس تلك الرحلة تحت عنوان

﴿ للعبارة والتاريخ ﴾

العبارة الأولى لضعف العرب في أسبانيا هي تفرق الجماعة وانقسام الدولة الأموية بعد أن طويت صحيفة بني عامر الى عشرين دولة صغيرة استقل بها ولاتها وهي اشبيلية . جيان . سرقسطه . الثغر (ما كان منها في شمال طليطلة) طليطلة . غرناطة . قرمونه . الجزيرة الخضراء . مرسيه . بلنسية . دانية . طرطوشه .

لارده . باجه . الماريه . مائه . بطليوس . اشبونه . جزائر البليار . قرطبة . فكان هذا الانقسام داعيا الى كثرة الاختلاف وقتال الدول بعضها مع بعض وطمع كل منهم في الآخر واشتغال نار حرب كل منهم مع جيرانه وقهر القوى للضعيف ، وقال ابن خزم « فضيحة لم يأت الدهر بمثله ، أربعة رجال كل منهم يسمى بامير المؤمنين واحد بأشبيلية والثاني بالجزيرة الخضراء والثالث بمالقة والرابع بسبته وأصبح العرب والبربر في خلاف مستديم والجميع في خلاف مع أهل المغرب الأقصى وفي حروب مع الأمم الاسبانية والبرتغالية » الى ان قال « وكثيرا ما يستظهر الابن على أبيه والأخ على أخيه بماوك النصرانية وقد استنصر المأمون بن الناصر من بني عبد المؤمن بملك قشتاله على أخيه يحيى وكثراستنصار بني الأحمر بماوك النصرانية بعضهم على بعض في آخر دولتهم حتى سقطوا . وأن طليطلة ما أضعافها صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذي النون إلا لشهوته في الاستيلاء على بلنسية واستنصاره بملك قشتاله (الفونس السادس) لمساعدته في ذلك ، وكان الفونس لا يبرح يورطه في حربه لبني عامر حتى أضعفه واستولى هو على بلاده سنة ١٠٨٥ بعد أن بقيت مستقلة في أيدي بني ذي النون سنة ٧٣ انتهى ملخصا

إذن ملوك النصرانية كانوا نشطين في اشغال نار الحرب بين ملوك الطوائف وهؤلاء الملوك جاهلون ليس عندهم من علم السياسة والتاريخ ما به يعرفون مواطن خراب الأمم وضياح مجدها ، وفي اعتقادي أن المسلمين بعدنا سيكونون أرقى من آبائهم الذين لم يعرفوا من التاريخ مكان العبرة ولا من العلم مقام الاصلاح بل ترك العلماء الأمم الاسلامية حبلها على غاربها وأمهنتوا في الشعر والغزل ونسوا حظا مما ذكروا به أيها المسلمون ليقرأ التاريخ للعبرة والذكرى . وجاء في الرحلة الاندلسية أيضا ما ملخصه أن ملوك العرب وأمراءهم كانوا يخرجون في أول أمرهم الى مهممة الحروب بأنفسهم فيثيرون الحية في قلوب الجيوش فكانوا يغلبون فلما استناموا للترف والنعيم استهانوا بالصقالب والمدجنين والعبيد بل كانوا يؤجرون مرتزقة من الاسبان ممن لا يهتمهم النصر ولا يخافون من الهزيمة ، وأول من فعل ذلك المنصور بن أبي عامر في زحفه على شانت ياقو وكان بنو هود (بسر قسطة) يستأجرون البطل سيد ورجاله في حروبهم ضد اخوانهم المسلمين . ومن العجيب أن المنصور كان يستخدم المرتزقة من الأسبان في حرب الأسبان أنفسهم ، فأما المنصور بن أبي عامر فانه استعان بهم على حرب اخوانه المسلمين ، وأما البطل سيد المذكور فانه هو (رودريك) الذي يسمى عند العرب (السيد قنطور) وكان مشهورا بفروسيته وهو الذي ساعد الأمير شانجه ابن الملك فرديناند الأول على أخيه الفونس ، فلما تولى الفونس عرش البلاد نكب به وصادره في أمواله فهاجر الى صخرة قريبة من سرقوسة وبني بها مسكنا اجتمع عليه (٣٠٠) من المحبين به فهؤلاء كان بنو هود ملوك سرقوسة يستأجرونهم في حروبهم ، والسيد هذا حاصر وهو رئيس جيوش يوسف بن أحمد بن هود بلنسية وهو مع انه دخلها صلحا أحرق قاضيها (ابن الجحاف) لأنه لم يذله على خزائن المقتدر بن هود صاحب بلنسية ثم أشعل النيران في المدينة حتى أتلها * وقال في ذلك ابن خفاجة

عاشت بساحتك الظبايا دار * ومحا محاسنك البلا والنار
فاذا تردد في جنابك ناظر * طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها * وتمخضت بخرابها الأقدار
كتبت يد الحداث في عرصاتها * لا أنت أنت ولا الديار ديار

ولأكتف بهذا من فضائح الأمة العربية في الأندلس ، ففيما لخصته مقنم لنوى الألباب بعدنا فيعلمون ويعملون وانا لله وانا اليه راجعون . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فيما توقعه العقلاء من زوال ملكهم ﴾

اللهم اني أجدك حمدا كثيرا . اللهم إنك أنت المعلم . اللهم إنك أنت الرب الرحيم العليم المنعم المتفضل

اللهم انى أشكرك شكرا كثيرا على انك ألهمتنى وعلمتني وأيدتني وقويتنى وسهلت لى هذا التأليف وما كان ليخطر لى أن أجمع ما بين تفهق الأمم العربية والأم المصرية وأوازن بينهما فى انحطاط شأنهما . وأن الأولين والآخرين تشابهت قلوبهم لما انحطت أخلاقهم وانغمسوا فى اللذات . فالأمتان تفرقتا والأمتان سقطتا من شاطئ فلك الحمد على هذه النعمة

أيتها الأمم الاسلامية . أنا لست الآن مؤرخا . كلا . بل أنا مذكركم . أذكركم بكتاب الله تعالى . لم أكتب هذه الأخبار إلا لتفسير الآية . إن الله يقول لنا نحن - وما أهلكتنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين - وكيف نفهم هذه الذكرى إلا بدراسة التاريخ دراسة تشبه ما نكتبه الآن . وإياكم أن تفقوا على ما أنقله بل انظروا كما يأمركم الله . سيقرا هذا القول ذوو عقول من أبناء الأمم الاسلامية فيقفون على سبب خراب الأندلس وطرد المسلمين من تلك البلاد ويقفون على تفرق السكامة عند المصريين القدماء فى دينهم وأخلاقهم فإذا يجدون فى صدورهم ؟ يجدون انهم كانوا قبل أن يعرفوا هذا جزعين آسفين عليهم والسكن بعد هذا البيان يعلمون أن الله عدل ولا يفعل إلا ما فيه المصلحة - فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض - فهؤلاء ذهب فائدتهم وأصبحوا عالة على الأمم فأخرجهم الله من بلاده لأن الملك لله عز وجل وهو لا يحب إلا المصلحين - فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا - ويرون أيضا أن الأمم المصرية أصبحت بعد تفرق دينها وضياعه تستحق احتلال بلادها وتذل فى عقرب دارها ، هذا معنى قوله تعالى - ذكرى وما كنا ظالمين - وهذا هو الذى يشفى الصدر واقد شفى صدرى ما نقلته لك الآن وعرفت أن الأمم لا تموت إلا بعد المرض ثم يشتد ثم يكون النزع ثم الموت فالله عدل ، هو عدل حقا ، منظم محسن النظام ، عدات يا الله فى نظام النبات والحيوان وأدنى الحشرات فرأينا وفرحنا به وعجبنا منه وهذا قد ملئ به هذا التفسير فالجاء الله ولكن النظام والعدل فى الأمم يحتاج الى علم أوسع حتى يدرك الانسان العدل واضحا ، وفيما لخصته لك مقنع ، وفيه اعتبار ليحترس أبناء المسلمين من الوقوع فيما وقع فيه آبائهم ، وهل يفيدهم إلا دراسة العلوم ومعرفة الحكمة والتاريخ ، وأنا وأنى وقلبي مطمئن أن الله سيبحث فى الأمم الاسلامية همما تلاوها هم وتقوم هذه الشعوب قومة رجل واحد ذلك لأنهم يكونون على مشرب واحد لاسيما قراء هذا التفسير فانهم هم الذين يرون الدين أمرا واحدا لا يفرقه خلاف فى عدد الركعات أو أعضاء الوضوء أو مسائل الطلاق أو شروط البيع والاجارة أو أبواب الطهارة وأنواع النجاسة أو ما أشبه ذلك مما ظنه المسلمون ليس وراءه علم ولا حكمة ، ومن عجب أن تفرق أهل الأندلس الى (٢٠) دولة وتفرق أهل مصر فى عبادة الحيوانات قد حصل نظيره عند المتأخرين من المسلمين وان لم يكن مثله من كل وجه ، تلك الأمة التى اقتسمها رجال الصوفية ورجال الدين وأخذ كل يفخر ويكتفى بما لديه من العلم - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون - * وفى الحديث « لتبعن سنن من قبلكم الخ »

﴿ معجزة للنبي ﷺ ﴾

قد ذكرت فى أول سورة الأنفال الحديث الآتى وهذا نصه ﴿ عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جالس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل أو يأتى الخير بالشر ؟ فسكت رسول الله ﷺ ورأينا انه ينزل عليه فأفاق يمسح عنه الرضاء وقال أين هذا السائل وكأنه حده فقال انه لا يأتى الخير بالشر وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر فانها أكلت حتى امتدت خاصرتها ﴾ وتفسير الفاظه هناك . والذى يهمنا الآن أن نقول ان خوف رسول الله ﷺ علينا قد حصل فعلا وهذه نبوة واخبار بالغيب ومعجزة كبرى بل هى من أجل المعجزات فى زماننا . إن الله أحل الغنائم ولقد تقدم فى سورة الأنفال انه ﷺ بكى عند اقتسام غنائم بدر وهو وأبو بكر وسيدنا عمر لأن النبي ﷺ كان يتوقع العذاب بسبب أخذ الغنائم وقد ظهر أثر ذلك فعلا فينا نحن فان

المسلمين ظنوا أن الغنائم بعد النصر الأول جهلت لمتهمهم بالشهوات ولم يجدوا من الحكماء والعلماء من يرشدونهم إلى خطر الأمر كما سمعت فيما تقدم من الخطيب الفرنسي الذي ذكر الفرنسيين بخطرتهم على النساء (وإن كانوا هم أيضا وأكثر أهل أوروبا صائرين إلى ماصارايه من قبلهم من الأمم الفاسقة)

أقول أفليست هذه معجزة وأي معجزة ، النبي ﷺ أخبرنا بهذا الحديث الوارد في الصحيح بما وقعنا فيه الآن وهذا هو قوله تعالى -- ذكرى وما كنا ظالمين -- فها هو رسول الله ﷺ أنذرنا بأن المال مال الله وليس معنى حل الغنائم لنا أن نلهي بها . كلا . والله بل كان ذلك لأصلاح أهل الأرض ، انظروا عجب من هذا الدين ومن النبي ﷺ . أحل الله الأسر وأحل الاسترقاق وأحل أخذ الأموال ولكنه زهد المسلمين فيه وأمرهم أن ينفعوا به الأمم وأكثر من الأمر بالعقوبة والصدقة والعسيم والقيام إذ يقول -- وما أدراك ما العقبة -- فك رقة * أو اطعام في يوم ذي مسغبة * يتيمًا ذامقربة * أو مسكينًا ذامتربة -- الخ إذن هذا الدين لم يجد من يعرف مقصده إلا قليلا . إن هذا الدين جاء مقدمة لأصلاح عظيم أن لا يذل أحد أحدا وأن يكون النوع الانساني كلهم متعاونين متعدين شرفهم وخرابهم فقد جرب المسلمون الاستئثار بالمال والنساء فكان جزاؤهم الذل لأنهم لم يفهموا ما يرى إليه نبينا الصادق ﷺ هذا هو الذي أردت أن أجعله مقدمة لذكر ما توقعه العقلاء من زوال ملك الأندلس

﴿ بيان ما توقعه العقلاء والمصلحون ﴾

فأولهم رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم فانه أشار إلى ذل المسلمين في الشرق وفي الأندلس وأبان أن الاستحواذ على الغنائم يكون ضررا بالأمم ويميتها إذا لم يوضع في موضعه كاللذبة التي تأكل الحشائش الضارة فتفسرها أو تميته وهذا هو الذي تم فعلا ، ثم ان ابن خلدون ذكر في مقدمته أن أهل الأندلس كانوا يقلدون أهل اسبانيا في ملابسهم وأخلاقهم وعوائدهم ويكتبون على حوائثهم بلغة الفرنجة ، وختم العبارة بما معناه « انهم لا يحالون صائرون إلى أن يكونوا تحت إمرتهم لأن الأمة إذا تركت أخلاقها وعوائدها اندجحت في الأمم التي تقلدها » وقد تم هذا التنبؤ فاقراءه في المقدمة وقال شاعر من شعرائهم

حشوا رجالكم يا أهل أندلس * فما المقام بها إلا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى * سلك الجزيرة منشورا من الوسط
من جاور الشر لم يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات في سبط

ولقد تحققت نبوءة هؤلاء لما استولى ملوك الأسبان على غرناطة وأوقعوا بالمسلمين وطاردوهم من ديارهم ولقد تقدم في مواضع من هذا التفسير انهم لما أزالوا ملكهم منهم من الاغتسال من الجنابة ومن الرقص المغربي وأوجبوا عليهم أن تكون نساؤهم مكشوفات الوجوه ، وأقول الآن انهم حرموا عليهم أن يستأجروا نصرانيا أو يظهر عليهم أية علامة من علامات الاسلام سرا أو جهرا -- والله هو الولي الجيد -- وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى الكلام في تفسير قوله تعالى -- وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون -- ذكرى وما كنا ظالمين --

ثم إن هذا القرآن لم يكن مفترى (وما نزلت به الشياطين) كما زعم المشركون أن هذا القرآن مثل ما تلقاه الشياطين على الكهنة فليس من عند الله (وما ينبغي لهم) وما يصح لهم أن يتنزلوا به وكيف يصح لهم ذلك وقد جاء في الأمثال العامة ﴿ وكل إباء بالذي فيه ينضح ﴾ . ان هذه الأرواح التي سكنت أجسام الناس في الأرض وهم بنو آدم لا يعدون أحد اثنين إما شريرا وإما بارا والأرواح التي في غير عالم المادة كذلك لا تخلو من الأمرين إما شريرة وإما صالحة وكما أن السمك لا يعيش في البر والأنعام لا تعيش في البحر والانسان لا يساغر الحيوان والحيوان لا يفرح إلا بأبناء جنسه ولا يبرح إلا معها هكذا الأرواح الشريرة التي هي خارج عالم المادة

لأنه أثار الأرواح الفاضلة من بني آدم كما لا تكلم الدواب بالإنسان ، والأرواح الشريفة المجردة عن المادة لا تأنس من بني آدم إلا بمن كان من أمثالها وأشكالها من الأرواح الشريفة ولا يتسنى لها أن تتحدث الشريرة من بني آدم كما لا يتسنى للإنسان في الأرض أن يكلم الحيوان ويتأنس بمحادثته . وأنت أيها الذكي إذا قرأت ما كتبناه في ﴿ كتاب الأرواح ﴾ ونقلنا عن علماء هذا الفن رأيت أن هؤلاء العلماء قد بحثوا ودققوا وقد نقلنا في هذا التفسير سابقا بعض ذلك ، فإذا استحضرت الشرير روحا لا تليبه إلا لروح شريرة ، وإذا استحضرت الصالح روحا لا تليبه إلا روح صالحة . ولقد وجدوا أن الأرواح الشريرة لا تلائم طباعها طباع الصالحين من الناس ولا الأرواح الصالحة العالية هناك أرواح الفاسقين هنا ، وثبت هناك أن المدار في التخاطب على المشاكسة والتقارب فالصالحون والطالحون كل منهم لا يأنف إلا أشكاله وأمثاله وأن الله عز وجل وضع نظام العالم كله لا تفاوت فيه ولا اضطراب ، فالقانون العام واحد وهو أنه لا يمنع الله أحدا عن شيء ولكن المانع إنما هو تفاوت الدرجات وتباعد المراتب كما أن الملوك في الأرض لا يخاطبون إلا المقرئين إليهم ولا يتنزلون إلى الشعب ، هكذا لا يخاطب الملائكة من أهل الأرض إلا من كان مناسباً في طبعه لهم وسواء أكان ذلك باستحضار الأرواح الصالحة كما تفعله أهل أوروبا أو بتصفية النفس ، فترى السحرة الذين تركوا الأمور المادية وترىضوا وهجروا الطعام والشراب أياما وأياما قد تجردت نفوسهم من هذه المادة واتجهت إلى عالم الأرواح اتجاها ملائما لها ومناسبا لمزاجها فر بما أخبرت ببعض الأمور الأرضية التي لا أهمية لها في رقي النوع الإنساني كسفر زيد وغنى عمرو وعلاقتها مع بعضهما وما أشبه ذلك مما يدعيه بعض صغار النفوس من ينتمون للصوفية زورا وبهتانا وبعض المترفين لهذه الغاية وهم يدعون بأدعية إسلامية أو غير إسلامية وأسماء عربية أو سريانية أو غيرها ، كل ذلك من هذا القبيل . وورما توجهت إلى أمر من أمور العالم كضرع دوفاتفق أن أصيب به ، وترى الأنبياء الذين خلقوا مطبوعين على الكمال قد قربت نفوسهم من نفوس الملائكة فهناك أمكن التخاطب ونزلت الشرائع على الأنبياء لمنفعة النوع الإنساني ، وهكذا الأولياء والصالحون والحكماء من جميع الأمم يلهمون الخير والعلم تلهمهم الملائكة ذلك للنسبة بينهما ، فإذا سمع الأنبياء قولا أو رأوا الملائكة وهم يخاطبونهم أو ألهموا في قلوبهم العلم ، وإذا ألهم العلماء والأولياء معارف وعالوما فذلك إلا للمقارنة والمجانسة القريبة والبعيدة ، وإذا رأينا أناسا نبغوا في الشر والفتنة وهم قادة للشر وآخرين أقل منهم فيه فذلك لأن أرواحا شريرة تتولى الوسوسة لهم وتعليمهم علوم الشر ، والأصل في ذلك كله المناسبة والمقارنة والمجانسة

هذا هو ما جاءت به الأرواح وعلمته الناس وذلك لاشك محجزة للقرآن فإن ما تقدم عن علماء الأرواح هو معنى قوله تعالى - وما ننزل به الشياطين - وما ينبغي لهم - أفلا تعجب أيها الذكي كيف يقول تعالى - وما ينبغي لهم - جل الله وجل هذا القرآن . أفلا يعجب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها أن تكون هذه الآيات هي ملخص علوم الأرواح المنتشرة في أمريكا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وسائر دول أوروبا ، أفلا يعجب المسلمون كيف كان إعجاز القرآن ، أفلا يعجب المسلمون كيف يقول الله - وما ينبغي لهم - (وما يستطيعون) إنهم عن السمع المعزولون) أي وما يقدر أنهم عن سماع كلام الملائكة لمنوعون ، لماذا ؟ لعدم المشاركة في الصفات ، لعدم التقارب في حب الخير ، وعليه إذا أحب الإنسان الخير للناس وأحب العلوم ألهمته الملائكة الخير ، نعم لا يوحى إليه لأنه ليس نبيا ولكنه يلهم الخير . اللهم إني أبرأ إليك من الكتمان . اللهم انك قد أظهرت محجزة هذا القرآن . انك قد أبنت للمسلمين صدق دينهم ولقد وفقتني لتأليف ﴿ كتاب الأرواح ﴾ والكتاب جميعه محجزة للقرآن والنبى ﷺ وهو كفسير لهذه الآية وأمثالها

لقد نقلت من ﴿ كتاب الأرواح ﴾ المذكور جلا في مواضع من هذا التفسير ولا ذكر لك منه جلا لتطلع على عجائب القرآن في العلم الحديث وتعجب كيف ظهر سر قوله تعالى - سريهم - آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم -

جاء في صفحة (١٠٣) من ﴿كتاب الأرواح﴾ المذكور نقلا عن علماء الأرواح مانصه ﴿سأل هؤلاء العلماء الأرواح ، لماذا نرى بعض الوسطاء الصالحين ذوى الخصال الجيدة لا يتمسكون من مناجاة الأرواح الصالحة «الجواب» قد يمكن أن يكون ذلك قصاصا لهم لذنوب ارتكبوها ، وربما يكون ظاهر الفضيلة قد دفن تحت صفات باطنية كالكبر والعجب ، إن الأرض ليس فيها كامل فالكمال انما يرجع للبواطن وليس يطرد الأرواح الشريرة إلا التقرب من طبيعة الأرواح الشريفة الصالحة﴾ وجاء في صفحة (١٠٩) الأسئلة الآتية (س) هل من وسيلة لطرد الأرواح الشريرة

(ج) نعم وان أحسن طريقة لطردهم هو اجتذاب الصالحة وذلك بعمل الخير واجتناب الشر واصلاح نقائصكم فبذلك تهرب الأرواح الشريرة عنكم

(س) كثير من أهل الصلاح يكونون مع هذا عرضة لازعاجات الأرواح الشريرة

(ج) ان كانوا صالحين حقا فهو لهم تجربة وترويض وحث على الصلاح واسكن لا تثقوا بظاهر الفضيلة فالفضيلة شئ وذكرها شئ آخر

وجاء في صفحة (١٢١) مانصه

(س) أى وسيط يدعى كاملا

(ج) كاملا ، يالأسف إذ ليس من كمال على وجه أرضكم ولولا ذلك ما سجدتم فيها ، قل وسيطا صالحا ان قدر وجوده ، على أن الوسيط الكامل لا تجسر الأرواح الناقصة أن تدنو منه لخداعه ، وأما الصالح فان الأرواح الصالحة تألفه وقلما يكون عرضة لخداع الشريرة

(س) ماهى أخص الشروط الواجبة لفوزنا بتعاليم الأرواح العلوية منزهة عن الضلال

(ج) صنيع الخير واستئصال الكبرياء والتجرد عن حب الذات خاصة

ثم جاء في جواب سؤال آخر ﴿ان النور يضئ على كل من طلبه فن أراد أن يستنير فليتحاش الظلمة والظلمة هى نجاسة القلب ، إن الارواح العلوية لاتألف قلوبا شوهها الكبرياء والطمع وقلة المحبة فن طلب النور فليتضع وبالتواضع يجتذب الارواح العلوية اليه﴾

وجاء في صفحة (١٢٤) مانصه ﴿إن الروح مع علمه قد يكون تحت سلطة الرذيلة والأوهام ، إن فى عالم الارض من هم فى منتهى الكبرياء والحسد والتعصب فهم لا يتجردون من هذه النقائص حال مبارحتهم الحياة والرذائل تحيط بالروح بعد الموت ملتصقة بها كالهواء وهؤلاء أشد خطرا من الأرواح الشريرة﴾

أقول أيها الذكى اقرأ ذلك الكتاب فكفى ما نقلت منه الآن ملخصا ، واعجب كيف يكون ما ذكرته وما لم أذكره الآن تفسيراً للآية وكيف يتضح الأمر اتضاحا وتفهم معنى قوله تعالى - إنهم عن السمع لمعزولون - لأن نفوسهم ليست خالصة من الرذائل (فلاندع مع الله إلهنا آخر) فان التوحيد والاخلاص لله والتقرب له بفعل الخير مما يدعو الى قرب الروح الانسانى من الملائكة ، إن تشرك بالله ولا تخلص له تسقط مرتبتك (فتكون من المذنبين) والخطاب للنبي ﷺ والقصد غيره لأنه معصوم (وأندرعشيرتك الأقربين) الأقرب منهم فالأقرب * روى انه ﷺ لما نزلت سعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقاً قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم * يقال خفض الطائر جناحه اذا أراد أن ينحط (فان عصوك) ولم يتبعوك (فقل إني بريء مما تعملون) أى تعملونه (وتوكل على العزيز) الذى يقدر على قهر أعدائك (الرحيم) الذى ينصرك وينصر كل مخلص فى عمله النافع العام (الذى يراك حين تقوم) الى النهجد والى كل صلاة والى كل دعاء وأينما كنت (وتقلبك فى الساجدين) أى ترددك فى تصفح أحوال المهجدين فإنه ﷺ لما نسخ

فرض قيام الليل طاف تلك الليلة بيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدوها كبيوت الزناير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أغمتهم ، أمر الله النبي ﷺ بالتوكل عليه قائلا انه ينصره ويخذل أعداءه وأبأن لم يستحق ذلك فذكر وصفه بأنه يؤم الساجدين ويتصفح حالهم فهو امام للصالحين ومن كان كذلك تولى الله أمره (إنه هو السميع) لدعائك (العليم) بنيتك وعملك

﴿ لطيفة ﴾

جاء في البخارى ومسلم انه ﷺ لما نزلت هذه الآية سعد على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون من قریش حتى اجتمعوا فقال انى نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم ، ألهذا جمعنا فنزلت - تبث يدا أبى لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب -

ومما جاء في الصحاح أيضا انه ﷺ قال يامعشر قریش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا . انتهى ملخصا

واعلم أن النبي ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية ضاق ذرعا وعرف انه متى بادأهم بهذا الأمر رأى ما يكره فصمت حتى جاءه جبريل فقال يا محمد إلا تفعل ما تؤمر يهذبك ربك فاصنع لهم طهما ففعل ذلك أمر عليا أن يصنع الطعام ويملا عسا لبنا وجمع القوم وأنذرهم وحذرهم الخ

انظر ، ألسنت ترى أن انذاره عشيرته الأقر بين وتحذيرهم مع علمه أنهم يؤذونه ويفعلون معه كل مكروه مما يقرب الملائكة اليه ويجعله مستحقا للوحى . أليس ذكر هذا الكلام بعد قوله - وما تنزل به الشياطين * وما ينبغى لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لم عزولون - ليكون كالبرهان على أن هذا القول وحى لأن الوحى يكون بالخير وتعليم الأقر بين وغير الأقر بين خير والشياطين مبعدون عن الخير أى لا يأفونه بل لا يستطيعونه ولو كان من الشياطين لكان الأمر خلاف ذلك فلا يندر عشيرته الأقر بين بل يفتح لهم باب الشهوات والمخاصمات والعداوات . أما الانذار والتعليم فليس من الطبيعة الشيطانية بل من الطبيعة الملكية فقوله - وأنذر عشيرتک الأقر بين - كالبرهان على أن هذا ليس مما تنزل به الشياطين بل هو مما يجانس طبائع الملائكة فكأنه قيل إذن كيف يكون تنزل الشياطين ، هانحن أولاء عرفنا ما يكون من وحى الملائكة فكيف يكون ضده فقال لست ممن تنزل الشياطين عليهم لعدم المشاكاة والمجانسة (هل أنبشكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم) أى كذاب فاجر وهم الكهنة وأمثالهم للمجانسة بين طبائعهم كما اتضح فيما نقلناه لك قريبا ومحمد ﷺ ليس كذلك فلا يصلح لتنزل الشياطين عليه ، وكيف يصلح لذلك وهم ينزلون على الكذابين الفاجرين وهوليس كذلك بل هو منذر معلم للخير صادق ، وأما أولئك الأفاكون الآثمون من الكهنة وأمثالهم فانهم (يلقون السمع) أى اسماعهم الى الشياطين ويصغون اليهم ويتوجهون بقلوبهم اليهم فيتلذذون منهم ظنونا لنقص علمهم كما جاء في ﴿ كتاب الأرواح ﴾ المذكور فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطاق أكثرها * وقد ورد في الحديث « الحكمة يخطفها الجن فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة » ولا كذلك محمد ﷺ فالمغيبات التى أخبر بها طابقت كلها (وأكثرهم كاذبون) والأكثرية باعتبار أقوالهم لأنهم يسمعون شيئا ويزيدون عليه ، ويصح أن ترجع الضمائر للشياطين أى يلقون السمع الى الملائكة الأعلى فيعرفون بعض المغيبات فيوحدون بها الى أوليائهم مشوبة بالكاذب لنقص عقولهم وقصور أفهامهم وعدم ضبطهم وكلا المعنيين صحيح فالكهنة ومحضرو الأرواح فى أوروبا الآن يسمعون من الأرواح الصغيرة كاذب كثيرة فيها

بعض الصدق لنقص تلك الأرواح لأنها لا تعرف إلا بطريق الحدس والتخمين ، وهذا المعنى يؤيد رجوع الضمير للشياطين وهكذا الكهنة وأهل الرياضة قد اتصل بهم أرواح على شاكلتهم فيخبرون بأشياء ويزيدون عليها من تلقاء أنفسهم استنتاجا وهذا يوافق رجوع الضمير لقوله - كل أفاك أئيم - والحاصل أن الأرواح سواء أكانت في حال البرزخ أم في الدنيا متى كانت ناقصة وأرادت معرفة المغيبات فنالت حظا منه فانه يكون مخاوطا بآرائها ، فأما الأرواح العالية سواء أكانت في الدنيا كالأنبيا أم في العالم الأعلى فانها لا تهتم إلا بما ينفع الناس وهؤلاء لا يتطرق اليهم الكذب لأن الله معهم ويؤيدهم

﴿ لطيفة ﴾

إذا عرفت هذا فاعجب كيف يظهر صدق القرآن وكيف يأتي العلم الحديث بدمج هذه الآية شرحا وافيا وفي لأقول لك أكثر من أن أقول اليك ماجاء في ﴿ كتاب الأرواح ﴾ المذكور وهو ينطبق على ما جاء في هذه الآية وأن الأرواح الناقصة تنفس الناس وتخدعهم وتخبرهم بالمغيبات ، فأما الأرواح العالية فانها لا تهتم بالأمور الجزئية ولا تخبر الناس بالأمور الدنيوية وتحب أن ينصرف الناس عن ذلك الى العاوم والعارف وأن لا يتطلعو للمستقبل أموره لأن ذلك يشغلهم ، واليك ماجاء في الكتاب المذكور

﴿ الحديث الرابع عشر ﴾

يتوهم البعض أن الروحانية واسطة سهلة وباب رحب لكشف الكنوز واستنباء المستقبل وفتح القال وحل المسائل العلمية الى غير هذه من دواعي الطمع وحب الأرضيات ، فدفعنا لهذه الأوهام رأينا أن نذكر في هذا الفصل خلاصة تعليم الأرواح في هذا الموضوع نقلا عن ﴿ كتاب الوسطاء ﴾ للعلم الفيلسوف الآن كاردك

- (س) هل تجيب الأرواح عن كل سؤال يطرح عليها
(ج) كلا فان الأرواح الرصينة لا تجيب إلا عن أسئلة غايتها خيركم الروحي وترقيكم الأدبي
(س) هل الأسئلة الجدية هي الواسطة لابعاد الأرواح الطائشة
(ج) ليست الأسئلة التي تبعد الأرواح الطائشة بل صفات من يليق الأسئلة
(س) أية أسئلة تسكرها الأرواح الصالحة
(ج) هي التي لا فائدة منها أو يشتم منها رائحة الفضول أو الطمع
(س) هل من أسئلة تسكرها الأرواح الناقصة
(ج) لا تسكره إلا الأسئلة التي تزيج النقاب عن جهلها وخداعها
(س) ما قولك فيمن يتخذون المخبرة الروحانية بابا للهو والهزل أو لاستنباء أمورهم صوالهم الزمنية
(ج) هؤلاء تسر بهم جدا الأرواح الناقصة لمداعبتهم وخداعهم
(س) هل تستطيع الأرواح أن تكشف لنا أمر المستقبل
(ج) كلا إذ لو عرف الانسان المستقبل لأهل الحاضر
(س) أليس مع هذا من حوادث تدبنا الأرواح عنها وتم في حينها ؟
(ج) قد يتفق أحيانا أن الروح يستشعر حدوث بعض أمور يرى من الفائدة كشفها وهذا لا يمنع الأرواح الماكرة من نشر النبوات الكاذبة

(س) ماهي أخص دلائل النبوات الكاذبة

(ج) هي التي لا تأتي بفائدة عامة أو يكون مرجعها النفع الخاص

(س) لماذا تكون الأرواح الرصينة عند تنبئها عن أمر لا تعين زمن حدوثه

(ج) يكون هذا إما عن عمد منها أو عدم معرفة ، إن الروح يستشعر أحيانا وقوع أمرا عما زمن وقوعه يكون في الغالب متعلقا بحدوث لم تتم بهد ولا يعلمها إلا الله ، أما الأرواح الطائشة فلا يهيم بها أمرا الحقيقة وتحدد الأيام والساعات من دون التفات إلى صحة النبوءة وعدمها ، ومن الواجب ههنا أن أكرر عليكم القول أن غاية رسالتنا إنارة بصيرتكم وترقيكم الروحي لا المعرفة وفتح الفال ، فمن أحب هذه تألفه الأرواح الماكرة ويصبح أهوية بين أيديها

(س) ماقولك فيمن تذب الأرواح بموته في ساعة معينة

(ج) هذه أرواح مأكرة لا تقصد إلا الضحك بما تسبب من الرعب لصدقتها

(س) كيف يتفق أن بعض الناس يستدلون على قرب موتهم ويحددون زمن وقوعه

(ج) تطلع أرواحهم على ذلك عند انطلاقها من قيود الجسد ويبقى فيها ذكره عند اليقظة ، فهؤلاء لا يهولهم أمر الموت ولا يرون فيه إلا انتقالا من حالة إلى حالة أو تغيير كساء خشن بكساء لطيف ، إن خشية الموت سوف تناقص وتتلاشى عند انتشار الحقائق الروحانية

(س) هل تستطيع الأرواح أن تطلعنا على حياتنا الماضية

(ج) تستطيع ذلك إن سمح لها الرب ولا يكون سماحه إلا لغاية جيدة مفيدة لا لفضول باطل ، وعليه لانسدقوا نبأ كهذا إلا إذا صار بديها لغاية مفيدة . كثيرا ماتحب الأرواح الماكرة أن تهزأ بالوسطاء والمؤمنين بقولها لهم انهم من أصل سام ومرتبة رفيعة فيقبل بعضهم ذلك بمزيد الابتهاج ولا يفقهون أن حالتهم الروحية الحاضرة لاتدل على المرتبة التي تنسبهم الأرواح اليها مع أن الأحرى بهؤلاء المساكين تجنبنا للسخرية أن يلاحظوا أن الترقى خير لهم من الانحطاط وأن التقهقر في الكمال مخالف لما موسى تعالى

(س) إن كان لا يمكن للإنسان أن يعرف شخصيته في وجود سابق فهلا يمكنه على الأقل أن يطلع على مركزه والصفات أو النقص التي تغلبت عليه فيه

(ج) قد يمكن كشف أمر كهذا لكونه مفيدا لاصلاحكم ولكن لا حاجة اليه لأنكم إذا تأملتم جيدا في أنفسكم تستدلون على الصفات والنقص التي تغلبت عليكم في الحياة الماضية

(س) هل نستطيع استطلاع شئ من مستقبل حياتنا بعد الموت

(ج) كلا وإياكم وتصديق شئ من هذا القليل فانه إفك وخداع محض والدليل واضح وهو أن وجودكم المقبل سيكون نتيجة سيرتكم الحاضرة فكأما قل الدين خف الوفاء وازددتم في المستقبل سعادة وراحة ولكن أين وكيف يتم هذا الوجود ، هذا أمر لا تعرفونه إلا بعد عودتكم إلى الحالة الروحية وتبصركم فيها

(س) هل يسوغ استشارة الأرواح في الصوامع الزمنية

(ج) قد يمكن ذلك في بعض الظروف وعلى مقتضى نية المستشير وصفات الروح الموجهة اليه الاستشارة ومن الواجب أن تتأكدوا أن الأرواح الصالحة لاتواطأ قط على مجازاة مطامعكم ، وأما الشريرة فتتهزأ بكم بمواعيد سرابية ماوراءها إلا الخيبة والحسرة ، ثم اعلموا أنه إذا قدر عليكم محنة فالأرواح الصالحة تساعدكم على تحملها وتخفف عنكم وطأتها ولكنها لاتستطيع أن تدركها عنكم لأن بها خيركم الروحي ونجاح مستقبلكم

(س) إذا توفي شخص وكانت مصالحه معروفة أليسوغ استشارة روحه في حل بعض المشاكل وهلا يكون هذا من باب العدل

(ج) لعلمكم نسيتم أن الموت باب النجاة من هموم الحياة وأن الروح المعنوق من الأسر لا يهاود سلاسله للتدخل في أمور ما عادت تهمه وتخدمه ورثة ربما ابتهجوا بموته لما نجم لهم عنه من الفائدة المالية ؟ تقولون ان هذا من باب العدل والعدل قائم بخيبة مطامعهم وهذا بدء القصصات التي ستدو بهم من تعلقهم المفرط

(س) أُنستطيع أن أُنستبى الأرواح عن أحوالها ومراكنها في عالم الغيب ؟
 (ج) نعم بشرط أن يكون هذا الاستنباء ناتجا عن المحبة وطلب الفائدة الروحية
 (س) هل تستطيع الأرواح أن تصف لنا نعيمها أو شقاءها

(ج) نعم لأن فوائد عظيمة تنتج لكم من ذلك أخصصها اطلاعكم على ماهية الثواب والعقاب ورفع الأوهام المتركة على عقول بعض السذج من هذا القبيل وإحياء الإيمان فيكم وتقوية رجائكم السماوى . إن الأرواح الصالحة بلد لها وصف نعيمها والشريرة تجدد راحة في تبيان ما تقاسيه من تباريح العذاب خصوصا اذا لاقت من سامعها عواطف الاشفاق والناسى ، لا يخفى أن غاية الروحانية هي اصلاحكم الروحى . والغرض من كل الأمثلة والمقالات التى تأتاكم هو وقوفكم على حقائق ما بعد الموت لتتجربوا من الأرضيات وتسعوا وراء السماويات

(س) اذا فقد أحد من الوجود ولم يعرف أمر مصيره فهل يمكن استحضار روحه للوقوف على الحقيقة
 (ج) قد يمكن ذلك اذا لم يكن الارتباب فى موته محنة قد راحتها على من يهمهم أمره
 (س) هل يجوز استشارة الأرواح فى الصحة

(ج) نعم لأن الصحة شرط ضرورى لحسن القيام بالعمل الذى تجسد الانسان لأجله ، وانما لا ينبغي استشارة أى روح كان من الأرواح لأن الجهلاء يكثرون بينهم
 (س) أيجوز استشارة مشهورى الأطباء المتوفين

(ج) ليس هؤلاء المشهورون بمصومين من الغلط وقد تتصلب فيهم أحيانا بعض آراء فاسدة لا ينزعها الموت عنهم بسهولة . إن العاوم الأرضية ليست بشئ بالنسبة الى العاوم السماوية وهذه لا يملكها إلا الأرواح العالوية فالإله يجب أن تلجؤا فى كل أمر
 (س) هل العالم بعد موته يقر بأذاليه العلمية

(ج) إن كان قد تجرد من الكبرياء وأدرك نقصه يقر بها بلا خجل ولا تبقى فيه بعض الأوهام التى تركت عليه فى الحياة

(س) هل يمكن للطبيب أن يحضر الموتي الذين ماتوا على يده ويستوضح منهم بعض الدلائل ليزداد بها خبرة ومعرفة

(ج) قد يصح ذلك وينال المساعدة من الأرواح العالوية ذاتها بشرط أن يكب على درسه هذا بالاستقامة وصفاء القلب لانية حشد المال وكسب المعارف من دون جد ولا عناء
 (س) هل يمكن استرشاد الأرواح فى المباحث والاكتشافات العلمية

(ج) إن العلم هو صنع العقل ولا يكتسب إلا بالعمل وبالعمل وحده يتقدم المرء فى طريقه ، أى فضل يبقى للانسان اذا أمكنه أن يعرف كل شئ باستنباء الأرواح ، ألا يصبح الغي الجاهل بهذه الطريقة عالما ؟ ثم ان لكل شئ وقتا معيناً يأتى فى حينه أى عند ما تكون الافكار مؤهلة لقبوله وأما بتلك الطريقة فيقلب الانسان نظام الأشياء إذ يقطف الثمرة قبل نضجها

(س) ألا ينال إذن العالم والمخترع من الأرواح المعونة فى مباحثه
 (ج) إن العون لا ينقصه عند ما يكون أو ان الاختراع قد دنا فتوافيه وقتئذ الأرواح وتلقى اليه بعض الإلهامات الفكرية فيفكر فيها هو ويشغل بها الى أن ينتج منها الاكتشاف المقصود فيكون معظم الفضل راجعا اليه ، فإياكم إذن والزيف عن محجة الروحانية والتطرف الى أمر لا ينبو بكم منه إلا الخداع والسخرية
 (س) هل يمكن أن تدلنا الأرواح على الكنوز والأحافير الخفية

(ب) قد قلت لكم ان الأرواح العاوية لا تنزل الى مواضع مطامعكم . وأما المأكرة فتدل دائماً سائلها على أماكن لوجود الكنز فيها فيذهب المسكين عناؤه وتعبه أدراج الرياح

(س) ما قولك في الاعتقاد بحراسة الكنوز المدعومة برصدا

(ج) إن بعض أرواح البخلاء يلبثون مقيمين حول الكنوز التي طمروها في الأرض وخوفهم على اكتشفها يكون عذاباً مستديماً لهم الى أن يتجردوا عن الماديات ويدركوا بطلانها اه

حينئذ قلت يا شير محمد تأمل في هذا الحديث . ألم تجد فيه علماً جديداً في فهم القرآن . قال وما ذاك . قلت قال الله تعالى - فلما قضينا عليه الموت ما هم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين - فان الجن أيام سليمان عليه السلام بقوا أمداً طويلاً مسخرين وكان سليمان عليه السلام متكئاً على عصاه فلما أكلت دابة الأرض تلك العصا خرت على الأرض فلو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في ذلك العذاب ولعلموا أن سليمان ميت . ولا جرم أن هذه القصة ثمرتها أن لا يثق الانس بأخبار الجن . هذا هو المقصد الحقيقي منها ولقد تجلى واضحا في هذا الحديث . ألا ترى انهم لما سألوا الروح « هل تستطيع الأرواح أن تكشف أسر المستقبل » فكان الجواب « كلا . إذ لو عرف الانسان المستقبل لأهل الحاضر » ولما سألت الأرواح « أليس مع هذا من حوادث يتنبأ الأرواح عنها وتنبأ في حينها » فكان الجواب « قد يتفق أحيانا أن الروح يستشعر حدوث بعض أمور يرى من الفائدة كشفها وهذا لا يمنع الأرواح المأكرة عن نشر النبوءات الكاذبة » ثم أفاد أن الأرواح الرصينة قد تستشعر بأمر يكون في الغالب متعلقاً بحوادث لم تتم ولا يعلمها إلا الله فلا تقطع في جوابها ، أما الأرواح الطائشة فلا يهمها أمر الحقائق فتشتر الأخبار الكاذبة ، ولا جرم أن ذلك مغزى قصة سليمان عليه السلام وشرح ما انطوت عليه من العلم وبرهان صدق لما فيها من التوقف عن تصديق ما تلقى الجن من الأكاذيب اه

ثم انظر يا شير محمد الى قول الروح « إن بعض الناس يستدلون على قرب موتهم ويحددون زمن وقوعه وأن هؤلاء الذين انطلقت أرواحهم من قيود الجسد لا يهولهم أمر الموت ، أليس ترى يا شير محمد أن هذا مصداق قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تهمزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم * ومن أحسن قولاً من دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين - فتعجب يا شير محمد كيف يقول - تنزل عليهم الملائكة - ليلهم وهم السرور والبهجة ويخاطبهم ، وانظر الى قوله تعالى - ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبدل كلمات الله ذلك هو الفوز العظيم - فقد قال ﷺ لما سئل عن البشري قال « هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له » . وتعجب يا شير محمد من قول الروح في هذا « ان الطبيب اذا أكتب على درسه بالاستقامة لآبنة حشد المال وكسب المعارف بدون جد ولا عناء ينال مساعدة الأرواح العاوية » . أوليس هذا من مساعدة الملائكة للجدتين . وقد قال ﷺ « إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم » . فلا علم بلا جد ونصب ولا حلم بلا تكلف وتصبر وجد . وقال تعالى - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقال - وكل شئ عنده بمقدار - وقد علمت فيما مضى أن الأرواح لا تخص من مضوا من عالم الأرض بل هناك من هم أعظم بل هم الملائكة المكرمون . ثم انظر قوله تعالى في سورة النحل - الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فآلقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون - ثم قال - وقيل للذين انقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة - ثم قال - الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون - أليس هذا يا شير محمد يوحي الى ما يقوله الروح هنا « إن

أرواحهم تطلع على ذلك عند انطلاقها من قيود الجسد ويبقى فيها ذكره عند اليقظة فهو أولاد لا يهولهم أمر الموت ولا يرون فيه إلا انتقالاً من حال إلى حال أو تغيير كساء خشن بكساء لطيف ، وهل يعطى من لا يستحق الحكمة ؟ كلا » ثم انظر إلى قوله « فالأرواح الصالحة تساعدكم على تحمل المحنة ولكنها لا تدرؤها عنكم لأن بها خيركم الروحي ونجاح مستقبلكم » وهذا قوله تعالى - فعسى أن تسكرها شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم - وقوله - ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير - وقوله - ولنبأونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - ثم تأمل قول الروح « وهذا بدء القصص التي ستنبؤهم من تعلقهم المفرط بالخيرات » وقوله « إن العدل قائم بخيبة آمالهم » فتعجب كيف كان مطابقاً أشد المطابقة لقوله تعالى - ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون - وقوله تعالى - المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً - فجعل الله المال والولد عذاباً في الدنيا وفي الآخرة لمن تعلق بهما ولم يجعلهما وسيلة لارتقاء روحه ثم جعل المال والبنين زينة الحياة الدنيا ولا خير إلا فيما بقي من الصالحات الباقيات ، وأما قول الروح « إن العلوم الأرضية ليست بشئ بالنسبة إلى العلوم السماوية » فهذا قوله تعالى - قل لو كان البحر ممداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي وأوجئنا بمثله مدداً - وقول الروح « لا ينبغي أن غاية الروحانية هي إصلاحكم الروحي والغرض من كل الأمثلة والمقالات التي تأتاكم هو وقوفكم على حقائق ما بعد الموت لتتجددوا من الأرضيات وتسعوا وراء السماويات » هذا وكثير أمثاله يفهم من قوله تعالى - إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين - وفهموه ان الذين صدقوا ولم يستكبروا تفتح لهم أبواب السماء ، وقوله تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون - وفهموه ان الذين يرجون لقاء الله ولم يرضوا بالحياة الدنيا وجمعوا لها جنة وانخدعوا صالح الأعمال فيها سفها ولم يطمئنوا لها ولم يغفلوا عما أودع فيها من آيات الله فأولئك مأواهم الجنة بما كانوا يكسبون اهـ

﴿ حكاية ومهجزة ﴾

ياشير محمد ، إن قول الروح هنا أيضاً « إن الطبيب ينال المساعدة من الأرواح العالوية » وقوله في العالم والمخترع « انهما ينالان المعاونة من الأرواح العالوية إذا آن وقت الاختراع » دال على مداخلة الأرواح في أعمالنا عند الاستحقاق ، أليس هذا مطابقاً لقوله تعالى في سورة آل عمران - ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ نقول للمؤمنين ألن يكفكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوقين * وما جاهد الله إلا بشئ لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم - ألا فاطر كيف رتب الأرواح المعاونة للمخترع والعالم على الجدة والمثابرة وهي تطابق الآية إذ جعل مساعدة خمسة آلاف من الملائكة موقوفة على الصبر والتقوى وهجوم العدو ، أولست ترى أن بيان الأرواح المعجزة للقرآن ، لقد كنا نسمع هذا ونكل كل عامه إلى الله تعالى فأصبحنا نرى نظائره عن الأرواح العالوية أنفسها ، وقال في سورة الانفال - إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مسومين * وما جعله الله إلا بشئ لكم ولتطمئن قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم * إذ يفشكم الغساس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام إذ يوحى ربك

الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب - فانظر كيف أمر الملائكة أن يثبتوا الذين آمنوا وانه سيلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، فترى أن مقالة الروح هذا من إلهام الأرواح الأحياء ومساعدتهم وانارة بصائرهم موافق للآيات ومعجزة في هذا الزمان فتأمل اهـ

❦ الكلام على الشعراء ❦

اعلم أن الشعراء والكهنة والسحرة بينهم تشابه وتجانس ، فالشاعر ينظم القول ويفخر بأن أ كذب الشعر أعذبه ، وكلما أوغل في التخيلات وابرز الصور المشوقة للسامع التي تجذب قلبه وتأخذ على سمعه وبصره كان معدودا من فطاحل الشعراء ، فاذا خيل الساهر للناس صورا لاحقيقة لها وأبرز الامور على خلاف ماهي عليه ، واذا كذبت الأرواح الناقصة على بني آدم وهي في برزخها وهكذا الأرواح التي في أجسامها اذا تلقفت من تلك الأرواح شيئا وزادت عليه ، فكلمها في الإفك متجانسة فليست تصلح لهداية البشر ، لذلك قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) أي السفهاء والرواة فانهم يتبعونهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقبح في الأنساب ومدح من لا يستحق المدح ، فهؤلاء السفهاء والرواة هم الذين يستحسنون ذلك منهم ويفرحون به وأتباع محمد ﷺ ليسوا كذلك وقد قرر هذا بقوله (ألم ترأنهم في كل واد من أودية الكلام يهيمون) فهم حاثرون وعن طريق الحق حائدون ، وإلهامهم هو الذهاب على وجهه لا مقصده لأن أكثر مقدماتهم خيالات لاحقيقة لها وأغلب كلماتهم في النسيب بالنساء والغزل والهجاء وتمزيق الأعراض والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحق المدح والاطراء الكاذب واليه أشار بقوله (وأنتهم يقولون مالا يفعلون) والقرآن ليس كذلك فنتج مما تقدم أنه ليس معناه مما تنزلت به الشياطين ولا لفظه من كلام الشعراء ، ثم استثنى الشعراء المسلمين الصالحين الذين يذكرون الله ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولا يهيجون أحدا إلا انتصارا ممن هجأهم فلا يتخذون الهجاء إلا آلة لمقاتلة الأعداء لا طلبا للمال فليس الهجاء منهم لأغراض ذاتية بل ذلك لأصلاح الجميع باذلال أعدائهم ، فهؤلاء لما آتاهم الله قوة الشعر صرفوها للمنافع العامة ولم يجعلوها أداة لكسب المال كما يفعل شعراء الجاهلية وأكثر شعراء الاسلام الذين تكسبوا بالشعر في الدولة العباسية وفي الدول الأندلسية ، فهؤلاء هم الغاؤون الذين يقولون مالا يفعلون إن الشعر نور من الله كالجمال وكالحرف وكالصناعات بل ان مخاطبة الأرواح التي حدثت الآن في العالم والاستعداد لها كل ذلك جاء امتحانا للناس فان صرفوها لشهواتهم ساءت حالهم وان استعملوها لمنفعة العموم سعدت أمهم . فالشعر والجمال والحكمة وسائر المواهب على هذا النحو فان بذلت للعموم كانت خيرا وان بذلت للصاحبة الخاصة كانت شرا . ظهر الحق واستبان السبيل وتبين أن المسلمين لم يفتنوا لهذه الآية وسار شعراؤهم في سبيل الفجوة حتى كانوا هم من أهم أسباب ذهاب الدولة العربية بالشرق وبلاد الأندلس كما سأوضحه لك قريبا لتعجب من هذه الأمة كيف نامت أمدا طويلا ولم يفتن كثير من الناس لهذا القرآن ونبذوا تعاليم حكماؤهم . وسيظهر في الاسلام جيل لم يحلم به الأرض وأمم تكون خيرا من أخرجهم الله للناس . قلت إن الله استثنى الشعراء الصالحين المسلمين وذلك قوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكرنا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظالموا) فهم يجعلون الشعر كالدواء يصيب الداء أي انه هم لا يعملونه مكسبا يتكسبون به كما فعل المتنبي وأبو تمام وأمثالهما من سيأتي ذكرهم . كلا . بل غاية الأمر انهم ينتصرون اذا ظلموا كما انتصر حسان بن ثابت بهجاء المشركين وهم كانوا بادئين (وسيعلم الذين ظلموا) بالترك رهجاء رسول الله ﷺ (أي منقلب ينقلبون) أي أي مرجع يرجعون اليه بعد الموت ❦ قال ابن عباس « الى جهنم وبئس المصير » اهـ

واعلم أيها الذكي أن الأمة الإسلامية أصابها داء الجاهلية بل زادت ثملها وعكف أذكياؤها على الشر والفساد والشعر والسكاب لا لإصلاح الجمهور ولا لإقامة العدل ولا لحفظ الأمة ولا لحفظ البلاد وصيانة الأمن ومقاتلة الأعداء إلا قليلا فأتاروا الشهوات البهيمية والسبعية وأناموا الفضائل العالية والقوى العقلية فرجحت كفة الشهوات ومالت كفة المقتولات والمزايا الشريفة والامور الرفيعة فالتحطت بذلك الأمة الإسلامية ، وقد وجدت أبناء بلادى فى هذا الزمان على هذا النحو وقد تركوا الأمة حبلها على غاربها ، ولأحدثك عمارة أيتها فى ذلك (١) لقد رأيت وزيرا من وزراء بلادنا يتباهى بأنه محب للشعر وأمر مفتشا كبيرا من مفتشى اللغة العربية أن يشرح ديوان ابن الرومى ، وقد ظن ذلك الوزير أن ارتقاء الأمة موقوف على أمثال ذلك ، وقد صدع ذلك المفتش بأمره وشرح ذلك الكتاب وأيضا كان يحقر من شأن الديانات ولا يبالى بها

(٢) قابلت شاعرا كبيرا من شعرائنا وقد اطلع على متالة من مقالات « نهضة الأمة وحياتها » وقد كتبها فى (جريدة اللواء) التى كان يديرها المرحوم مصطفى باشا كامل وسيأتى ذكرها وتحدث معى فى أمر المقالة فقلت له أنا لا أعبؤ بشعر شاعر إلا اذا كان مما ينفع العموم . فأما ما عداه فأنى أحقره ولا أعدّه شيأ مذكورا وقد رأيت لك قطعة فى وصف الشمس أعجبتنى فبعد ذلك رأيت لهذا الشاعر قطعا كثيرة فى المعانى الوطنية والعلمية

(٣) إن فى بلادنا المصرية شاعرا كبيرا هو (شوقى بك) رأيت له مقدمة لكتاب شعره تتجوز نحو المقالة المذكورة وأخبر أنه عدل رأيه وأخذ ينظم شعرا لرقى الأمة بعد ما كان على طريقة أبى تمام والمتنبى . وهالك المقالة المذكورة فى نهضة الأمة وحياتها

﴿ الشعر والتاريخ ﴾

(المقالة السابعة والأربعون)

الشعر والتاريخ فذان بينهما علاقة ونسب يجهه عان ويفترقان ، يكادان يكونان طبيعة فى الانسان ، وكأأن الكهرباء سرت فى عاتق الأجسام خلقت معها ركبت فى طبائعها ومقدارها يغلب فى الأجسام الحيوانية فالجواهر المعدنية ويندر فى النباتية ونحوها ، فهكذا ترى أناسا نبغوا فى الشعر وآخرين يتشبهون ويتقاربون ويتكلمون وقد يصلون ، إن شئت فقل الناس شعراء ومؤرخون ، قم واجلس فى مجلس فلا تسمع إلا قول الناس فى سمرهم ألسعد فلان وشقى فلان وتارة يحلون المجالس بالشعر والمواالى أويذكرون تخيلا شعريا غريبا ، لم ترفع هذه عن صغرى الطبقات كما لم تتسام عنها أرقى الطبقات ثم نرى الأهم فى مبدأ أمرها تكون فى الشعر أطفالا وفى البلاغة صغارا ، يعجبهم ما كان غريب اللفظ عويص المعنى كأنهم يخضعون لما تقصر عنه طاقتهم ، فإذا أخذوا فى الرقى قليلا مائلوا الشبان فى العقل فأحبوا الخيال والنكت البلاغية غالبا فإذا ارتقوا مالوا الى جبال المعانى واعتبروا من اللفظ رونقه ومن الخيال سبكه ونظمه وغاصوا على الحكمة رجال المعنى . وهذا ما عنى لى فى درجات الشعر ، فنى رأيت الرجل تدهشه تلك الحكامات وغرابتها فاعلم أنه عامى . ألا ترى أن العامة يقولون لكلام لا يدرون معناه هذا فصيح اذا كان مبريا وان رأيت لا يقف الا عند الخيال ويعجب به فهو فى الطبقة الثانية فان مرق من الخيال الى ما فيه من حكم ووازن بينه وبين الحقيقة المقصودة من التأثير فهو فى المرتبة العليا فلما إن الناس أجمع يميلون للشعر ويحبونه ومنهم فريق استمر فى قرضه فمدح الملوك وذمهم . فباليت شعري لم غرست هذه الطبيعة فىنا ؟ وهل مارأينا من الدم والمدح لغلبة الشهوات كان مقصود تلك الفطرة السامية . الله أكبر وأجل أن يضع هذه الغريزة لمثل هذه الصغائر . وانظر كيف كان أبو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفى المتنبى المتوفى سنة ٣٥٤ فى جهة سواد بغداد كان شطيم القادر شريف المنزلة سامى النفس

ومع هذا يقول الشعر ارضاء الشهوات النفوس . فكم مدح سيف السولة وكم ذمته . وكم مدح كافورا وكم ذمته
يقول في مدح الثاني وذم الأول تعريضا

تجاذب فرسان الصباح أئمة * كأن على الأعناق منها أفاعيا
بهزم يسير الجسم في السرج راكبا * به ويسير القلب في الجسم ماشيا
قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا
بجأت بنا انسان عين زمانه * وحات بيضا خلفها وماقيها
نجوز عليها المحسنين الى الذي * نرى عندهم إحسانه والأياديا

وهذا من قصيدة يمدح بها كافورا الاخشيدي إذ ورد عليه وأكرم مشواه في جمادى الآخرة سنة ٣٤٦
هجريه ، ثم ذمه بقصائد منها قوله

إني نزلت بكذابين ضيفهم * عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدي وجودهم * من اللسان فلا كانوا ولا الجود
لا يقبض الموت نفسا من نفوسهم * إلا وفي يده من تنها عود
أكلما اغتال عبد سوء سيده * أو خانته فله في مصر تهيد
صار الخصى إمام الأبقين بها * فالحز مستعبد والعبد معبود
العبد ليس حرا صالح بأخ * لو أنه في ثياب الحز مولود
لا تشتر العبد إلا والعصا معه * إن العبيد لأنجاس مناكيد
ما كنت أحسبني أحيا الى زمن * يسيء بي فيه عبيد وهو محمود

ولسنا نطيل النقل فقل هذا الشعر مع حسنه وضع في مقام غير شريف تفرج به الأسم في أول أمرها وشبابها
فاذا وصلت للحكمة أبتها طباعهم ولا يرون لأمثال هذا قيمة وهكذا كثير من قصائد أبي تمام والبحر وأضرابهم
يمدحون ويذمون لتلك الشهوات . وهذا لعمرك ما صرح به القرآن إذ قال - والشعراء يتبعهم الغاؤون *
ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون - فانظر كيف وصفهم باهليام في كل واد من أودية
المدح والذم كما نوحى اليهم الشهوات وتسعدهم بالخيالات . إذن لماذا غرس الله هذه الفطرة في نوع الانسان ؟
أجمع العلماء أن كل غريزة فينا ذات حكمة شريفة والشعر منزلة سامية في النفوس ، لعل نفوس كثير من
الشعراء حادت عن الطريق المستقيم ، لعل هذه الفطرة تخرج الى وصف ما تراه من جمال هذه العوالم وبهاؤها
تصف السحاب ، تصف النجوم والشمس والقمر ، تصف الأشجار تلك الحكيم الزاهرة الباهرة الشعر كهر باه
الأرواح الانسانية تشع منها الى النفوس فتطوف هذه العوالم المشاهدة فتستخرج المنافع المادية والمعنوية
وتقود النفوس الى الفضائل وتبتعد بها عن الرذائل في العوالم المشاهدة عجائب وغرائب فيها حكم وبدائع وانما
يستخرجها الشعراء بقرايحهم . وانه ليحجيني ما يتفنى به شراؤنا اليوم من وصف الكون وحكمه والتشويق
للعالم وتعبئهم للوطن والألفة والرقى . أذلك خير أم أولئك الذين يذمون ويمدحون كأنهم للشهوات عابدون
المدح والذم صفتان عرضتا للشعراء إذ حاد الملوكة عن القصد ونأوا عن الصراط السوى فاستعطفوهم
واستجلبوهم . الله أكبر . كلما ماتت الحكومات عن النيابية الى الاستبدادية مال الشعر الى الأشخاص ووصفهم
وكما عدلت الحكومات اعتدل الشعر وصار ملكا للأمة يشرط أبناءها ويرشدتهم الى المعالي . يغيرهم
بمكارم الأخلاق . واني لأرى اننا لا نختار من الشعر إلا ما يقوى ارادة الشبيبة ويهديهم الى طرق الرشاد . أما
شعر المدح والذم فلن يفيد إلا حسن الألفاظ وجمال الخيال وهو خال من كل فائدة . هذا هو الذي أراه في تعليم
الشعر مثاله ما قال أبو الطيب في الحكم

هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَاشِقٌ مَنَظَرُهُ * فَأَنَّمَا يَتَقَطَّاتِ الْعَيْنُ كَالْحَلَمِ
يَقَالُ شَقٌّ الْأَمْرُ عَلَيْهِ صَعْبٌ وَالْمَعْنَى هَوْنٌ عَلَى عَيْنِكَ مَا يَشُقُّ عَلَيْهَا مَنَظَرُهُ فَإِنْ مَا تَرَاهُ فِي الْيَقِظَةِ شَبِيهِ بِمَا
تَرَاهُ فِي الْمَنَامِ وَكَأَنَّ الْحَيَاةَ أَحْلَامٌ وَلَمْ يَحْزَنْ عَلَى حَوَادِثِهَا

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَالِقٍ فَتَشْمَتُهُ * شَكَوَى الْجُرَيْجِ إِلَى الْعَقْبَانِ وَالرَّخْمِ
وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتَرِدُّ * وَلَا يَغْرُكْ مِنْهُمْ قَفَرٌ مَبْتَسِمٌ
سَبَّحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَدَتْهَا * فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ *
الَّذِي يَجِبُ مِنْ حَمَلِي نَوَائِبُهُ * وَصَبِرَ نَفْسِي عَلَى أَحْدَاثِهِ الْخَطَمِ

وَمَنْ حَكَمَ أَبِي تَمَامِ الطَّائِي حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٢٣١
خَطُوبٌ إِذَا لَقَيْتَهُنَّ رَدَدْنِي * جَرِيحًا كَأَنِّي قَدْ لَقَيْتُ كِتَابَهَا
وَمَنْ لَمْ يَسْلَمْ لِلنَّوَائِبِ أَصْبَحَتْ * خِلَافَتُهُ طَرَا عَلَيْهِ نَوَائِبُهَا
وَمَنْ أَجَلٌ مَا يَنْسَبُ لِعَنْتَرَةٍ

وَلَا حِينَ النَّفْسِ عَنْ شَهْوَاتِهَا * حَتَّى أَرَى ذَا ذِمَّةٍ وَوَفَاءٍ
فَلَمَّا بَقِيَتْ لِأَصْنَعٍ عَجَائِبُهَا * وَلَا بِكُمْ مَنَاقِبُ فَصَاحَةِ الْبُلْغَاءِ
وَلَا جَهْدَنَ عَلَى الْإِقْدَاءِ لَكِي أَرَى * مَا أُرْتَجِيهِ أَوْ يَحِينُ قَضَائِي

وَمَنْ حَكَمَ أَبِي الْعَلَاءِ وَهُوَ يَشْهَدُ لِمَا قُلْنَا

وَمَا شَعَرْتُوْكُمْ إِلَّا ذَنْبًا * تَلَصَّصَ فِي الْمَدَائِحِ وَالسَّبَابِ
أُذْهَبَ فِيكُمْ أَيَّامٌ شَبِيهِ * كَمَا أُذْهَبَتْ أَيَّامُ الشَّبَابِ

فَإِنْ كَانَ وَلَا بَدَّ مِنْ مَدْحٍ فَلْيَكُنْ بِمَا عَرَفَ مِنْ فَضَائِلِ الْمَدْحِ وَاشْتَهَرَتْ بِمَجْعَلِ ذَلِكَ قُدُورَةُ أَهْلِ وَطَنِهِ
فَيَرْجِعُ الْمَدْحُ إِلَى تَرْغِيبِ النَّاسِ فِي الْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَهَذَا كَأَنَّهُ دَرَسَ أَخْلَاقَ وَمَاعِدَاهُ فَلَا أَمْدَحُهُ وَلَا أَرْضَاهُ . الشَّعْرُ
وَالتَّارِيخُ لَا يَقْصِدَانِ لِدَانَهُمَا إِنَّمَا يَرَادَانِ لِإِنْعَاءِ الْعَوَاطِفِ وَالْحُضِّ عَلَى الْمَكَارِمِ وَمَاعِدَا ذَلِكَ فَمَنْ بُوذَ ، فَالشَّعْرُ
الَّذِي قَصَدَ بِهِ الشَّهَوَاتُ يَهَيِّمُونَ بِهِ فِي كُلِّ وَادٍ ، فَأَمَّا الْآخَرُ فَهُوَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ - إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا - الْحُجَّ أَرَادَ بِهِ الشَّعْرَ الَّذِي قَصَدَ بِهِ غَرَضٌ شَرِيفٌ وَنَفْعٌ عَامٌ وَهَكَذَا التَّارِيخُ أَرَى
أَنْ يَصْطَفِيَ مِنْ حَوَادِثِهِ مَا يَقُودُ الشَّيْبَةَ إِلَى الْمَنَافِعِ وَالنَّمَرَاتِ ، التَّارِيخُ يَرَادُ مِنْهُ إِثَارَةُ الْحَيَاةِ وَالْفِيْرَةِ فِي الرُّؤْسِ ،
التَّارِيخُ وَصَفَ شَجَاعَةَ الشُّجْعَانِ وَخَذْلَانَ الْجَبَانَ وَسِيَاسَةَ الْعَادِلِ وَحُبَّ صَالِحِ الْوَطَنِ وَرَجَالَ الْأُمَّةِ وَعِظَمَاءَهُمْ
حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ دَاعِيَةً إِلَى رُقَى الْأُمَّةِ وَالْعَمَلِ لَهَا ، وَأَعْجَبَ مَا رَأَيْتُ تِلْكَ الْقِصَصَ الْقِرَآئِيَّةَ فَمَا رَأَيْتُ حِكَايَةَ
قَصِيْرَةٍ أَوْ طَوِيلَةٍ إِلَّا وَتَخَلَّلَهَا حُكْمٌ وَمَوَاقِعُ وَأَمْثَالٌ وَتَرْغِيبٌ أَوْ تَرْهِيْبٌ كَأَنَّهُ يَرِينَا كَيْفَ نَعْلَمُ التَّارِيخُ كَأَنَّهُ يَقُولُ
لَيْسَ التَّارِيخُ فَنَامُ عِبُودًا إِلَّا إِنَّمَا التَّارِيخُ آلَةٌ لِنَمُو الْقِرَائِحَ وَإِثَارَةُ الْعُقُولِ لِلْغَرَضِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ ، وَمَتَى
عَرَى عَنْ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ فَأَنَّمَا هُوَ مِنْ سَفَافِ الْأُمُورِ وَضِيَاعِ الْوَقْتِ وَقِرَاءَةُ بَعْضِ كُتُبِ الْإِفْرَنْجِ شَاهِدٌ بِذَلِكَ
فَمَا يَكْتُبُونَ . اِنْتَهَى

(لطيفة)

لَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مَقَامُ الشَّعْرِ وَعُرِفَتْ حَقَائِقُ عِلْمِيَّةٍ فِيهِ ، فَلَا يَبِينُ لَكَ آثَارُ الشَّعْرِ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ وَكَيْفَ كَانَ
الْتِمَادِي فِي الشَّعْرِ سَبِيحًا فِي انْخِطَاطِ بَعْضِ الْأُمَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَقْلًا عَنِ الْعِلَامَةِ (لُويْسُ فَيَارْدُو) تَرْجَمَهُ صَدِيقِي
عَبْدُ الْحَمِيدِ بَلَكُ فِيهِمِي

جَاءَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ تَارِيخِ عَرَبٍ وَمَغَارِبَةِ إِسْبَانِيَا وَهُوَ الدُّورُ الْإِسْلَامِي بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ تَحْتَ عُنْوَانِ الشَّعْرِ
مَا نَصَهُ ذِكْرُ الْعَرَبِ فِي الْأَنْدَلُسِ قَدْ بَالِغُوا فِي اسْتِعْمَالِ الشَّعْرِ حَتَّى صَارُوا يَكْتُبُونَهُ فِي الْمُرَاسِلَاتِ السِّيَاسِيَّةِ

وعقد الصلح بل يخيل للإنسان انهم لا يكادون ينطقون إلا بالشعر قال وكان عدد الشعراء عندهم عظيما جدا وكان حماد الراوية الذي كان في ابتداء القرن السابع يحفظ مائة ألف قصيدة عن ظهر قلب من قصائد الجاهلية على كل حرف من حروف الهجاء غير القطع الصغيرة وأن أبا تمام كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير المقاطع الصغيرة والأصمعي ستة عشر ألف أرجوزة ، وكان أبو ذؤيب يروي أشعارا لمائة شاعر كل منهم اسمه عمرو ، ونقل هو عن أحد الفرنسيين (أن بلاد العرب أنتجت من الشعراء أكثر ممن خرج من بقية بلاد العالم) ثم ذكر أن مجالس الخلفاء كهارون الرشيد ازدان بالشعراء . وذكر المتنبي وهو أبو الطيب أحمد بن الحسين ابن عبد الحميد الجعفي المولود بالكوفة سنة ٩١٥ وهو ممدوح سيف الدولة بن حمدان أمير حلب وكافور الأخشيدي وقد تقدم سابقا ، وذكر أبا العلاء المعري ولزومياته وأبا تمام حبيب بن أوس الطائي المولود بالشام وكان ناسجا ويسقي الماء في الجامع بالقرب قبل أن يكون أمير الشعراء والبحثري وهو أبو عباد ، ثم ذكر أن الشعر كان يرفع الرجل من المسكنة إلى الدرجة العليا ، واستدل على ذلك بأنهم يؤرخون حوادثهم كما يؤرخون للملوك ويذكرون وفاتهم باليوم والسنة والساعة كما يذكرون وفاة ملوكهم وحجبتهم ، ودخل الشعراء أسبانيا مع الفتح حين دخلها موسى بن نصير وقد كثرت الشعراء هناك ووقفوا في قرطبة واشبيلية وغرناطة على أبواب عبد الرحمن الداخل وأبي عبد الله الصغير وغيرهما ، وقد كانت تجمع القصائد في مجلدات بالدواوين فيقال ديوان الشاعر فلان ، وقد كان الخليفة الحكم الثاني هو ناشر ومنظم ديوان ابن عبد رب (أحمد بن محمد بن عبد رب) من شعراء قرطبة وصاحب (العقد الفريد) وبعض الدواوين يحتوي على مجموعات لشعراء مختلفين مثل مجموعة أبي بكر بن داود الأصبهاني المسماة بالأزهار ومجموعات أخرى ، ثم قال إن زمن الحكم الثاني كان زمن رقي شعري عظيم وقد اشترك أهل الأدب في المناظرة الأدبية التي قامت بينهم على أثر ما نظم أحد شعراء قرطبة (محاسن الورد) وما نظمه شاعر آخر في وصف المطر فتشبهت الآراء وصار القوم فريقين ، فريق يفضل هذا وفريق يري ذلك وقد أثرت هذه المناظرة الأدبية وولدت كثيرا من النظم والنثر وقل أن يوجد مثل أشهر من المناظرة بين الورد والمطر مؤيدة برأي المعضدين لها) انتهى ملخصا

(نتائج الغرام بالشعر والسياسة في الأندلس)

ثم قال مانصه بالحرف الواحد (غير أننا إذا فهمنا الشعر على هذه الكيفية فانه بدلا عن أن يعلى قدر الأمة فانه يجرها إلى النذل والهوان ، ويدلنا دلالة كافية على انها قريبة من الزوال آيلة إلى الانحلال في زمن قريب بدلا من أن تمسك وتستقر ثابتة في أوج عزها ومجدها وبعد هذا الزمن بقليل استوزر ابن عباد الثالث الشاعر (عبد الله بن زيدون) واتخذ أمير بطليوس وزيرا له (أبا محمد بن عبد المجيد بن عبدون) عند ذلك كثرت تقلد الشعراء وظائف الدولة وراجت سوق الأشعار فيها حتى كانت المراسلات السياسية تكتب بالشعر ، ثبت ذلك ما كتبه ابن عباد إلى الأمير يوسف وإلى الفونس السادس . ولما اشتغل المسلمون بذلك وألهاهم الشعر عن النظر في أمور الدولة قام الأسبان واستردوا مدينة (طليطلة) وهددوا الأندلس بجيوشهم ولم يجد الأمراء ووزراؤهم الشعراء خلاصا من بطش المسيحيين بهم إلا بابا واحدا وهو الاحتفاء بأمراء أفریقیة فاستدعواهم إليهم وساموا إلى رئيس المغاربة مابقي بأيديهم من بقايا الخلافة العربية فسكنهم قضا بأيديهم على تمدنهم كما قضا على دولتهم) انتهى المقصود منه

وانما ذكرت لك هذا أيها الذكي لتعرف نتيجة قوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون - فانظر كيف هام الأندلسيون من المسلمين في الشعر وأوديته حتى قارنوا بين المطر والورد وتركوا الأمة وراءهم جاهلة لا يعاصونها نظام الحياة ولا رقي البلاد ولا الاستعداد لمقاتلة الفرنجة ، فهذا هو الهيام في كل واد من أودية الضلال ، وهذا هو الذي عناه القرآن وهو معجزة أخرى ونتيجة سياسية لهذه الآية

﴿ خاتمة السورة ﴾

اعلم أن هذه السورة بدأها الله بالعلوم فدكر النظر فيما خلقه في الأرض من عالم النبات وعجائبه وذكر في قصة موسى عليه السلام ذلك النظر كما شرحناه وعممه في الأرض وفي السماء وفي المشرق والمغرب وما بينهما وفي نوع الانسان وكذلك في قصة ابراهيم عليه السلام من الأحوال الانسانية خلقا وهداية وشفاء الخ ثم أعقب ذلك في القصص الخمس الباقية بالعمل بعد العلم فذم الكبرياء على الضعفاء في قصة نوح عليه السلام وذم التعالى والتعظيم بما أنعم الله من النعم لا يذم الناس واذلالهم واهانتهم كما كانت تفعل عادة من احتقارهم للناس وبطشهم بطش الجبارين ، وذم ثمود بكفر النعم التي أنعم الله بها عليها كالبيوت المتخذة في الجبال ، وذم قوم لوط إذ جهلوا نعم الله في النساء بالبنين وتركوهن واكتفوا بالذكور ، وهكذا قوم شعيب إذ ظلموا في كياهم ووزنهم فرجع الأمر الى نظام البلاد باقامة العدل في المعاملات وحفظ النسل وترك ظلم الناس وقتلهم وسفك دماهم هذا ما يخص ما في القصص الخمس الأخيرة ، فالسورة ابتدأت بعلم النظر وختمت بعلم النظام الاجتماعي والحق أنه لا سعادة لأمة إلا بالنظر في هذا الوجود أولا وحفظ النظام وضبط القوة الشهوية والقوة الغضبية ثانيا وهذا ملخص السورة ، وختمها ببيان أن القرآن لم ينزل به على النبي شيطان وأن النبي ﷺ ليس بشاعر ثم وصف الشعراء وقد عرفت كل ما يتعلق بذلك

﴿ كيف يعلم الشعر في الاسلام ﴾

اعلم أن السورة قد ختمت بذكر الشعر كما قدّمنا وكان ابتداءها بذكر الحكمة والعلم والنظر في هذا الوجود كما شرحناه ، ألا تعجب من هذا النظام ، ألا تعجب أن التعليم الحقيقي يكون على هذا المنوال فقد جاء في كتاب أميل القرن التاسع عشر ما يخصه ان العلوم الأدبية والشعرية والقصص الخيالية والخرافية تقرأ أولا ثم يقرأ التلميذ بعد ذلك العلوم الطبيعية كالحيوان والنبات والانسان والعلوم الرياضية كالحساب والهندسة والفلك الى آخره وذلك لأن الشعر وما معه تفتح للعقل باب الخيال ، أما العلوم العقلية فانها تصقل العقل وتهذيبه . فبهذا تعرف كيف سقطت دولة الأندلس فيما تقدم وتعرف ما يجب في المستقبل على المسلمين

﴿ في تعليم الشعر ﴾

ليقرأ الشعر بالطريقة الحديثة بحيث يذكر تواريخ الشعراء ، وما السبب في هذا الشعر ، ولم كان على هذا المنوال ، وكيف كان حكم الدولة في تلك الأيام ، وما الذي أثر في الشاعر حتى نطق بهذا القول ، وما حال الدولة في أيامه ، وما مدنيته ، وفي أي درجة كانت من الرقي حتى يخرج الطالب من ذلك وقد كسب ملكة النقد ليرقى البلاد بآرائه . ولا بد من العلوم الطبيعية كما جعل القرآن مبدأ السورة فيها في أولها وفي قصة موسى و ابراهيم ، وكما ذكر بعد (سورة الشعراء) سورة النمل وهي من العلوم الطبيعية . أفلا تعجب من القرآن . أفلا تعجب كيف سمي هذه السورة بالشعراء وأردفها بما هو من علوم الطبيعة ونظام الخليفة وبدائع الحكمة وهي (سورة النمل)

تم تفسير سورة الشعراء يوم الثلاثاء ١٧ من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

سورة النمل مكية

(وهي ثلاث وتسعون آية ، نزلت بعد الشعراء)

(وهي أربعة أقسام)

(القسم الأول) في مقدمة في الايمان وفي قصة موسى عليه السلام

(القسم الثاني) في قصة سليمان عليه السلام

(القسم الثالث) في قصة نوح وقوم لوط

(القسم الرابع) في حكم عامة وآيات بينات في معرفة الله واليوم الآخر . وقصة موسى ونوح وقوم لوط أشبه بأعمام للقصاص في سورة الشعراء

(القسم الأول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ
أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ *
وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ * إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَ تَكُونُ
مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ
فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *
وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي
لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَأَدْخِلْ
يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ يَيْضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَعَدُوا بِهَا أَسْتَيْقِظَتِهَا
أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلوًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ *

(التفسير اللفظي)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طس) تقدم تفسيرها وتفسير جميع أمثال هذه الحروف في أول بعض السور وفي أول سورة (آل عمران) وستقرأ قريباً ذكر ما يخصها هنا بإيضاح (تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أي هذه آيات القرآن وآيات كتاب مبين فيه الحكم والأحكام والاعجاز وفي هذا الكلام عطف إحدى الصفتين على الأخرى . وقوله (هدى)

وبشرى للمؤمنين) حالان من الآيات فهي هدى من الضلالة وبشرى بالجنة (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الجملة الاسمية عطف على ما قبلها (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) القبيحة فأصبحت مشتهاة لهم طبعاً (فهم يعمهون) أى يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والأسر يوم بدر (وهم في الآخرة هم الأخسرون) أشد خساراً لفوت الثواب واستحقاق العقاب (وانك لتلقى القرآن) تلقينه وتواته (من لسن حكيم عليم) فعلم القرآن (قسمان) علم وهو يشمل الجزئات والمستحيلات والواجبات وهو يشمل القصص والأخبار والمواعظ ويشمل اتقان الفعل وهذا الأخير هو الحكمة وهي القسم الثاني وهذه تشمل العقائد والشرائع والأحكام ، ثم شرع في بعض العلوم فقال اذكر (إذ قل موسى لأهله إني آنست نارا) أى اذكر قصته وقوله (سأتيكم منها بخبر) أى عن حال الطريق لأنه قد ضله في ذهابه من مدين الى مصرأى امكنوا مكانكم سأتيكم بخبر عن الطريق (أوأتاكم بشهاب قبس) على الاضافة بمعنى شعلة نار مقبوسة وشعلة النار تكون مقبوسة وغير مقبوسة ومنونا فيكون القبس وصفا للشعلة بمعنى مقبوس (لعلكم تصطلون) رجاء أن تستدفئوا بها من البرد وكان في شدة الشتاء (فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها) أى نودى بأن بورك من في النار الساطع الذي ظنه موسى نارا أى قدس وهو الله تعالى كما قاله ابن عباس ومن حولها وهم الملائكة وموسى . ولا جرم أن الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم وقد خاطب موسى من ناحية الشجرة فلاخبر فيما قاله ابن عباس في هذا المعنى وتقديس الله بمعنى تنزيهه عن جميع النقائص وأحوال الخلق وتقديس موسى والملائكة بمعنى ترك الذنوب ومعصية الله تعالى ولا جرم أن الملائكة موكلون بهذا العالم فهم حاضرون في كل مكان . ولما كان قوله - من في النار - يوهم الظرفية الحقيقية ويوهم اشراك موسى والملائكة مع الله في التقديس أو كثرة الخير من كل وجه أردفه بقوله (وسبحان الله رب العالمين) وهذا من تمام النداء أى تنزيه الله ربى العالمين والربى بتعالى عن الذين هم صربوبون فلا يشاركونه في كثرة الخير ولا في التنزيه عما لا ينبغي . ثم وصف الله نفسه لموسى فقال (ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) القاهر الغالب واست أقهر إلا الحكمة فأنا قاهر هذا العالم ولكن القهر مصحوب بحكمة فائن قلبت العصا حية فأنما ذلك لأثبت قدرتى وأعجازك لما أظهرته على يدك ولكنى لا أظهر ذلك على يدى عبد من عبادى إلا الحكمة فلا أجعل مثل هذا شائعا لأن شيوعه وتداوله ينافى الحكمة بل انى أجعله نادرا ولكن جميع ما يحصل في الطبيعة إنما يسير بنظام تام فهناك حكمة في دوام النظام وهنا حكمة في خرقه على شريطة أن يكون وقت الحاجة . ثم أبان عزته وقهره لحكمة هنا فقال (وألقى عصاك) عطف على بورك أى نودى أن بورك من في النار وأن ألقى عصاك (فلما رآها تهتز) تتحرك باضطراب (كأنها جان) حية خفيفة سريعة (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع * يقال عقب المقاتل اذا كره بعد الفرار . وانما رعب لأنه ظن أن ذلك لأمر أريد به فلذلك قال الله له (ياموسى لا تخف) منى ولا من غيرى ثقة بى (إنى لا يخاف لدى المرسلون) إذ لا يكون لهم سوء عاقبة فيخافون منه . أما الخوف الذى هو من شرط الايمان فهو ملازم لهم . واعلم أن الأنبياء قد يأتى بعضهم بغير الأفضل وقد يأتى بالصغيرة وموسى عليه السلام قتل القبطى ثم تاب وقال رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفرله * وقال ابن جريج « قال الله لموسى انما أخفكتك لقتلك النفس » ولذلك قال تعالى (إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإنى غفور رحيم) أو الاستثناء منقطع أى لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب و بدل حسنا بعد سوء فإنى أغفرله وأزيل خوفه (وأدخل يدك في جيبك) أى جيب قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) آفة كبره * يقول الله وأدخل يدك حال كونها آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن (الى فرعون وقومه) فتكون الآيات إحدى عشرة المذكورتان والفاق (٣) والطوفان (٤) والجراد (٥) والقمل (٦) والضفادع (٧) والدم (٨) والطمس

(هـ) والجذب (١٠) والنقصان في مزارعهم (١١) وقوله (إنهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الطاعة (فلما جاءهم آياتنا مبصرة) بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) الذي نراه (سحرمين) ظاهر (ومجدوا بها) أنكروا الآيات ولم يقرّوا أنها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أى علموا أنها من عند الله فهم مجدوا بها بالسننهم واستيقنوها بقاءهم (ظلموا) لأنفسهم (وعلموا) ترفها عن الإيمان وهما مفعولان لأجله لقوله - مجدوا - (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) فقد أغرقوا في الدنيا وأحرقوا في الآخرة . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول من السورة

﴿ لطيفة ﴾

انظر عجائب هذه الآيات في (سورة طه) وغيرها مما تقدم كالعصا والحية وكيف قلب الله العصا حية وما أشبه ذلك قد أوضحناه في سورة طه ، فان الله يظهر هذه العجائب كأنه يقول لعباده انظروا الأرض وما عليها تلبس ألوانا وألوانا ، يكون ليل ففجر فصبح فظهر فمصر فغرب فمساء ، ألوان وألوان وظلمة وضياء وجمال في النجوم ، وهذا كله تغير سريع متتابع وهناك تغير غير متتابع كالنبات وتتابع زرعه وهكذا الحيوان فالتناس يحبون من قلب العصا حية لجهلهم بصنعها فانهم لما شاهدوا تقلب النجوم والشمس والقمر وجلاليد النبات على الأرض وأنسوا بذلك صباحا ومساء أصبح ذلك عاديا لا يؤثر في أنفسهم لجهالتهم وانما ذلك يؤثر في نفوس العقلاء والحكماء ، ولكن لما رأوا العصا قد قلبت حية عجبوا من فعل ربهم وذكروه . هذه هي الحكمة في ظهور أمثال هذه الخوارق

﴿ بهجة العلم في بعض أسرار - طس - ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هذا ذكر بعض أسرار الطاء والسين في هذه السورة)

اعلم أن الله عز وجل - الذي خلق أرواحنا من أجل الأنوار وأبهرج الجمال - قد أنزلها في هذه الأرض واستقرت في الطين واصقت به فوصمت بالجهل حتى لا تعلم فلذلك أخذ يعلمها الله ليرجعها الى مقامها الأول نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب إلا للمحبب الأول

لهذا أخذ ينزل لها العلوم إما بالوحي وإما بالعقل والحكمة ، والوحي مبدأ والحكمة النهاية وكلاهما منه تعالى ، وهما هذان سبعاثن أخذ في أمثال هذه السورة يعلمنا كما يعلم الاستاذ تلميذه باللسان قبل المركبات وبالجزئيات قبل الكلليات فابتدأ يقول لنا (طاء . سين) وهذان الحرفان لا يفهم القارئ منهما معنى لأنهما حرفان لا معنى لهما . ولقد تقدم شرح هذا المقام بأوفى بيان في سورة (آل عمران) فهناك تجد المحجب المحجوب ، ولكن نحن هنا نريد ما يخص هذه السورة من المقصود من الطاء والسين . اننا ذكرنا في سورة (آل عمران) من المعاني التي تختص بالآلف واللام والميم مابه يستيقظ المسلمون النائمون الى حوز مجددهم وشرفهم وأن هذه الحروف موقوفة هناك الى قصة اليهود المبسوذة بالآلف واللام والميم وهذه القصة تفيد أنهم قد انكسروا على شفاعته آباؤهم وعلى أنهم لا يدخلون النار إلا نحلة القسم كما وعد الله يعقوب بالنسبة لأبنائه أو أنهم لا يدخلون النار إلا أربعين يوما عدد أيام عبادة آباؤهم الجبل ، وهذا الإنكسار الذي ادعوه جعلهم يستحلون المحرمات وينسكرون الأحكام الشرعية ويكتمون ما أنزل الله حتى قالوا إن التوراة ليس فيها الأمر برجم الزانية والرائي ، وهذا الإنكسار أوقعهم في النكال فأزال الله ملكهم وحل المسلمين بساحة بلادهم وملكوها ، وقد بينا هناك أن هذه الحال بعينها هي التي حلت بالأمة الإسلامية اليوم سواء بسواء وانهم انكسروا على شفاعته الشفاء من شيوخهم وعلمائهم وناموا جهلا بمعنى الشفاعته وبهذا عن معرفة الحقائق فلم يقدروا أن يفهموا ما هي الشفاعته ولا ما هو

الواجب فوقهم فيما وقع فيه اليهود من ضياع ملكهم وذهاب مجدهم فاتخذوا الشفاعة التي هي حق وصدق
لاشك فيها سببا في الجهل والكسل والظلم والنوم على فراش الراحة الوثير وهدموا الدين هدمًا ، إذن هم
ذكروا حقا وأرادوا به باطلا وأضل الله كثيرا منهم على علم . إذن - الم - في سورة (آل عمران) يراد
بها ارتقاء المسلمين اليوم وخروجهم من الظلمات الى النور ومن الغرور المذكور في قوله - وغرهم في دينهم ما
كانوا يفترون - الى الحقائق ومعرفتها ، وهناك بيان أنواع الغرورين في زماننا وبيان الطريق التي يسلكها
المسلمون للخروج من هذا الغرور فاقراءه هناك فإنه شاف واف . هذا ملخص ما هناك مجملًا

فلننظر هنا في الطاء والسين ، فهل فيهما معان كالتي هناك ؟ أقول نعم فيهما وفيهما ، ههنا حضر صديق
العالم الذي اعتاد أن يناقشني في المسائل الهامة في هذا التفسير . وقال إن هذا الملخص الذي ذكرت أنه في
(سورة آل عمران) لم تأت فيه بتمام الفرض هنا ولكن الاطلاع عليه في الفصل هناك يكفي اللبيب انما الذي
يرمى الآن أن أعرف هل - طس - فيها معان تفيد الأهم الإسلامية كالتي تقدمت في (آل عمران) فأجبهته
نعم تضارعها وتشرح الصدور . فقال وما هي تلك المعاني . قلت انظر وتعجب . إن هذه السورة تشتمل على
(١) حديث سليمان والطير والنمل وبداخل في أمر الطير مسألة بلقيس وعرشها . ولا جرم أن ذلك يدعو

(لأمرين) ارتقاء العلوم وارتقاء النظام السياسي في الأمم
(٢) وعلى أن صالحا طير به قومه فوكل الأمر لله فنصره

(٣) وعلى أن لوطا نصر إذ آذاه قومه

(٤) وعلى نتيجة ذلك كله وهو وصف الله بحمائل خلقه في قوله - قل الحمد لله وسلام على عباده - الخ
ثم الأمر بالسير في الأرض وبقية النصائح

هذا ملخص السورة ، علم الله قبل أن يخلق الخلق وينزل القرآن أن المسلمين سينامون نوما عميقا .
لماذا ؟ لأن العرب لما فتحوا البلاد تفرقوا فيها ولما تفرقوا نسوا مجد آبائهم لما أسكرتهم خمر الانتصار
وطال عليهم الأمد وقست قلوبهم وصاروا مترفين . مع أنهم هم الذين علموا الأمم وهم الذين رققوها وهم الذين
نقلوا علم اليونان وهم الذين سلموا ذلك العلم الى أوروبا فأحاطت بهم الأمم من كل جانب وهم نائمون فقال الله
لهم - طس - وهذان الحرفان أشبه بطلسم مكنون يقرؤه الناس جيلا بعد جيل وزمنا بعد زمن وسلمه الآباء
للأبناء وهذا زمان المعرفة والعلوم ، هذا زمان استيقاظ المسلمين من العرب ومن تلك الأمم التي أيقظها العرب
الفاتحون ، ولما نام العرب ناموا أجمعين ثم رجعت أكثر الأمم التي ليست بعربية الى أنفسها فعقلت واستردت
بعض مجدها ولكن - طس - يراد منها أن توقظ أمم العرب وغير العرب بذكر بعض سرها في هذا التفسير
فقال صاحبي فبين لنا ما هذا السر الذي قدمت له هذه المقدمات . فقلت انظر الى (الطاء) أأنت تراه في لفظ
(الطير) ولفظ (أحطت) و (تحط) فهي أول كلمة طير وآخر كلمة أحاط وتحيط . قال بلى . قلت انظر الى السين
أأنت تراه في أول لفظ سليمان . قال بلى . قلت هذا هو مفتاح العلم في هذه السورة ، فالطاء والسين هما مفتاح
الرق للأهم الإسلامية وكان الطاء قفل وكان السين مفتاح كالمفاتيح المعتادة في بلادنا . قال نعم . قلت فإذا
اجتمع القفل مع المفتاح وأدخل فيه فتح الباب . هكذا هنا اجتمعت السين مع الطاء ففتحت خزائن العلم .
فقال صاحبي أريد أن أرى هذه الخزائن . فقلت ههنا للعلم (خزانتان) خزانة العلم وخزانة السياسة

اللهم إني أحمده على نعمة العلم . اللهم لا معلم إلا أنت . اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت
ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد . اللهم إن القلوب بيدك والفتوح منك فلا حول لنا ولا قوة
إلا بك أنت . أنت الذي ألهمتني هذه المعاني فلا قلبها للمسلمين . اللهم إن سليمان نبيك كلم الطير ولم يكن ذكر
ذلك في كتابك لمجرد حكاية تحكيها عن سليمان لنفريح بها ونحن جاهلون أولتها هي بغيرنا ونحن مجرّدون . كلا

إن القرآن ذكر مبارك والذكر يتبعه الفكر كما قلت - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - . فهمنا يفكر المؤمن في أمر سليمان وأمر الطير فيقول إن الطير يقول لسلطان أحطت بما لم تحط به فوالله ما كان علماء الأمم البائدة من قدماء المصريين والآشوريين والبابليين ولا علماء الأمم الحاضرة من الأمم العربية بأقل علما من الهدهد الذي يقول لسلطان - أحطت بما لم تحط به - ولا نحن بأغزر علما من أنبياء الله تعالى فليس لنا حق أن نتبرأ من علم الأمم أو أن نجعله بل نضرب في كل علم بسهم ويكون منا لكل علم قوم نابضون فيه ، فلو أنا تكبرنا على علم منها لكان سليمان أولى بالكبرياء على الهدهد ، فلانحن أعلم من أنبياء الله ولا علماء الأمم بأضعف من الهدهد . ولقد ذكرت هذا المعنى في سورة (يونس) عند تفسير قوله تعالى - فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية - ورسمت لك هناك صورة منطقة فلك البروج المنقولة عن قدماء المصريين المرسومة على صندوق موتاهم ، وعجبت كل العجب أن يكون علم الفلك مرسوما ملخصه على صناديق أموات قدماء المصريين ، ونرى أن جميع الأمم الإسلامية من مصريين وغير مصريين لم يحط أحيائهم بهذا العلم ، إن الله جعل هؤلاء لنا آية ، يقول لنا هؤلاء الأموات رسمت على صناديقهم عجائب سمواتي فكيف كان أحيائهم إذن ؟ وإذا كان الأموات يشرفون بجمال سمواتي وبرهجة عالمي فكيف بأحيائهم ، وهل يصح منكم ذلك يا مشركي المسلمين الذين أرسلت لكم خاتم الأنبياء وجعلتكم رجة العالمين أن تكونوا أجهل أمة في الأرض ويكون الأموات من الأمم السابقة أحرق على جبال نظامي ونقوشه وبدائع كواكب من أحيائكم وأنتم مسلمون ، ألا ساء مثلا القوم المغفلون الجاهلون

أهل مصر كأكثر بلاد الإسلام ليسوا بمؤمنين بجمال علم النجوم وقد دفنت تحت أرجلهم أمم كانوا قبلهم وهذا العلم مرسوم على صناديقهم وهأنذا أبرزه لهم اليوم وأقول - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - هذا هو بعض ما جاء في (سورة يونس) مع بيان أن علماء قدماء المصريين ليسوا أقل من الهدهد بل هم أشرف منه ولاهم الإسلام بأرفع مقاما وعلما وقدر من سليمان فاذا نزل سليمان إلى سماع الهدهد أفلا يسمع المسلمون كلام العلماء . فقال صاحبي هذا حسن وقد تقدم ولكن هذا كله أشبه بمقدمة ويظهر لي أن هنا ما هو أجل من هذا وأبين . فقلت نعم هنا ﴿ أربعة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾ في أن الأمراء ورؤساء العشائر يجب عليهم مراعاة صغيرات الأمور وكبيراتها
﴿ الفصل الثاني ﴾ في أن الطيور وسائر الحيوان معلمات للإنسان في الحلال والاستقبال غايات تعليمه
﴿ الفصل الثالث ﴾ في أن هذه المخلوقات الحيوانية فيها مضار ومنافع لا بد من علمها لرفق الإنسانية
﴿ الفصل الرابع ﴾ في أن قصة بلقيس تذكرة للعرب قد دخلت في حديث الهدهد وفيها تقرير لأبناء العرب عموما ولأهل اليمن خصوصا إذ هم في بلاد كانت لها مدنية مع وثنياتهم لم يصل لها المسلمون الحاليون مع جلالة قدر دين الإسلام

﴿ الفصل الأول في أن الأمراء ورؤساء العشائر يجب عليهم مراعاة صغيرات الأمور وكبيراتها ﴾
اعلم أن الله عز وجل لما أطلعنا على رقه المنشور وكتابه المفتوح وهي الطبيعة التي درسناها ألفيناها لم يفرق في الرحمة والعناية والحفظ بين الكواكب في مداراتها والحشرات في مخابها بل وجدناه أعطى النمل من الأعين وعددها ما لم يعطه للجمل والفيل . جعل الله للكواكب مدارات منظمة بحساب متقن ولكنه لم يدر النرات والحشرات الصغيرة الضعيفات بلا حساب ولا عناية بل أعطاها كل ما تحتاج إليه . إن الإنسان الذي يوقن بهذا قد دخل أبواب الجنة فعلا في هذه الدنيا . هذا هو الذي رأيناه في عمل الله فانظر إلى عمل نبي من أنبيائه وهو سليمان عليه السلام ، فانظر ماذا فعل ؟ تراه يعاشر الوزراء ويدبر الملك ولكنه في الوقت نفسه لم يغفل عن النملة في مسكنها والهدهد في الهواء فهو يكامهما ويتفقد الطير ويهدد الهدهد ويستمع جوابه ويقبل منه

القول الحسن ويعمل بقوله ويسمع مخاطبة الفملة ويتبسم ضاحكا من قولها . إذن هو كالم الوزراء وأدار المالك وتنزل الى الخمل فهو إذن في عمله نموذج لفعل ربه ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يعني انه يجب علينا نحن المقصودين من هذا القول كله أن نلاحظ مادي كما نلاحظ ما جلي وتنفق كل صغير وكل كبير في عملنا كما يتفقد الأب جميع أبنائه بل يتفقد الصغير أكثر مما يتفقد الكبير كما فعل الله إذ أعطى الفملة من الأعين كما سيأتي في هذه السورة مشروحا ما لم يعط الجمل والفيل وذوات الأربع عموما . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في بيان أن الطيور وسائر الحيوان معامات للانسان في الماضي والحال والمستقبل ﴾ وذلك ظاهر في (سورة طه) عند قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فهناك ترى أربعين نوعا من الصناعات استقلت بها الحيوانات قبل خلق الانسان فتعلمها الانسان كالبناء وصنع الورق والسراديب والغزل والنسيج وما أشبه ذلك فراجعته تجده مشروحا ، وآخر صناعة نقلها الانسان من الحيوان مسألة الطيارات التي تطير في الجو ولا ترتفع إلا الى خمسة أميال فقط مع انها تجري مئات الأميال حول الأرض ولكن ارتفاعها محدد ، فهذه الصناعة لم يهتد لها الانسان في زماننا هذا إلا من الطير كما تقدم في سورة المائدة عند ذكر الغراب وأن الله بهشبه يرى الانسان كيف يدفن موته ، إذن الانسان تلميذ الحيوان . واعلم أن علم الحيوان وعلم النبات وعلم المعادن وعلوم الكائنات يجب على الناس أن يقرؤوها قبل قراءة جسم الانسان وقراءة علم نفسه وعلم سياسته لأن هذه مخلوقات قبله ومقدمة عليه طبعها فوجب تقديمها صنعا فان نظام الله اذا روعي ترتيبه كان أقرب الى الرقي كما قال (اسبغسر) في تعليم اللغات ﴿ انه يجب أن يبدأ المدرس بالتكلم ثم يتبعه بالكتابة لأن الناس هكذا تسكاهوا ثم كتبوا ﴾ فهكذا نقول هنا هذه العوالم خلقت قبل أن يخلق الانسان فليدرس قبل أن يدرس الانسان نفسه ويدرس عقله لأن الحيوان أقل تركيبا من الانسان فهو كجرته والجزء يدرس قبل دراسة الجميع ، ولهذا عنيت الأمم بقراءة تلك العلوم عناية تامة . هذا من معاني قول الطير سليمان - أحطت بما لم تحط به - فكل طير وكل حيوان مخلوقات قبل الانسان فعلها اسعاد له وكل علم عرفناه عن الحيوان علم بناحية من نواحي الانسانية العامة . انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث في أن هذه المخلوقات الحيوانية فيها مضار ومنافع لا بد من علمها لرقى الأمم ﴾ لقد تقدم في أول (سورة الفرقان) كلام عام عند قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - وبما ذكره هناك السمك الكهر بائي في البحر والحيوان الصدفى الذي يدير سيفيته فوق سطح البحر والعنكبوت التي تسخذ لها سفنا فوق سطح البحر بشبكاتها وطيارات في الجو جوارات بها تصطاد الحشرات وتسير في الجو وأن هذه الحشرات وأمثالها جعلها الله أمثالا لنا ولذلك قال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال في آية أخرى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين - فهذه جعلها الله آيات مفصلات ، فالقمل آيات مفصلات والدم آيات مفصلات والطوفان آيات مفصلات وقد مرّ ايضاح أكثرها ومعرفتها هناك

يجب المسلم حين يسمع أن الضفدع والدم آيتان ، واذا جعل الله الشمس والقمر آيتين فكيف يجعل القمل مثلا والدم آيتين . إذن الشمس والقمر كأقل الحشرات كلاهما من آيات الله

الله أكبر ، جلّ الله وجلّ العلم ، هذه من آيات الله فهي منذرات . إنك ترى في (سورة الفرقان) أن البراغيث اللاتي هنّ أخوات الخمل رسل وسفراء بين الفيران وبين الانسان فاذا حلّ الطاعون بساحة الفيران وساء صباحها وماتت جوعا حملت البراغيث هذا الداء من تلك الأجسام المطعونة الى أجسام الانسان فوضعت فيها جراثيم الطاعون ثم ينتقل من زيد الى عمرو ويسرى في الناس سريان البرق في الظلماء . وقد تقدم هذا وكيفية الاحتراس منه فلا نعيده ، ولستنا نحن هنا في مقام المداواة من الأمراض ولكن نحن في مقام العلم

والحكمة العامين فشرح الأمثال الجزئية تذكراً وتبديناً للقواعد السكينة . إذن لابد من دراستها فهي آيات مفصلات فصلها الله بعمله قبل أن يخلق الانسان ويخلق أنبياءه ويوحى اليهم فيدل بنى آدم بالوحى للأنبياء على ما كتبه في هذا اللوح المنشور فيسمع الناس القول فيقبضونه بالعمل

هذا هو السر في أن الأمم حولنا يدرسون كل حشرة وكل طير ليعتبروا من الهلاك ويحذروا الثمرات . إن الانسان لا يخطر بباله يوماً ما أن البرغوث مهلك بالطاعون للانسان ولكن العلم اليوم أثبت ذلك كما أن هناك جرائم حية لا تعددها تمرض الانسان بأنواع الأمراض المختلفة . وما ربك بظلام للعبيد . وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم بالجهل بمصنوعاتنا ، وكلما كانوا أكثر جهلاً كنا أكثر اهلاً كما لهم لأنهم لو درسوا ما حولهم لأجل حفظ أجسامهم ورق مدبرهم لانتبهوا الى ادراك جلالنا وقدرتنا وحكمتنا ، فإذا أضرنا الناس بالنظر في مصنوعاتنا لتوحيدنا وشكرنا ففهمناهم لا يصلون للحقائق المعروفة بنا إلا بعد أن يكونوا قد أتوا دروس علوم الحياة التي تنفعهم في دنياهم ، فالمنافع الدنيوية أشبه بحسري يرون عليه معرفة جلالنا وانما فعلنا هذا النظام لتمييز الخبيث من الطيب والذكي من البليد لأننا اذا تركنا الانسان ولم نوقفه أهلكته البهانة وسوء الملكة فيكون من المترفين والمترفون مذمومون إذ جاء في التنزيل . انهم كانوا قبل ذلك مترفين . فجعل الترف هو السبب في عذابهم في جهنم ، فمن رحمتنا أن جعلنا ماله وولده والحشرات المحيطة به عذاباً له ليعمل وليحترس من الهلاك ويحجى ويجهت فلا يحقر البرغوث والقمل ويقول ماضرهما فنقول له

✽ أطرق كرا إن النهامة في القرى ✽

ادرس البرغوث وادرس القمل وادرس الطير والا أذقناك أيها الانسان العذاب وساطنا عليك جنودنا فأهلكناك ، ولواننا أنمنا هذا الانسان هلاك . ألم تر الى أمة اليابان ، تلك الأمة الشرقية أنها سبقت الشرق كله الى الرقى . لماذا ؟ لأن بلادها خافت معرضة للبراكين فهي أبداً على حذر وخوف لذلك ارتقت قبل أهل مصر الذين اشتركوا معهم في اقتباس المدنية فسبق الأولون الآخرين واحترمتهم الأمم وانما تأخر المصريون (أهل بلادى) لأنهم آمنون عندهم ما يكفيهم من القوت والملابس ولا زلازل وبراكين عندهم فاكثفوا بما عندهم . وحق بهم ما كانوا به يستهزئون .

فإنه لم يرسل المندرات من الحشرات والجنود المجندات على هذا الانسان إلا لإيقاظه وارتقاؤه ، وهذا الانذار لا يعرف إلا بالعلم وهذا هو سر قوله تعالى . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون . فالعلماء بهذه الحشرات والحيوانات هم الذين بهم ندرك لماذا خافت وبماذا يحترس منها مع أن أكثر المسلمين حين يسمعون الله يذكر الهدد ويذكر القمل ويذكر العنكبوت يقولون في أنفسهم . ماذا أراد الله بهذا مثلاً . وهذا هو الحجب أن يكون أسهل الأشياء عند الجهال أصعبها وأعظمها عند العقلاء ✽ قال الشاعر

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ✽ ولا الصبابة إلا من يعانيتها

هذا هو بعض سر الطاء والسين في أول هذه السورة ، فالدين من سليمان والطاء من الطير ومن أحطت ومن تحط يشيران الى ما ذكرناه من هذه المعاني ، وكأنما الدين كما قدما قريبا مفتاح والطاء قفل بحسب شكلهما واجتماعهما وقد أفاد أن سليمان الذي أول حروفه السين يشير للعلم لأن الله يقول في هذه السورة ولقد آتينا داود وسليمان دلماً . فالعلم المشار له سليمان هو المفتاح الذي يفتح به قفل الطالسم في الطير المشار له بالطاء فسكان الطير طلمسم وهكذا كل الحيوانات والعلم حل له ويرضله سليمان أو قفل ومفتاح بحسب ظاهر الشكل ، فالحمد لله على العلم والحمد لله على الإلهام والانعام . انتهى الكلام على الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الرابع في أن قصة باقيس تذكرة للعرب وقد دخلت في حديث الهدد ، وفيها تترى
لأبناء العرب عموما ولأهل اليمن خصوصا إذ هم قد ورثوا بلادا كانت لها مدينة في وثايتهم لم يصل
لها المسلمون الحاليون مع جلالة قدر دين الاسلام ﴾

اعلم اني اكتب هذا الآن وأنا من أبناء العرب وأحسن بأننا قد وصل ديننا أطراف الأرض بجد آبائنا
وسعيهم فتفرقنا ونسينا كل علم وكل حكمة إلا قليلا فذكرنا الله برجل اعرابي يسمى ذا القرنين إذ بلغ مشرق
الشمس ومغربها وقد تقدم في (سورة الكهف) وهكذا هنا هذه مملكة في اليمن تعبد الشمس وعندها الشورى
فحكومتها حكومة ملكية مقيدة أشبه بمملكة الانجليز الآن من حيث نظام الملك فجاء في هذه القصة هنا أن
لها عرشا وأن لها ملكا فاعهما وأن لها مجالس للشورى وتديرا للملك فهل يسمع هذا أبناء العرب في اليمن
فيتحدوا مع الأمراء والملوك ويرجعوا للأمة بحجدها وعزها وعظمتها ويتفكرون فيما لليمن من مجد تالد
وعز قديم ، وكيف كان الماء النازل من السماء لا يترك سدى بل كان له سدود تحفظه وتحميه بهلم الهندسة
والحساب ونظام الدولة الجليل إذ القوم كان عندهم علم وحكمة فعمروا بلاد الله فعاش بها عباد الله فلما غفلوا
أرسل الله عليهم سيل العرم وبدلهم بجنتهم الجبنتين المصدقين عليهم النعم بجنتين لا منفعة فيهما وليس فيهما
إلا الثمار المرة والعسل وقليل من النبق ورجعت البلاد كما كانت جزاء تقاطعهم وتدابيرهم

هذه تذكرة للمسلمين في (سورة سبأ) وبالأخص تذكرة لأهل اليمن يقال لهم يا أهل اليمن أستم ترون
الأمم حولكم أقوى منكم بأسا وترون طياراتهم تحيط بكم وأساعدهم وجنودهم المرسلات من أوروبا لبلادكم .
إن هذا لتقصيركم وقصوركم لأنكم أعرضتم عن الحكمة والعلم ، فافرقوا كل علم وكل فن يا أبناء العرب عموما
ويا أهل اليمن خصوصا فلجد الذي ضاع من أبناء العرب عموما لغفلتهم عن معرفتهم جميع العلوم وهكذا أهل
اليمن والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الأحد (٧) أكتوبر سنة ١٩٢٨

﴿ سر من أسرار النبوة المحمدية قد ظهر في الطاء والسين ﴾

اللهم لك الحمد ، أنت المنعم اللهم المعلم ، سبحانه لك اللهم ، أنت أرسلت محمدا ﷺ وجعلته آخر
الأنبياء وأنزلت عليه هذه السورة . ومن عجب أن النمل له شبه بالانسان في حربه وأسراه ومنازله كما ستره
موضعا فيما يأتي . سيأتي قريبا أن سليمان تبسم ضاحكا من النملة لما سمعها تنذر قومها ، وهذا دلالة على أن
للنمل جماعات منتظمات وهذا ستره مفصلا كما قلنا ، وبعد ذلك تفقد سليمان الطير ومنه الهدد وبالهدد
عرف أمة سبأ وقد جاء فيها أن ملوك الأرض ظالمون وأعقب ذلك قصة أخرى تفيد أن بيوت الظالمين مخربة
وهذا من أسرار النبوة . إن النبي ﷺ أنذر المسلمين وحذرهم من غوائل فتح البلدان في حديث البخاري
إذ قال لهم « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » وهذا الحديث تراه موضعا في أول سورة الأنفال
إذن فتوح البلدان يستوجب نوم الأمم الفاتحة إذ يعيشون بكسب غيرهم وهذا هو الظلم ومتى ظلموا انحطت
مداركهم فخربت بيوتهم . ذلك هو ما يخص ما يأتي ﴿ ظلم غراب ﴾ هذه حال الانسان . وذلك كله جاء بعد
ما تفقد سليمان الطير فتفقد الطير أوصله الى (سبأ) وفيها جاء ذكر ظلم الملوك الأمم فتخوى بيوتهم بما ظلموا
والتفقد المذكور من سليمان للطير وفيهما السين والطاء وهما الحرفان الأولان من الاسمين اللذين جاء بينهما
التفقد المنتج لنا ذكر كما سيأتي ايضا في أثناء تفسير هذه السورة في ايضاح بعض أسرار هذين الحرفين
فانظر لحال النمل فقد جاء في الأخبار العالمية اليوم أن الأمم الغلمية التي تعيش من كسب الأسرى يهتريها
الانحطاط فالانقراض . واليك ما جاء في « مجلة الجديد » بهذا النص

﴿ أكبر الجماعات في الكائنات الحية ﴾

يقرر علماء التاريخ الطبيعي أن أكبر الجماعات في الكائنات الحية لا توجد إلا في النمل والجنس البشري

ويعتبر علماء الاجتماع أن أكبر الجماعات البشرية (ثلاث) الامبراطورية البريطانية يبلغ عددها ٤٦٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة والصين وسكانها ٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة والهند وبها ٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة . ويقدر علماء التاريخ الطبيعي أكبر جماعات النمل بنحو ٥٠٠.٠٠٠.٠٠٠ نملة في الجماعات الواحدة ، وذلك لأن النملة حيوان اجتماعي فتوجد بين النمل النظم الاجتماعية التي توجد عند الانسان بشكل يتفق مع تكوين هذه الكائنات الصغيرة فهناك الجنود والعمال من جميع الأنواع والأرقاء والأسرى . والعجيب أن الرق في أمة النمل مثله بين الجنس البشري يؤدي إلى انحلال السادة وتدهورهم لأنهم يكفون عن العمل ويدعون أرقاءهم يقومون لهم بكل شيء فتتخط قواهم ومداركهم انتهى

والأهم لما ظلمت انحات قواها فخربت بيوتها فتشابه النمل والانسان في الظلم والخراب وهذا من عجائب القرآن وبدائعه فيجب أن يكون الناس أرقى من النمل وأن يكونوا أمة واحدة أي متضامنين وكل له عمل ومن لا عمل له يعاقب

أقول إذن ثبت هنا أن الانسان العظيم القدر الكبير العقل لم ينل مدنية أعلى من مدنية النمل ، فمجموع الانسانية (حتى المزيّفة منها بالاستعمار) لم تزد على جماعات النمل ، وأيضا اذا حكمت أمة من الناس أمة أخرى استعملتها خادمة لها وانحطت هي ، وهذه نفسها سليقة النمل وهي سليقة سافلة منحطة . إذن ثبت أن هذه الانسانية التي نعيش فيها انسانية حقيرة يزدريها العقلاء من نوع الانسان

أيها الناس ، أيها العقلاء ، أيها الشرقيون ، أيها الغربيون ، أيها الأمريكيون ، أهذه انسانيتم ، أهذه هي الانسانية ، انسانية والله دنيئة حقيرة ، ولكن لا لوم إلا على ذوى العقول الكبيرة فيكم ، أكبر جماعة فيكم لم تزد على جماعة النمل مع ان النمل ليست عندها طيارات ولا بريد ولا تلفراف ولا مخاطبة بالتلفون وأنتم يا أهل الأرض بينكم تواصل ويعرف الشرق منكم الغرب وكل منكم محتاج الى الآخر فاذا بقيتم على سياسة النمل فأنتم قوم أضل من الأنعام ، ثم لماذا تتكلمون على الأمم المحكومة اذا حكمتكم الناس فأنتم بهذا تنهون أبناءكم على بساط الراحة فيذلون بالكسل والبطالة ويميتون الأمم المحكومة باذلالها ، صدق الله - قتل الانسان ما أكفره - إذن هذه السورة يستفاد منها ﴿أمران﴾ ثانيهما مرتب على أوّلها ﴿أولا﴾ اقتران سياسة الانسان بسياسة النمل لأنهما ذكرا متعاقبين ﴿ثانيا﴾ بالبحث في هذا نجد الانسان أرقى من النمل عقلا ولم يزد عنه عملا بل صار فتوح البلدان اتحادا لعقله وجسمه كما في حديث « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » إذن هذه السورة يؤخذ من خواصها استنتاجا أن الانسان عليه أن يكون أرقى من حاله الحاضرة ولا يتم ذلك إلا بأن تكون الأمم كلها متعددة يخدم بعضها بعضا وأن لا تغلب أمة أخرى فلا يفسد الملوك القرى اذا دخلوها حتى لا تخرب بيوتهم ولا يتم ذلك كله إلا بنظام عام لجميع الأرض تعمر جميع الأمم تتعلم

ونتيجة ذلك كله أن محمدا ﷺ رحمة للعالمين لا لبعضهم ، فعلى المسلمين أن يسموهوا ما أقول فيتعلموا كل علم ويدرسوا تواريخ الأمم وعلاومها ثم هم الذين يكونون واسطة عقد نظام المجتمع الانساني كله شرقا وغربا ومستحيل أن يكونوا واسطة لذلك إلا اذا كانوا أقوياء وعلماء في كل فن ويعمرون أرض الله ثم ليحجوا في رفع الانسانية من هذه الخماقة ليكون الناس جميعا متعاونين في الشرق والغرب

هذا معنى وسر كونه ﷺ رحمة للعالمين - فطاء طمأنينة العالم وسين سلامه تتوقفان على تفقد المسلمين الأمم أمة أمة كما تفقد سليمان الطير وتفقد له بين الطاء والسين وينتج الطاء والسين . ومن عجب أن سليمان فيه معنى السلام وأن الطيران الحديث ربما يعقبه تواصل الأمم فتكون الطمأنينة ، ففي الطاء والسين السر العجيب . انتهى يوم الأربعاء ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٩ م وبهذا تم الكلام على القسم الأول من السورة والحمد لله رب العالمين

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَبَتَسَّمَا ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ * وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْمُهْذُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ * لَأَعَذَّبَنَّكَ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ أَوْ لَاذْبَحْتَنِي أَوْ لِيَأْتَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَكَذَّبَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَتَنظُرُونَ أَصَدَقْتُ أَمْ كُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظَرُوا مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى وَاتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ * أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَنَخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا وَهَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ

الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ * قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَنْتَبِئِينَ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) علم القضاء والسياسة ، وعلم داود تسبيح الطير والجمال ، وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقال الحمد لله الذي فضّلنا) بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والإنس (على كثير من عباده المؤمنين) والمراد بالكثير من لم يؤت علما أو أوتي علما ليس كعلمهما (وورث سليمان داود) نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده ، وكان لداود تسعة عشر ابنا وزيد سليمان على داود تسخير الريح والجن والشياطين (وقال) سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) فانا نفهم بقوتنا القدسية الإلهية اختلاف الأصوات لاختلاف الأغراض التي جعلت لها ، ولا يجوز أن لكل طائر أنواع في صوته لتدل على ما قام بخياله من سخن أو فرح أو جزع وهي تنوعات معيّنودات لأغراض محدّودات ، ولقد عرف العلماء اليوم كثيرا من لغات الطيور أي تنوع أصواتها لأغراضها المختلفة ، وفي هذا معجزة لهذا القرآن لقوله تعالى في آخر السورة - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فتعجب من كلام الله كيف ظهر اليوم أن الأمم تبحث في لغات الطيور والحيوانات والحشرات كالنمل والنحل وتنوع الأصوات لتنوع الأغراض فالله أخبر بالغيّب يقول انكم لا تعرفون لغات الطيور الآن وعلمتها سليمان ولكن سيأتي يوم ينتشر فيه علم مخلوقاتي ويطلع الناس على عجائب خلقى ولعمري إن هذا المعجزة لهذا القرآن ، وستأتي معجزة ثانية وهي انتقال عرش بلقيس وهذا أمر مستغرب في كل زمان ولكن القرآن جاء فيه - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - وسترى في علم تخضير الأرواح مما أنقله لك هناك كيف تعمل الأرواح اليوم وتنقل الأشياء من أماكنها كأن الله يقول لنا إن انتقال عرش بلقيس معجزة ليست بصناعة علم الأرواح وسأريكم هذه الآية بعلم الأرواح لا بالمعجزة لأنكم لستم أنبياء وستأتي معجزة ثالثة وهي قوله تعالى - وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم - وسأذكر لك فيها مبحث علم الأرواح وما ذكرته هناك من أن هذا رمز لما ظهر من عجائب هذا العلم وأن الناس بهذا العلم أيقنوا بالله ، وسأذكر لك معجزة رابعة وهي قوله - وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّاً السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء - وتطلع هناك على ملخص علم الفلك قديما وحديثا من دوران الأرض وقبوتها وعلى محادثة جرت بيني وبين سيدة من علماء أوروبا في هذا المقام ، إن هذه أيضا سرّ قوله - سيريكم آياته فتعرفونها - في علم الحيوان وعلم الفلك وعلم الأرواح في هذه السورة نفسها ، إن هذا زمن ظهور أسرار القرآن وعار على المسلمين أن يتركوا نعمة ربهم ، فإذا قال سليمان - يا أيها الناس علمنا منطق الطير - فالله يقول - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - بالتعليم لا بالقوة القدسية كالأنبياء فان ذلك لهم معجزة وأنتم

مأمورون أن تعرفوا آيات الله على مقدار طاقتكم ، ثم قال سليمان (وأوتينا من كل شيء) والتمسك من ذلك
 كثرة ما أوتي كقولك فلان يقصده كل أحد ويهمل كل شيء ، وإنما خص منطق الطير بالذكر لثبوتيه بشأن العلم
 وحسن الأمانة الاسلام على دراسة هذه العلوم ، وما ورد في ذلك أنه سرّ بلبل يصوت ويترقص فقال يقول « إذا
 أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء » وصاحت فاختة فقال انها تقول « ليت الخلق لم يخلقوا فالبلبل صاح عن
 شبع وفراغ بال والفاختة صاحت عن مقاساة الألم » والضمير له ولأبيه أوله وحده على قواعد السياسة (إن
 هذا هو الفضل المبين) الذي لا يخفى على أحد (وحسن سليمان) وجمع له (جنوده من الجن والإنس والطير فهم
 يوزعون) يحبسون أو لهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى إذا أتوا على واد النمل) أى أشرفوا على وادى
 النمل وهو واد بالشام يكثر فيه النمل (قالت غلة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم) أجراهم بحرى العقلاء بعد الخطاب
 لأن القول إنما يقال للعاقل (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم والحطم الكسر (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون)
 أى انكم لولم تدخلوا وظهرتم لحطموكم ولم يشعروا بكم فسمع قولها ، ولما بلغ وادى النمل حبس جنوده حتى
 دخلوا بيوتهم (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجبا من حذرها وتحذيرها والهداية التي غرسها الله فيها وسرورا
 بما خصه الله به من فهم مقاصدها وأشعارها لقارئ القرآن أن يفرح وينشرح صدره بالعلم والحكمة لاسيما عجائب
 النمل وغرائب الحكمة التي أودعها الله فيه ، فأن فرح سليمان عليه السلام بما أعطاه الله من العلم القدسي
 الرباني فأنت أيها الذكي تهينه وتلميذ الأنبياء وقد أمر نبينا ونحن نبع له أن تقتدى بهداهم فلنقتد بهدى
 سليمان . إن سليمان أعطاه الله علم منطق الطير وعلمه عجائب النمل فعرف عجائب غرائرها وطبائعها وتبسم لما
 خالج قلبه من الحكمة البديعة والإلهام العجيب وكيف كانت مع صغرها ملهمة من الله عارفة مصادرها
 ومواردها ، فإذا كان هذا هو هدى الأنبياء فلنقتف آثارهم ولنذكر في هذه السورة عجائب النمل التي دهش
 العالم كله منها والمسلم هو النائم ، يقول الله - وقل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها - وهذه آية من آياته أعطاه
 الله سليمان معجزة وسمع كلام النملة وحذرها وأوامرها وذكائها وقد وعد الله بأن هذه الآية سنعرفها لأنه
 يوحى بها لنا فسليمان علم منطق الطير ولم يقل تعلمنا وأما نحن فإن الله قال - سيركم آياته فتعرفونها - فذكر
 أنه يرينا ونحن ندرس ، فأن الله تعالى أخبر أنه سيرنا هذه الآيات التي هي بعض ما علمه سليمان بطريق الوحي
 ولكن لا تظن أن علمنا كعلمه فعلمه معجزة ربانية ويدرك من عجائب النمل ما لا ندرك وفرق بين من علمه الله
 ومن أمره الله أن يتعلم بالاجتهاد ، وسأسمعك عجائب النمل ليكون ذلك معجزة لنبينا ﷺ لأن الله أرى
 الناس وعرف الناس ، فوالله بهذا وبأمثاله يرتقى المسامون ، وبهذه العلوم يخرج جيل في الاسلام يحدث في
 الأرض هزة وقوة عظيمة تنفع أهل الأرض أجمعين ، إن أوروبا تعلمت هذه العلوم ولكنها لا تزال ظالمة
 والمسلمون سيتعلمونها ويملؤون الأرض راحة وعدلا ، فهذا العلم فليشرح صدرك كما تبسم سليمان من قول
 النملة ضاحكا (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك) أى ألهني أن أشكر نعمتك (التي أنعمت علي وعلى
 والدي) وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) فاعجب لهذا النظم المدهش ، انظر كيف
 رتب سليمان هذا كله على نعمة العلم بتول النملة ، انظر كيف فرح سليمان وكيف تبسم فرحا بنعمة العلم والحكمة
 كأنه يقول « العلم غاية مطلبي وقد حصلت عليه ولم يبق بعده إلا أن أطلب الشكر على نعمة العلم بالعمل الصالح
 الذي ترضاه وليس بعد العلم والعمل إلا أن أدخل في ضمن عبادك الصالحين من آبائي الأنبياء وغيرهم »

ليعلم المسلمون أن علم هذه الحيوانات من طيور وحشرات وسائر الحيوان والنبات نعم عقلية ونعم مادية ومتى
 عرفها الانسان وجب عليه أن يقوم بشكر النعمة وينفع سائر أبناء نوعه حتى يكسب مع الصالحين في الجنة
 فلئن قرأ هذه الآيات المتأخرون من أسلافنا وهم عنها غافلون ، فيأيتها المسلمون إن الله يأمركم أن تقرأوا القرآن
 على هذا النمط الذي نقوله واعلموا أن هذا زمان ارتقاء الاسلام وعلو شأنه وسيكون لهذه الآراء فوز في مشارق

الأرض ومغارها بل سيقراً هذا التفسير العقلاء والأذكىاء من الشبان وسيكون هناك دول عظيمة حكيمة أرقى من دول أهل الأرض كأنهم بهذه العلوم ويكونون رحمة الله لهم لا عذاباً على الناس ، ولما دعا سليمان ربه أن يلهمه شكر النعمة وأن يوفقه للعمل الصالح ناسب أن يأتي بعدها بشئ من أعماله الصالحة ، وذلك أن من أعطاه الله العلم والقدرة وسكت ولم يعمل شيئاً معاقب لثقتصيره ، ولا جرم أن الإنسان الموفق يجب عليه رقي النوع الإنساني وحفظ الثغور والمطف على الحيوان ، فوالله لا دولة ولا ملك إلا بحفظ الإنسان ولا حفظ للإنسان إلا بحفظ الحيوان ولا حفظ للحيوان إلا بحفظ النبات فلذلك أتى بمسألة واحدة من أعماله الشريفة وهي تفقده للطيور . ومعلوم أنه لا يتفقد الطير إلا إذا كان متفقداً للإنسان الذي هو أرقى منه دلالة على أن الإنسان يجب عليه أن يتفقد ما يملكه وما في حوزته . فلذلك أعقبه بما سيأتي من قصص الهدى وحديث بلقيس . وههنا لطائف في النمل

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

أذكر فيها ما جاء في كتاب « جمال السلام » الذي نوهت عنه في هذا التفسير تحت العنوان الآتي

﴿ عجائب النمل ﴾

حال النمل عجيب جداً فأنها تفعل فعل الملوكة وتدبر وتسوس كما يسوس الحكام . فهذا النمل كيف يتخذ القرى تحت الأرض وليوتها أروقة ودهاليز وغرفات ذوات طبقات منعطفات وكيف تملأ بعضها حبوباً وذاخراً وقوتاً للشتاء . وكيف تجهل بعض بيوتها منخفاً مصوباً تجري إليه المياه وبعضها يكون حولها مرتفعاً لئلا يجري إليه ماء المطر . ومن العجيب أنها تخفي القوت في بيوت منعطفات من مساكنها إلى فوق حذراً عليه من ماء المطر . وإنى لاظن أن ما فعله قدماء المصريين في مساكنهم من المنعطفات والدهاليز والأروقة إنما كان تقليداً للنمل وما أشبهه من الجردان . ولكثرة عجائب النمل وغرائب ورد قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - فانظر كيف نسب لها العقل والفهم ونداء أخواتها وأمرها لهم بالفرار من الشر ودخولها المساكن لتأويها من أن يحطمها سليمان وجنوده بلا شعور الخاطمين وفي هذه الآية تنبيه على جميع غرائب النمل ليوقظ العقول إلى ما أعطيته من الدقة وحسن النظام والسياسة وما أوتيت من حسن الهندسة في مساكنها ودهاليزها ، فأما مساكنها فهما أنت ذا رأيت نظامها فيما قدمناه ، وأما نداؤها لمن تحت إمرتها وجهها لهم فأنما يشير إلى كيفية سياستها واجتماعها وحكمتها في تصريف أمورها ، فمن ذلك أن الواحدة منها إذا أرادت شيئاً عظيماً لا تقوى على حمله أخذت منه قدراً يسيراً وكرت راجعة إلى أخواتها ، وكلما رأت واحدة منهن أعطتها شيئاً مما معها لتدله على ذلك ثم تمر كل واحدة من أولئك اللاتي لا يقينها في الطريق التي جاءت منها تلك المبشرة ، فانظر كيف يجتمع على ذلك الشئ جماعات منها وكيف يحملونه ويجرتونه بجهد وعناء في المعاونة ، فهذه المعاونة في المطلوب أهم منها في الرغبة عنه كالمعاونة في الاتحاد وفي الفرار وهو أهم من الطلب إذ التخفية أفضل من التحلية ، وإنما ذكرنا ذلك ليفتح للعقول مجال البحث ولينبه النفوس من رقبتها

﴿ قياس نظام الأمة على نظام النمل ﴾

لم يكن القصد من تلك القصة أن تكون رواية أو حكاية أو حديثاً وإنما هي أمثال تضرب لقوم يعقلون فيفهمون حال هذه الكائنات وأن النمل كيف اجتمعت على الفرار كما تجتمع على طلب النافع وأن الأمة إذا لم تصل في حكمتها إلى الحيوان الأعجم فأنها ضالة حقا تائهة في الضلال والوبال رجعت عن الإنسانية والحيوانية وانتهت إلى أفق الديدان والحشرات - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم -

﴿ دقة النمل في عمله وحرصه ﴾

ومن حكمة النمل أن الحبوب المخزونة عندها إذا أصيبت بماء أيام المطر تنشرها أيام الجفاف وكيف كان القمح لا يثبت إذا قطع حبه نصفين وكذا الشعير والباقل والعدس إذا قشرت والسكريرة إذا قطعت أربع قطع فاذا قطعت قطعتين نبت بخلاف القمح ، فتأمل كيف عرف النمل جميع هذه الحكمة مع دقتها فانه يقطع حبة القمح نصفين ويقشر الباقلا والعدس والشعير وينقطع حب السكريرة أربع قطع ثم انها تعلم أن أيام الصيف تنقضي فتتقن مساعدة الوقت فتعمل ليلا ونهارا باتخاذ البيوت وجمع النخائر ، ثم تأكل كيف تتصرف في طلب قوتها يوما شمال القرية ويوما يمينها ثم تراها كأنها قوافل ذاهبة بجانية غادية رائحة

﴿ موازنة بين شرائع النمل والأمم المتمدينة ﴾

وإذا اجتمعت على شيء ورأت أن واحدة تكاسلت عن المساعدة أو راغت اجتمعت على قتالها ورمت بها عبرة لغيرها كما في شرائع المصريين القدماء ، وتقرب منها شرائع الانجليز على ماسهنا انهم يتركون الجائع القادر على الكسب حتى يموت ومن يساعده يعاقب كما أخبرني بذلك ثقة

﴿ حكاية عن النمل ﴾

لقد رأى رجل في زماننا هذا أن النمل يتكاثر على شجرة في حذوله فعمد اليها وفرحوها وملا الحفرة ماء وظن أنه نجح منها وبات ليلا خالي البال منشرح الصدر مطمئنا على شجرته وما كان يتخيل أن للنمل حيلة فوق حيلته وأن هذه الحيوانات أعم أمثالنا فأصبح فرأى الورق مغطى بالنمل فعض يديه ندامة وحسرة ونظر الحفرة فوجدها كاهي مملوء بالماء ، وبينما هو يتفقد السبب إذ رأى أوراقا متراسة على سطح البركة من شاطئها الى جذع الشجرة والنمل يمر عليها كأنها قنطرة الى حيث تطلع على تلك الشجرة

كنا كتبنا هذا الذي تقدم في النمل ثم عثرنا في الكتب الحديثة الافرنجية على ما يأتي وترجناه مع التامخيص في القالب العربي المبين ونهجننا نهجنا في الاستنتاج والاستدلال

أيها الذكي ، اهلك اذا شاهدت الحقول والمزارع ونظرت ما فيها من الحشرات المختلفة الألوان والأشكال والمقادير والغرائز والصفات أعجبك اختلاف مناظرها وأدهشك حسن مناهجها ، منظر لا يعبأ به الجاهلون الذين ينظرون مافي السموات والأرض وهم عن آياتها معرضون ، تلك الحشرات والهوام يزيد عدد أصنافها عن عشرات الالوف كما حققه فطاحل العلماء ، وأهم تلك الحشرات النمل إذ في دراستها تبصرة للانسان وتذكرة وبهجة لعقله وأنس لنفسه كيف لا وأنت اذا شاهدت جسمها رأيته مكونا من رأس حوت الدماغ الذي يسع تلك السياسات والعلوم والمعارف التي سنشرحها ووسط كهندوق فيه الرئة وذنب أسطواني وله ستة أرجل كباقي الحشرات بها يقدر على الجري السريع والعدو في طلب المعيشة وجناحين بهما يمكنه الوثوب من مكان الى آخر وخمسة أعين عينا مركبتان على جانبي الرأس مكونتان من أعين بسيطة ملتصقة الوضع والتركيب والترتيب بحيث ترى كأنها عين واحدة تعد بالمئات والثلاثة الباقية موضوعة على هيئة مثلث يعلو على هاتين ، وهذه الأخيرات أعين بسيطة لا تركيب فيها . فتأمل بعقلك واحكم بعقلك وتجب من حكم لا يكاد العقل يصدقها لولا اجتماع آراء العلماء في العصر الحاضر عاينها ، وباليث شعري كيف تكون العين المركبة مع عدم تمكن البصر من ادراكها لشدة صغرها حاوية لمائتي عين مثلا وكل منها لها قرنية وقزحية وزجاجية وعدسية محدبة الوجهين وقوام هلامي في الوسط أو ربة وأعصاب حساسة واصله الى المخ حتى ترسم المرئيات في الدماغ عند المدير الحاكم فيه . لعمرى ان هذه العجائب تحزن لها أعناق خول العلماء سجدا ويقولون - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فكنا عذاب النار - نار الجهل في الدنيا والتقهقر في المدنية ونار الآخرة التي تطلع على الأفئدة ، ومن ذا الذي يقف في دياجي الظلمات ويسمع اختلاف أصوات الحشرات ونغماتها المزدوجة فيفكر أن من بينها

ماحوت هذا الجبال البديع والعيون الطريقة التي تمثل شكل النجوم المشرقات في دياجي الظلمات ولكن عيون النمل أبدع في الاتقان وأتقن في الصنع من كواكب السموات إذ تلك العيون المرصعة في رؤس النمل دبرت تدبيراً خفي إلا على ذوى الفطنة وبها اهتدى أحقر شئ فيما نرى وأصغره ودقة الصنع واتقانه تعظم قيم الأشياء عند العقلاء فلادخل أعظم الجنة وكبر الحجم ، ولها قرنان طويلان كالشعرين دقيقتان بهما تحسن الأشياء وتقوم مقام اليدين والرجلين والأصابع في الحمل والحط والترحال يسميان (الحاستين) هذا تركيب جسم النمل وهذا وصفه

(في مساكنه)

لعلك أيها الذكي اذا سمعت ما ناولناه عليك وحدقت نظر بصيرتك وتأملت بفراستك تعلم أن هذا الاحكام لم يكن إلا لغاية وهذا الصنع لثمرة وأعمال وسياسات والافبالله ماهذه الأعين الكثيرة ، وما هذه الأرجل ، وماتلك الأجنحة ، ولم هذان الحساسان ، أخلق عبنا ؟ أم تراه مستعداً لأعمال عظيمة تناسبه ، أجل لاغرو انك تتربص ثانی الأمرين ، وانى أرى نفسك قد شاققتك الى معرفة ما ترتب على هذا الصنع من الأعمال الجليلة وقد استعنت قريحتك لما ألقىه عليك الآن فاقول إن هذه الحشرة بمقدار ما أتقن الله من جسمها أتقنت من صنعها ، وعلى قدر كمال احساسها وجمالها أدارت سياساتها وملكها وحروبها وزروعها ، وهل أتاك نبأ البيوت التي تتخذها تحت الأرض وتجهل لها أعمدة وبهوات متسع (صالات) في كل بهوة أبواب مفتحات الى حجرات صغيرة تسكن فيها وأخر تخزن فيها الحبوب واللال وبينها الطرق والمسالك والشوارع بحيث تهتدى بها الى أعلى الأرض ويجمع من تلك البيوت وبهواتها وخجراتها وأعمدتها قرى كاملة ذات بيوت كثيرة والأغرب من هذا انها قد تملك عدة قرى كأنها مستعمرات تصل بينها بطرق كما تفعل الأمم المتمدنة وتصل بين مستعمراتها بالسكك الحديدية . ومن العجيب انها لم تقتصر على فن واحد من المهارات بل هناك نوع آخر يبنى البيوت فوق الأرض من أوراق الأشجار والأغصان وقشور الخشب المتساقطة من الأشجار العتيقة وتبنى مساكن فوق الأرض كالتي تحتها وترى أمام الناظر كأنها آكام ما بين عشرة أقدام الى خمسة عشر قدما ويكثر هذا تحت شجر الصنوبر ، وهناك نوع ثالث ينحت من الأشجار العتيقة بيوتا كما يتخذها الانسان من الجبال بيوتا ومن يتأمل صنع قدماء المصريين في السرايب تحت الأرض والمغارات والتجاويف وما بنوا فوقها من الاهرامات والبرابي وما نحتوا من الصخور في جوف الجبال كما يشاهد بين مصر وحوالان وغيرها وجد أن الانسان في تحسينه مدنيته يصل الى درجة الحيوان في صناعته فان هذه الأنواع الثلاثة هي التي هدى اليها النمل بفطرته بالتعليم ولا مدرسة ، وسترى صور بعض هذه البيوت قريباً

(أحواله المعيشية وزراعاته وترتيبه ماشيته وحربه وأسرته)

وهذه البيوت المنتظمة تستلزم عادة أعمالاً خارجية تناسبها وتناسب استعداد هذه الحشرة وكما اختلفت أنواعها في بناء مساكنها اختلفت في طرق معاشها واكتسابها ، فمنها نوع زراع بزرع الارز في أرض صالحة ولوناً ملته لوجدت حقلاً جميل الشكل حسن الوضع وفلاحين غادين راغبيين لهم طرق زراعية يمجزعونها الانسان لاحكامها وحسن هندامها ، ولقد شاهدت صورة رسمها السياح في الكتب الأجنبية فوجدت للحقل الواحد أربع طرق زراعية هندسية والارز تمايل عليها بحيث لا ترى ورقة من تلك الأوراق أصابها أدنى ضرر أو وسخ وفي وسط الحقل بهو (صالة) متسعة على هيئة شكل بيضاوي مشاكاة للنظام الذي تسير فيه الشمس وهي الدائرة السنوية البيضاوية وكهذه أوراق الأشجار وهذا النوع كالأمم المصرية أمة زراعية وسترى صورته ، ومنه نوع عمد الى الماشية فتغلب عليها أولاً بالبأس والشجاعة ثم آنسها وتسمى باللسان الافرنجى (أفد) ونسبها نحن (بقر النمل) وذلك لأن النمل بعد أن يقهرها ويغلبها ويستأنسها ويستحوذ عليها بقوته يأخذها في مرعى خصيب

وهو ورق الورد واغصانه فيلاحظها وهي تمتص منه حتى تمتلئ ثم تأتي النملة الى واحدة من تلك الجاموس وتمتص مادة حلوة يستلذها النمل لأنه يميل للمحلى حتى اذا امتص ما في واحدة ذهب الى أخرى وأخرى حتى يمتلئ ، ذلك عادة هذا النوع وقد فعل النمل فعل الانسان في استئناس الحيوان والانتفاع بالبانة وغيرها ، وهناك نوع ثالث عمد الى الحرب والقتال وتغلب على حيوانات أخرى فسخرها في أعماله وشغلها في فلاحته واطعام أولاده فيخرج في الحروب بنظام ويصدر الأوامر العسكرية الصارمة واذا غلب أخذ الأسرى وفعل كالأنسان

﴿ تربية الصغار ﴾

وليس أعجب عند العاقل من تربية النمل لصغاره فلو نظرت لرأيت الاناث وهي تضع بيضا أصفر اللون أو أبيضه في محال تقرب من مساكن كبارهم قد خصصت له مراضع ومرايات تلاحظه ليلا ونهارا . ولا يزال في الطقس والحرارة المناسبين له حتى يتم له أسبوعان أو أكثر الى أربع ثم ترى كل البيوض قد تفتحت فأخرجت دودا صغيرا لاجنح له ولا رجل بيضاويا شكله محددات رؤسه يعتنى به المروضات وتلاحظه المرايات تحمله من مكان الى مكان مواظبات على اطعامه ما يناسب حاله من حار تارة وبارد تارة أخرى ومزدوج منها في الدرجة المناسبة حسبما تقتضيه الحال ، كل هذا والسود يشربه في أكله ويستزيد من طعامه حتى اذا تم له بضع أسابيع أخذت حالته تتغير ويتقل الى طور آخر من الحياة هو طور النوم والسكون والاختفاء في شكل كرى من حرير تفزله نفس السوداء على نفسها كدودة الحرير فاو رأيت ثم رأيت بعض السود لم يزل مكتوبا والبعض أخذ يغزل بفمه كما يغزل دود الحرير والعنكبوت والبعض قد نسج على نفسه كرتة ونام في عالم البرزخ الى يوم يبعث من مرقده فيخرجها ، وترى الأمهات إذ ذاك ملاحظات متيقظات فاذا تم النسج ونام الجميع ومضت أيام أخذت تلك العوالم تنهض من قبورها وتقوم من موتها وتنهض من رقدتها وتقطع خيوطها وتقرض حريرها المحيط بها ولذا خلقت لها الأرجل والأجنحة لتستعد حياة جديدة هي الحياة النهائية حياة الجهاد والعمل ولورأيتها لشاهدت أمهات قد أشرفن على الأبناء وقد ربت ربتا محكما وثيقا فأخذت الأمهات يفككن الأربطة من الصغار ويطلعن الأجنحة والأرجل ويخلصن الناشئة النابتة من تلك الرباطات ويغسلن العيون والوجوه ويمسحن التراب ويزالن الأوساخ لأن النمل يحب النظافة حبا مفرطا ، فانظر وتأمل كيف كان جسم النمل وخلقه مستعدة لامور عظيمة وقد هدى اليها بغير زته ومن هنا نفهم قوله تعالى - ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه - ومنه يعلم الحشر بطريق الفراسة . وذلك أن هيئة النمل في شكله وعيونه وحواسه وقواه تناسب هذه السياسات الغريبة والأعمال العظيمة فاهتدى لها . فهكذا فليكن الانسان لما سخر له ما في السموات وما في الأرض وعشقت روحه العلوم والمعارف وما لبغريزته اليها وجب أن يكون وراء هذا سر يناسبه والا فما هذا الاستعداد وما هذا الميل العجيب لاقتناص العلوم وحب الخير . واذا كانت النملة وهي دودة تكمل خلقها لتناسب الحال المستقبل في الحياة ولا علم لها بها قط فهكذا الانسان دبّر روحه في الحياة وريبت فلا بد لهذا من نبا - ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون -

وهناك نسكة أخرى وهي أن من رأى في نفسه استعدادا لأمر وشوقا اليه فليعلم أن مقتضى الحكمة ينال مطاوبه لأن الاستعداد داع حيث والكائنات أطوع للاستعداد من غيره وهذا صدقناه بالبصيرة والنظر

﴿ حكاية عجيبة عن النمل ﴾

قضى عالم من علماء الرومان طول حياته في النظر في حال هذه الكائنات الصغيرة فشاهد نملة تشتغل طول يومها بحسب ما حفرته وبنته في ذلك اليوم ونسبه الى جسمها وشغل الانسان وجسمه فوجد انها لو كانت رجلا مشتغلا هذا الشغل لحفر خليجين كل منهما طوله اثنان وسبعون قدما وعمقه ربع أقدام وأخذ هذا الطين وصنع منه آجرا وبنى به أربع حيطان على الأربع الجوانب للخليجين كل حائط من قديمين الى ثلاثة ارتفاعا ونحو

(١٥) بوسة سمكا وغلظا ويدعك تلك الحيطان من الداخل فتصير ملساء وكل هذه الأعمال بالمساعدة آخر في النهار كله وذلك كله مع فرض أن الأرض مملوءة بالأعشاب الصغيرة والأشجار وجزوعها الهائلة والأرض وعرة المسالك فيها آكام من الردم ، فإذا فعل هذا رجل كان أعجوبة زمانه وهو عادي بسيط عند النمل - فتبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات للموقنين -

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

في ذكر ما كتبه في كتابي « نظام العالم والأمم » تحت العنوان الآتي

﴿ الجمهوريات في الحيوان ﴾

(ترجمتها عن اللورد أفيري)

الحيوان خلق عظيم فيه من دقائق الحكمة وصنوف الجمال ما يبهر العقول ، فنه ما يبهج العين بمحاسنه وينعش الفؤاد بمناظره كأي دقيق وغيره من الحشرات والطيور ، ومنه ما يهولنا بعظمته ويبهشنا بهظيم جشته كالفيل والهيكل العظيم والخلق الكبير في كل جيل ألا وهو (القيطس) ومنه ما يسحر العقل بجماله ويخلب الفؤاد بسحر حلاله ويرسل للمفكرة مغناطيس أقطابه ويسلب اللب لسقعة صنعته وحكمة خلقته ذلك هو الحيوان الذي توارى عن الأبصار فلا يرى إلا بالمظار ، وأجل الحيوانات لذة وأعظمها فائدة ما ألف الشركات وعاش جماعات ، وهل أريد بما أتاه عليك ما تجتمع أياما معدودات في فصل من السنة كالخطاطيف أو تلك التي لها جمهوريات ثابتة لخاصة المكان . كلا . فالأولى يجمعها خاصة الزمان والثانية يؤلفها المكان وانما أردت تلك الدول النظامية والأمم الدستورية والجماعات الشورية كالفرن بان وكلاب البحر فانها تمهب لعقولنا حكما ولأرواحنا وحيا ولنفوسنا علما ونظامنا دستورا ولأخلاقنا حكما على أنها مع عظم أمرها لن تبلغ عشر معشار ما وهب النحل من الحكمة في تقدير بيوته وتسديس أشكاله وما أبدع في نظامه وهندسته ، ومنع الانسان هبة العسل ونصب نفسه ناطورا لأزهار وقيم البستان فلو نت بألوان جميلة يشقها ونحن له مدينون وهو لا يشعر فقد زينت ونقشت لمنظره وهو غافل . على أن هذه ربما كانت أقل مهارة من النمل كما يشهد بذلك فطاحل العلماء مثل (هبرولورل) و (كوك) و (وسمان) وغيرهم من الفحول إذ قالوا إن نظام جمهورية النمل في أصناف جنسها وأفراد نوعها وفي دستورها الشامل لطوائف الأمم الخاضعة المستعبدة لرقها والنواميس العامة على أنواع المخلوقات من الأنعام المناسبة لها لانظير له في الأمم فيما ذكرنا . ثم ذكر المؤلف كلاما عن نمل بلاده فقال ﴿ إن النمل تبلغ أصنافه ألفا وتزيد ، كل نوع يمتاز عن غيره بصفة وقد لاحظت النمل الشغل فعاش سبع سنين والملكة فعاشت ١٥ سنة ، وكل جمهورية من الجمهوريات لها ملكة أو أكثر ذات جناح قبل أن تطير لحملها فإذا حملت كسرت الأجنحة إذ تعلم انها ستلازم المسكان والجناح شغل لا فائدة فيه في الحجرات وفيها ذكران من النمل لا شغل لها والعملة لا جناح لها والصبية الصغار تبقى في الديار تحفر الحجرات وتشكل السرايب وتهندس الدهاليز والمنعطفات وتمو وهي فيها ، وترتيبهن في المساكن على درجات السن كما تصف صفوف التلاميذ بالنسبة لأسنانهم . ومن النمل ما عظم جثته وكبر قامته وامتاز قوته . وهل يقوم ذلك برهانا على أنهم جنود وقوامون على الأمة . ذلك ما يعوزه الدليل ﴾ وقال دابتين ﴿ إن النمل التي كبرت رؤسها وعظمت خراطيمها تمتاز عن الصفوف في سيرها فتسير بجانبها كضباط العساكر وإذا احتملت تلك النملات قوتها رجعت تلك الضباط غير حاملات فر بما كان ذلك دليلا على أن أولئك ضباط وذلك محتمل ﴾

﴿ ومن العجيب أن العملة من النمل والنحل لا تنفأ أثناء العمل تنظر إلى الملكة كأنها تستمطر الرجات بمنظرها أو تستروح السرور بمشهدها . ولقد شاهدت جماعات النمل وهي خوارج من عش دواخل غيره قد اتخذن

ذلك المشهد مهرجانا للملكة فددت يدي لامل أهيته لهن فأصاب القضاء الملكة فلقيت حثفها فرأيتهن اجتمعتن حولها ورفعنها حتى أدخلنها أوسع مكان في القرية التي أعددتها لهن ولم يعاملنها معاملة مايموت منهن يذبذنه بالعراء فجلسن حولها فلورأيتهن لقلت انهن باقيات خربات أوراجيات بشوق عظيم حياتها أو كأنهن يظنن انها حية ستسعى ، وقد تركب القرية من خمسمائة ألف نملة ۞

ومن العجيب أن لا ترى نمليتين من قرية واحدة تتنافران على أنهن لا يتحرجن عن مهاجمة اخوانهن في الصنف فضلا عن النوع ، فضلا عن كل حيوان ، ولكم حاولت ادخال نملة من نفس الصنف في عش اخوانها فلم تسكد تطأ أرض العش بأرجلها حتى فاجأنها فأخرجنها من رجلها فليس بكم لمسيها إلا أخواتها المشاركات لها في مرافق الحياة وماعداها من الصنف فنبوذ مطروح ، ولقد فصلت القرية الى قريتين وبقيت على ذلك سنة وعشرة أشهر ، فلمعرك ما التقى الجمعان إلا وهما متعارفان يتصافيان ويهاجان ماعداهما بمجرد التقائهما ، بهذا أثبتت المعرفة والتمييز في الأشخاص ، ولن نعرف أكان بعلامة أم لا إلا بتجربة فعرجت على (الكوروفرم) نظفت أن يميته فعمدت الى العقار فأسكرتها وما كادت تسكر لولا أن غمست رؤسها فما كان إلا دقائق حتى سكرن وهن إذ ذاك خمسون وخم وعشرون منها من عش وخم وعشرون من آخر وهما بمشهد من جماعات من إحدى القريتين وهن يطعمن على مائدة أحيطت بماء لئلا يمزق النمل شذر منر فما كادت تشعر بالسكاري إلا وأقبلت من كل صوب وأدهشت كما ندهش لسكرانا فأخذن اللاتي من غير قربتها ووضعنها لدى طرف الماء وأغرقنهن ، أما اللاتي من قريرتهن فحملتهن برفق الى العش . فن هذه ترى أن النمل تعرف بعضها بغير علامة ولا طريق . وهذه عاطفة في النمل عدمت في الذئب وغيره فاذا جرح أحدها أو مرض طرده أصحابه أو قتلوه . ولقد رأيت نملة كسرت رجلها إذ فقست بيضتها فنامت على ظهرها ثلاثة أشهر والنملات يطعمنها ويستقينها ، وأخرى جرحت بمثل ذلك فنامت أياما ثم خرجت فهاجها الأعداء من كل صوب فوقع مغمشيا عليها فر عليها النمل لا تبدي حراكا حتى اذا جاءت نملة وحركتها وجست نبضها ثم حملتها برفق الى عشها . فهذه دلائل العطف في هذا الخلق الضعيف . النمل والنحل لها علم بسياسة المدينة ونظام الجمعية ولكنه علم محدود ونظام محدود . وترى النملة اذا عثرت على طعام أسرعت البقية اليه ورأيت الرائد اذا دخل العش خرجوا معه وان لم يكن في فمه شيء فمن المحقق انه أفهمهم بغير رؤية الشيء ۞

من النمل ما يكون له أسرى وهؤلاء يقمن بخدمة السادة حتى اذا رحلن من قرية الى أخرى حمل العبيد السادة من الأولى الى الثانية . ولقد رأيت الصواحب من النمل اذا خرب عشها بحثن عن غيره فاذا سقفت مكانا ورأته إحداهن أحضرت أخرى فحملتها ثم أرتها المسكان ورجعا فأخذا غيرهما ثم رجعن فحملن غيرهن وهكذا بالتضعيف حتى تجتمع القرية جميعا ، وهذه ترى أن ذكاء النمل محدود ، ويدلنا على ذلك ما نرى من أن بعض السادة لا يأكل إلا اذا ساعدته العبيد على احضار الطعام فاذا قسم الغذاء بينهم وأفرد كل بمكان وبقى السادة يوما أو بعضه ماتت إذ لا ترى من يضع الطعام في أفواهها . وكمن من حشرات اتخذتها لها أنعاما زينة لها وجالا ومتاعا . تتخذ ألبانها العسلية طعاما تسومها كالأنعام على غصون الأشجار وترعاها في الكاد والحشائش والاب أو تحبسها في بيوتها وتؤتيها أكلها كل حين بتقدير فتمتص الأنعام من النبات فتحال العصاره في بطونها عسلا فتمتصه النمل . وأنفع تلك النعم حيوان اسمه (فيس) كأنه بقرها تسكاؤها بحمايتها وتحمىها برعايتها ولم تكن رعايتها قاصرة على نفس الحيوان فقد تجمع بيوضا في الخرب وب تسكاؤها في الشتاء وتربص الربيع المقبل ومن الحشرات ما اتخذ النمل دواب تحت الأرض فتبقى أمدا طويلا فتخسر عينيها وتبقى عمياء أنا لا أطيل الكلام في هذا المقام إذ هذا الموضوع أوضحته في مكان آخر انما أقول أسألك أيها العاقل اذا رأيت النمل وهي في قريرتها تستقل بحركتها وكيف تدرك بغريزتها واذا رأيت هضبة سكنها النمل وهي آلاف

مؤلفة تحفر الحجرات وتشكل الدهايز وتهندس الطرق وتحفر الأماكن وتجمع القوت وتطعم الأبناء وتصف صفوف المدارس فيها وترقى بحيواناتها كل منها موكل بما يناسبه من العمل قائم به ، فلا جرم أن هذه هبة عقلية ولأن قلنا أنها غريزة وسليقة فمن ذا الذى يضع حدا فاصلا بين الغريزة والعقل ؟ انه ليسير

فهذه المناظر تهدينا الى أن هذه هبة عقلية مشتقة من عقل الانسان تشبهه كيفاً وتنقص عنه كما (المؤلف) أقول ها أنت ذا أيها الذكى القارئ لكتاى هذا نظرت مقال أكابر حكماء العصر الحاضر وفلاسفتهم فتأمل كيف تراهم ينقبون عن أسرار الحكمة الإلهية ويبحثون ونحن غافلون ، وهنا بدائع وملاحظات

﴿ أولاً ﴾ إن الله جلت حكمته لم يشأ أن يدع مخلوقاً إلا وأعطاها حكمة وعالماً لمعاشه وبقائه - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - كما ترى فى لون الحشرات والطيور والحيتان وأشكال وسياسات الحيوانات

﴿ ثانياً ﴾ إن علماء أوروبا يبحثون عن عجائب الجزئيات ويظهرون فى استقصائها ونحن نقول لا مطلق فى استقصائها ولكن لا يرجح الأفئدة إلا تعقل الكليات وإن يعرف العقل إلا بعض الجزئيات إذ استقراؤها لا مطلق فيه وكليات المسائل عجيبة صادقة وكلها ناطقة بالعدل ، أما الجزئيات فترى المرء يفضل فيها . فهما هو

(اللورد أفبرى) يضل من عداه فى لون السمك فقد كانوا يحسبونه بلا حكمة فظهر له أنه بحكمة ونحن زدنا أن عظام الحيوان والأشجار لحكمة

﴿ ثالثاً ﴾ يقول الحكماء فى القواعد العامة « أن لكل مخلوق علة ومادة وصورة وغاية ، فعلة اللون غير مادته غير صورته غير غايته وهى مطردة فى كل شئ فقولوا ألوان المعادن والأشجار اتفاق كلام غير مسلم إذ له علة وهى التمازج بهيئة خاصة وصورة ومادة وله غاية وهو منفعة الانسان فالتعبير بما قالوه قاصر »

﴿ رابعاً ﴾ هذا يفيد حكمته تعالى إذ يقول - وما كنا عن الخلق غافلين -

﴿ خامساً ﴾ قصة النمل وقول الله تعالى - وحشر سليمان جنوده من الجن والإنس والطيوفهم يوزعون * حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - الى آخر الآية مما نفهم منه اهتمام الأنبياء بعلم الحيوان ونعلم أن المسلمين مأمورون بالبحث عن هذه الحشرات والله أعلم انتهى ما ذكرته فى كتابى « نظام العالم والأمم »

وقد جاء فى جرائدنا المصرية يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ م ما يأتى

﴿ حرب بين قبيلتين من النمل ﴾

فى الشهر الفائت جرت معركة هائلة بين قبيلتين من النمل فى حديقة الحيوانات فى لندن اشترك فيها نحو ألف نملة من الجانبين ودامت أربعة أيام وانتهت بمئات من القتلى والجرحى وشهد فيها المشاهدون انتظام الجيشين وهجماتهم وخنادقهما وكشافتهما وأسراهما وخططيهما الخريبية وهدنتهما الى غير ذلك من أحوال الحرب مما يدهش الناظرين وحمل العالم الطبيعى (السبرجون لوبوك) أن يقول « إن النمل أقرب الحيوانات الى الانسان فى أفعاله » وتحرير الخبر أن أحد الموظفين فى إدارة تلك الحديقة ألقى خشبة على مستنقع صغير فى الحديقة المذكورة يفصل بين قبيلتين من النمل الواحدة قديمة فيها منسند (٣) سنين والأخرى جىء بها حديثاً فكانت تلك الخشبة كجسر (كوبرى) يعبر عليه من مستعمرة النمل الواحدة الى المستعمرة الأخرى ، وحدث أن نملة من القبيلة القديمة عبرت الجسر الى القبيلة الجديدة ودخلت الى عشها ولم ترجع فساكن ذلك سبباً لإثارة الحرب فقررت القبيلة القديمة الحرب ولكنها لم تضع صوابها وتستسلم لغضبها وحدثها وتندفع بنظام لكي تقع فى كمين الأخرى بل اختارت عشرة من أبطالها وأرسلتها للاستكشاف والتجسس فانسلت هذه العشرة على الجسر الى المستعمرة الأخرى ولكنها لم تر واحدة من غلاتها بل فهمت أن هذه كامنة فى عشها غير دارية بما يحول

في خاطر تلك فحادث الكشافة وأبلغت ماعامت ، والظاهر أن القبيلة القديمة عقدت مجلسا وقررت الهجوم لأنه بعد بضع دقائق خرجت جنودها صفوفها متراصة كصفوف الألمان والافرنسيس في معركة المارن و بعض النملات خرجت الى جهة أخرى حيث الرمل الأبيض فأقامت متاريس من الرمل وتحصنت فيها ثم هجمت الصفوف على الجسر وجعلت تعبره ، وكان حينئذ أن نملة من القبيلة الجديدة خرجت فرأت صفوف الأخرى قادمة تتدفق على الجسر فأسمرت الى عشبها وأبلغت الخبر الى قبيلتها فما لبثت هذه أن خرجت أيضا صفوفها للقتال وجرت المعركة الهائلة التي لا يصدق هولها إلا شاهد العيان ، دامت المعركة (٤) أيام بلياليها وفي خلالها حدثت هزيمة واحدة مدة بضع ساعات ، والظاهر أن نملة لم تستطع ضبط غضبها ففرقت شروط الهدنة واستؤنفت المعركة ثانيا أشد احتداما من الأول وشوهد عدد عديد من الجرحى تنتفض في مصارعها وبعضها وقعت في الوحل وأما القتيلات فكانت مطروحة في مصارع مختلفة بلا حراك وأما القتال فكان أن القوية تقذف بالضعيفة الى المستنقع وان لم تستطع ذلك كانت تقطع رجليها وتتركها لرحمة الطبيعة ، وفي اليوم الرابع بعد الظهر انكسرت القبيلة القديمة أي انكسار إذ اندحرت على الجسر وفنيت عن آخرها تقريبا وحصونها لم تفدها لأن الطريق بقي مفتوحا لعدوتها وأما القبيلة الجديدة المنتصرة فأسرت جانبا من عدوتها لتستعبدتها وقتلت البقية والنملات العاملات غير المحاربات نقلت القتيلات الى مكان آخر ونظفت حيا منها وعاد السلام الى نصابه

وقد ظهر أن ذكاء النمل ونظامه في مدة الحرب لا يقلان عنهما في مدة السلم . ليس هذا الحيوان الاجتماعي العجيب جنديا حريا قديرا فقط بل فيه المهندس الفنان والحاسب والممرض والجراح والطبيب والزراع وهو يدفن موته باحترام ، وظهر انه يحب الهرج والمرج واللعب والسباق حتى السكر ، ويؤكد الدكتور (هرمن ايدمان) العالم المشهور في مونيخ (ألمانيا) أن للنمل لغة للتفاهم ، أما ان النمل مهندس فنان فعلاوم من أبراج الطين التي يبنها النمل الأبيض في شرقي أفريقيا إذ يبلغ ارتفاع بعضها عشرين قدما ومع ذلك ليست ضخمة فهي بنسبة ثخانتها الى ارتفاعها كما لو بنى المصريون (١٢) هرما الواحد فوق الآخر . ولا يخفى أن النمل ليس له الآلات والعدد التي كانت للمصريين ومع ذلك ترى أبراجه هذه في غاية الدقة والاحكام الهندسيين

في جبال بنسلفانيا إحدى الولايات المتحدة الأمريكية أكبر مدن النمل في العالم ومهمتها مبينة تحت الأرض وأكبرها يشغل ثلاثين فدانا ، تأمل في (٣٠) فدانا من الأرض وقد حفرت فيها منازل النمل تتخللها الشوارع والمعارب والطرق وكل نملة تعرف طريقها الى بيتها باحساس غريب وشعور بالجهات

بعد النمل أعظم بناء على الأرض وأدواته وبعض موادّه في جسمه (مثال ذلك) انه يصنع بعض موادّ البناء بمضغ نوع من النباتات وجعلها ملتحمة بعضها ببعض بواسطة عصارة لزجة يفرزها من غدة فيه وأغرب دليل على ذكاء النمل انه يصنع سقفا من أغصان الشجر بخياطة أوراقها بعضها ببعض هكذا النملة البالغة لا تستطيع أن تغزل خيوطا ولكن الطفلة تستطيع لأنها تصنع فيلجة (شرقة) ولذلك تصحب النملات العاملات طفلاتها الغازلة فيالجها وتدفي النملة العاملة ورقتي الشجرة حافة لحافة وهي حاملة الطفلة بفمها وتقرب رأسها الحافتي الورقتين فتشعر الطفلة تغزل حريها أي خيوطها وتلتقيها بالحافتين وفي أثناء ذلك تجعل النملة العاملة تقدم الطفلة على طول الحافتين والخيوط المفزولة تلامها حتى يتم التحامها جيدا . ولا يخفى أن الخيط يخرج عصارة من فم الطفل ولكن هذه العصارة تجمد في الحال وتصبح خيطا

ترى النمل في ساعات العمل يعمل بنظام كأن مرشدا يرشده ، ترى نملة ترم بناء متهدما وأخرى تنقل زبالة وثالثة تنقل الأطفال التي لا تحتمل تأثير النور الى الوكر المظلم ورابعة تأتي بمواد البناء ولكن ليس هناك قائد ولا مرشد بل تعمل جميعها من تلقاء نفسها بحكم الغريزة كأنها آلات

للنمل قوة التمييز الغريزية بدليل أن (السيرجون لوبوك) أخذ بعض نمالات ووضعها في سائل كحلي (سبيرتو)

حتى سكرت ثم طرحها سكرى فلما رأتها رفيقاتها الصاحيات جهلت تنقل منها ما كان من قبيلتها الى بيتها وألقت
الفرجات في بركة الماء

﴿ مساصرة في النمل ﴾

(من كتاب « علم الدين » للرحوم أستاذنا على باشا مبارك)

إن النمل كثيرا ما يكون بينه حروب كبيرة ومناوشات كثيرة غير أن طوائف النمل عند تجهزها للحرب
ومسيرها للقتال لا تستعمل ما يستعمله الانسان لحروبه من العدد والآلات والأدوات بل تسير للقتال بأنفسها
غير مستصحية شيئا من ذلك معها وتستعمل في قتالها ما قد يعجز الانسان عنه من المكر والحيل والمكائد
ومن النمل نوع يأسر غيره ويستعبده ويستخدمه طول حياته ويتخلص بواسطته من السكت والكدر والعمل
لنفسه وقد شاهد بعض علماء الطبيعيين نوعا من النمل يحمل نوعا آخر في فمه ولكن لم يكن يعلم حكمة ذلك
ولاسببه الى أن ظهر الآن أن بعض النمل قد يحتاج الى خدم فيهجم على غيره فيسترقه ويستخدمه في أعماله
وسائر أحوال مسكنه ومعيشته ، ومن يراقب النمل أيام الصيف في بعض الجهات يجده يغير على بعضه فيأخذ الغالب
منه أولاد المغلوب ويسترقها ولا يكون ذلك غالبا إلا في الليل فيخرج ويصطف صفوفا متقاربة ويقصد الجهة
التي يريد غزوها فلا يرجع إلا وقد بلغ مقصوده فيغزو المساكن ويفرق المساكين ويأخذ مأجبا من الذرية
ولا يأخذ الكبار لعلمه أنها لا تنقاد لحكمه ، فإذا رجع بالذرية حملها بأفواهه ، وإذا خاب أحد من الحزب الغالب
ولم يجد أسيرا يسترقه أخذ معه من رمم القتلى ما قدر عليه لينتفع به في غذائه وترى هذه الفئة الغالبة في عودتها
ومنصرفها الى مساكنها تسير خلف بعضها واحدة خلف واحدة حتى أنها قد تشغل مسافة من الأرض يبلغ
طولها نحو أربعين مترا وبهذه الصورة تعود الى مساكنها بالظفر والغنيمة في حال مسرة وطرب ، فإذا وصلت
الى منازلها بهذه الأسارى الحديثة السن تفرد لها محلات مخصوصة وترتيبها مع الصدق والأمانة والحذق وتحفظها
من كل ما يضر بجسمها ويخل بصحتها حتى تبلغ أشدها ، وهذا النوع المحارب المحب للسلاب والنهب لا يحب أن
يشتغل بشئ سوى الحرب فلذلك يكل بناء بيته وترتيب ذريته الى ما عنده من الأرقاء والخدم حتى أنه اذا
احتاج للانتقال من مسكن الى آخر تكفلت خدمه بنقله وقامت بحمله فتراها تحمله بأفواهها كما تفعل الهررة
بأولادها . وقد امتعن بعض المشتغلين بالبحث عن أحوال الحيوانات بعض النمل الذي تخيل فيه التروؤس
والامارة والرفاهية والاحتياج الى خدمة الغير له فأخذ جماعة منه وأفردها عن خدمتها ثم أحضر لها شيئا مما
يتغذى النمل به ويتهالك في طلبه فوجدتها غير طالبة لما أحضر لها حتى ماتت أكثرها جوعا ثم انه نقل اليها
واحدا من النمل الذي توههم فيه العبودية والخدمة فاشتغل بخدمتها وتغذيتها فأكلت ما أحضره اليها مما كان
بمراى منها ولم تكن تحركت اليه من قبل فأكلت وشبعت وانتعشت فعلم من ذلك أن هذا الصنف الغالب
المحارب بعد أن يبلغ في حروبه ماشاء من النصر والظفر والغنيمة ويحصل على ما أراد من العز والثروة
والسعة قد يستولى عليه حب الراحة والرفاهية واللذة فيأخذ في الكسل والبطالة ويكل جميع أموره الى ما عنده
من الخدم والخشم والأتباع ولا يشتغل هو بشئ من الأشياء فيختل عنده نظام الجمهور وتدور عليه صروف
المقدور بالويل والشبور وتفسد الامور

وطباع هذا النوع مختلفة باختلاف الأماكن وبالنسبة لزوم الخدم وعدم لزومها ، فترى الأرقاء في بلاد
السويد هي التي تبني المساكن وتقف على أبوابها بمنزلة البوابين فتفتحها في أول النهار وتغلقها عند دخول
المساء او ظهور علامات تدل على المطر ، وقد شوهد في بلاد الانكليزان الأتباع والأرقاء عليها جميع الخدم المنزلية
الداخلية فقط وفي بلاد السويد عليها بعض الخدم الخارجية أيضا بسبب كثرتها ، وليس جميع النمل قابلا
للاستعباد والاسترقاق فان هناك نوعا صغير الجثة لا يقبل الضيم والدل بل يدافع عن نفسه بحماس ويقاوم

أعداءه بشدة بأس وشهامة فتعشاه وتهابه وتجنبه حتى أنها لا تقرب عائلته ولا تسلط على أولاده بل يرى بعضه ساكنا بالقرب من مسكن جيوش النمل المحاربة مع الأمن والاطمئنان من غير أن تناله بكماله لها بها بشجاعته وبأسه . ومن النمل المحارب ما لا يقتصر في محاربتة على استرقاقه لغيره من النمل بل يزيد على ذلك أن يتخلل النبات فيجد في خلاله حشرات صغيرة كالبعوض لها ثديان في ظهرها من الجهة الخلفية يخرج منهما مادة سكرية يحبها النمل حباً شديداً فيمتصها فتكون تلك الحشرات بالنسبة له كالبقراطلوب بالنسبة للإنسان فيصدها إليها فوق أطراف النبات والأعشاب ويركب كل واحد واحد وفي بعض الأوقات قد يجتمع النمل وبعيده ويتحزب السكل ويسطو عليها دفعة واحدة ويأخذها ويحبسها في منازلها كما يحتبس الآدمي البقر والغنم فيمتص لبنها كما شاء ومتى شاء ويتعهد بها بالطعام والغذاء كما يفعل صاحب الغنم والشاة

وأغرب شيء أن هذا النمل يعمل حول بيته جسورا منيعة أو لها عند بيته وآخرها بعيد عنه محتاط بالحشائش التي ترى فيها الحشرات المذكورة وقد يتخذ لها أماكن مخصوصة لا يمكنها التخلص منها فتبقى فيها كالمحبوسة ترى فيما أعد لها من المرعى وتعطى لبنها للنمل متى أراد ، وفي بعض الأحيان يقع بين النمل وبعضه محاربات عظيمة ومناوشات شديدة كالحروب التي تقع بين قبائل البشر منشؤها عداوة طبيعية أو حوادث وقتية وقد وصف بعض المشاهير من علماء هذا الفن واقعة رأها بين قبيلتين من جنس واحد من النمل فقال **كنت بين قبيلتين عظيمتين كثيرتي العدد وكان ما بين محطتيهما قدر مائة خطوة ولم أعلم السبب الذي أوجب ثوران الفتنة وهيجان الشر بينهما وإنما رأيت عدد المحاربين من الفريقين بلغ في الكثرة مبلغا عظيما جدا بحيث يتعذر على دولتين من الدول الكبيرة جمع عدد مثله من العسكر . قال ثم رأيت الفريقين أخذوا في الزحف على بعضهما إلى أن التقى الجمعان في قدر قدمين من الأرض في منتصف المسافة التي بينهما ورأيت خلف كل جيش عددا معددا للمدد والإعانة كما تفعل الجيوش من اتخاذ المدد في الحروب ثم حيت الحرب والتحمت الصفوف والتقت الألوف بالألوف - والتفت الساق بالساق - وصار كل من القبيلتين ينتفع بما صادفه أمامه في الأرض من حجر ومدر وغير ذلك فيتترس به ويتحصن خلفه من عدوه وكان البعض يقاتل ويضرب والبعض يحوز الغنيمة ويضبط الأسرى وكان يرى على الأسارى علامة الحزن والسكابة لاسيما عند مقاربة المحل المعد للاعتقالها عند العدو ، قال ورأيت محل المعركة قد تغطى برمم القتلى ودماء الجرحى وصار يشم منه روائح كريهة لكثرة ما اجتمع فيه من الجيف وكان ابتداء القتال بين الفريقين باثنين برز كل منهما للآخر قفاسكا بالأرجل وصارا يتصارعان ويتغالبان ويجذب كل منهما قريبه إلى جهته ثم أتى لكل واحد منهما مدد من قبيلته يجذبه إلى ناحيته حتى صار الأولان مع ما انضم إليهما من المدد أشبه شيء بحبل طويل يشد أحد طرفيه إلى جهة والطرف الآخر إلى الجهة المقابلة لها حتى يغلب أحد الطرفين فيأخذ غريمه إلى جهته أو يحصل الانفصال من غير أن يغلب أحد ثم يعود القتال فإذا دخل الليل انفصل الفريقان وانقطعت الحرب إلى الصباح ثم يعود كل إلى ما كان عليه وهكذا وكانت سعة ميدان الحرب قدر ست أقدام طولا وقدمين عرضا**

فقال الشيخ كنت فيما سلف اجتمعت برجل من أهل السودان فأخبرني أن ببلادهم نوعا من النمل أبيض اللون يجمع جوعا كثيرة ويكون منه طائفة كالجنود والعسكر وطائفة كالعمال ولذا كان منه أجنحة وليس لها أقدامها من العمال والعسكر والانات أجنحة وتختص العمال منه ببناء المساكن والعسكر بالحفظ والضبط والحراسة ، وأما الاناث فعليها البيض واكثر النسل وتربية الذرية والقيام بأمرها وهي كثيرة البيض إلى الغاية حتى كأنها كيس مملوء بيضا فان حجبها مملوء بالبيض قدر حجمها فارغة ألف مرة ومتى ابتدأت البيض باضت في الدقيقة الواحدة قدر ستين بيضة وقد يبلغ مقدار ما تبضه في اليوم الواحد نحو ثمانين ألف بيضة (كذا قال والعهد عليه) فقال الانكليزي هذا صحيح كما قاله وقد شوهد هذا النوع من النمل في جهة رأس الرجاء الصالح وحجم مساكنه

بالنسبة لحجمه مما يقضى منه بالجهد فان ارتفاع المسكن عن الأرض قد يبلغ نحو عشرين قدماً وشكله هرمي شبيه بقمع من السكر عظيم الجرم واسع أسفله ضيق أعلاه فمن رأى هذه المساكن على بعد ظنها كفرا من الكفور أو قرية من القرى الريفية وتكون في غاية من المتعة بحيث لا يمكن كسرها أشد سلايتها ودخلها فسيح جدا حتى ان الواحد منها يسع اثني عشر رجلا يقيمون به وقد يتخذها صيادو الوحوش مأوى يكمنون لاصطيادها ويوجد في داخلها مجارى مياه تشبه المدافع الكبيرة ممتدة في الأرض الى عمق ثلاث أقدام أو أربع فانظرنا الى النسبة بين امتداد قائمتها وارتفاع ما بنى به من المساكن مع النسبة بين قامة النمل وارتفاع مساكنه لوجدناه يفوقنا بكثير فان ارتفاع مسكنه قدر قامة جسمائة مرة ، فلو كان ارتفاع مسكن الانسان بالنسبة لقامته بهذه المثابة لسكان ارتفاعه قسراً كبر هرم من اهرام الجيزة أربع مرات أو أكثر . ومن النمل نوع يتسلط على منازل الناس فيجعل له تحتها سرايب يتوصل منها الى أكل ما فيها من الخشب ولا يزال حتى يأتي عليه ولا يبقى منه إلا ظاهره فتسقط البيوت بأقل حركة فيفقد الانسان بيته في زمن يسير ، وكثيرا ما تسلط ذلك النمل بهذه الصورة على مدائن عظيمة وبلاد عامرة فألقاها وخربها عن آخرها واضطراً أهلها الى الرحيل عنها الى جهات بعيدة لتسكنها وتبنى بها بلادها ومدائنها ، والعجب أن ذلك النمل لا يحتاج في مثل هذا العمل الى مدد طويلة بل يقضيه في مدة قصيرة أيام يسيرة ، وقد حكي بعضهم أنه رأى أكل سلهما كبيرا من الخشب في مدة خمسة عشر يوما ويأكل مثل السكرى والمائدة والدولاب في أقل من ذلك ، فيرى الانسان هذه الأشياء واقفة بهيئتها على أصل صورتها وحتى مسها بيده صارت تراباً مذروراً وراحت هباء منثوراً

قال الشيخ رأيت في بعض الكتب ما هو أخف من ذلك فكنت أستغرب به فلأن زال استغرابي * حكي الجاحظ في « كتاب الحيوان » انه في بعض الأيام كثير النمل في بعض ضروب بغداد حتى ارتحل عنه أصحابه وتركوا مساكنهم للنمل وأن بعض الناس قل لأحد الفارين من النمل كيف أخرجكم النمل من دياركم ؟ فأخذ بيده وقال هلم معي لأريك ذلك وحمل من طريقه رأس جمل مشويا فلما انتهى الى بعض تلك الدوراً كلاً ذلك وأمر صاحب المنزل خادمه باحضار طشت كبير منصف بالماء ووضع عظام الرأس الى جانبه فسعى النمل اليها وصار يأخذ النمل وينفض في الماء فبعد مدة يسيرة فاض الماء من الطشت ، فقال له كيف تسكن تلك الديار على تلك الحال فسبحان من خالق الأشياء وعرف الانسان قدره بتلك الآيات ، فهذا جيش من النمل أخرج قوما من ديارهم وأبطل حياتهم وقواهم وأعجزهم ليفهموا قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - ويقفوا بأنفسهم على مواضع الاعتبار وتكون مساعدهم فيما له خلقوا وكل ميسر لما خلق لأجله على حد الأدب مع الخلق وظالقه قال الانكايزى ومن النمل نوع اذا بنى له بيتا لا يجعله هرميا بل يجعله على شكل كرسي في عظام البرميل يصنعه من مواد صمغية وأجزاء خشبية وبعض خشائش ويجعل في داخله ضروبا وطرقا كثيرة تفوق الوصف ويكون في العادة بين فروع الشجر ، وفي سنة ١٧٨٠ من الميلاد ظهر منه نوعان في المديرية الجنوبية من فرنسا غرب بسببهما بيوت كثيرة وسققات أسقف وحيطان متعددة ولم يبق في (روشفور) شئ من الكتب ولا الخشب حتى انهم الآن يضعون أوراقهم في علب من التوتيا خوفا عليها ، ومنه ما يسكن المزارع فيضر بالزرع ضررا يئسا وربما حفر له فيها بيوتا ومغارات وعمقها حتى يبلغ ارتفاع التراب الذي يخرج منها خمسة عشر أو عشرين قدما تتألف المزرعة ويتركها صاحبها وربما أحرقت أما كن هذا النمل يلد أروضا بتمددات تخرى بها ان أمكن وقد يستعمل اللغم في تخريرها اذا كانت عميقة ممتدة في جوف الأرض فقد تبلغ في العمق الى عشرين قدما في داخل الأرض ، والكلام في هذا المبحث طويل والذي ذكرته الآن أقل من القليل بالنسبة لما قيل في هذا القليل فان عجائب الخلقة ونفائس الحكمة لا تنحصر في هذه الحشرات بل هي منبثة في جميع أفراد الخليقة فقد منع الصانع كل جنس ونوع وصنف من العالم بمخاوص عجيبة وأمور غريبة تجدها في الأشياء الكبيرة

كما تجددها في الصغيرة وتراها في حيوان البحر كما نبصرها في حيوان البر . ومن أعجب العجائب أحوال حيوانات دقيقة جدا أمكن الاطلاع عليها بواسطة النظارات المعظمة وكانت لا ترى بدونها لفرط صغرها ودقتها ويقال لها عند أرباب الفن (الحيوانات النقية والفطرية) وتوجد في المصارات النباتية والحيوانية وفي الهواء والماء وغير ذلك وكانت مجهولة عند الأمم السالفة ولم يطلع الانسان عليها ولا انكشفت له النطاء عنها وعلم بعض أسرارها إلا منذ عهد قريب بعد ظهور النظارات لأنها لما فيها من خاصية تكبير الجرم وتعظيمه في نظر الناظر عظمت أعضائه هذه الحيوانات الدقيقة فتيسرت رؤيتها وأمكن للإنسان أن يمتحن أحوالها ويهلم كيفياتها . انتهى ما أردته من كتاب (علم الدين) وقد جاء في إحدى المجلات العلمية ما يأتي

متفرقات عن النمل

(النمل أعجب الحيوانات)

هل خطر لك أن النمل يفهم الحساب ؟ طبعا لا يفهم الجبر ولكنه يفهم الهندسة لأنه يحسن البناء ويفهم الهند أكثر من جميع الحيوانات ، ولعل بعض الهمج لا يفهمونه مثله ، أنبا (أورماند فرنسيس وليس) من بريد (جسورث) من ولاية كونسكتيكت (أميركا) أنه في ذات يوم تضرع بحجر فانتقل الحجر عن عش مملوء من محضن صغار النمل التي شرعت تنقب بيوضها فتناول اثنتين منها لفحصهما وفي الوقت نفسه صعدت النملات الأمهات وكرها مرتاعة وشرعت تنقل صغارها الى مكان أمين حتى انتهت ثم عادت تبحث هنا وهناك كأنها علمت أن عدد الصغيرات ناقص اثنتين ، فلاريب أنها أحصت الصغيرات فوجدتها ناقصة فردتهما (أورماند) الى مكانهما فملتهما فملتان ومضت بهما

(النمل يربي صغاره)

وهل تصدق أن النمل يحسن التريض والتربية ؟ حالما تبويض ملكة النمل بيوضها تجمع النملات العاملات حولها وتحمل البيوض بأفواهها وتمضي بها الى المكان الدافئ الذي أعدته لها وهناك تشرع تعرف البيوض بحسب حجمها فتضع الكبيرة في صف والصغيرات في صف آخر ومتى تقفت الصغيرات بيوضها وخرجت منها تضعها العاملات في شكل دائرة وتجعل رؤسها متجهة الى خارج الدائرة لكي تسهل عليها تغذيتها وفي المناطق الاستوائية نوع من النمل تأخذ المربيات منه الصغار الى خارج الكوك في يوم الصحو لتعرضها لنور الشمس والهواء الطلق وتسير بها الى هنا وهناك كأنها تنزتها كما تفعل مربيات الأولاد اللواتي يطفن بهم بالعربات اليدوية ، ثم إن النملات المربيات تبالغ في تنظيف أوكارها ولا سيما أوكار الصغار أكثر مما تفعل ربات البيوت ، فهذه النملات تضع في عشوش الصغار نوعا من الاسفنج تصنعه من المواد الناعمة المختلفة فتعي تسخت خراطيم النملات وعناق الوحل على أفواهها تسمع المربيات الى هذا الاسفنج وتمسكه وتمسح به أفواه الصغيرات وخراطيمها

(النمل أقوى من الانسان ٣٠٠٠ مرة)

لو كان في مكاننا أن نستنطق النمل ونجمله يقول بهراحة وصدق ما في قلبه ، وأن يخبرنا ماهي أعظم المزايا التي يفتخر بها لقال بانجاب (قوتي) ولضحك على ضعفنا ، ذلك لأن للنمل قوة عضلية بالنسبة الى حجمه تزي بقوة أعظم المصارعين والرياضيين * روى (المسترد . دي بوا) العالم الطبيعي فقال (رأيت نملة تحمل حصة من أسفل الهرمة الى أعلاها فوزنت النملة والحصة وزنا مضبوطا بأدق الموازين وقست ارتفاع الهرمة فوجدت بعد الحساب أن الرجل لكي ينافس النملة في رفع الأثقال يجب أن يحمل حملا وزنه نصف طن ويصعد به (٢٥) درجة من درجات (السلام) الاعتيادية)

لعلك تستغرب ذلك ، فانظر فيما يلي (النملة في حقلها تحمل بين فكها حملا أثقل من وزنها ثلاثة آلاف

مرة من غير عناء ، ولكي تفعل فعلها يجب على كل واحد منا أن يقف على حافة هاوية ويمسك بين أسنانه سلسلة مربوطة بثماني عربات محملة حديداً ﴿ وقد أكد أحد عارفي طبائع النمل أنه إذا كان رجل يزن (١٥٠) رطلا وله قوة بالنسبة الى وزنه كقوة النمل لاستطاع أن يحمل على ظهره قاطرتين من أكبر قاطرات السكك الحديدية من غير أن يتفزع ﴾ وقد روى الاستاذ (رفتون) أن في افريقيا نوعاً من النمل يسمى (بولدوج) يستطيع أن يمشي واثباً وكل وثبة نحو قدم فإذا رام إنسان أن يجاريه وجب أن يثب الوثبة الواحدة نحو ٤٠ قدماً ﴿ النمل فلاح ﴾

النمل فلاح أيضاً ، لهلك تستغرب أنه كذلك والحقيقة أن للنمل حدائق يزرعها ويحتمي منها طعامه الذي لا يجده في كل مكان وله اسطبلات يحرس فيها أبقاره التي يحتلب عسلها ، وهناك نوع من النمل يسمى (قاطع الورق) فهو يقطع ورق الشجر بمقص في الحاد ويحمله الى عشه وهناك يعضفه حتى يصبح كالهجين ويفرشه على الأرض ، وبعض النمل يبحث عن المشروم (نبات فطري) في الحقول وينقله الى حديقته ويزرعه في الأرض التي أعدها لذلك فينبت نباتاً فطرياً ويتغذى به

﴿ بقر النمل ﴾

أما بقر النمل المشار اليه آنفاً فهو نوع من البعوض النباتي المائل الى الخضرة وهو كثير في الجناين فالنمل يقنص هذا البعوض ويأخذه الى عشه ويحميه ويغذيه ، وهذا البعوض يفرز مادة لزجة يستطيعها النمل والهجين انه لا يفرزها مالم يدغدغه النمل بنخرطومه ، وقد حاول (دارون) أن يجعل بعوضة تفرز عسلها إذ دغدغها بشعرة فلم تفرز شيئاً فلما أطلق عليها نملة دغدغتها فأفرزت العسل

﴿ النمل جراح ﴾

وهل خطر لك أن النمل جراح ماهر ؟ إن عملياته الجراحية عجيبة ، في البرازيل نوع من النمل القاطع للورق يحسن الجراحة كأمر جراح فتي جاءت اليه نملة تقاسى من سوح خطري استدعى بعض الجنود الاختصاصيين الذين لا يخطئ في استدعائهم ثم يضم شفقي الجرح معاً ويأمر الجندي أن يمسكهما معاً بفكيه ويبقى هذا ممسكاً بهما الى أن يخيظهما الجراح على طول الجرح بواسطة خيوط يفرزها من نفسه والله أعلم

﴿ للنمل مقبرة ﴾

ومن أغرب الامور أن للنمل عادة ليست في سائر الحشرات أو الحيوانات وهي انه يدفن موتاه في مقبرة خاصة وذلك أن بعض النملات ترفع الجثة بواسطة خراطيمها وتبعها النملات الأخرى في موكب جليل وتسير جيها خارج الوكر الى مكان معين تدفن فيه موتاهها ، وهناك أعمال أخرى للنمل تدل على حذقه وذكائه وقوته ، ولو كان يتكلم لكانا نفهم منه أموراً أخرى ربما كانت أعجب وأغرب

﴿ النمل القاري ﴾

في افريقيا نوع من النمل تتفوق عن الجراد غزواً فهو يزحف صفوفاً كثيفة متراممة متعازية الى أن يصل الى الحقل الذي يريد غزوه فيحيط به ويحاصره من جميع الجهات وحينئذ لا ينجو منه شيء من الحشرات كالخنافس والعقارب والعناكب والديدان والحيات الصغيرة حتى متى انتهى من غزوه لا يبقى في الحقل غيره فان جلا عنه الى حقل آخر تركه نظيفاً . انتهت اللطيفة الثانية ﴿ رسالة عين النملة ﴾

﴿ اللطيفة الثالثة . الكلام على عين النملة ﴾

(كتب يوم الجمعة ٣٠ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ ٢٠ يوليو سنة ١٩١٦ م)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لئن عجب القاري من هذا العنوان فحجب معناه ، واثن كان غريباً فأغرب منه مغزاه ، يخيل للسامع انه

عما لا يؤبره به ، وما قيمة النملة حتى يحتفى بهيئها ، فليس ين القارئ من العجائب وغرائب الإبداع فيها ما صار فيه له ويزداد عجبته ويوقن أن هذه العين التي لا يراها البصر ولا تتجسس إليها الفطن كمدينة عجيبة مشرقة الأنوار زاهرة باهرة تترقق جمالا وحسنا ويعلم إذ ذاك كيف سميت في القرآن سورة باسم النمل ، وكيف ذكر قصة سيدنا سليمان معها وأن ما ذكره في هذه المجلة غيض من فيض العلم المستمد من تلك العين - ثم لترونها عين اليقين - ثم لتسألن يرثى عجا تسألون . لنقدم مقدمة قبل هذا المبحث البديع فنقول

بينما أنا منذ شهر في مجلس غاص بأهل العلم والفضل والأدب من المشايخ وذوى الطرايش - فله من الأولين * وقليل من الآخرين - على تصحيح ورق الامتحان للتلاميذ عاكفين إذ قل قائل منهم ومعه فريع شجرة ذو ورق بديع لطيف منظم إني كان لي قرين يقول ألا لا يستوى نظام هذا الفرع ونظام النمل الفارسي وكيف يستويان وفي هذا الفرع من النظام والجمال ما يبهز الناظرين - وما يذكر إلا أولوا الألباب - ثم قال ويا ليت شعري لم قارن بين النمل الفارسي والورق في النظام ، وإذا تمت المقارنة فما الدليل على ما قال ؟ فأجبت لقد أخطأ صاحبك المرحى ولم يصب المحز . إن النمل أتقن نظاما وأبدع إحكاما وأهدى سبيلا وأقوم قبلا ولست أحيلك على دقة نظامه ولا حسن اتقانه ولا أعضائه الباطنة والظاهرة ولا مدارس وسياسته وجيوش ومدنه وزراعته مما سطرناه في كتبنا ﴿ نظام العالم والأهم ﴾ و ﴿ جمال العالم ﴾ وغيرهما وإنما نحياك على مسألة عينه العجيبة الغريبة . فتمال وما ذلك . فقلت انها تتركب من أكثر من مائتي عين كل واحدة منها ذات طبقات خاصة ونظر مستقل بحيث لو عميت إحداهن لنظرت الباقيات نظرا مستقلا صحيحا ، فلم يقع القول منه موقعه من ذى الفلة العسادي وقال كيف السبيل الى معرفتها ، ومن ذا يجترئ أن يدعى هذه المستوى ، وما الدليل ، فاحتدم بيني وبينه وطيس الجدال واجتمع القوم حولنا زسرا وكانوا أزواجا ثلاثة ، فربى كذبوا ، ورفى يشكون ، وقليل منهم من وافق . فأما أنا فقلت لقد سمعتها أيام تلمهى بـ مدرسة المعلمين الناصرية من الاستاذ ثم قرأتها في الكتب الصغيرة الانجليزية للتلاميذ المدارس الثانوية ثم رأيته بعيني رأسي بالمنظار المعظم وسطرتها في الكتب المنشورة فقال أوسطهم

والدعوى ما لم تقيموا عليها * بينات أبناؤها أدياء

إن كنت ناظرا فالصحة أومدعي فالـ دليل

ولم أرفى عيوب الناس عيبا كـ نقص القادرين على التمام

فأنت بالبرهان أو بالبيان . فقلت سأريكموها تحت المنظار المعظم كما رأيتموها - ثم لترونها عين اليقين - وإذا ذاك أقول

وليس يصح في الأذهان شيء * إذا احتاج النهار الى دليل

وليس بعد العيان بيان فقالوا لاطاقة لنا اليوم بالحكم عند العيان فقد يخطئ الحس فأرنا كتب القوم واثنا بنص الكتب الصريح فقرأت - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وقلت سترتها في كتب القوم وإذن أقول ﴿ فاز من ركب العصا ﴾ فتوجهت الى المكتبة الملكية وقرأنا ما كتبه العلامة (اللورد أفبرى) اذا هو لا يروى غلة ولا يشقى من غلة ، وطالعت مجلات أخرى مع بعض الفضلاء فرجعنا بخفي حنين . فقلت قال تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر - واذن كلمت العلامة صديقى محمد بك شوقى بكير المدرس بمدرسة الزراعة العالم بهذه العجائب الذى أطلعنى عليها بالمنظار المكبر المكرم بالعلم العاشق للاحكمة فقال لسان الحال

تسأل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبير اليقين

فأجاب ، لقد اتسع نطاق هذا الموضوع في كتب القوم وأحضر لى ﴿ كتابين * أحدهما ﴾ كتاب

﴿ درس علم الحشرات ﴾ تأليف (با كرد) الاستاذ (بردوفسور) في جامعة براون من صفحة (٢٥٦) الى صفحة (٢٦١) المطبوع سنة ١٩٠٩ م ﴿ والثاني ﴾ كتاب ﴿ علم الحشرات ﴾ مع الاشارة الى مباحثه الحيوية والاقتصادية المطبوع سنة ١٩١١ م من صفحة (٣٠) الى (٣٤) وكذلك صفحة (١١٤) و (١١٥) وملخص ما في كتب القوم هي ما يأتي ﴿ إن جميع الحشرات أعينها مركبة وأقلها تركيبا لاتقل أعينها عن اثنتي عشرة عينا ومنها ما يكون كل عين من عينيها مركبة من مائة ثم من ألف ثم تترقى الى سبع وعشرين ألفا وذلك في حشرة من نوع الفراش في القطر المصري وغيره تعيش على العليق وعلى البطاطس وأمثالها تشبه حشرة (أبي دقيق) المعروفة . فأما النملة فإن كل عين من عينيها لاتقل عن مائتي عين ولا تزيد عن أربع مائة تقريبا ، والعلماء في هذا مذهبان مشهوران ، فأما الأولون فأنهم يقولون إن كل عين من تلك العيون تنظر الجسم جلة فإذا كانت عينا النملة مركبتين من ستائة عين مثلا كانت كل واحدة منها ترى الجسم كما ترى كل عين من أعيننا الجسم الذي تراه الأخرى ، فأما المتأخرون من أهل الفن فقد حققوا الموضوع تحقيقا وكشفوا النقاب عن وجه الحقيقة وحكموا التجربة تحكما فأيقنوا أن تلك العين إنما هي مجموع عيون كل منها ترى جزءا من الجسم بحيث لو عييت لم تبصر الجزء المقابل لها في الجسم ، وأجمع الأولون والآخرون على أن كل عين ترى مستقلة وعلاقتها مع غيرها المجاورة ، فلما أن أتم قوله قلت : الآن حصص الحق - واستبان السبيل وظهرت الحجة وقامت آية الله الكبرى وبهرجال الله خلقه وقلت لأولئك الأجلاء مظهر وما بطن وأعلمتهم جليلة الخبر فسمعوا شاكرين وكبروا لله مخلصين . فقال صديقي محمد بك شوقي بكير لندرس الموضوع حق دراسته لأترجم أهم هذا المبحث وليكن مقالا جامعا حتى يعرف الناس هذا العجب العجيب ، وسأذكر ملخصه موضعا وأعرضه على القارئ مينا ليقفوا على آيات الله الكبرى . - سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها - فيعربوا مسألة الكحل ﴿ مارأيت رجلا أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد ﴾ ويقارنوا بين أبي تمام والمتنبي وبين جرير والفرزدق أو يعرفوا المجاز المرسل والاستعارة والكناية وما لهم وهذه المسائل وهي إنما اختص بها الغربيون ودرسها علماء الزراعة وما للشيوخ وهذه العلوم . وما هذه العناية بهذا الحيوان الحقير ونحن في حاجة الى ما ينفعنا والناس في الحرب والضرب . فما هذه السخافات ؟ ولم اهتمت أنت بهذا اهتمامك بأعظم الأشياء فتقول

ليس ينبغي أن يكون الشيوخ محصورى العقول فيما ذكر ههنا ، هاهم أسلافنا كهبد اللطيف البغدادي والجاحظ والرازي والفرزالي ، فأولئك الذين هدى الله وكانوا نوراً يستضاء بهم ، فافقرأ في كتاب الحيوان لجاحظ تر الرجل جته وبحث جهد طاقته ولم بدخر وسعا في سائر أنواع الحيوان ، والمعلم الضيق العطن القليل الفطن واقف كالماء الراكد في حيز واحدة به تلميذه ويضيق صدره وتموت أمته ، لقد كذب الذين قالوا لا ينبغي اتساع دائرة علومه انه لضلال مبين ، ومن أضل ممن يأمر بالجهل ويفرى الناس بالكسل ، فأما العناية بعين النملة وبالنملة فليس بهجب بعد أن سمى الله سورة باسمه في القرآن ايقاظ للعقلاء ليدبروا هذه الحشرات الصغيرة وليدرسوها ليصلوا لأمرين معرفة الله بجلاله والاستناد بالعلم والحكمة والوقوف على فوائدها الاقتصادية النافعة في الحياة الدنيا كما فعل الاورو بيون فيما تقدم في هذه الرسالة ، فإذا رأيت ثم رأيت ملكا كبيرا داخل هذه الأعين كما ستراه قر ياولا نزل قوله تعالى - مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون - وقالت العرب - ماذا أراد الله بهذا مثلا - وهل يذكر الله هذه المخلوقات الحقيرة نزل - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا العاسقين - فأما الاحتجاج بالحرب والضرب فتلك حجة الكسالى والعاجزين البائسين ، فأناس أيام الحرب يأكلون

ويشربون والمدارس مفتحة الأبواب والناس يحبون ويموتون والشمس طالعة غاربة والنجوم مشرقة آفلة والدنيا كما هي . اذا كان للحرب تأثير على سير العلم فهلا أقفلت أوروبا مدارسها وهي اليوم ميدانها . إن الاحتجاج بالحرب خدعة شيطانية . فأما اهتمامي بذلك فليس بدعا . ألا ترى اني لو أغمضت الجفن على القذى وتركت جبل الامور على غاربها لظن الناس اننا نقول بالتحقيق أو نكتب بالتدقيق ومقالة السوء أسرع انتشارا وأعظم أنصارا للحسد الكامن في نفوس البشر - وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم - ولقد جاءني من قبل عالم من علماء مكة وهو صديقنا السيد محمد حسين الخياط إذ قال ، لقد قرأت كتابك ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وقد كان أهدها لي أحد تلاميذي ببلاد جاوه فلما قرأته أراني هذا الوجود على غير ما كنت أرى وعجبت من مسألة تركيب الماء من الأكسوجين والادروجين وقولك إن النسبة بينهما هندسية عجيبة ورأيت الحساب المذكور في كتابك والنظام المدهش فيها بحيث انهما يكونان الماء ولو نقص أحدهما أو زاد عن النسبة المحدودة لم يكن ماء ولا مزاج ، وكنت أقول هل رأى المؤلف هذا بعينه ، فهأنت ذا المؤلف هل رأيته . فقلت نعم وسترى بعيني رأسك وتوجهت معه الى مدرسة المعلمين الناصرية وكان المدرس إذ ذاك صديقنا أحمد بك فهمي العمروسي فأخذ يحلل الماء بطريق السكرباء وحدثت حادثة مزعجة أن انكسرت الزجاجات وطارت منها شظية خدعت خد العمروسي صديقنا ثم شفاه الله وعرف صاحبنا المسألة يقينا

لقد رأيت من هاتين الحادثتين حادثة عين النملة وتركيب الماء ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ العالم المسكى والعالم المصري اني مطالب بما أكتب وأن المؤلف مستهدف للذم والمدح . فعلى كل من ألف أن يستيقن من علمه لينفع الناس وليتقوا بعلمه - وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم - وإن الله لهادٍ الذين آمنوا إلى صراط مستقيم - ولواني توليت عن هذا الأمر معرضا لم أصل الى معرفة ما وصل اليه الآن ولم أستفد ما استراه من العجائب المدهشة ، على اني كسبت أصدقاء واخوانا نتعاون على البر والتقوى * قال ابن المقفع « أفضل ما يعلم به علم ذي العلم وصالح ذي الصلاح أن يستصلح بما أوتي من ذلك ما استطاع من الناس ويرغبهم فيما رغب فيه لنفسه من حب الله وحب حكمته والعمل بطاعته والرجاء لحسن ثوابه في المعاد اليهم وأن يبين مافي الدين من الأخذ لتلك والذي عليهم في تركه وأن يورث ذلك أهله ومعارفه ليلحقه أجره من بعد الموت » وقال أيضا « مما يدل على علم العالم معرفة ما يدرك من الامور وامساكه عما لا يدرك وترينه نفسه بالملكوم وظهور علمه للناس من غير أن يظهر منه نخر ولا عجب ومعرفة زمانه الذي هو فيه وبصره بالناس وأخذنه بالقسط وإرشاده المسترشد وحسن مخالقة خلطاءه وتسويته بين لسانه وقلبه وتحريره العدل في كل أمر ورحب ذرعه (الصدر) فيما نابيه واحتجاجه بالحجج فيما عمل وحسن تبصره »

﴿ عجائب عين النملة وغرائبها ﴾

لقد أبننا في المقال السابق سبب تسطير هذا المقال فلنشرع الآن في المتصود ونقول ﴿ من عجب أن يكون لكل نملة ﴿ خمسة أعين ﴾ ثلاثة منها أمامية في مقدم رؤسها وهذه الثلاثة كأعيننا في التركيب ، ذلك لأنها ليست تتركب من أعين كثيرة بل كل منها عين واحدة ترى كما ترى أعيننا وهي مركبة من

(١) عدسة محدبة الشكل ، ولما كانت العدسة لا تقوم بالبصار وحدها أمم الله عز وجل تلك النملة فزاد لها مادة أشبه بهذا الزجاج الذي نراه تسمى الزجاجية فكانت شفاقة تحت البشرة

(٢) ولما كانت العدسة والمادة الزجاجية لا بد لهما من مادة أخرى تتم بها الوظيفة جعل الله لها شبكية مركبة من خلايا مثني وثلاث

(٣) ثم يتصل بالشبكية أعصاب يسمونها (ليفية عصبية) وليست الشبكية منفصلة عن العدسة بل لها قضيب يمتد اليها ويصلها بها

(٤) وبين الشبكية والأصباب الليفية خلايا تسمى الخلايا الإضافية

(٥) وفي داخل تلك الإضافية خلايا أخرى

(٦) ملونة بالسواد

(٧) ومن الخلايا ما يكون قزحية العين

فتأمل وتجب في هذه النملة الصغيرة وازدد عجباً في عينها الصغيرة البسيطة ثلثة الثلاثة ونحن الى الآن لم نتكلم على العين المركبة وانظر كيف كان للعين عدسة كالعدسة التي في المنظار وجسم زجاجي وشبكية ليفية عصبية وقضيب يصل الشبكية بالعدسة وخلايا اضافية وأخرى ملونة بالسواد وقزحية ، فكل من هذه السبعة له حكم خاص به ومقياس لا يتعداه ومقدار لا يتجاوزه ولو نقص أو زاد لاختل نظر تلك العين الصغيرة ولو وقفت على نظام الشبكية وحدها وتركيبها من خلايا مثني وثلاث لقضيت العجب في هذا الانقسام ، فهذه العين على شدة دقتها أصبحت ذات أجزاء سبعة والجزء الواحد مركب من خلايا مثني وثلاث وكل خلية من تلك الجملة لو وقفت تحت المنظار كما رأيت أنا نظيرها تحته لرأيته مقسمة أقساماً تعد بالمئات مما يحار فيه العقل وتضل الفكر - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر -

وهذه الأعين التي سميناها بسيطة خلقت على ﴿نوعين﴾ نوع يكون في جانبي الرأس في غير النمل من الحشرات وتكون العين كـرأس الدبوس ، ونوع يكون في الرأس من الأمام ، فالأولى وهي الجانبية تكون في السودة التي استمدت لتتقلب حشرة ولم تكن في الظلام ولا في مكان كثير الغذاء فان الحكمة الإلهية قضت أن لا يكون عضو إلا لمنفعة ، وإذا نال الدود طعامه سهلاً فامنعة العين ؟ وإذا كان في الظلام فالعين عبء ثقيل على عاتقه ويكون ضررها أكبر من نفعها فرفع الله اصراً العين عن هذين النوعين وأنعم بها على غيرها من الحشرات - فتبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات للموقنين - وفي خلقكم ومايت من دابة آيات لقوم يوقنون -

﴿جوهرة بدیعة﴾

لقد يضل علماء الحشرات فلا يتبينون الذكر من الأنثى في تلك الحشرات الصغيرة وانما يعلمون ذلك بكبر تلك الأعين في ذكر بعض الحشرات واقترابها من بعضها دلالة على النشاط والقوة حتى يبحث الذكر على الأنثى ولولا تلك القوة والأيد ما استطاع سبيلاً للانتاج ولا تفرض النسل وذلك خلل النظام هذه نبذة صغيرة في عين النمل البسيطة من الثلاث المقدمات ﴿سؤال﴾ ولعلك تقول كيف يحتاج بعد هذه الأعين الثلاث الى الأعين المركبة التي سنشرحها وذوات الأربع من الحيوان والانسان كلها كفاها عينان وأعمالها عظيمة وحاجاتها أعظم ، فما النملة حتى يهوزها عينان مركبتان بعد هذه الثلاث المنظمة العجيبة ، نقول على رسلك ، إن هذه الأعين محدبة تحديداً حاداً والعدسة ثابتة لا تتحرك والمسافة بين العدسة وشبكية العين ثابتة فلا جرم يجب أن يكون المرئى على مسافة معلومة ثابتة بينه وبين عين الحشرة والتحديد الحاد يوجب قصر المسافة . ولقد أعموا حشرة بحيث غطوا أعينها المركبة التي ستتكم عليها بمحلول معتم ووضعت الحشرة بعد ذلك في صندوق مظلم ذي ثقب واحد مضى ، فخرجت الحشرة من ذلك الثقب سواء كان بعين بسيطة واحدة أو باثنتين أو بثلاث فظن بعض العلماء استنتاجاً أن هذه الأعين لا يتميز بها إلا الضوء فأمام معرفة القرب والبعد والشكل والحركة والسكون واللون وما أشبه ذلك فانه يكون بالعين المركبة

﴿العين المركبة﴾

وإن عجب من عين النملة البسيطة مرة لتعجب ألف مرة من عينيها المركبتين . انهما خلقتا على جانبي الرأس وكثيراً ما تملآن ذنك الجانبين وتتركبان من أعين خضرمستديرة أو مستديرة كما في خلايا النحل فانها

مركبة من أشكال هندسية عجيبه مستديرة محكمة ذكرناها في كتبنا « بكمال العالم » و « جواهر المعالم » وغيرها ، وقد قدمنا أن هذه الأعين ليست خاصة بالنمل بل انها تشمل سائر الحشرات وتكون العين مركبة من (١٢) عينا في حشرة تسمى (ليبيزما) ويصل عدد تلك الأعين الى (٢٧٠٠٠) عين في العين الواحدة في الحشرة المسماة (استنكس كونفولواي) وهي أشبه بالفراش الذي يعيش على القطن وتقدم بيانه وهذه أكبر من حشرة القطن حجما كما رأيتها بعيني رأسي في الرسم . عين النملة كما تقدم مركبة من مائتي عين الى (٤٠٠) عين وليست الأعين الصغيرة متساويات المساحة فيكون حجمها من $\frac{1}{4}$ من البوصة أي ١٦ ر . من المليمتر أو ٠.٠٩ ر . من المليمتر ، وإذا كان عين النملة مثلا مركبتين من ثمانمائة عين على أكثر تقدير فتعجب وانظر تشريح كل عين من هذه الأعين وتأمل في نفسك وعقلك وتركيبك واعجب من اتقان المبدع الحكيم لأدنى الأشياء واحكامه لها وافهم قوله تعالى - وكل شئ عنده بقدر - وقوله - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقوله - وما كنا سن الخلق غافلين - بل كيف يقرأ الانسان علم عين النملة ولا يوجه قلبه الى هذا المبدع الحكيم الذي نظر الى النملة وعينها كما نظر الى الشمس وقرها والنجوم ونورها والجبال والشجر والأنهار ، فانظر كل عين في التشريح ترها تتركب مما يأتي

- (١) من قرنية العين وهي خلية بشرية ذات أديم شفاف يحثب الشكل مكسر للضوء وأعلى هذه القرنية تارة يكون أوسع من أسفله وتارة يكون العكس
- (٢) وحول أسفل القرنية أهذاب تكثفه تختلف في نظامها ومقدارها وشكلها باختلاف الحشرات
- (٣) وبلى القرنية من تحتها مباشرة مخروط يختلف حجمه باختلاف الحشرات
- (٤) ومن تحته عدسة كابلور مركبة من أربع خلايا أو أكثر ، ومن الحشرات ما لا عدسة له ولا مخروط له ويكون أربع خلايا بدلهما
- (٥) ثم تكون القضبان وهي خزمة منها ممتدة امتدادا طويلا على محور العين
- (٦) وتحيط بها خلايا مستطيلة وهي مكوبة شبكة العين
- (٧) وهناك منطقة خارجية ملونة بالسواد حول الشبكية كأنها درنات صغيرة في الخلايا القصيرة حول الشبكية وهذه تسمى منطقة حدقة العين
- (٨) ومنطقة أخرى داخلية وخلاياها الملونة طويلة ومستديرة وهي تفصل كل عين عن الأخرى
- (٩) لكل عين خزمة من العصب البصري
- (١٠) ولذلك العصب ليف عصبي منفرج عنه داخل في العين مارا
- (١١) بالنسيج الأساسي وبالعصب

هذا تشريح كل عين من العيون المكونة للعين الواحدة - فإذا رأيت ثم رأيت نهما وملكك كبيرا - نهما للعلماء وملكك للحكام ، وهل ملك الحكماء لإسعاده النفوس وخلصها من أسر الطبيعة ودناسة الأخلاق وهل دار في خلد أحد يوما وهو يظأ النمل برجله ويدوس عليه بسنابك خيله ويطؤه بأخفاف إبله وبذيقه الموت أفواجا أفواجا أن لكل عين من عينيته نكو (٤٠٠) عين لكل عين قرنية شفافة كقرنية التي في ظاهر أعيننا وسميت كذلك لأنها أشبه شئ بالقرن وحولها أهذاب أعيننا تليها عدسة أو ما يشبهها كالعندسة التي في أعيننا وشبكية كالشبكية في أعيننا ومنطقتان ملونتان بالسواد لئلا يشع النور من العين حتى يكون محصورا فيها وأعصاب بصرية تصل الى الدماغ ليحكم إدراك النملة على الأشباح التي أمامه ، وما أشبه عيني النملة إلا بتلك الثريات المعلقة في الأماكن الشريفة بحيث يكون في كل منها أثر بعناية قنديل ، وعلى ذلك ليست تلك الثريات (النجفات) إلا مجموع قناديل مضيئة مشتركة تترقرق حسنا للناظرين ، فكذا كل عين

مجموع عيون مضيئات مشرقات للنملة هاديات لها - سبحانه اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى - النملة وسائر الحشرات ضعيفة ، ولقد قضت الحكمة أن لا يعطى الشئ إلا بمقدار ، سميت الحشرات التي تعيش في الظلام وهكذا التي كان عيشها رغدا لا حاجة لها في طلب الرزق ، فأما أمثال النمل فان لها من المصالح والأعمال ما لا يحصر له كما أوضحته في (نظام العالم والأمم) و (جمال العالم) وغيرها وكان من الحكمة أن لا تجزى بالأعين الثلاثة البسيطة بل منحت تلك المئات من العيون بحيث ترى كل عين منها جزءا من الأشباح التي أمامها ، ولقد بحث ملر واكسندر في هذه الأعين بحثا مدققا فوجدوا أن كل عين لا ترى إلا ما أمامها . فأما الأولون فقد ظنوا انها ترى الشبح كما ترى الأخريات ولقد وضع (اكسندر) العين المركبة تحت المنظار المعظم ونظر فيها فلم تر كل عين إلا ما أمامها ، وضرب لذلك مثلا فقال : هذه الأعين كأنابيب من الزجاج متجاورة ملونة بالسواد فهل ترى كل منها إلا ما أمامها ؟ أوليس كون السواد في كل عين وكل أنبوبة زجاجية يحول دون شع النور منها ، ولقد أزال (اكسندر) القرنية والمخروط ليعلم ما حكمتهما وهل تبقى العين مبصرة كما هي أم ماذا يكون ؟ فنظر فيها فوجد الأشباح اقتربت واندحجت وعلم انه لو لا القرنية ولو لا المخروط ما وضح الأشباح للنملة ولا اختلط عليها الأشباح وضلت سواء السبيل .

يقول (اكسندر) : إن الحشرات ترى الأشباح وحركاتها بسرعة غريبة فان تلك الخلايا المسودة لتقبض وتنسبط على حسب مقتضى الأحوال كما ان انسان العيين في الانسان يضيق ويتسع كذلك تبع كثرة النور وقلته وذلك يعين الحشرات على سرعة الادراك والنظر السريع بحيث لا يعوزها حركة العيين ولا حركة الرأس فان الشبح المتحرك تصل صورته الى مئات العيون أسرع من البرق وتحس تلك العيون كلها صرعة واحدة بتلك الحركة من جهات كثيرة ، فأسرع فرارها وأبدع خالقها ولذلك ترى الحشرات كالذباب والنمل والنحل سرية الحركة قريبة الهرب من كل حادث قل أو جل . - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . أشهد أن الذي أبدع عين النملة وأفرغ عليها من الحكمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب غافل . يعطى الأمة التي أراد حياتها رجالا مفكرين وقادة قادرين وحكاما ماهرين وعظماء مسيطرين ويمدّها بنوره وحكمته ويعطيهم من لدنه علما فيكون عيونها الصغيرة المستمدة من النور الإلهي العام المحيط بالكون ثم يكاوهم برحمته ويجعلهم تحت رعايته حتى تعيش الأمة في سعادة وهناء وحبور ، أوليس الذي أمت النملة بهيونها هو الذي يمد الأمة بحكمتها وعلماؤها - تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير - وهو بالشكر جدير . انتهى يوم الأحد ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ - الموافق ٢٢ يوليو سنة ١٩١٦ م بمدينة اسكندرية بجهة أبوورده

وهذا ما كتبه الاستاذ الفاضل شوقي بك كبير وكيل ادارة البساتين الآن الأخصائي في هذا الفن . ولقد رأيتها وقرأتها فوجدت جميع الباحث العلمية التي فيها صحيحة وأنا مترجها بعرفتي . والحمد لله رب العالمين

النحل بعد النمل

ما كنت أعلم وأنا أكتب تفسير (سورة النحل) عدد عيون النحلة ولذلك لم أكتب شيئا في ذلك ولم أعلم أن عيونها بحسب الظاهر خمساً كهيون النملة فاعجب لما قرأت الآن من الجواب إذ ثبت أن عيون النحلة خمس منها ثلاث عيون صغيرات مجموعة في مثلث في وسط الجبهة ، فأما العينان الباقيتان فهما كبيرتان واقعتان في جانبي الرأس وهما المقصودتان بالكلام ، ويقولون : لو كان للانسان هاتان العينان لرأى آلافاً من الأشياء ويقولون : إن ملكة النحل لها (٤٠٠) عدسة صغيرة وأما النحلة العادية فان عيناها الكبيرة تشتمل على (٤٠٠٠) عدسة (وهذه الأعداد في إحدى المجلات المصرية فتأمل) وقوتها كقود عدسات الملكة

ويقتر الاستاذ (كارل فريش) وهو أكبر عالم في دراسة النحل ان أشعة عين النحلة مثل أشعة (اكس) تخترق الأجسام الصلبة وتريها ما وراءها ، وذلك بما ثبت له من التجارب ، وهذا ومن اطلع على ماجاء في هذا التفسير في إلقاح النبات كما في سورة الحجر وفي سورة البقرة والأنعام في آية - وأرسلنا الرياح لواقح - في الأولى وآية - إن في خلق السموات والأرض - الخ في الثانية وآية - انظروا الى ثمره اذا أثمر - في الثالثة أدرك أن النمل وغيره من الحشرات تتوقف حياة الانسان على وجودها . ألا ترى رعاك الله أنه لولا هذه المخلوقات الصغيرة ما أمكن أن تثمر كثير من الأشجار ، فهذه الحشرات هي الملقحات لها فيها يكون الاثمار والله هو الولي الحيد والحمد لله رب العالمين

﴿ الطيفة الرابعة كيف - قالت نملة يأيتها النمل ادخلوا مساكنكم - الخ وكيف سمع سليمان عليه السلام ذلك ﴾
إني أعلم انك أيها القارئ لهذا التفسير تقول ان الحكمة والفلسفة ليس فيهما ما يؤيد كلام النملة ولا أن سليمان سمعها ، وكيف يسمع من غير متكلم ؟ وكيف تكلم هي النمل والنمل يسمعهما ؟ وكيف سمعت هي بحضور سليمان وجنوده ، تقول ذلك في نفسك وتجب فتقول إن هذا جاء به الوحي فلاقول لنا فيه ولكن اذا سمعت ما أنلوه عليك الآن تدهش من العلم الحديث والحكمة

اعلم أن الله جعل الأنوار مائة لهذا الوجود ولم يجعل العالم مظلماً بل جعله مضيئاً وخلق المرات لنظر بها ما لا يمكن من رؤيته ، وفوق ذلك جعل من ضوء الشمس صوراً تبقى رسوماً الى آخر الزمان وتخلق الحواس وهو حقاً - واسع عليم - فكان مقتضى هذا أن يجعل بني آدم وجيع الحيوانات تقرأ في مافي صدور بعضها بحيث يعرف الانسان مافي قلب أخيه والحيوان كذلك . هذا مقتضى الرحمة وسعة النور والجمال ، ولعلك توافقني انه كان ذلك أرحم بنا وأنفع ، أقول لتعلم أن هذه الأمنية الآن موجودة فعلاً فينا وفي الحيوان . إن بيننا معاشر بني آدم محبة وبغضاء وأموراً كثيرة نشعر بها ، وبعض بني آدم أضعفوا القوى الظاهرة فأنكشف لهم بعض مافي القلوب وعرفوه بلا كلام ولا تعريف ، وهؤلاء قليل في النوع الانساني وتوافق الخواطر من هذا القبيل ، أما الحيوانات فاما مطبوعة على قراءة الأفكار بطريق الإلهام ، والناس سيأتي لهم يوم يكون المرء مرآة لأخيه ويحدثه على بعد عظيم كالتلغراف الذي لاسلاك له ويصبح الانسان عند كشفه لما في نفسه من تلك المنحة عالماً بما في قلب من يريد التوجه له في المخاطبة القلبية ، فعلى هذا المبحث الجديد يكون قراءة الأفكار عند الحيوانات طبيعية وقد كانت كذلك عند الانسان ولكنه غطاها لما نبغ في الخطاب والكلام فنامت تلك النرية وهاك ماجاء في الجرائد المدرية يوم ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ هـ - ١ يونيو سنة ١٩٢٥ م تحت عنوان

﴿ التلغراف اللاسلكي وتبادل الخواطر ﴾

بحث الاستاذ (برسي) أحد علماء الطبيعة الانجليز موضوع التلغراف اللاسلكي وعلاقته بتبادل الخواطر فكتب مقالا طريفاً نقله عن صحيفة انجليزية

بدأ العالم المذكور بحثه بالرجوع الى أن أول من فكر في استعمال الكهرباء لنقل الكلام والرسائل هو كاتب انجليزي في مقال نشره عام ١٧٥٣ في (سكنوس مجازين) وبعد ذلك بقرن تكلم عالم آخر انجليزي عن التلغراف الكهربي وذهب في سياق بحثه الى توقع نقل الرسائل الكهربية بدون استعمال الأسلاك . ولئن كان موضوع التلغراف اللاسلكي اليوم قديماً في نشأته فسيجيء اليوم الذي يصل فيه المجهود الفكري الى استعمال التليفون اللاسلكي حتى يتخاطب اثنان في طرفي الأرض معا دون اتصال الآتين اللتين يتكلمان بواسطتهما بشئ من الأسلاك البرقية . إن أسهل طريق لتفسير التلغراف اللاسلكي هي استعمال الظاهرة الطبيعية المماثلة لسلك يهتز بتأرجحات مؤلفة مع النغمة الصادرة من سلك آخر على أن يمتشي كلتا النغمتين على

وتبرة صوتية واحدة ، فالنغمات الصوتية السارية في السلك الأول تنتقل في الهواء الى السلك الآخر وبفضل تموجات النغم في الهواء ينتقل الصوت الى ذلك السلك ، وهذا في حالة وجود الأسلاك ولكن في النقل غير السلكي يحصل المتكلم على الاهتزازات بواسطة الكهروباة فتنتقل الأصوات بواسطة الأثير (الهوائي) الى درجة لاسلكية متفقه في النغم مع الدرجة الأولى المنتقل منها الصوت ، تنتقل التموجات الصوتية في الهواء بمعدل ألف ومائة قدم في الثانية ، أما التموجات غير السلكية فتسير في الهيليوم بمعدل ١٨٦ ألف ميل في الثانية مما يقف أمامه الفكر البشري حائراً لأن الخلاف بين سرعتين في الهواء والهيليوم عظيم جداً ، ويعتقد بعض العلماء اليوم أن تبادل الخواطر هو مستوى القوة التي تمكن الشخص من نقل آرائه الى الشخص الآخر بدون أية واسطة مادية أو ظاهرية ، فهل هذا الرأي ممكن أو محتمل الوقوع ؟ وإجابة على ذلك يقول العالم الانجليزي صاحب المقال ﴿ إن نقل الأفكار قد يحدث في أوقات شاذة وحالات خاصة وذلك ما لا يعارض فيه أحد من الباحثين ولكنه لا ينطبق على الحالات العامة وذلك التبادل قد يرى بوضوح بين الحشرات والحيوانات عند اقتراب الحشرة من الأخرى ﴾ ويقول الباحثون ﴿ إن السبب في ضعف هذه الملصكة في الانسان هو عدم استعمالها بعد أن تمكن من الكلام والخطابة ﴾ ويرى كثيرون من الطبيعيين وصاندي الحيوانات والطيور أن ملصكة تبادل الخواطر تشتت ظهوراً كلما اشتدت حاجة الحيوان أو الحشرة وإذن يظهر ذلك كثيراً بين الحيوانات في أدنى مرتبة والطيور في جميع مراتبها . أما الانسان فيتركب من خلايا لا عددها ولا كل خلية من جسمه عمل خاص ولا تتحرك الخلية إلا تبعاً لعمل كيميائي ، ويختلف تفاعل الالكترونات في الخلية من هذا الجسم عن الخلية من الجسم الآخر ، وتبعاً لذلك نرى كل رأي نتيجة لعمل الثقوب الخلووية في المخ وعن ذلك يحدث التفاعل الكهربائي المضطرب ، وقد يوجد في بعض الأحيان توافق بين خلايا مخين وتحريك تلك الخلايا وعند ذلك فحسب يحدث تبادل الخواطر اه

فانظر أليس ترى أن هذا المبحث يقرب هذا الموضوع وبه نعرف أن الحيوانات تكلم بعضها بنقل الأفكار والفهم من هذا القبيل وأن الانسان مستعد لذلك لأنه من جملة مواهبه ولكن هذه الموهبة تجيء تارة بطريق الوحي الخارق للعادة وتارة بالتمرين وهو ما سيجت فيه الناس كما رأيت والحمد لله رب العالمين هذا ما كتبه عند تأليف الكتاب ، وعثرت عند الطبع على موضوع جميل في الكتب الانجليزية ، فهناك ترجمته تحت عنوان

﴿ الحشرات والنمل ﴾

إن الأرض لمردحة بالحشرات وانها لكثيرة فيها مختلفة الحجم والأشكال والألوان وطا من المنافع العظيمة ومن الأعمال الملاحدة له ، في الأقطار الحارة تكثر الحشرات ملائمة الطقس لها وأن بعضها لشديد الابداء والاضرار لنوع الانسان ، وليس من السهل أن يأتي الانسان للحشرات بتعريف جامع مانع وانما يمكن تمييزها عن سواها من الحيوانات بثلاثة أحوال ﴿ الحال الأولى ﴾ انها على اختلاف أنواعها وأجناسها مكونة من (ثلاثة أجزاء) الرأس والصندوق والبطن ﴿ الحال الثانية ﴾ انها لا بد أن تمر في أدوار تكويناها في ﴿ أربعة أدوار ﴾ (الدور الأول) أن تكون بيضة ﴿ الدور الثاني ﴾ أن تكون دودة ﴿ الدور الثالث ﴾ أن تكون (فيلجة) أو شرقة أي أن تنسج على نفسها نسجاً حريراً تنام فيه أياماً كدودة القز ﴿ الدور الرابع ﴾ أن تصبح تامة التكوين بأجنحة وأرجل تامة الخ ﴿ الحال الثالثة ﴾ أن كل حشرة لها ستة أرجل هذه هي الخواص التي اشتركت فيها سائر الحشرات ، وربما كان أنبل الحشرات وأهمها وأكثرها فائدة النمل ، واليك وصف بعض أحواله وأعماله

﴿ النمل ﴾

إن النمل ترى في كل مكان في الدنيا ، وهي وإن اتحدت مظاهرها في سائر الأقطار تختلف اختلافاً بيناً في طبائعها وطرق معاشها في الحياة

﴿ مساكن النمل ﴾

إن النمل لتعيش جماعات كثيرة العدد في أماكن مبنية تحت الأرض أو بارزة فوقها كالأكام ومساكن النمل مفصلة تفصيلاً عجيباً ومقسمة إلى حجرات مختلفات المنافع والأغراض ، ترى حجرات كبيرات ليعيش فيها النمل ، وهناك الأظفار (جمع ظفر) المربيات للصغار يهتدين بهنّ اعتناءً يفوق الوصف اطعاماً وتنظيفاً وترتيباً كما تربي النساء أطفالهنّ في نوع الإنسان ، وتحت هذه الحجرات حجرات أخرى جعلها النمل مخازن للبذور والحبّ إذخاراً للقوت في مستقبل الأيام ، وهذه الحجرات متصلات بطرق شاذة الوضع غريبة النظام كما أنها في خارج تلك المنازل قد صنعت طرقاً غريبة توصل إلى مداخل مختلفات

﴿ أعمال النمل ﴾

إن من النمل ما اختص بجلب الحشرات النافعة لفسادها كما يفعل الإنسان بتربية البقر والاعتناء بلبنه ، ومنه ما يحارب ويجندل الأعداء في الميدان ويجلب الأسرى ويسخرها في عمل نافع للغالبين ، ومنه ما هو فلاح حقيقي يزرع الأرض ويحصد الزرع ويخزنه كما يفعل الإنسان ، وهالك صورة المزرعة النملية وهي الارز النملية (انظر شكل ١١)

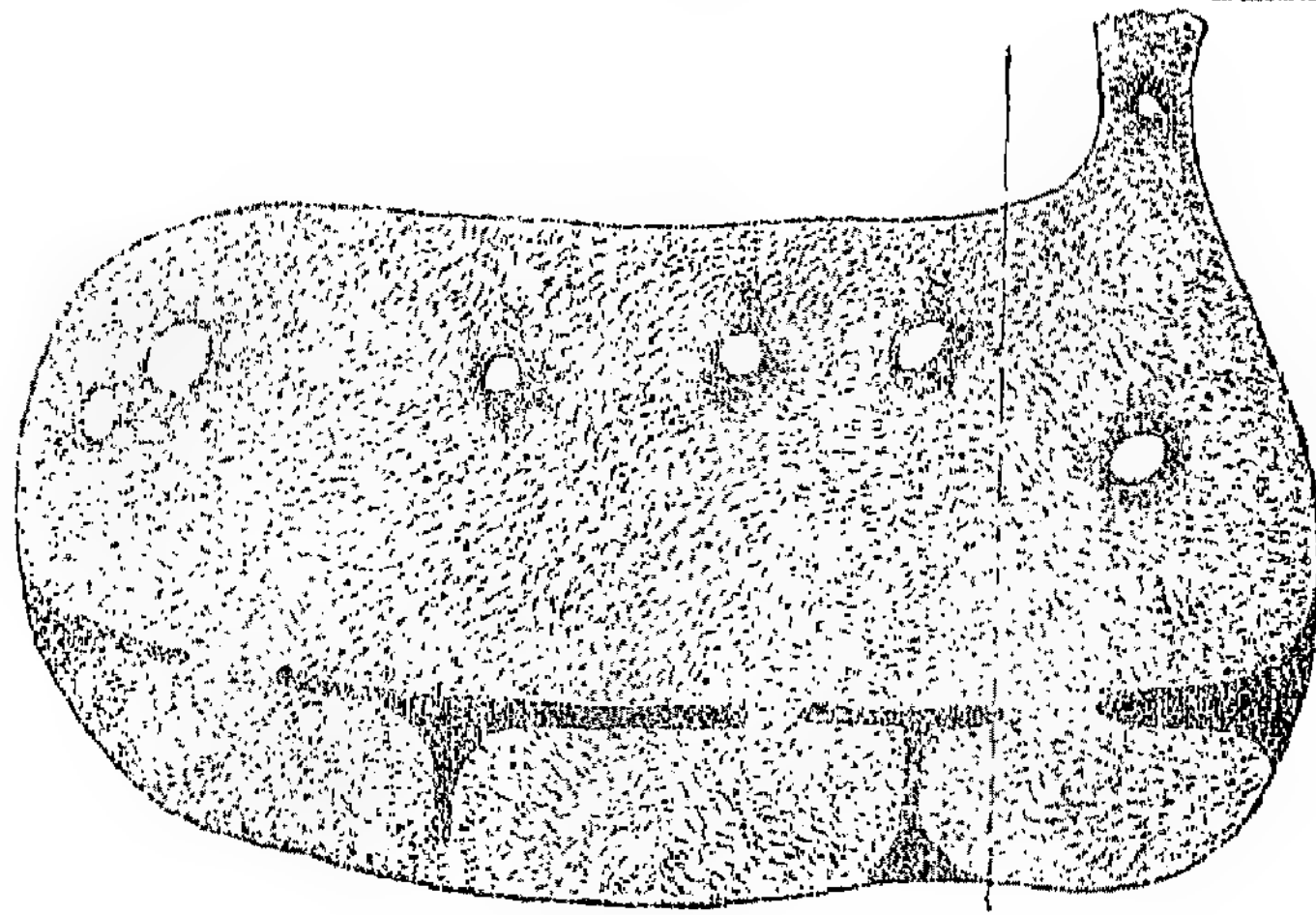


(شكل ١١ - رسم المزرعة النملية وهي الارز النملية)

هذه هي المزرعة النملية بأربع طرق ، وماتوا الآن هو أرز النمل الذي ينجو محيطاً بالمزرعة . إن في الجزائر البريطانية نحو (٣٠) نوعاً من النمل . وفي العالم كله أكثر من ألف نوع مختلفات الأطوار . إن النمل في بعض البلدان تبني مساكنها مجتمعة فيحصل ارتفاعها من هشة أقدام إلى خمسة عشر قدماً فوق الأرض وتكون بذلك صورة قرية بارزة ظاهرة للناظرين ، وفي أقاليم أخرى تكون النمل قوّة مزعجة مهلكة شديدة الخطر على الأحياء ، وقد تكون مستعمرات النمل في دور الكتب فتختط لها طرقاً ومسالك تسلك سبلها وتذلل طرقها في بطونها ولا يتم ذلك إلا بانلاف الورق أكلاً وتمزيقاً فلا يمضي زمان قليل حتى تصبح المكتبة كأنها لم تكن بالأمس عديمة الجدوى فاقدة المنافع . إن منظر النمل عادي نراه في الحدائق وفي غيرها من الارضين وهنّ غاديات رائحات عاملات ناهبات كل حين لا يظهر عليهنّ أدنى ملال أو تعب . إن كل نملة عالمة تمام العلم بما عليها من الواجبات قائمة بعملها بحق القيام بكل قوّة واتقان ، فإذا حلّ فصل الربيع شمّرت النمل عن ساقها وهبت لعملها بلا إبطاء ، فلورأيت ثم رأيت جماعات كالموج غاديات رائحات بين أشجار الصنوبر التي يغلب بناء بيوتها فيها ، وقد اجتمعت الجوع الماشحة فوق تلك القرى والمنازل لانمام بناء مساكنها وبناء الغرفات

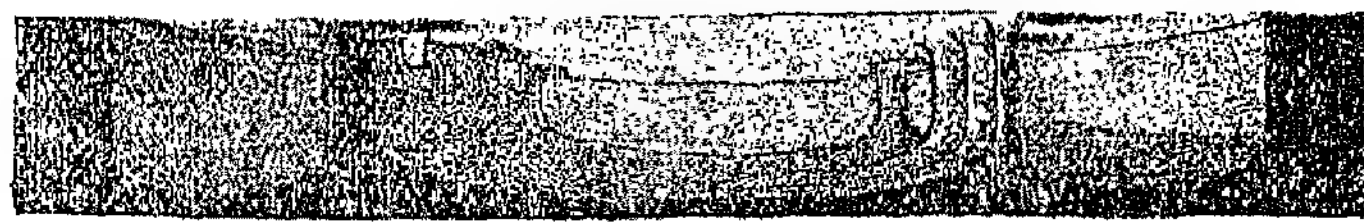
هوق الحجرات ، إن من النادر أن يلتفت الانسان أوفى كرفى اجتهد النمل فى عمله العجيب ، انظر الى جماعات النمل تحاول انتزاع قطعة من الخشب وتجذ كل الجذ أن تأخذها لاستعمالها مع انها أثقل من أجسامهن كثير ، وكيف تراهن حول قطعة من الخشب كبيرة يحاولن دفعها تارة ورفعهما أخرى وجذبها بقوة ليضعها فى المكان اللائق وضعتها فيه . إن النمل تأبى كل الإباء أن يطلع أحد على أسرارها أو يتطفل عليها لمعرفة نظامها العجيب فى الحياة ، ولوافق لك أن اقتربت من أحد مداخلة الموصلات الى منازلها رأيت الأعمال جارية بأدق ما يتصوره الانسان بحكمة الترتيب وليست فى اتقان أعمالها بأهدى سبيلا منها فى لدع هذا المتطفل الجالس على الأبواب بحمها الحادة النصال . النمل مختلفات الأنواع فلأرى نوعين يتفكان فى ظواهر الأجسام ولا فى طرق أعمال الحياة . إن النمل فى الجزائر البريطانية أصغر منها فى بلاد أخرى وأكبر النمل فى ذاته صغير . ومن عجب أن يكون صغير الحجم دقيق الجسم وقد امتاز بالذكاء والعلم . ويدهش الانسان من رأس ضئيلة تحوى فكرا قويا متينا . إن للنمل (خمسة أعين) ثلاث منهن بسيطات كأنها مثلثا واثنان كل منهما مركبة من مئات العيون كما تقدم قريبا ، وله زائدتان كالشعر تشبه الرجلين أو اليدين ينبتان على جانبي الرأس يحسن بهما ويزاول بهما الأعمال كذراعى الانسان ويديه وأصابعه ، وله فسان حادان جدا وأرجلها الست متصلة بالصندوق . إن بيض النمل يفقس ما بين (١٤) يوما و (٣٠) ويسير فى أشكاله التى قد منها وحينما تكون دودة أو فيلجة (شرتقة) تكون خالية من الرجلين والجناحين عاجزة يكفلها النمل الكبير ، ولورأيت ثم رأيت الآباء يحملن الأبناء فى المهد من حجرة الى حجرة طلبا للدف والحفظ والقرار . إن الدودة لا تنقلب الى فيلجة إلا بعد أسابيع إذ تنسج فيها على نفسها خيوطا حريرية أشبه بما تصنعه دودة الحرير بل كل الحشرات هكذا ولكن دودة الحرير أظهرهن فى ذلك ثم تنقلب حشرة نائمة فى آخر الأمر وذلك بعد تمام النسج وكونها فيه بأيام قليلة ، ومما تله رؤيته أن يشاهد الانسان تلك الفيالج وهى الكرات الحريرية قد أخذت النملات الصغيرة تتحرك من داخلها وقد شق عليها ذلك فترى النملات الكبيرة أسرع لمساعدتها وحل أربطتها وتنظيف أجنحتها وفك أرجلها من تلك الخيوط . وهذه النملات المساعدات أشبه بالقابلات والأطباء المختصين بالولادة ، فخرج النمل الصغير من النسج الحريرى أشبه بالوضع وعسر الخروج كعسر الوضع والمساعدة هناك محتمة على الآباء فى قرية النمل

إن هذه الدنيا عجب وأى عجب . إن الأمر العظيم . فما هذا الخنق والشفقة والحب والمساعدة للذرية النملية التى نطوها بأرجلنا ونحقرها . وما كنا عن الخلق غافلين . فى أيت شعري كيف غفل عن هذا الجلال المسهون وأوروبا ظفرت به وهم نائمون . اللهم إنك قد وفقتنى أن أؤدى ما على لامة الاسلام فأسألك أن تجعل هذه المباحث عامة فيهم إنك أنت السميع العليم ، واعلم أن النمل يقطع أجنحته قصدا متى دخل فى أعمال هائلة كبناء المساكن وهذه صورة مساكن النمل (انظر شكل ١٢) فى الصفحة التالية



(شكل ١٢ - رسم مساكن النمل)

(شكل ١٣)



(شكل ١٣ - هذا مرتفع قدر ارتفاعه الطبيعي مرتين)

إن في شكل (١٢) بهوا كبيرا مرفوعا سقفه على عمد وهذا البهو العظيم المتسع الشكل يفتح فيه ثلاث حجرات صغيرات جدا بالنسبة له وهالك بيانه

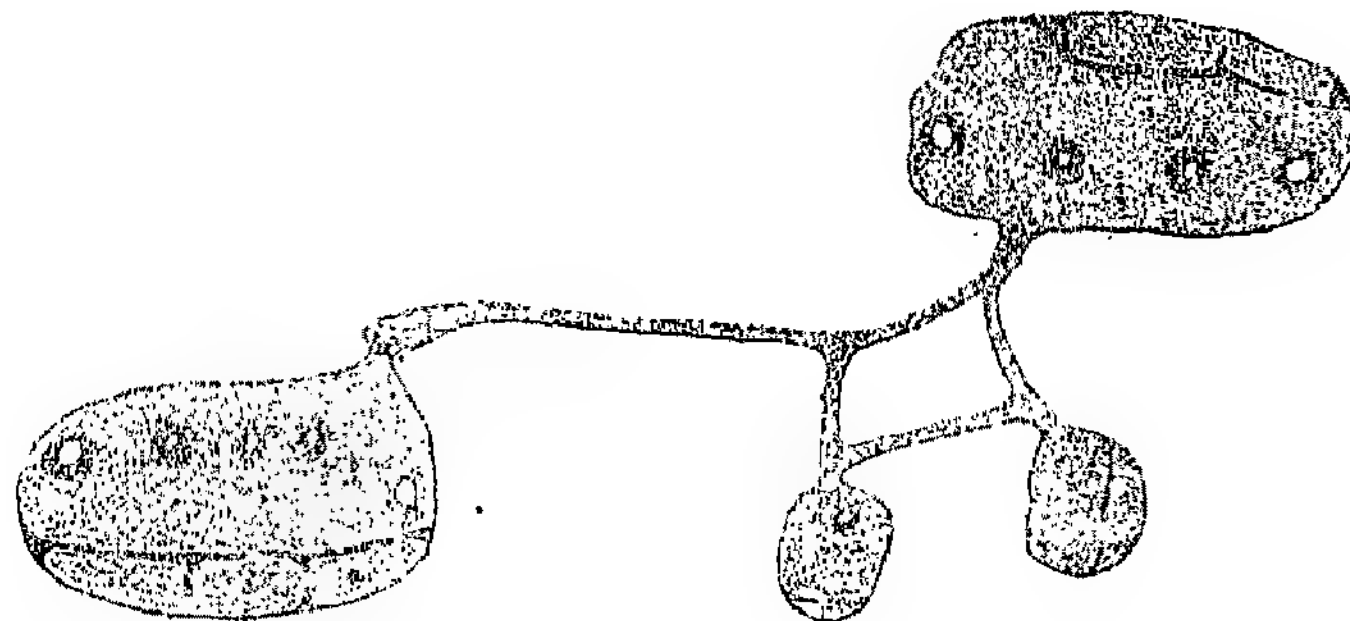
(أ) الأعمدة التي رفع سقف البهو الكبير عليها وحفظه

(ب) البهو الكبير وهو أهم ما في المسكن

(ج) أجزاء من الحائط

(د) الحجرات الداخلة وهي الصغيرة

(هـ) البوابة والمدخل العام (انظر شكل ١٤)



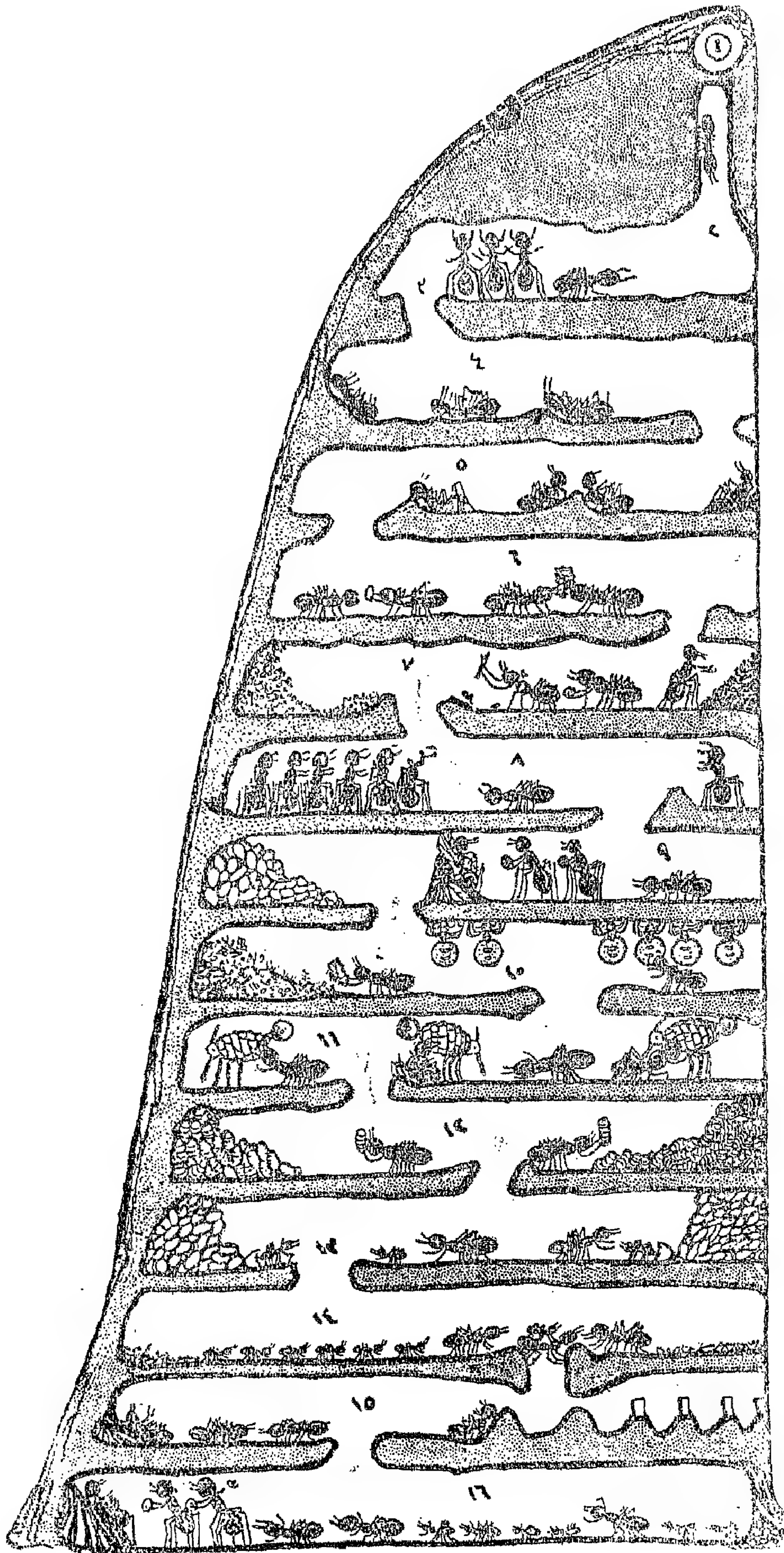
(شكل ١٤ - رسم مستعمرة النمل وهي أربعة مساكن)

(أ) الأعمدة التي رفع السقف عليها (ب) البهو الكبير العظيم الاتساع (ج) الحجرات الثلاثة الداخلة

المتصلة بالبهو (د) أجزاء من الحائط (هـ) المدخل الموصل للمساكن (و) الطرق الموصلة من مساكن إلى مساكن

اتمى ليلة الثلاثاء (٤) أكتوبر سنة ١٩٢٦ م من (لونجمان) الجزء الرابع . هذا وأن أحسن مساكن

النمل وأجلها فيما رأينا هذه الصورة (شكل ١٥)



(شكل ١٥ - رسم قريبة النمل وطبقاتها)

﴿ قرية النمل وطبقاتها ﴾

(١) باب القرية (٢) نملة تدخل القرية (٣) الحرس لمنع دخول الغريب (٤) أول طبقة لراحة العمال في الصيف (٥) الطبقة الثانية لراحة العمال في الصيف أيضا (٦) مكان تناول الغذاء (٧) مخزن تدخّن فيه الأقوات (٨) ثكنة لجنود النمل (٩) الغرف الملوّكية حيث تبيض ملكة النمل (١٠) اسطبل لبقر النمل مع علفه (١١) اسطبل آخر لحلب البقر (١٢) مكان لتفقؤ البيض عن الصفار (١٣) صفار النمل وبيضه (١٤) صفار النمل (١٥) مشى للنمل ، وفي اليمين جبانة لدفن من يموت (١٦) مشى الملكة واعلم أن ما تقدّم الآن هو شرح لما في الصورة المتقدمة أي شكل ١٥

ثم انه لما اطلع على هذا أحد الفضلاء قال لقد أحسنت صنعاً وشرحت صدراً وأشعّت للعالم ذكراً . إنك قد شرحت طرق النمل ومزارعه ومساكنه وأفضت فيه ورسمته وأديت الواجب في ذلك ، فلم لم ترسم نفس النملة حتى نطلع على أجزائها وأعضائها وندرسها حتى دراستها . فقلت له لقد طال المقال وأنا أحب الاختصار لأن المقام مقام تفسير فقال عجبا لجوابك وما أقرب به الى الموارية ، كيف اعتنيت بالعرض وترك الجواهر . إنك أرينا نفس مزارع النمل ورسمت الطرق والمساكن والطرائق والمستعمرات بل ذكرت عدداً للرجل والأجزاء التي ركب منها النملة وهي ثلاثة وذكرت درجاتها الأربعة في النمل ، فلم رأيناك رسمت المساكن والمزارع وتحاشيت رسم النملة . فقلت له إن النملة يعرفها الناس ولكنهم قط لم يعرفوا مساكنها ولا مزارعها وأنا أقول لك الحق اني كنت منذ أمد قد رأيت رسم الزراعة في الكتب الانجليزية ثم مضت عشرات السنين وأنا أقول في نفسي أين هذا الرسم ، ولما قرب طبع تفسير هذه السورة وقع الكتاب في يدي مصادقة فسرت جداً ورسمته ، أما النملة فإن الناس يعرفونها . فقال . كلا . إن الناس لا يعرفون النملة إلا كما يعرفون أجسامهم فهم في كل وقت يفسدون ويروسون ولا يفكرون في أجسامهم وعجائبها ، فكل يقول أنا أعرف النمل وهو لا يعرفه ، ومن ذا الذي رأى أرجلها الستة أو عضوها الحساسين النابتين في جانبي رأسها ، فرسم هذا الحيوان يجعلنا نعرف أجزائه ، إن المسلمين أعجبوا في أخريات الأمم بما فرطوا في هذه العلوم ، وباليات شهرى كيف يسمى الله تعالى سورة باسم النمل وأخرى باسم العنكبوت والمسلمون يجهلون الحشرات ومنها النمل وهكذا العناكب ، إن رسم النمل والعنكبوت وأمثالها يسهل على المسلم فهم الحيوان ودرسه والذي يخيل لي أنك تخشى اعتراض بعض الفقهاء في التصوير واشدة حرصك على رضا جميع المسلمين راعيت المتشددين فيهم وأنت اذا فعلت ذلك وراعيته فقد تركت الواجب وكيف تخشى ذلك وقد ألف أحد المفتين بمصر رسالة في جواز ذلك (هذا المقام مستوفى في سورة يونس فراجع) فقلت له الأمر لا يحتاج الى فتوى ولا الى تأليف رسالة ومن أجهل ممن يفترى على الله الكذب ويحرم ما هو واجب وجوباً عينياً أو كفاًئياً . إن هذه العلوم إما واجبة وجوباً عينياً لازدياد الشكر لله تعالى ، ومعلوم أن الشكر علم وعمل وهذا هو العلم المحبب في الله المعروف لقدره فالاطلاع على هذه العلوم يزيد في معرفة الله وفي شكره وهذا واجب على القادر أي ان الزيادة فيه واجبة على من يقدر وأما فرض كفاية من حيث منافعتها العامة كما تقدّم في سورة المائدة مشروحاً عن الامام الغزالي مفصلاً

ولما ترك المسلمون دينهم وأصوله وعجائب صنعه قبض الله لهم القرنيحة فأذلّوهم ليرجموا للعلوم . فقال زدني في هذا الموضوع . قلت أنت تقول ان المفتي المصري أفتى بالجواز وأنا أقول لك هو واجب ومن حرّم من المسلمين الواجب فهو مهتوه ولم يرد في الكتاب ولا في السنة تحريم النظر الى الظل . فقال وهل الصورة ظل . فقلت إن هذه الصور التي بأخذها المصورون لم يصورها أحد بل صوّرها الله ، ألا ترى انها عبارة عن أشعة شمسية ظلية واصله الى خزانة المصور فيئتها في لوحة . فهذه الأشعة أو الظلال من الشمس فشبهتها في ورقة لم

يخرجها عن كونها ظلاً ولم يخرجها عن كون الله هو نفسه الذي رسمها بشمسه . أليس من عجب أن الناس يحتاجون لفتوى على جواز النظر إلى الظل ، وإذا جاز لنا النظر إلى ظل الأشجار فهل يحرم علينا تكرار النظر إليه . فقال . كلا . قلت هكذا هنا هذا ظل أثبتناه ونظرناه حكمه لم يتغير

يقول الله تعالى - والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال - جعل الله الظل سجداً لربه ، وقال في آية أخرى - ولو شاء لجعله ساكناً - أي الظل - وقد أسكن الله الظل في هذا الزمان بالتصوير وإنما أسكنه الله في الأرض ليوثق الناس للعالم فان رسم الأشكال يوضح المخلوقات ويظهر عجائبها وأعضائها وبدائعها ، ومن ذا الذي لا يتعجب حين يرى أن عين الخلة ترى في المنظار أعينا تبلغ المئات عدا . يراها الإنسان رأى العين وقد رأيتها أنا بنفسى . هذا هو الظل الساكن الذي أشار الله له في القرآن ، فهذه الظلال قد حفظت لتزيد الناس علماً بجمال الله وحكمه وبدائعه والمسلمون وحدهم هم النائمون

فقال صاحبي لقد أقت الحجة على نفسك فلماذا إذن أحججت عن رسم هذه الصور وانت موقن أن التصوير الذي جرى الكلام فيه هو الجسم . فأما هذا فليس تصويراً ألبته وإنما هو ظل . فقلت وأزيدك أيضاً أن الإنسان يرى صورته في المرآة وهو جائز . قال نعم . قلت فهل إذا دامت الصورة محفوظة في المرآة يحرم ذلك . قال . كلا . قلت فالتناسي بهم في العصور الشمسية قد رجعوا إلى البلاهة والجود الحزن . قال إذن قد اتفقنا فأنا أقول إن التصوير جائز وأنت تقول فوق ذلك إن هذا لاهو تصوير ولا هو رسم بل هو ظل الله أثبتناه فأنا أنتظر منك أن ترسم لنا أشكال الحيوان متى لزم . قلت إن شاء الله عسى أن يكون قريباً (هذا الموضوع كتب قبل أن أشرحه في سورة يونس)

هذا ثم إن هذه اللطائف الأربع وما جاء بعدها الواردة في عجائب النمل وتركيبه تعرف معنى قوله تعالى - فتبسم ضاحكاً من قولها - وأخذ يدعو الله أن يوفقه . وأنت أيها النكبي إذا اطلعت على هذا فاعلم أنه نعمة لك من الله بسبب القرآن وادع الله أن يلهمك أن ترشد الأمة الإسلامية وتنذر عشيرتك الأقربين وتفهم من حولك من المسلمين حتى لا يذلوا وحتى يعرفوا نعمة الله تعالى . ولما كانت العالم بها تكون سعادة الحياة ونظام الدول أتبع ذلك بقصة الهدد كما قدمنا فان الأمم لا دول لها ولا نظام إلا بالعلم والعلم يتبعه العمل الذي طلب سليمان أن يوفق له . فانظر كيف أعقبه الله بقوله (وتفقد الطير) وتعرف الطيور فلم يجد فيها الهدد (فقال مالى لا أرى الهدد) لأنه محجوب عنى بسائر أوتحو ذلك (أم كان من الغائبين) بل أكان غائباً عنى وإيضاحه انه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لما منع ما - فقال مالى لا أرى الهدد - ثم لاح له انه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول بل أهو غائب . ثم قال (لأعدت به عذاباً شديداً) كنتف ريشه وكجعله مع ضده في قفص (أولاً ذبحه) ليحتربه غيره (أولياً ثانياً بساطان مبيين) بحجة تبين عذره . والمعنى انه يفعل معه أحد الأولين على تقدير عدم الثالث (فكث غير بعيد) زماناً غير مديد أو مكثاً غير طويل كما تقول عن قريب . فلما رجع سأله عما اتى في غيبته (فقال أحطت) علمت شيئاً من جميع جهاته (بما لم تحط به) يعنى بحال سبأ التي لم تحط بها . وفي هذا الخطاب من الهدد مكافأة لسليمان دلالة على أن الأنبياء وغير الأنبياء في الأرض قد يخفى عليهم ما يعرفه غيرهم . ونظير ذلك ما تقدم في (سورة الكهف) من قول الخضر ماوسى ما معناه « ما علمى وعلمك وعلم الخلائق بالنسبة لعلم الله إلا كما أخذ الطائر بمنقاره من هذا البحر » فهناك أفاد أن علم الخلائق قليل بالنسبة لعلم الله وهنا أفاد أن أعظم علماء الأرض قد يجهاون ما يعلمه أحقر المخلوقات . كل ذلك ليعرف الناس أقدارهم وليتعلم الإنسان من كل أحد وأن ذلك حض من الله للأمة الإسلامية أن يعلموا سائر الناس وأن يشغلوا كل واحد فيما اختصه الله به من القوى والادراك والعمل كما سخر سليمان الهدد لمعرفة الخبر فسليمان يجز عن الانيان بخبر سبأ وعظماء الدول الإسلامية المستقبلية يجب عليهم أن يوزعوا الأعمال على الناس ويشغلوا كل بما يناسبه . وإذا كان سليمان استعان بالهدد فليستهن عظاماء أمة الاسلام بجميع الشعب وليعلموه وليجعلوا كلا مختصاً

بما خلق له وقد أوضحنا هذا في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - فعلى عظماء
 أمة الاسلام أن يستخرجوا كنوز الآراء وجواهر الأعمال من جميع الأفراد من انسان وحيوان فالله مله منزلة
 ليست في الهدد . ولله هده منزلة ليست في الانسان ، ولكل انسان منزلة ليست في غيره وهكذا الحيوان
 ومنها ما قاله الهدد لسليمان (وجئتك من سبأ نبأ يقين) بخبر محقق ، وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن
 قحطان * وسئل صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة ، ولما قال
 الهدد - نبأ يقين - قال سليمان وماذا لك قال له (إني وجدت امرأة تملكهم) وهي بلقيس بنت شراحيل من
 نسل يعرب بن قحطان ، وسيتأتى في سورة سبأ تحقيق أمرها وأمر سبأ أجمعين وهي من نسل يعرب بن قحطان
 والضمير في - تملكهم - لسبأ (وأوتيت من كل شيء) يحتاج إليه الملوك (ولها عرش عظيم) أى سرير كبير
 * ويقال انه كان من ذهب وفضة مرصع بأنواع الجواهر قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودرّ وزمرد وعليه
 سبعة أبيات وعلى كل بيت باب مغلق (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) فهم كانوا يعبدونها
 (وزين لهم الشيطان أعمالهم) عبادة الشمس وغيرها من الأفعال والاعتقادات التي لا تليق (فصدّهم عن
 السبيل) سبيل الحق والى السواب (فهم لا يهتدون) اليه ، وقوله (ألا يسجدوا) بدل من أعمالهم أى فزين
 لهم الشيطان أعمالهم ثم بينها بامتناع سجودهم لله أى زين لهم عدم السجود الخ * وقرئ - ألا - بالتخفيف
 وهي للتنبيه ويا للنداء أى يقوم واسجدوا فعل أسر (لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم
 ما تخفون وما تهملون) وصف الله بما يوجب تفردّه بوجوب السجود له وذلك انه يظهر الخبء وهو كل ما خفى في
 غيره ، فاشراق السكواكب وانزال المطر وانبات النبات وإيجاد المخوقات كل ذلك اخراج لما اختبأ عن الأنظار
 بالظلام والسحاب وباطن الأرض وحالة الامكان فان العالم كان خبيئاً في حال الامكان فظهر بالايجاد ، وكما أنه
 يظهر ما اختبأ يعلم ما يخفى ويظهر فقدرته عامة في كل ممكن وعلمه عام في الممكنات والواجبات والمستحيلات ثم
 ذكر عظمة الله وأبان فضلها على عظمة عرش بلقيس فانه اذا شملت قدرته كل شيء وأحاط علمه بكل شيء فلا جرم
 يكون عرشه أعظم العروش ولذلك قال (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) ولقد نسكرو عرشها وعرف عرش
 الله اشعاراً بما ذكرناه ، وتقدم في (هود) وفي (يونس) معنى العرش وعظمة عرشها بالنسبة الى ملوك
 الدنيا وعظمة عرش الله بالنسبة الى جميع المخوقات (قال سمنظر) سمنظر ف ونتاجمل (أصدقت أم كنت من
 الكاذبين) لأننا لا نأخذ القضايا مسامحة ولا نعمل إلا بعد تجربة واختبار وامتحان كما هو شأن ملوك الأمم المدبرين
 للممالك العظيمة (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر
 ماذا يرجعون) ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت يا أيها الملؤا) بعد ما ألقى اليها (إني ألقى الى
 كتاب كريم) لكرم مضمونه ورساله وإغرابه شأنه لأن الهدد ألقاه من كوة على نحرها فهذا وجه الغرابة
 فقل لها ممن هو فقلت (إنه من سليمان) ان الكتاب من سليمان (وانه) أى المكتوب أو المضمون (بسم الله
 الرحمن الرحيم) المقصود (ألا تهلوا على) ألا تتكبروا على ولا تمتنعوا من الاجابة (وائتوني مسلمين) منقادين
 وهذا الكتاب فيه وصف الله بصفات الكمال والأمر لهم بعدم الكبرياء والطاعة (قالت يا أيها الملؤا أفتوني
 فى أمرى) أشيروا علىّ فيما عرض لى (ما كنت قاطعة أسرا) قاضيته وفاصلته (حتى تشهدون) تحضرون
 (قالوا نحن أولوا قوة) بالأجساد والعدد (وأولوا بأس شديد) نجدة وشجاعة (والأمر اليك) أيتها الملكة
 فى القتال وتركه (فانظرى ماذا تأمرين) تبدينا مطيعين لأمرك (قالت) بلقيس مجيبة لهم على ما أظهروا
 من الميل الى المقاتلة بما أظهروا من قوتهم المادية وعددهم وعددهم قائلة لهم إن سليمان إن قاتلناه ربما
 دخل بلادنا فأضرّ بالأنفس والأموال والقرى والضياع وهذا قوله تعالى (قالت إن الملوك اذا دخلوا قرية
 أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بنهب أموالهم وتخريب ديارهم واهانتهم وأسرهم (وكذلك يفعلون)

يقول الله إن هذه هي صفة الملوك الفاتحين وهو الحاصل الآن في مصر والشام وبلاد العراق وبلاد بلخ والجزائر
ومراكش ، فكل هذه البلاد لجهل أهلها دخل الفرنج بلادهم وأذلّوهم وقهرّوهم والجهل عام وعسى الله
أن يرجع هذه الأمة مجدها واستقلالها ، ثم قالت (وإني مرسل اليهم) رسلا (بهديّة) أدفعه بها عن ملكي
(فناظرة بم يرجع المرسلون) من حاله حتى أعمل بحسب ذلك ومرادى بذلك أن أختبره أملك هو أم نبى فان
كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن تتبعه في دينه وبلقيس قالت
ذلك لأنها كانت ليبة عاقلة قد قاست الأمور وسبقتها فأهدت له وصفا ووصائف وألبست الغلمان لبس الجوارى
بأن جعلت في أيديهم الأساور من الذهب وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقراط وشنوفات صمغ بأنواع
الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون وأهدته حقا فيه درّة غير مثقوبة
وجزعة معوجة الثقب وبعث إليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكالا بالسر والياقوت وأرسلت له
المسك والعنبر والعود اليلنجوج ودعت المنذر بن عمرو ومعه أشراف قومها وكتبت مع المنذر كتابا تدكر فيه
الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما في الحق قبل أن تفتحه واتقّب الدرة ثوبا
مستويا وأدخل في الخزّة خيطا من غير علاج وأمرت الغلمان والجوارى أن يتشبّ كل منهما بالآخر وقت
مخاطبته لهم وقالت للرسول إن نظرا ليك نظر غضب فهو ملك فأنا أعزّ منه وان قابلك ببشاشة ولطف فهو نبى
فلما وصاوا الى معسكره وعظم شأنه تقاصرت اليهم نفوسهم واستصغروا لبنات الذهب والفضة في جانب مارأوا
من الابهة والعظمة فوضعوها في فرج قد تركها النبي سليمان على قدرا ما أحضروا من اللبنات ، فلما وقفوا بين
يديه تلقاهم بالبشر والقبول والأنس وسألهم عن حالهم وأعطاهم السكتاب فقال أين الحق فلما رآه قال إن فيه
درّة ثمينة غير مثقوبة وخزّة معوجة الثقب فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء
فأخذت الخيط ونفذت في الخزّة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعلها في الأخرى ثم تضرب
به وجهها والغلام كما يأخذ به يضرب به وجهه ثم ردّ الهدية (فلما جاء) الرسول (سليمان) وحصل ما تقدّم
ذكره من ثقب الدرة وغيره (قال) للمنذر بن عمرو ومن معه من أشراف قومها (أتدرون بما) وأنا لم أرسل
للمال والمال زائل انما أرسلت لأعلم الناس الحكمة وأهديهم الصراط المستقيم (فأنا أنبى الله) من النبوة
والملك كما رأيتم بأعينكم (خير مما آتاكم) لأنكم لم تؤتوا إلا ملكا أقل من ملكي وأنا أوتيت الملك والنبوة
(بل أنتم بهديتكم تفرحون) ولا يفرح الأنبياء والمؤمنون إلا بفض الله وبرحمته ، فبذلك فليفرح العقلاء هو خير
مما يجمعون من المال (ارجع اليهم) أيها الرسول (فلما أتيتهم بمجنود لا قبل لهم بها) لاطاقة لهم بمقاومتها ولا
قدرة بهم على مقاتلتها (ولنخرجهم منها) من سبأ (أدلة) بذهاب ما كانوا فيه من العزّ (وهم صاعرون)
أسرى مهانون (قال يا أيها الملأؤا أيكم يأتي بعرشها قبل أن يأتوني مسامين) لأطلعها على بعض ما أنعم الله
به على من العجائب النبوية والآيات الإلهية لتعرف صادق نبوتى ولتعلم أن ملك الدنيا في جانب عجائب الله
وبدائع قدرته يسير وأن حكمة الله أوسع مما يشاهده الناس من آثارها من مجرى العادة وأيضا لأختبر عقلها
حين أنكر عرشها ، ولما كانت الأرواح الأرضية والسموية جميعا (قسمين) قسم نورانى إلهى وقسم ظاهرى
أرضى والأول أوسع علما وقوة والثانى محدود العلم والقدرة لافرق في ذلك بين الأرواح التى فى أجسامها فى
الأرض والأرواح التى جردت من مادتها سواء أكانت خارجة من عالمنا هذا أم لم ترد له بل عاشت فى عالم الأرواح
ولم تسكن أرضنا . هذه قاعدة مطردة تجدّها فى كتب الأنبياء وفى علم الأرواح الحديث الذى دلائل الأقطار
وشرحناه مرارا فى هذا التفسير بحيث ان الروح الذى كان فى أرضنا وخرج من جسمه يصبح وقوته وعلمه على
مقدار أخلاقه وصفاته رفعة وضعة وهكذا جميع الملائكة منهم من هم فى أعلى مقام ومنهم من هم أقرب الى
عالمنا . وما منا إله مقام معلوم . فكل روح غلبت عليها الآراء الأرضية والأحوال المادية يقلّ علمها

وقدرتها على مقتضى ذلك ، وكل روح تجردت من أخلاق أهل الأرض والأحوال المادية وكانت ذات أخلاق إلهية وحب عام ورفعة شأن واقتراب من النور الأعلى كانت همتها وعالمها أوسع على مقدار ما اتصفت به من ذلك - وأن إلى ربك المنتهى - ولا يشفى غلتك في هذا إلا أن تطالع ﴿ كتاب الأرواح ﴾ الذي ألفتة في ذلك ، إذا عرفت ذلك فانك تفهم قوله تعالى (قال عفريت من الجن) أى خبيث مارد قوى داهية وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) أى مجلس قضائك وكان يقضى كل يوم في الغداة إلى نصف النهار (وانى عليه) على حمله (لقوى أمين) على ما فيه من الجواهر وغيرها فلما سمع سليمان ذلك قال أريد أسرع من ذلك لأنه يعلم أن في الأرواح من هو أقدر على احضاره في أقرب من ذلك كما علمت مما فصلناه لك لأنهم درجات كما فهمت (قال الذى عنده علم من الكتاب) وهو الذى صفت نفسه من ظلمات هذه الأرض وتباعد عن الكبر والحسد والظلم وجميع ما في عالم المادة وهو مغرم بالعوالم العالوية فهو أرقى من ذلك العفريت من حيث اشراق نفسه وصفاء باطنه ، هذه صفات الذى عنده علم من الكتاب فسواء أكان هو جبريل أو ملك آخر أو آصف بن برخيا الذى هو صديق يعرف اسم الله الأعظم أو سليمان نفسه وسواء دعا الله بقوله « يا ذا الجلال والإكرام » أو قال « يا حى يا قيوم » كما قالت عائشة أوقال « يا إلهنا وإله كل شئ إلهنا واحدا لا إله إلا أنت إئتى بعرشها » أو غير ذلك فالأصل واحد هى نفس مشرقة ملكية أو انسية توجهت إلى الله بأى اسم كان أو بهمتها فالمدار على الهمم والنفوس الصافية ولاصفاء إلا بالتعالى عن أحوال المادة فلا يهملك التفصيل بتعيين الذى أحضره ولا بالدعاء الذى دعا به وقد أدركت سر الحقيقة

خذ ما تراه ودع شياً سمعت به * فى طاعة الشمس ما يغنيك عن زحل

فدع زيدا يقول فى المجالس بأن سليمان مد عينيه ونظر إلى اليمين ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجرون به تحت الأرض حتى نبع من بين يدي سليمان ، ودع عمرا يقول خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال ما قال (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) أقول قد عرفت الحقيقة وستعرف أن هذه القصة من أكبر معجزات سيدنا محمد ﷺ والقرآن فائق ما سأنقله لك فى شأن نقل الأمتعة من أماكنها بطريق غير طريق المعجزات وإنما هو بطريق الأرواح واستحضارها أصبح معروفا ، إن هذه القصة ذكرها الله فى القرآن وقد علم أن الأهم ستعرف هذه الحجاب فاودع هذه المعجزة فى الكتاب ليزيد المساهون علما وحكمة وليبحثوا عن عجائب صنع الله ، فلئن نقل عرش بلقيس بطريق المعجزة التى لا يهتدى إليها الناس فسترى كيف تنقل الأرواح الأمتعة من أماكنها على أيدي أكابر الحكماء والفلاسفة فى أوروبا ، ولترى أن هذا القرآن فيه أصول الحجاب أودعها فيه لهذا الزمان حتى لا ينفر المسلم من علم الأرواح وعلم الأرواح يقصد منه تقريب نفوسنا وتمرينها على ذلك العالم الجليل حتى لا تنفر من الموت ولا تنفر من الأرواح إذا وردت إليهم وتفرح بالموت وتفرح بلقاء الله ، فليجد فى هذا العلم المساهون حتى يهتدوا بهدى سليمان ، وهل ذكرها الله فى القرآن لإلهنا ؟ إن سليمان عليه السلام أوحى إليه أن يوجه همة إلى احضار عرش بلقيس بطريق العوالم اللطيفة الروحية فحضر العرش (فلما رآه مستقرا) حاصلا بين يديه (قال) وقد تلقى النعم بالشكر على مقتضى سنن المخلصين من عباد الله تعالى (هذا من فضل ربي) تفضل به على من غير استحقاق والاشارة إلى التمسك من احضار العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره (ليباوني أشكر) بأن أراه فضلا من الله بلا حول منى ولا قوة (أم أ كفر) فلا أشكرها وأنسب العمل لنفسى فلامان ولاجاه ولا ذكر حسنا فى هذه الدنيا ولا علم ولا حكمة إلا والله يبدل العبد بها لأن ذلك كله تربية للخلق ، فالنعم الجسمية والنعم الروحية والعقلية كلها مواهب يمتحن الله الناس بها فن ضل بها هوى ومن شكرها ارتقى (ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) لأن ذلك يستجلب لها دوام النعمة (ومن كفر فأن ربي غنى)

عن شكره (كريم) بالانعام عليه (قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكاه (ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته والى الايمان بالله ورسوله حينما ترى أن عرشها تقدمها وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكة عليه الحراس فتى عرفت انه هو عرشها كان ذلك داعية للايمان فعرقة العرش مقرنة بالايمان لأن المعجزة مقرونة بسبقه لها الى سليمان فلمدار على العقل والذكاء والفتنة (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك؟) وذلك لامتحان عقلها وللتشبيه عليها لأنهم ذكروها عنده بسخافة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها ، ولما ظنت انه أراد بذلك اختبار عقلها واطهار معجزة لها قالت (وأوتينا العلم) بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك (من قبلها) من قبل هذه المعجزة (وكنا مسلمين) منقادين خاضعين لأمر الله ولأمر سليمان (وصدّها ما كانت تعبد من دون الله) أى صدّها سليمان وأولاده عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه (إنها كانت من قوم كافرين) يقول الله تهليلًا لعبادتها غير الله التى صدّها عنها أنها نشأت بين قوم يعبدون الشمس ولم تعرف لإعبادتها ، وعبادة الشمس وعبادة الكواكب قد شغلت عقول الأمم أجيالا وأجيالا لأن الله أكبر من كل شئ ، فاذا كانت الشمس لها فلا يبحث الناس عن أكبر منها ، ولما نزل الاسلام والديانات التى حرمت عبادة الكواكب بحث الناس فى أمر الكواكب فرأوا الشمس أقل شأنًا من غيرها وأن الله تعالى يريد ايقاظ العقول وترقية النفوس البشرية بمثل هذه الديانات التى ترتفع عن المادّة من حيث الخلق ومن حيث العبادة وقد تقدّم هذا فى سورة الأنعام . الى هنا تمّ اختبار عقلها وعرف انها ذكية ، هنالك تبدى له أن يعرف ساقيا لأنه قيل له ان رجلها كحافر جار ، ولما كان الله تعالى لطيفا حكيما لا يكشف السر ولا يفصح فكانت هذه الأخلاق شنيعة الأنبياء والحكماء والملوك العظام فلا يفضحون أحدا ولا يخزونه بل يتلطفون فيما يريدون . بنى قصرا من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظننته ماء راكدا فكشفت عن ساقها وهذا قوله تعالى (قيل لها ادخلى الصرح) الفصر (فلما رأته حسبتة لجة وكشفت عن ساقها قال انه) إن ما تظننه ماء (صرح مرّد) ملمس (من قوارير) من زجاج وليس بماء حينئذ سارت ساقها وعجبت من ذلك فزاد علمها أن ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة (قالت ربّ إني ظلمت نفسي) بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أى أخلصت له التوحيد والعبادة وهل تزوّجها هو من بعد أن اتخذ الحمام والنورة لأجلها فأزى بل شعر رجلها وأحبها حبّا شديدا وصار سليمان يزورها كل شهر بأرض اليمن فى حصونها أم لم يتزوّجها بل تزوّجها الى ذى تبع ملك همدان وليس فى معرفة الحقيقة كبير فائدة ولكن الرأى الثانى أصح . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثانى من السورة ، وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾

(١) فى الهدد الذى أحاط بما لم يحط به نبيّ علما

(٢) وفى قول بلقيس - ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون -

(٣) وفى قول سليمان - فما آتاني الله خير مما آتاكم -

(٤) وفى قوله تعالى - قال عفريت من الجن - الخ

﴿ اللطيفة الأولى فى الهدد الذى أحاط علما بما لم يحط به نبيّ مع ذكر بعض أنواع الطيور

وأن هذه تشمل عجائب الأسرار فى - طس - ﴾

تفقد فعل ماض والطير مفعول والفاعل ضمير يعود على سليمان ، وقد قلنا فى هذه السورة ان السين هى أول حروف سليمان والطاء أول حروف الطير ، فهنا ﴿ اسمان ﴾ وهما سليمان والطير وفعل هو تفقد ونحن أمرنا بالاعتداء بالأنبياء . ألا ترى الى قوله تعالى - فبهدهم اقتده - نبينا أمر بالاعتداء بهم وسليمان من المقادى بهم فأنما مأمور بالاعتداء بهم والاعتداء لا يكون فى الأسماء وانما يكون فى الأفعال والفعل تفقد ، فهذه الحروف

الأربعة التاء والفاء والقاف والذال هي السر المصور والجوهر المسكون هي الحروف التي رقت بين الطاء والسين طاء الطائر وسين سليمان وهما المرموز لهما بما في أول السورة - طس - . علم الله أن أمة الاسلام ستنام حوالي (٩٠٠) سنة . نامت الأمم الاسلامية بعد العصور الأولى . ثلاثة قرون هي التي نبغت فيها الأمم الاسلامية فركت أهل الأرض كلهم ونام المسلمون شرقا وغربا ثم ناموا ، ولكن كان فيهم أولوا بقية في العلم والدين فظهروا وبهروا وقتنا دون وقت وبقية الأمم الاسلامية نائمون هائمون على وجوههم جاهلون بحكمال ربهم عاكفون على الرناسات وطلبها والأموال وجمعها وقد أيقظ الله حولهم أهل أوروبا والصين واليابان وأهل أمريكا الذين لم يكونوا منذ (٤٠٠) سنة إلا أمماديت فيهم العمجية والجهل العميم وبقى المسلمون بين هؤلاء وهؤلاء لاهم في العير ولا في النفير فأكرم الله عليهم ﴿ بنسبتين ﴾ نعمة الكوارث والحوادث والأوصاب الحالة فيهم من الأمم المعظمة بهم والعيارات المحقة فوقهم والمدافع الموجهة اليهم واستنزاف ثروتهم وضياع ملكهم وتعميرهم بالجهالة والتعدي على الدين وعلى المجد وعلى الملك ، ونسمة العلم الذي يدلف اليهم من الأمم حولهم ومن المؤلفين الذين يقومون بنشر الحكمة والعلم بينهم ليوجهوا همهم الى ما أحاط بهم ، واعلم أن الكوارث والمصائب الحالة بالأمم الاسلامية لا تفيدهم ما لم يذكرهم بها المذكرون ويرشدوهم لها المرشدون ، ومن المنذرات المبشرات هذا التفسير ، وهأنذا أذكر المسلمين بقوله تعالى - وتفقذ الطير - وقد بينت اني مأمور أن أتفقذ تفقد سليمان الطير . ولما خاطب المهدهد قال له - وجئتك من سبأ نبأ يقين - إذن التفقد يكون من نتائج اليقين وما الذي جاء به ؟ جاء به الطير المتفقذ ، وتفقد ابراهيم النجوم والشمس والقمر بعد أن كسر الأصنام فقال الله للقوم فيه - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - وتفقد رسول الله ﷺ والنبات والطير ليعلم أصحابه كما في حديث البخاري إذ أخذ يسألهم عن شجرة شبه المسلم فأخذوا يتفكرون في شجر البوادي فلم يصب في الاجابة إلا ابن عمر ولكنه خجل أن يجيب فأجاب ﷺ بأنها النخلة لأنها تموت اذا قطع رأسها ومن رأسها تشرب ، ثم قال ابن عمر لأبيه لقد وقع في قلبي انها النخلة فأسف عمر على أنه لم يقله لرسول الله ﷺ فأما تفقد رسول الله ﷺ للطير فانه ضربه مثلا إذ قال « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خالصا وتروح بها ناء » . فهذا التفقد للسموات في قصص ابراهيم ونحوه وأشجر البوادي والطير من رسول الله ﷺ وللطير من سليمان ، كل ذلك تذكرينا أن نتفقذ كل شيء فلا نذكر كوكبا ولا شمسا ولا قرا ولا طيرا ولا حجرا ولا شجرا إلا لا تفقدناه وهذا أمر واجب وهذا الوجوب يختلف باختلاف الأشخاص وانما قلت انه واجب لأننا مأمورون بالشكر رمأ مأمورون بالنظر ومأمورون بالفكر ولا شكر إلا بعلم ولا علم إلا بنظر ولا نظر إلا بالتفقد . اذا ظن المسلم انه بقوله أنا آمن بالله أو أيقنت بالله قد أتم ما عليه فهو مغرور سرى له هذا الغرور من شيخه الذي لقنه العلم فأوقفه عند حد محدود فحصر عقله وكبله فكسبت الأمة كلها وأحاطت بها الأمم وزممتها ودثرتها وأنامت ، فبعض شيوخ العلم وبعض شيوخ الطرق يلتقون تلاميذهم ﴿ ألا تقرأ الكتب غير ما لقناكم ﴾ ونحن نقول . كلا . أيها المسلمون اتفقذوا كل شيء ، ألم يتفقذ سليمان الطير ، ولماذا أنزل الينا هذا القول ؟ ولماذا رمز الله لنا بالطاء والسين في أول السورة ؟ لماذا يقول الله لنا في أول السورة - طس - يقول لنا ذلك لأنه علم أننا سنكون أمة نائمة مئات السنين وسيأتي علينا هذا الزمان زمان العرفان والنور فيسأل الشبان قائلين لم ذكر الله - طس - وهذا الحرفان لهما فأي فائدة في ذكرهما فنحن نجيب بأن أمثال هذه الحروف جعلت أشبه بالمفاتيح لفتح ما أغلق على المسلمين أجيالا وأجيالا واكتفائهم بكتب موروثه وعلوم محصورة وقد عمى أكثر الناس عن قوله تعالى - واشكروا لي ولا تكفرون - والشكر لا يتم إلا بعلم والعلم عام وعن قوله تعالى - وقل رب زدني علما - فاذا كان النبي ﷺ أعلم الخلق بربه وأمره بازدياد العلم فما بالك بنا نحن فنحن مأمورون بازدياد العلم من باب أولى ، ولهذا كله الرمز بالحروف الأربعة

الواقعة بين الفاعل سليمان ومفعوله الطير

﴿ كيف يتفقد مؤلف هذا التفسير ﴾

أنا إلى الآن لم أعم تفقد نفسي ولا تفقد العالم وأقول تفقدت نفسي وتفقدت السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وهذا مذكور في هذا التفسير ، فأما نفسي فاني عجبت لها ، رأيها لا تقف عند حد تهترأ طرباً بهجة النجوم والشمس والقمر وتفرح بعلوم الليل والنهار والشجر والنجم وما في باطن الأرض من المعادن والجباب ، لم أجد لها نظيراً في عالم الحيوان ، فكل طير قانع بما خلق له كما ستراه هنا ، فترى الطيور الدجاجة تحضن أولادها وتعني بصغارها مثل الحجل والحمام ، وترى الطيور ذات الأرجل السكفية كالبط فرحة بالحبوب والحشيش وكذا الأوز والبجع ، وترى الطيور الشاطئية تمد منقارها وعنقها الطويلين لتقتدى بالزواحف المائية مثل أبي قردان والقلق فتفرح بذلك ولا تطالب غيره وهكذا الطيور المتسلقة المفتدية بالثمار والطيور التي تنقر الخشب تسكن في الحشرات والطيور السودية كذلك وهكذا الطيور الجارحة تأكل الطيور الأهلية والسمك وليس لها همة فوق ما عندها ، أرى هذه الطيور كل غادورائح يطلب ما خلق له فرح بما عنده عاكف على ماله به وأرى الزواحف كالسلاحف قانعة بما عليها من الدرقة التي تأوى إليها متى دهمها خطر أو أحست بعطب وهذه هي قلعتها وحصنها . وأرى القماح من الزواحف اشتدت عنيته بما هو غاية أمنيته وهي بيضه الذي يدفنه في الرمل على الشاطئ . وأرى الحرباء فرحت بما لديها من القدرة على التلون ومجاعة ما حولها في لونه لتتحفظ بذلك نفسها وهكذا بما لا تسعه هذه المقالة

تفقدت نفسي فوجدتها مخالفة لهذه الحيوانات فكل حيوان خاصية لا يتعداها وهو بها فرح وهو بها خفور أما هذه النفس فاني وجدتني تسعى لتعرف كل شيء . فيأيتها النفس أخبريني هل أنت كل شيء حتى تبحثني عنه ؟ فأجابني قائلة نعم أنا قدسة من نور ربى . أنا مرسله إلى هذه الأرض وكل نفس من نفوس بنى آدم قد أرسلت إلى هذه الأرض ووضعت في هذه الأجسام وهذه الأجسام ما هي إلا آلات بها تصطاد المعاني من هذه العوالم وهذه العوالم بها غذاؤنا وشرابنا ولباسنا ومساكننا وحصوننا وبتحصيل ذلك تقوى عضلاتنا بالحركات وتقوى عقولنا بالتفكير وتتهيج نفوسنا بالجمال والزينة

ثم اننا نذر هذه الأجساد في الأرض ونذهب إلى العوالم العليا وكل قد أخذ من الأرض زادا علميا وأخلاقيا على مقدار همة وهناك تكون الدرجات على مقتضى الهمم لا غير

هذا كلام نفسي لي وهذا كله رمز الطاء والسين في أول السورة فطاء الطير وسين سليمان يفتحان لنا باب التفقد كما تفقد سليمان الطير وتفقد رسول الله ﷺ كل شيء فكان قبل صلاة الليل يقف وهو ينظر النجوم ويقرأ - إن في خلق السموات والأرض - الخ وتفقد الأمم أمة أمة فأرسل لهم رساله يدعوهم إلى الاسلام وبعد ارسال رساله أخذ يحاربهم ثم تم أصحابه عمله فتفقدوا الأمم وجاسوا خلال أرضهم من بلاد فرنسا إلى بلاد الصين ثم ناموا ونحن أبناءهم فأخذت الأمم تتفقدنا كما كان آبؤنا يتفقدونهم فأصبحنا عند تلك الأمم كالطير عند سليمان تفقد الطير وآبؤنا تفقدوا الأمم وهذه الأمم أخذت تتفقدنا وقد قالوا ﴿ إن أبناء العرب من الأمم الإسلامية الآن قد رجع كثير منهم إلى سكنى القفار الموحشة والصحراء الكبرى ولا يعلمون أن آباءهم كانوا ملوكا لهم دول عظيمة ﴾ هذا من تفقدهم لنا . واعلم هداك الله أن هذا التفسير من مقدمات نهضات عظيمة ستريج الأرض رجاً وتقوم أم عظيمة لا يدري إلا الله مقدار عظمتها يعلمون أن هذه العوالم كلها كتاب من الله كتبته لنا ونحن قرائه

﴿ تذكرة بما اتفق لي أيام نأق العلم ﴾

إن الذي كان له الفضل في مدرسة (دار العلوم) هو المرحوم علي باشا مبارك وزير المعارف وانه كان يدخل

الروس بمدرسنا فرحا بنجاحه في إقامة هذه المدرسة . ولقد قال مرة ﴿ ليسكن في يد كل منكم (كناشا) يكتب فيه كل ما يعن له من بناء شائع أو طير سائح أو نور باهر أو جمال ظاهر أو حادثة غريبة أو مسألة عجيبة فان ذلك يكون علة له وحكمة تنفعه وقد انتفعت بهذا ﴾

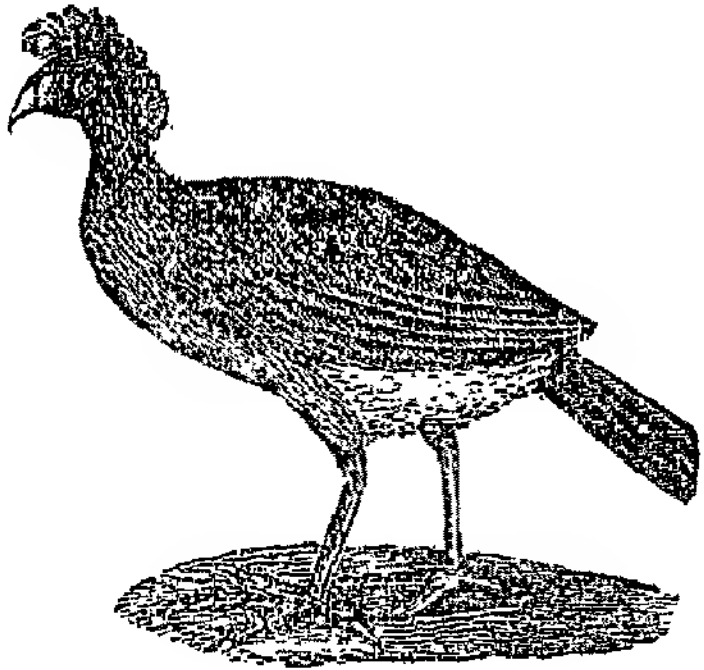
ومما قاله أيضا ﴿ إن العلم لاحد له وليس العلم قاصرا على ما في الكتب فخذوا فيه وتعلموا وادرسوا الدنيا بعقولكم ﴾ أقول وأنا أوصي بهذه الخصلة فانها خير معوان على الحكمة العامة ومن حافظ على هذه الخصلة من صغره وهو ذوميل طبيعي للحكمة والعلم والكتابة فانه يهتأ بالحكمة والعلم ويكون نورا لأمة ويكون انشاؤه نعمة عامة للأمة ويرقى أمة على مقدار همته ثم هو يحس في نفسه بسعادة وحبور وسرور لا يعلمه إلا هو وربّه ولا تقتصر على هذا في معنى الطاء والسين في أول السورة ، ولأخص تفقدي في هذا المقام بما هو أليق به وهي الطيور فأفقدتها من ﴿ وجهين * الوجه الأول ﴾ أن أذكر بعض عجائبها الظاهرة فأذكر بعض الطيور ثم ما هو شبيه بها

﴿ الطيور ﴾

الطيور حيوانات فقريّة تضع بيضا يخرج منه صغارها بعد التفريخ وحيث انها ترتفع في الهواء خلق الله تركيب بنيتها مناسبا لذلك فشكل جسمها بأعظم شكل مناسب لاشق الهواء بسهولة وخلق لها أجنحة بدل الأطراف المقدّمة وليس لها أسنان وفيها منته بمنقار وعلى ذلك تزدرد أغذيتها من غير مضغ ولذا جعل الله معدتها قوية جدا وهي (القوانصة) وجعل لها حوصلة فيها تالين الحبوب قبل وصولها الى القوانصة وبما أوجد فيها من قوّة الإلهام تصنع أعشاشها وترقد على بيضها وتحن على صغارها ومنافعها كثيرة فمنها ما يستعمل لجه غداء وبيضه كذلك ، ومنها ما يدفع مضارّ عظيمة كتبديد الحشرات والديدان المضرة بالزروع وتنقسم الى جملة رتب

(١) - ﴿ الطيور الدجاجية ﴾

وهي تشمل الطيور الأهلية التي تستعمل لحومها وبيضها غداء وتشمل الدجاجة المعتادة وهي أكثر الطيور الدجاجية نفعا من أجل لحمها الذي يستعمل غداء وبيضها الكثير الذي يحصل فقسه صناعة في معامل مخصوصة تسخن الى حرارة مناسبة كما يحصل ذلك اذا احتضنت الفرخة ببيضها ، والدجاجة تهتئ بصغارها بحيث اذا طرأ عليها خطر تجمعها تحت أجنحتها وتدافع عنها بقوة وأما الديك فلا يهتم بأمرها ، والفراخ الرومية والهندية تنسب للطيور الدجاجية ، وكذا القبج وذكره يسمى محجلا وهو يعرف أيضا بدجاج البر (انظر شكل ١٦)

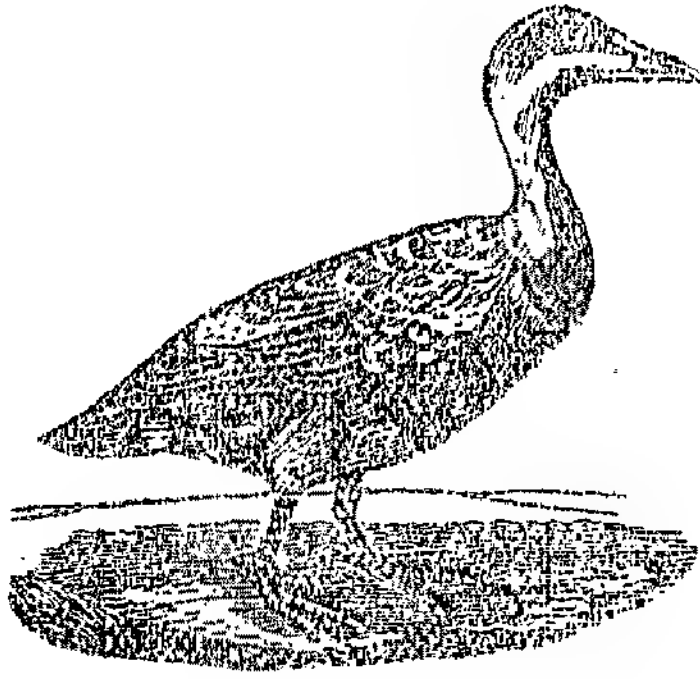


(شكل ١٦ - القبج المعروف بالحجل)

والحمام الذي يعيش أزواجا وأنثاه تبيض بيضتين تستولى حضانتها هي والذكر بالتبادل ، وكذا الحمام والساوى المعروف عند الناس بالسمان والطاووس وهو أجل الطيور ويتميز بذيبه الطويل المزين بريش لماع مرغوب فيه جدا وهو غالى الثمن

(٢) ﴿ الطيور ذات الأرجل الكفية ﴾

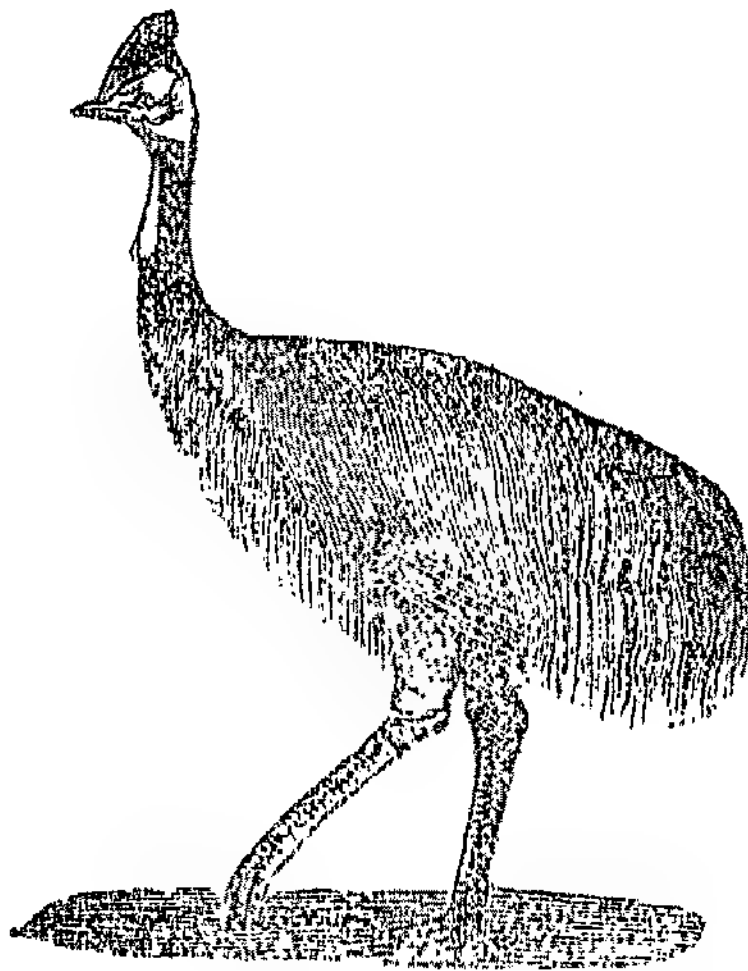
هي طيور يوجد بين أصابع أرجلها غشاء يصير أرجلها كمجاذيف وجسمها مستطيل يشبه السفينة وریشها مغطى بمادة زبقة تمنعها من البلل بالماء فلا يشغل جسمها فتعوم بسهولة وترغب وجودها في الماء ، ومنها البط ويستعمل لجه غداء وغذاؤه الحبوب والحشائش ومنه نوع يسكن الأجزاء القطبية يسمى ايدر (انظر شكل ١٧ في الصفحة التالية) يوجد أسفل بطنه ريش ناعم تحشى به الوسائد الخفيفة ، والأوز المعتاد لا يخاف البط إلا قليلا في الجسم والطباع . ومنها البجع وهو طير ظريف أبيض يقتنى زينة في الفساق



(شكل ١٧ - رسم الايدر)

(٣) ﴿ الطيور الشاطئية ﴾

هي طيور أرجلها طويلة عارية عن الريش وعنقها ومنقارها طويلان جدا وهذا يساعدها على سرعة الجرى في مياه المزارع لتتغذى بالزواحف المائية والأسماك والديدان وبعضها يتغذى بالحبوب والحشائش ومنها أبو قردان وأبو مغازل والقلق الذي يفترس الزواحف التي على شاطئ النيل بكثرة ولذا كان محترما جدا عند قدماء المصريين حتى كان عقاب من قتله الاعدام ، والنعامه وهى أكبر الطيور فيصل علوها الى مترين ونصف وتسكن صحارى أفريقيا وريشها يستعمل للزينة مرغوب فيه تضعه نساء الافرنج فوق البرانيط ، والكزوار (انظر شكل ١٨) وهو طير يسكن الهند ورأسه مزينة بقلنسوة



(شكل ١٨ - صورة الكزوار)

(٤) ﴿ الطيور المتسلقة ﴾

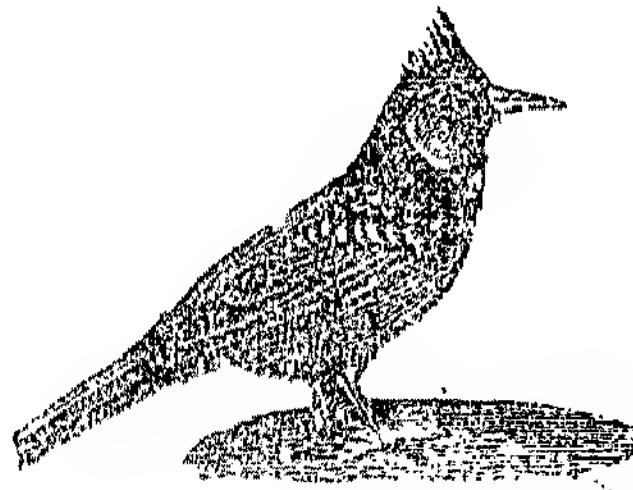
هي طيور تسلق على فروع الأشجار بسهولة لتتغذى بالثمار أو بالحشرات التي على الأشجار ولذلك خلق الله أصبعين من أصابعها متجهتين الى الأمام وآخرين الى الخلف وهى مشهورة ببهاء ريشها وغلاء ثمنه وتشمل البغاء وهى بأنواعها مشهورة بخاصية حكاية الأصوات ، وتغار الخشب (انظر شكل ١٩) ومنقاره قوى يشق به قشور الأشجار لياكل الحشرات



(شكل ١٩ - صورة نقار الخشب)

(٥) ﴿ الطيور الدورية ﴾

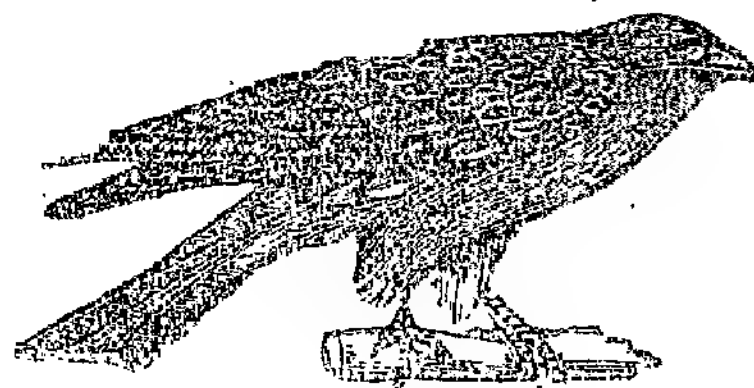
هي طيور صغيرة بعضها مشهور بجمال صوته وبعضها ببهاء ريشه وهي تنتقل من اقليم الى آخر ومعظمها يتغذى بالحشرات ، ومنها الببل المشهور بحسن صوته ، والعندليب والخطاف المشهور بعصفور الجنة وهي تبدد الحشرات الموجودة في الهواء ، والقنبر (انظر شكل ٢٠) وهو طير يتدلى في الثغريد في فصل الربيع وهو من الطيور التي تفرّد حال طيرانها ، والغراب والهدهد يتغذيان بالديدان



(شكل ٢٠ - صورة القنبر)

(٦) ﴿ الطيور الجارحة ﴾

هي طيور لا تعيش إلا بالسلب والنهب ، ولذا خلق الله جسمها معدّا لذلك فجعلها قوية منقارها كلابي وأرجلها منتهية بأظافر كلابية حادة وطيرانها شديد وحاسة بصرها قوية جدا بها تدرك فريستها من بعد وهي تقابل الحيوانات الكاسرة من الحيوانات الشديدة ، ومنها النسور ويسمى (مالك الطيور) لقوته وشجاعته فيرفع فريسته بين مخالبه ، والعقاب طائر كبير عنقه خال عن الريش ، والصقر طائر في قمة السجاجة وهو أجل الطيور الجارحة شكلا وأكثرها شجاعة وخفة ولذا كان يعلم الصيد في القرون الوسطى ، والحدأة (انظر شكل ٢١) وهي مشهورة بشراستها وخطفها لصغار الطيور الأهلية والسحك ، والبوم والمصاصة من الطيور الجارحة أيضا لكنها قليلة القوة أعينها واسعة يدخل فيها بالانهار ضوء شديد يحدث غطشتها ولذا لا تطير إلا ليلا ولا يسمع لطيرانها صوت ولذا تستولى على فريستها أثناء نومها بسهولة وهي نافعة جدا لأنها تبدد الحيوانات القراضة الصغيرة والحشرات المضرّة والزاحفات (شكل ٢١)

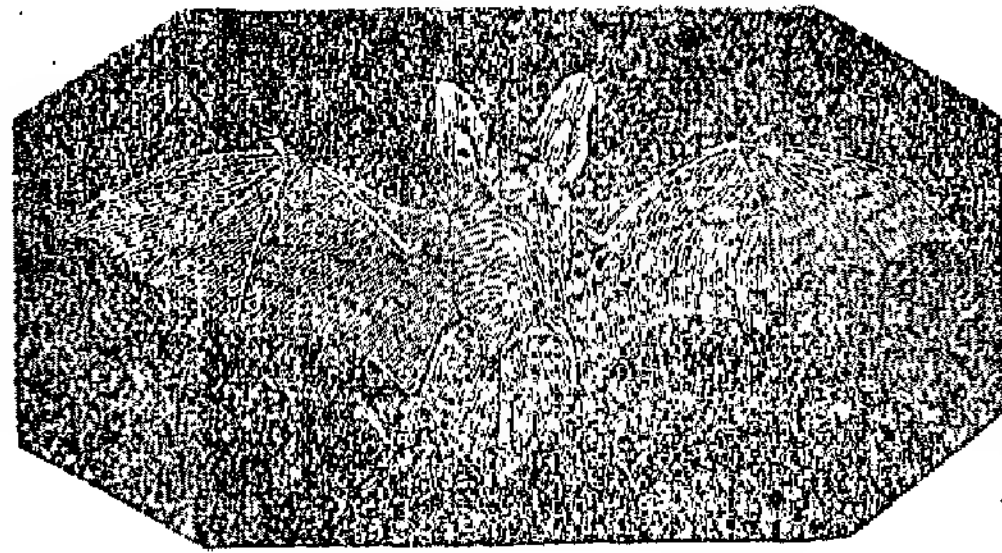


(شكل ٢١ - رسم الحدأة)

هكذا ما أردت ذكره من الطيور ليكون تذكرة للذاكرين . فاذا رأى المسلم الطير في شواطئ البحار أو فوق رؤس الجبال أو في الحدائق الغناء فانه لا يأس بها أنسا علميا إلا اذا عقل الفرق بينها وبعض خواصها كالذي ذكرناه هنا . ومتى عرف ذلك وغيره أصبح في بهجة وصارت العوالم حوله جنة أعدت له في الدنيا وله في الآخرة مزيد

(٧) ﴿ الحيوانات الثديية ذات الأيدي الجناحية ﴾

أما ما يشبه الطيور فهو « الخفاش » وهو من الحيوانات الثديية ذات الأيدي الجناحية أو الوطواط ويتميز بوجود ثنية من الجلد ممتدة بين أطرافه المقامة والخلفية على شكل أجنحة بها يطير كالطيور (انظر شكل ٢٢) وهو حيوان ليلى يهرب من الضوء بالنهار اضعف بصره وقد عوّضه الله قوة في إحساسه ويتغذى بالحشرات ولذلك هو نافع وهذه صورته

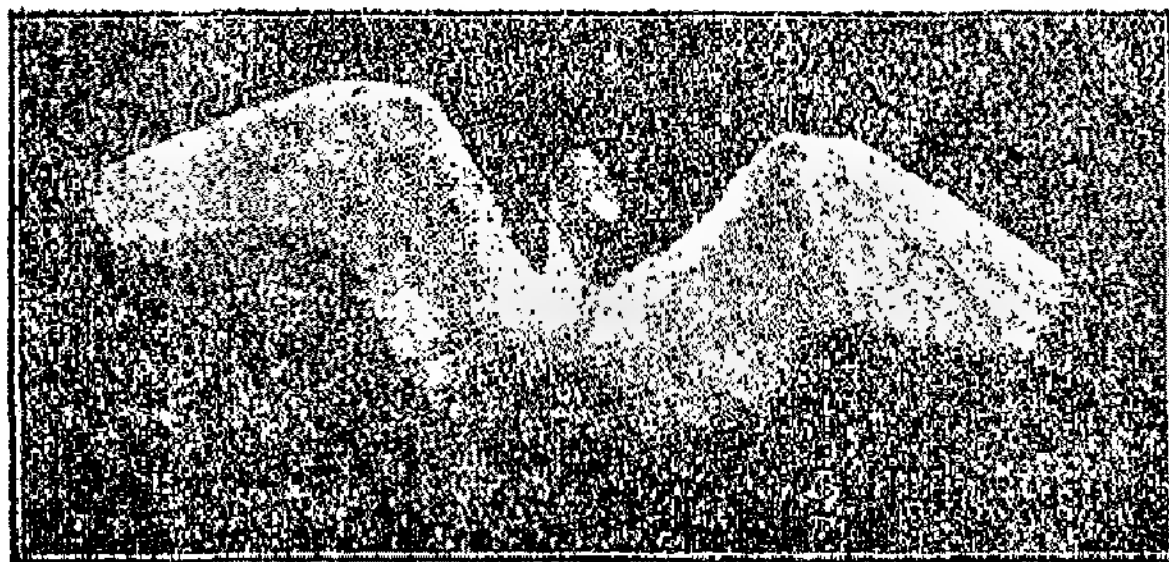


(شكل ٢٢ - صورة الخفاش . انتهى من كتاب المختصر المفيد)

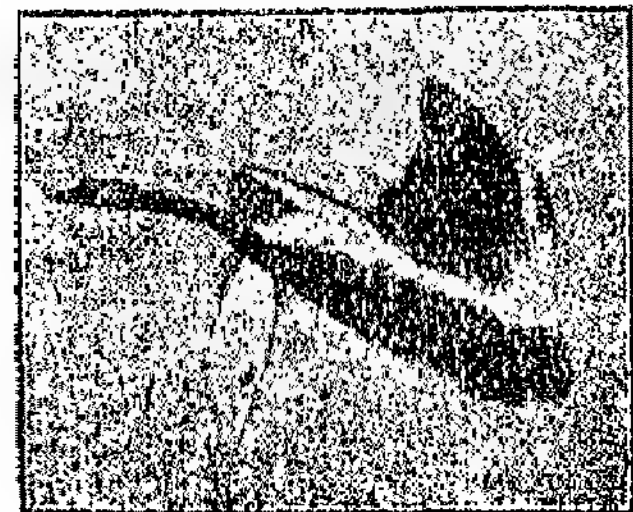
﴿ الوجه الثاني ﴾ أتفق طيران الطيور كي يفتح باب الطيران في الأمم الاسلامية ليشاركوا الأمم في الطيران وقد جاء في ﴿ مجلة الجديد ﴾ مانصه

﴿ طير الأوز العراقي الذي هو معجزة من معجزات الطبيعة ﴾

ليس عجيبا أن تعوم الأوزة فان تكوين جسمها على شكل قارب ، ولكن ماثير الدهشة عند العلماء كيف انها تستطيع أن تحلق في الجوّ بهذا التكوين العجيب بل تطير بكل سرعة وسهولة مع انه لو صنعت آلة ميكانيكية على مثالها لكان من المستحيل أن تطير بالنسبة لتكوينها المربك . ولما كان العلماء والمخترعون يقتبسون على الدوام من مدهشات الطبيعة ويصنعون على مثالها فقد توجه التفات بعض العلماء الى دراسة طريقة الأوز في الطيران لاقتباس ما يمكن أن يكون له فائدة عظيمة في تقدم الطيارات (انظر شكل ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧)



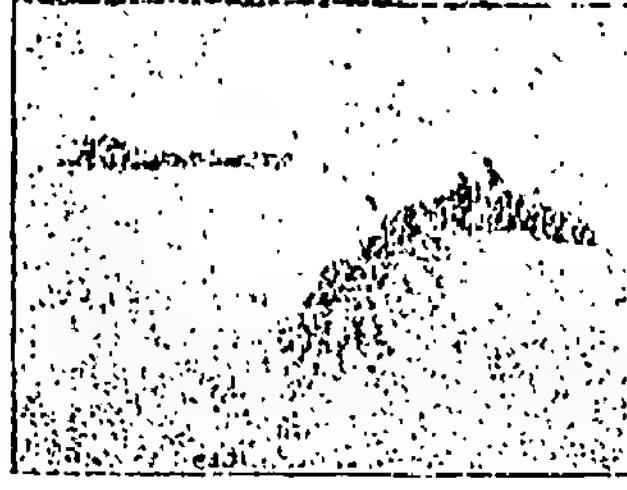
(شكل ٢٤)



(شكل ٢٣)



(شكل ٢٧)

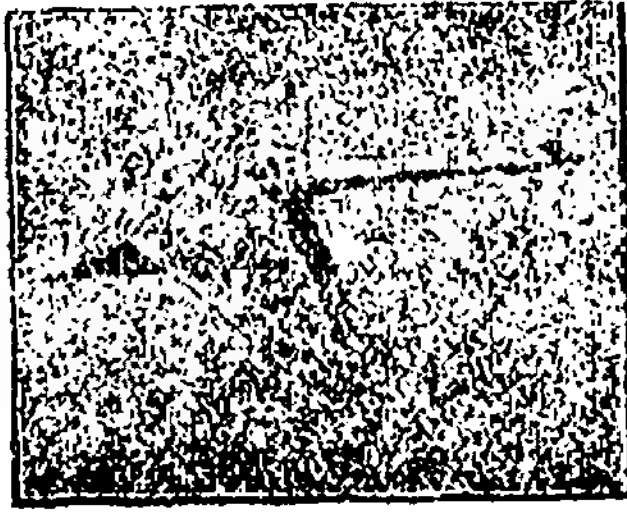


(شكل ٢٦)

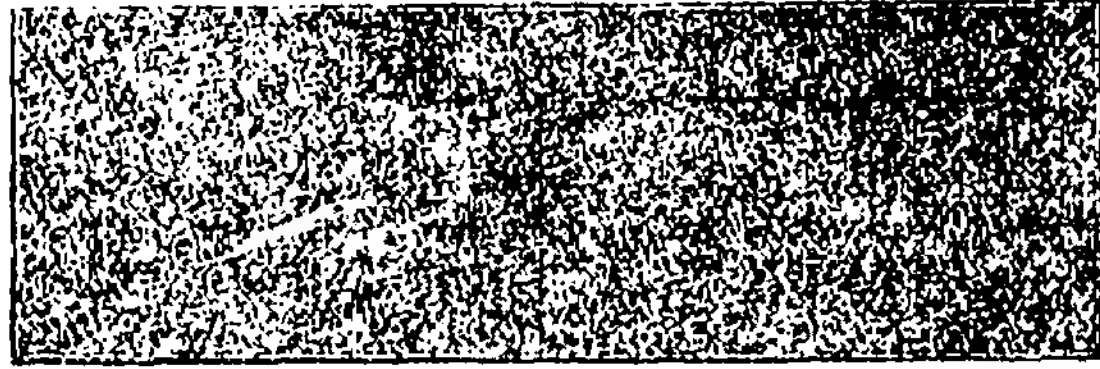


(شكل ٢٥)

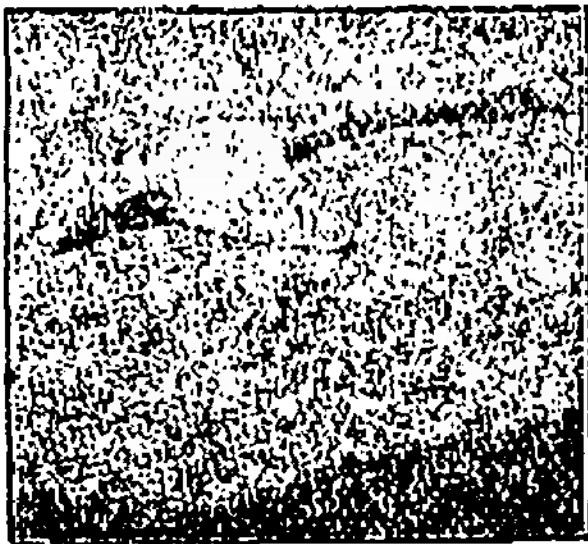
ويلاحظ عند محاولة الأوز للطيران أنها تنهض من الماء ملوثة بجناحيها في الهواء بحركة مختلطة بين السير والطيران ماذة رقبتها الطويلة الى الأمام ، ولاتلبث حتى تنتظم حركات جناحيها وتندفع بقوة الى الاتجاه الذي تريده فيكون عنقها الطويل الممتد هو الحافظ لتوازن جسمها في الجو وليس عليها إلا الاستمرار في تحريك الجناحين وضغط الهواء الى أسفل ولذلك تجعل جناحيها ينحنيان كثيرا نحو الأرض ، فهل يستطيع الانسان أن ينقل عن الطبيعة شكل هذه السفينة الهوائية المجيبة ؟ ذلك ما سيرهن المستقبل على إخفاقه أو نجاحه (انظر شكل ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١)



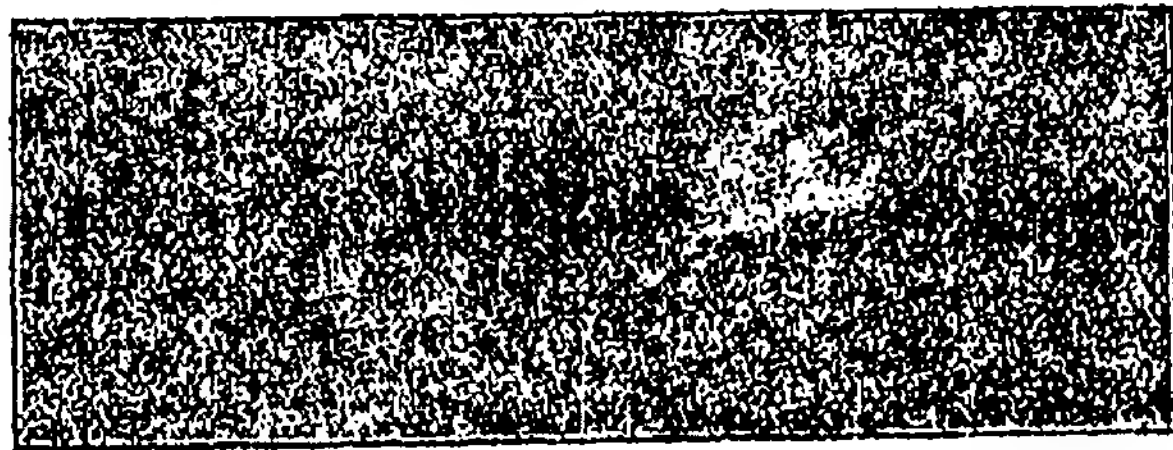
(شكل ٢٩)



(شكل ٢٨)



(شكل ٣١)



(شكل ٣٠)

ومن تفقدى للطير ما قرأته تحت هذا العنوان في نفس المجلة

(الحرف والفنون والصناعات عند الطيور)

ألقى الاستاذ (كانلان) محاضرة على عدد كبير من علماء فرنسا وأعضاء الأكاديمية عن حياة الطيور وطباعها وغرائزها ، ومن أغرب ما ذكره في محاضرته أن لسلك نوع من الطيور استعدادا خاصا للحرف والصناعات والفنون ولكنها تختلف عن الانسان بأن الطير لا يزاحم أنواع الطيور الأخرى ولا يحسن غير العمل الذي تمليه عليه غريزته . وقد ضرب الاستاذ الأمثلة على ذلك فقال (إن الغراب يشبه عمال المناجم فهو لا يجيد إلا الحفر والتنقيب ، والحمام الزاجل بما عرف عنه من الميل للأسفار الطويلة يماثل المولعين بالرحلات من

بنى الانسان والبلبل بتغير يده يؤدى بين الطيور فن الغناء والطير المسمى (روسيرول) يشبه البوهيميين فى التشرد وعدم الاستقرار فى مكان ، فتراه يوما يهاشر نوع (الكنارى) من المصافير وتجسده فى يوم آخر قريبا من خلية نحل على أن الطيور لم تحرم من مهرجين ومضحكين إذ يقول الاستاذ (كاثلان) ﴿ إن بين المصافير فصيلة زرقاء اللون دأبها الاتيان بحركات بهلوانية مضحكة ﴾ ويلحق بذلك ما قرأته أيضا وهو ﴿ هجرة الفيران من انجلترا بقيادة فأراعمى ﴾

يروى التاريخ كثيرا عن مهاجرة الفيران وانتقالها على شكل قطعان كبيرة من بلد الى آخر وتديرها ماتجده فى طريقها حتى تأتى على الأخضر واليابس ، وقد حدث أخيرا فى انجلترا على أثر نزول الأمطار الغزيرة فى منطقة (لى) أن هاجرت الفيران فى تلك المنطقة فسارت فى طريق (ايدمونتون) صفوفًا متلاصقة يقودها فأراعمى ، وكان لهذه القطعان الثائرة الجائعة منظر يلقى الرعب والجزع ، تفلاها الطريق من المارة وركاب البسكيت حتى الكلاب المعروفة بجراتها وشجاعتها لم تملك أنفسها من الخوف والتسعى عن الطريق لهذا الجيش المغير وانتهت هذه الهجرة عند غابة شاسعة صادفتها الفيران فى سيرها فتفرقت فى نواحيها ومسار بها اه

(سر من أسرار الطاء والسين)

(هذا السر قد تبين يوم السبت (١١) مايو سنة ١٩٢٩ م)

إن هذه السورة قد ذكر الله فيها أمتين من الأمم وهما أمة النمل وأمة الهدد والنمل من دواب الأرض والهدد من أنواع الطير الذى يطير بجناحيه ، أفليس هذا كالتطبيق على آية الأنعام إذ يقول الله تعالى - وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمت أمثالكم - فمن دواب الأرض النمل التى تبسم سليمان ضاحكا لما سمع قولها ، ومن الطائر ذى الجناحين الهدد الذى سأل عنه . إن الله يوقظ المسلمين بهذا فيقول لنا استيقظوا أيها النائمون . هذا نبي من أنبياء بنى آدم وهذه أمت أمثالكم وجلالة قدر هذه الأمت أهتم لها هذا النبي لابقاظكم . ألا ترون أنها أمت أمثالكم والمثلية فى هذا المقام يجب أن تسترعى أسماعكم ، فهل هذه المثلية تمر عليكم مرور النسيم على الحصباء . ألم يأن لكم أن تعرفوا أن دراستها واجبة كدراسة الأمت حولكم والأمم الاسلامية التى تعيش وتموت وهى جاهلة بنظام الحشرات كالنمل ونظام الطيور كالهدد ونظام أمت الأرض الأخرى ولولا جلالا مستعدة للسلطة الكبرى والدلة والوقوع فى براثن الاستعمار كما جهلت الدولة العباسية أمر أمة التار المجاورة لها أيام (قطب أرسلان) وكما جهل المصريون قدرة الفرنسيين أيام احتلالهم أرضهم كما قد منازلك فساكن هلاكم على يديهم - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون -

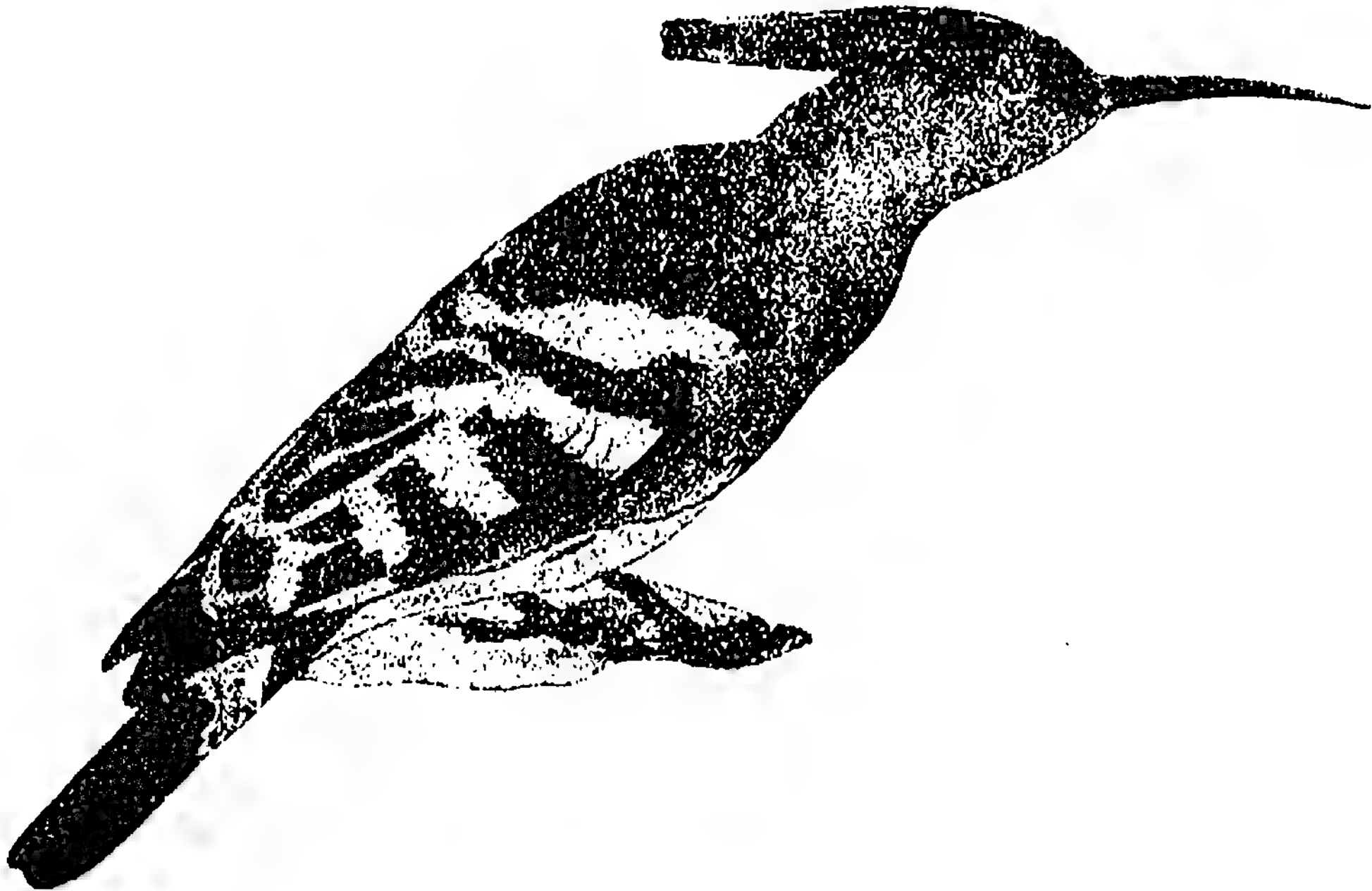
اللهم انك بحرفى الطاء والسين المشيرين للطائر وسليمان قد أيقظت فينا ذكرى جهلنا بعوالم الطير وعوالم الحشرات فقد تقدم قريبا فى ﴿رسالة عين النملة﴾ أن فى أوروبا عالما يسمى (أنثومولوجى) أى علم الحشرات فهذا العلم اليوم يدرسه القوم فى أوروبا ونحن نستمد من علومهم كما تقدم (سترى إن شاء الله صورة النمل مع صورة العنكبوت فى سورة العنكبوت للموازنة بينهما)

وأما الطيور التى تفقدها سليمان وخاطب منها الهدد فإن الأمت حولنا درستها دراسة تامة ، لماذا هذا ؟ لأن حياتنا لاتتم إلا بمعرفة خواصها وأحوالها . ألا ترى الى ما ذكرته لك فى أول سورة يوسف ، أذكر لك بما كتبه هناك وانى قد كنت مفكرا فى أمر الدودة التى كانت تفنك بالبرسيم والذرة وغيرها وانى كنت أرى (أبا قردان) فى إبان صغرى يأكل هذه الدودة - أكلها - وأخذت أجمع آراء الفلاحين وأنا مدرس بالمدارس الأميرية وكتبت مقالة فى ﴿مجلة الملاحى العباسية﴾ سنة ١٩١٢ م فأصدرت الحكومة بعد ذلك أمرا بعدم صيد (أبى قردان) ثم درس رجال الزراعة بقية الطيور فأصدروا أمرا بتحريم صيدها ، ومنها الهدد الذى

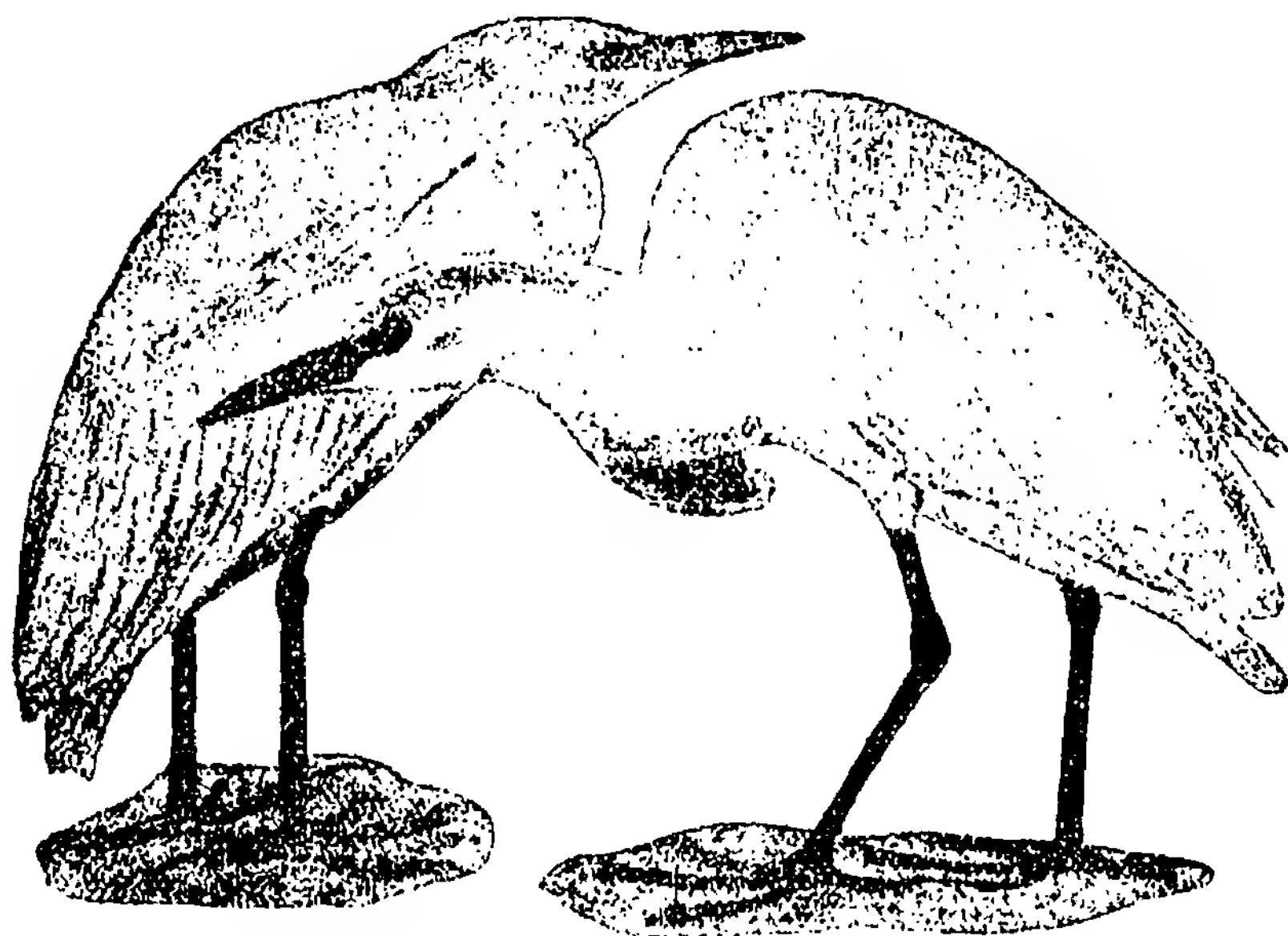
خاطبه سليمان عليه السلام

سبحانك اللهم وبحمدك ، أنت الذي جعلتنا وجعلت الطيور وجعلت الحشرات أمما مشتركة في العمل ، أنت أشركت معنا الهدهد وأبا قردان والزقزاق الشامي والزقزاق البلدي وغيرها ، جعلت هذه كلها شركاء لنا في زرعنا أي انها مساعدات لنا على زرعنا . فلولا هذا الهدهد وأبو قردان وأنواع من العصافير وغيرها مما تقدم مصورا مشروحا في أول (سورة يوسف) ما نم لنا زرع ولا دريبنا ضرع

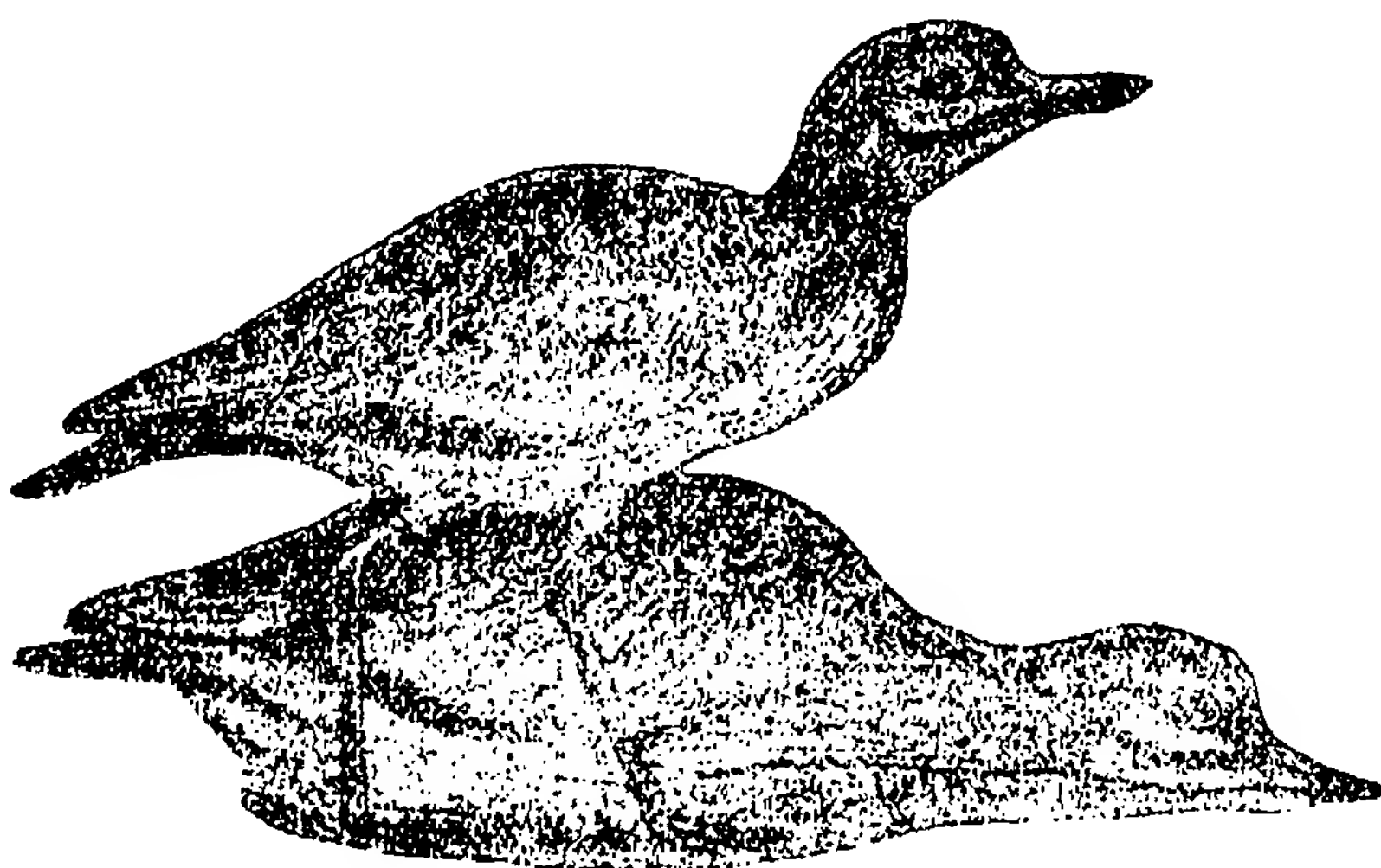
اللهم أنت المحمود على النعم . أنت معلم الجاهل ومعلم العلماء . أما العلماء فهم الأمم التي سبقتنا بالعلم وانتفعت بعلوم آبائنا وهم الأمم الغربية والأمريكية وأمة اليابان ونحوها . وأما الأمم الجاهلة فهم أكثر المسلمين الحاليين هذه الأمم التي نفرت من العلم وقنعت بالجهل وكذب عليها صغار الشيوخ فرمزت لهم بهذين الحرفين - طس - فأروا الطاء في أول الطير والسين في أول اسم سليمان عليه السلام فاستيقظوا الى علوم الطير وعلوم الحشرات ورأوا أن الهدهد وأبا قردان والسكران والزقزاق البلدي (انظر شكل ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥) التي تقدمت هي وغيرها في (سورة يوسف) هي المساعدات للناس في حفظ زرعنا ، وقد منعت حكومتنا المصرية الناس من صيدها لحفظ زرعنا . إذن خطاب سليمان للهدهد إيدان بما فيه وفي أمثاله من المنافع وانه مساعد لنا في حفظ زرعنا لأنه يأكل الدود الآكل لزرعنا ، فله علينا الحفظ والكرامة بل يحرم قتله هو ومأمعه من الطيور لأن قتلها قتل لنا وان لم يتضح بأجلى بيان فيما علمنا إلا فيما كتبناه في هذا التفسير . هنالك عرفنا يا الله حكمة انزال قصص سليمان مع الهدهد وأن له ولجميع الطيور شؤوننا لاتعرف إلا بالدراسة كما للحشرات ولجميع دواب الأرض وأن المسلمين لاحياة لهم اذا جهلوا الأمم حولهم من بني آدم ومن دواب الأرض ومن طير السماء هذا سر من أسرار الطاء والسين والحمد لله رب العالمين



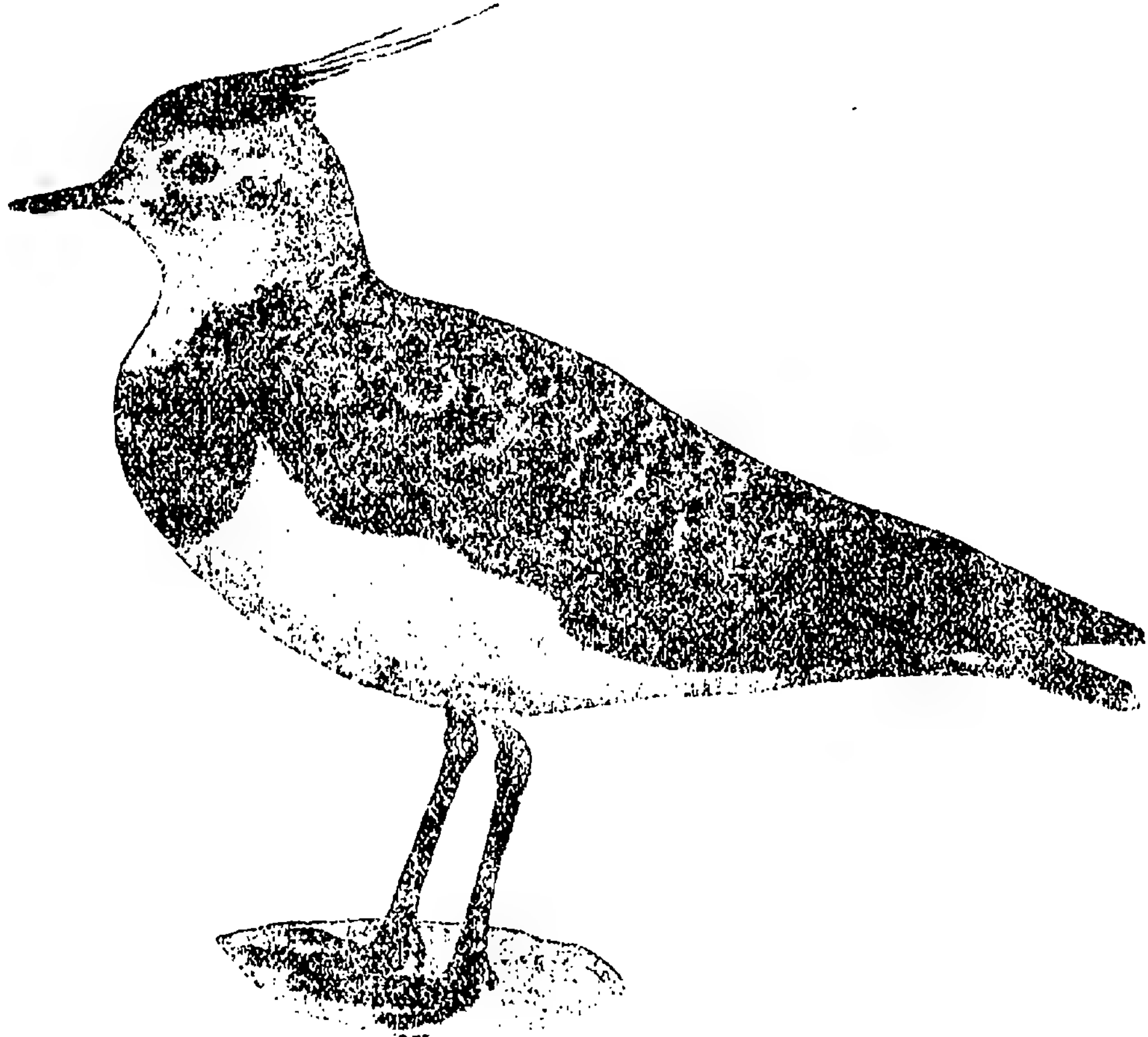
(شكل ٣٢ - صورة الهدهد)



(شكل ٣٣ - صورة أبي قردان)



(شكل ٣٤ - صورة الكروان)



(شكل ٣٥ - صورة الزقراق البلدى)

﴿ تحريم صيد هذه الطيور ﴾

أيها المسلمون هذه الطيور المذكورات هنا مع الهدهد وهي (الكروان والزقراق البلدى وأبوفردان) هذه الأربعة من طيور تبلغ فوق الثلاثين عدا تقدم ذكرها في (سورة طه) هي التي تأكل الدود ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ هي تساعدنا في زرعنا ، فهل يليق بالمسلم أن يعيش ويموت وهو لا يعلم ما ينفعه من الطيور وما يضره وتكون حياة الطيور وموتها تابعين للمصادفة العمياء والناس يعيشون بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير هذه الطيور آكلات الدود وبأكلها الدود ينمو زرعنا ونمو زرعنا نعيش وهناك نعبدا الله ونقوم بالأعمال النافعة ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب . هل يرضى المسلم أن يكون هو المختص بالجهل دون الأمم . الناس في الشرق والغرب يدرسون هذه الطيور وحكوماتهم الناهضة تحرم صيدها ، وأنا أقول إن هذه الطيور مني ثبت نفعها لزرعنا حرم صيدها حتما ، وإذا خالف في هذا مذهب من المذاهب بخلافه هنا يزول متى ثبت ضرر هلاك ذلك الطير . هذه مسألة واحدة من آلاف المسائل في هذه الحياة نام عنها المسلمون قرونا وقرونا جهلا وغفلة عن خطاب سليمان عليه السلام للهدهد اذ اعتبره أمة من الأمم ، وكفى في الجوف وفي الأرض وفي أضواء الكواكب وفي العناصر من علوم قصر فيها المسلمون ناركين قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقوله تعالى - وقل رب زدنى علما - انتهى

﴿ من أعجب أسرار الطاء والسين - طس - ما خطر لي ليلة الاثنين ١٣ مايو سنة ١٩٣٩ م ﴾

سبحانك اللهم وبحمدك ، أنت المنعم ، أنت المعلم ، اللهم أيدتنا وعلمتنا فلك الفضل ولك النعمة ولك الحمد جعلت ما بين الطاء والسين علوما وعلوما ، ومنها ما أذكره الآن وهو أن تفقد سليمان للطير وكلامه مع الهدهد

ذوى أجنحة ثم انتقل الخيال الى العمل

(١) ففي القرن السادس عشر حاول رجل ايطالى الطيران فسقط وكسر عظامه ومات

(٢) وفي القرن السابع عشر فعل مثله رجل ألماني مات

(٣) ومثله مستر (كيزفونسوس) في القرن الثامن عشر فلم ينجح

(٤) ومثله عباس بن فرناس صاحب الصحاح كما هو معلوم

ههنا دخل النوع الانساني في الجد والعمل بهذا الخيال وأخذوا يدرسون الطيور فأول من درس الطيور وحركاتها (بورلي) سنة ١٧١٣ فدرس حركات عدة أنواع من الطيور وعضلاتها الصدرية فأفنى بجهد الانسان عن الطيران ، ولمائس الناس من ذلك رجعوا الى فكرة المناطيد المبنية على نظرية الخفة والقل التي ذكرناها وقنعوا بما نقله (جان بيار بلانشاد) الفرنسي في أواخر القرن الثامن عشر الذي قطع بحر المانش من (دوفر) الى (كاله) في المنطاد سنة ١٧٨٥ م ولكن الانسان لم يئس من فكرة المشاكة للطيور فقام (ليليا تال) بمحاولة قوة الطيور ثانيا فظهر له أن هناك سرا آخر غير قوة العضلات في الطائر وهو أن يحوم الطائر في الجو فاذا قدر الانسان أن يصعد الى الجو بقوة رافعة وأخذ يحوم فان ذلك يفتح له باب الطيران ، وذلك بعد أن درس الطيور عشرين سنة ولكنه مع صحة نظريته قد مات ضحية التجارب سنة ١٨٩٦

ومن المعلوم أن الانسان كله أشبه بجسم واحد ، فاذا حصل ؟ تنبه لهذا العمل الشابان الأمريكيان (ويلبور وأورفيل رايت) وأخذوا يصنعان الطائرة المنبسطة الأجنحة المسيرة بالقوة ويحسنانها حتى سنة ١٩٠٥ فطار أحدهما في الهواء مسافة (٢٤) ميلا في مدة ثمان وثلاثين دقيقة ، فهذا أول النجاح في الطيران وقد اشترت حكومة الولايات المتحدة (طيارة رايت) بمبلغ ٢٥ ألف دولار للمخترعين معا . هنالك ظهر فن الطيران وشاع في سائر أنحاء العالم فظهر أن طيران الطير في الجو له نظام خاص ، فن الطير ما يجري أولا على الأرض ثم يطير قليلا قليلا ويصعد وذلك لأنه برفع جناحيه يخلو المكان من الهواء فيحبل محله هواء آخر مما يحيط به ، فهذا الهواء بهجومه على جناحي الطائر يرفعهما الى أعلى فاذا أعاد الكرة مرة أخرى ورفع الجناحين زادت قوة الرفع بالهواء المهاجم على الجناحين . إذن سر الطيران راجع لأمر عجيب أي حسن السياسة والنظام خفض الجناح ورفع أشبه بالمراوح التي يحرك بها الهواء والهواء بعد الرفع بهجم فيعطى قوة وهذه القوة تضرب طيرين بحجر ، أولا ترفع الطائر بضغطها على الأجنحة الى أعلى ، وثانيا تدفعه الى الأمام لأن الهواء المهاجم انما يأتي من الخلف لأن الطائر حينما يخفض جناحيه يرجع الهواء الى خلف فاذا رفع الجناح هجم الهواء الخلفي على الجناح بمقدار دفعه ، فهو إذن يرفعه الى أعلى ويدفعه الى الأمام معا . إذن يأس الناس من الطيران أولا ناشئ من اعتقادهم أن قوة العضلات هي السبب ونجاحهم ثانيا بسبب ما عرفوه في سنة ١٩٠٠ ان هناك سرا غير القوة الجسمية كالسر الذي عرفوه في البخار وحسن استعماله ، فههنا الارتفاع في الجو والسرعة الى الأمام جاء بها بالحكمة في استعمال الهواء وحسن النظام الذي وضعه الله في الطير . فلما عرفه الانسان فعل مثل ذلك ولذلك نجد الطائرة يجب أن تجرى على الأرض أولا ثم تأخذ في الارتفاع قليلا قليلا بما تفعله محركاتها من الأمام كما تفعله أجنحة الطيور

﴿ الاحتفال بهذين المخترعين في هذه الأيام ﴾

جاء في الأخبار العامة هذه السنة ما يأتي

في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ احتفلوا بمضى (٢٥) سنة على تجربة الأخوين (ولبر) و (أورفيل رايت) في فن الطيران . ولد (ولبر) المذكور في ١٦ ابريل سنة ١٨٦٧ في بلدة (ملفيل) بولاية (انديانا) من أعمال الولايات المتحدة الأمريكية . وولد أخوه (أورفيل) سنة ١٨٧١ ولما تاهما علوهما الثانوية فتحبا دكانا لاصلاح

السراجات (المجالات) ثم اعتنينا بأمر الطيران . وفي ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ طار أحدهما بطيارة من صنعهما مسافة ٢٢٠ ذراعاً فلبث في الجو ١٧ ثانية فكان بذلك أول إنسان طار بطيارة أثقل من الهواء . وفي ٥ أكتوبر سنة ١٩٠٥ طار (أورفيل) بالقرب من بلدة ديتوت مسافة ٢٤ ميلاً بسرعة ٣٨ ميلاً في الساعة ولكن الأغنياء لم يتقدموا لمساعدتهما بالمال فذهب (ولبر) سنة ١٩٠٨ م إلى فرنسا . وفي ٢١ سبتمبر فاز بجائزة (ميشان) بعد ما طار مسافة (٥٦) ميلاً فذاع صيته حالاً . وفي سنة ١٩٠٩ طار فوق (نيويورك) مسافة ٢١ ميلاً في ٣٣ دقيقة و ٣٣ ثانية . وفي سنة ١٩٠٩ منحهما الكونغرس (مجلس الأمة الأمريكية) وساماً ضرب لهما خاصة ثم اشترت الحكومة طيارتهما بستة آلاف جنيهه

وقد توفي (ولبر) سنة ١٩١٢ ولا يزال أخوه (أورفيل) حياً وهو رئيس المهندسين في شركة طيران كبيرة إذن الطيران بالطيارات التي هي أثقل من الهواء ابتداءً من سنة ١٩٠٣ في شهر ديسمبر واشتجاره في (٢٥) ديسمبر سنة ١٩٢٨ والطيارة الأولى بقيت ١٧ ثانية في الجو والطيارة الآن أي بعد (٢٥) سنة تبقى محبقة في الجو ٦ ساعة ، وسرعة الطيران الأولى لا تزيد عن (٣٨) ميلاً في الساعة والآن تبلغ (٣١٩) ميلاً في الساعة وذلك في الطائرة المائية التي ركبها السكابتن (دارسي كريج) الانكليزي في نوفمبر سنة ١٩٢٨ إذن الناس من سنة ١٩٠٣ ابتدؤا عصر جديد ، وينتظر الناس أن يكون الطيران شائعاً سنة ١٩٣٦ ثم إن البلون (غراف زبلين) بلغ طوله ٧٦٢ قدماً والبلون الانكليزي المنتظر أن يبلغ طوله ٧٣٠ قدماً ويمكنه أن يجتاز (٩٠٠) ميل من غير أن ينزل إلى الأرض وهو يحمل مائة مسافر . والبلون الأمريكي الذي يبنى الآن طوله ٧٨٠ قدماً ويسير في سرعة ٨٥ ميلاً في الساعة ، فالبلونات متقدمة لأنها تستطيع ان تحمل مائة مسافر ، أما الطيارات فلم تصل إليها ، نعم الآن يشتغل مهندس ألماني بعمل طائرة من هذا القبيل ، ويظن الناس اليوم أن زيادة السرعة في الطيران ربما تصل إلى خمسمائة ميل في الساعة بعد أن تدرس طبقات الجو العالية دراسة تامة

اللهم إنا نحمدك على العلم والحكمة التي بها فهمنا قولك في (سورة الملك) - أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير - فهذه الحكمة وهي ردّ الفهل في الهواء وضغطه على الجناحين بعد خفضهما هي الداخلة في قوله تعالى - إنه بكل شيء بصير - فهو الذي أبدع هذا الشكل من الحكمة وأودعه الطير وقلده الإنسان . كل ذلك لمناسبة الهدى الذي جرى من سليمان إلى بلقيس في بلاد اليمن والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة في قوله تعالى بعد آية الهدى - الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم - ﴾

من اللطائف البديعة إنني كنت راكباً في قطار السكة الحديدية المتوجه إلى المريج لعمل في الحقل فقابلني رجل من المريج فقال ألا تذكرني . أنا الذي كنت أطلع التفسير مع فلان في بلدة المريج فتذكرته فقال أريد أن أسألك ؟ لم يقول الله - الله لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم - تارة ويقول تارة أخرى - ربّ العرش الكريم - فقلت له إن الملك قد يكون عظيم العرش عظيم الملك دولته مشرفة على أمم كثيرة ولكنه غير كريم ، أما الله فانا نشاهد أن ملكه واسع وعرشه عظيم ، ومن طبع الملك العظيم في أهل الأرض أنه يذهل الملك عن تفقد الأمور الصغيرة فليس في قدرة ملك من ملوك الأرض أن يبادر إلى إجابة كل مريض وكل فقير وكل يتيم وكل عجز وكل أرملة ، بل بكل ذلك إلى نوابه في الأقاليم ، فلوك الأرض كلما اتسع ملكهم كثرت حاجات الناس إليهم ، وعلى مقدار ذلك يكون ضعفهم عن القيام بها فهذا مستحيل عقلاً وعادة ، فأما الله فانه مع سعة ملكه وعظمته فانه تجلّى لكل امرئ في نفسه فشكا إليه أمره وأغاثه وأعانه وليس ذلك في ظاهره

خسب بل يتجلى له في داخله وقرارة نفسه ويحدثه ويسأله فيجيبه مرة ويؤجل الاجابة مرة أخرى ثم هو يلزمه في الحياة وبعد الموت ولا يفارقه ، ونراه يكون مع الطير ومع الحشرات ومع دواب النوات ولا يذير دودة في حجر ولا طيرا على شجر ولا ذئبا في فلاة ولا مخلوقا دق أو جل إلا وهو معه ينجيه في سرائه وضرائه . فهذا هو الكرم الحقيقي وهذا معنى قوله تعالى في سورة المؤمنين - فتعالى الله الملك الحق - لأن الملك الحق هو الذي يتصف بهذا . إن الملك الحق هو الذي يتفقد رعاياه في سرهم وعلايتهم وهذا بعض السر في قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم - فهذا هو الكرم الحقيقي وهذا هو الملك الحقيقي . أما ماورك الأرض فليس كما بل ماوركهم مجازيون ، ومن آيات رعايته ودلائلها المشاهدة أن كوكب الشمس نراه النحلة والنملة والملك والصعلوك وساكن الأرض والمريخ وبقية السيارات وغيرها كأنها له وحده وكأنها لا تقابل غيره وكذلك القمر . فاذا كانت الشمس التي لا تعقل هذا عملها فكيف بالخالق الحكيم ؟ فهو مع الجميع سرا وجهرا . واذا كان ابن سينا والغزالي يقولان ﴿ إن ذا العقل الكبير يكلم رجلا ويكتب بيده ويسمع بأذنه رجلا آخر ولا يلهيه واحد من هذه الشؤون عن الآخر ﴾

فهذا فتح باب أن نعرف أن العقول الكبيرة كالملائكة تسع خلائق كثيرة في آن واحد ، فالله إذن أوسع وأعلم وهو الحكيم العليم . فاذا سمعت الله يقول في سورة المؤمنين - أخسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون - فهو من هذا الباب لأنه كريم ومن أجل كرمه أنه لما خلقنا لم يرد بذلك مجرد وضعنا في الأرض مدة ثم يهلكنا ، نعم لاسرج على الخالق ولكنه لا يفعل ذلك ويقول لنا اطمئنوا يا عبادي أنا خلقتكم ورزقتكم وابتليتكم بالشر والخير وعلمت سرهم وجهركم وحافظت عليكم وأجبت دعاءكم وأنعمت عليكم بنعم لا تحصى منها ، ولكن أهم من هذا كله انكم لا تنفون فأنتم تعيشون أبدا سرمداء ، واذا كنتم أنتم تأنفون أن توصفوا بالعبث فهل أرضى بالعبث في صهي ؟ ومن أين انصفتم بصفة الأنفة من العبث إلا بالفيض من آثار قدرتي وعلمي ، فإذن أنا أبقىكم في دار أخرى ولذلك أتى بها بصيغة الاستفهام الانكارى فقال - أخسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون - ثم وصف نفسه بالعلو والعظمة ووصف عرشه بالكرم وليس من الكرم أن يخلق أرواحنا ثم يهلكها بلامزية ولا منقمة كأنها موج البحار أو هبات النسمات أو خطرات الأوهام ، إذن نحن نرجع لله بعد حين

فاما سمع ذلك الرجل قال هذا كاف واف فقلت الحمد لله رب العالمين . ولما كان ذلك السؤال قبيل طبع هذه السورة ألقته بها ، وأنا أجد الله على التوفيق . تم الكلام على اللطيفة الأولى ﴿ اللطيفة الثانية في قول بلقيس - ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون - ﴾

هذه الآية تدل على ما كان عند العرب من أمر الشورى وانها قديمة العهد ، ومن عجب أن الأمة العربية بعد الاسلام في هذه الأجيال القريبة نسيت مجد آبائها الأقدمين ونسيت مجد الاسلام ، يقول الله - وأمرهم شورى بينهم - وينقل الكتاب عن أسلافنا أن مجالسهم كانت شورى . فيا عجب . لا أخلاق الآباء اتبعنا ولا الدين نهجنا . إن أمة العرب اليوم قد انحلت عراها واختل أمرها ، وأذكر لك حادثة واحدة . ذلك أنه منذ خمسة أعوام وأنا أكتب في تفسير هذه السورة كانت تدور الحرب بين أمير نجد الذي احتل مكة وبين علي بن الحسين الذي هو ملك جدة . فالأول يريد اخراج علي منها والثاني يدافع عنها . وقد حضر وفد ينوب عن مسلمي الهند يحمل تفويضا منهم ليفاوض المتحاربين فنفع الملك على الوفد من السفر إلى مقابلة ابن السعود أمير الوهابيين . ولما طلبوا منه أن تكون مكة وبلاد الحجاز محكومة بالقوانين الشورية وبالنظام الدستوري وأن يحكم البلاد مجلس شورى يديره رئيس ويكون أعضاء المجلس بالانتخاب أتي على الوفد ذلك وقال ان البلاد لا يوافقها ذلك . فتعجب من أم الاسلام اليوم كيف أصبح بعضها لا يلقى على دين ولا على مجد سابق بل أكثرهم

مستبدون ظالمون . ومن آيات الله أن يجعل الاشرار بعد الظالم وقد بزغ فجر الحرية في الاسلام وستشرق شمسها على الأقطار كلها ، وإذا كان المسلمون اليوم في أدنى درجات الانحطاط بالنسبة لغيرهم فما ذلك إلا علامة على سرعة تبدل الحال - تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق الموت والحياة - والضد يتبع ضده فكما يتبع النهار الليل هكذا سيتبع العدل الظلم والرفعة الضعة ومن يعيش يره والله مقلب الليل والنهار انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى . - فما آتاني الله خير مما آتاكم - ﴾

هذه الآية والآيات السابقة كقوله تعالى - فتبسم ضاحكا من قولها وقل رب أوزعني الخ - دلالة على أن نعمة العلم هي كل شيء وهي كل نعمة ، ألا ترى إلى سليمان وقد دعا الله فيما تقدم لما سمع كلام النملة وفرح بالنعمة كيف أخذ بعد ذلك يتفقد الطير ويكلم المدهد وينظر في شأن الملك واسلام الأمم المجاورة له ، انظر كيف ذكر قصة بلقيس وهداها واضرار عرشها بعد أن نال نعمة العلم بعجائب الحيوان كالنمل ، فهو أولا منح نعمة العلم ثم منح نعمة هداية الناس فلاملك إلا بعد العلم ولا هداية للناس إلا بعد العلم ، وانظر كيف يقول بعد حديث النملة - رب أوزعني أن أشكر نعمتك - ويقول بعد أن رأى عرش بلقيس - هذا من فضل ربي ليبارني أشكر أم أكفر - فكأن الانسان في جميع أحواله مختبر ، فبالعلم مختبر وبالنعم مختبر وبالكرامة الإلهية مختبر والأنبياء بالمعجزات مختبرون وهذا كله من قواه تعالى - ونبيوكم بالشر والخير فتنة - فلا فرق بين نبي ولا مؤمن والله الأمر من قبل ومن بعد -

﴿ جوهرة في قوله تعالى - إن الملوك إذا دخلوا قرية - الخ مع قوله تعالى - فتلك بيوتهم

خاوية بما ظلموا - ﴾

حضر إلى صاحبي العالم الذي اعتاد أن يتحدث ممي في أهم ما في هذا التفسير فقال إن هذه السورة اشتملت على آيتين مرتبتين ترتيبا ذكريا عجيبا . فأولاهما تدل على أن الملوك إذا دخلوا فاتحين بلادا أفسدوها وأذلوا الأعزة فيها وهي قوله تعالى - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - والآية الثانية قوله تعالى - فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا - يظهر لي أن ورود هاتين الآيتين من حيث الترتيب مقصود وكأنه يقول سبحانه « إن هؤلاء الظالمين لابد أن تخرب بيوتهم وتصبح خاوية على عروشها » وما أحسن الافاضة في هذا الموضوع حتى تجعل الحقيقة ناصعة فإن هذا الزمان زمان ظهور الحقائق الواضحة . أما الاجال فلا يكفي أولى الأبواب . فقلت إن هذا المقام يعوزه البحث في أصل نشأة هذا العالم ونظام ذراته والمسير في الموضوع من الذرات إلى الأجسام إلى الأمم بحيث تسكون العلوم مستخدمة فيه وهذه سنة في الأسلوب خطرت لي هذه الليلة (مساء الأربعاء ٢ يناير سنة ١٩٣٩ م) فقال وما هذا الأسلوب الذي خطر لك . فقلت إن هذا الانسان لم يكن على هذا الخط إلا لما في تركيبه من القبول لهذه التنوعات السياسية . فإذن لتجاذب أطراف الحديث في أصل نشأته ونشأة العوالم التي ركب منها . فقال قل سوجزا . فقلت إن الانسان والحيوان مركبان من مادة نارية مضطربة . فقال أريد أن أفهم ما تقول . فقلت قد قدمت في سورة البقرة « يم » يتركب النبات » ولا جرم أن النبات غذاء الحيوان والنبات والحيوان غذاء الانسان . فتي عرفت العناصر التي تتركب منها النبات في (سورة البقرة) أدركت الاضطراب في السياسة وفي النظام الاجتماعي

﴿ مزاج هذه الدنيا محرق ﴾

(١) العناصر محرقة مثل البوتاسا والبوتاسيوم

(٢) المعادن فيها قوة تحكم العناصر

(٣) النبات له نفس تضبطها وهو مختلف باختلافها

(٤) الحيوان كثير الاختلاف والنفس حركات تلك الأسوال الى عواطف

(٥) الانسان بعقله حركتها الى عواطف أعلى

(٦) وهكذا آراء فلاسفت كالفارابي وأفلاطون في مدنيته

(٧) ثم ما حال الأمم المتفاوتة والمثالة

(٨) هو في ذلك لم يرتق عن الحيوان

قال ضاحي ، يا عجبا ، أي مناسبة بين علم السياسة وعلم الكيمياء . إن العناصر المذكورة في سورة البقرة عند آية الطير و ابراهيم تعرف بعلم الكيمياء ولا مناسبة بين هذا العلم وعلم السياسة ونظام الدول . فقلت خير لنا أن لانطيل وأن نهجم على الموضوع حتى تظهر لك جليسة . قال إذن لتبينها هنا بطريق يخالف طريق ماني (سورة البقرة) بعبارة أوضح لتكون هنا فائدة غير ما هنالك . فقلت نعم ، العناصر التي يتركب منها النبات هي النيتروجين (الازوت) الذي تتركب منه العضلات في الحيوان . والكربون الذي يتركب منه الدهن في الحيوان أيضا والادروجين الذي يدخل في الماء مع الاكسوجين . فهذه الأربع معروفة في النبات والحيوان . ويضاف اليها (١) البوتاسا (٢) الصودا (٣) الجير (٤) المغنيسيا (٥) حمض الفوسفوريك (٦) حمض الكبريتيك (٧) سليكا (٨) كلور (٩) أوكسيد الحديد ، هذا ما ذكرته هناك (١) البوتاسا من البوتاسيوم وهو معدن أبيض فضي اللون اذا قطع غير أن سطحه يسود سريرا واذا ألقى في الماء يشتعل بنور بنفسجي وهناك تتكون البوتاسا

(٢) الصودا من الصوديوم وهو معدن فضي اللون لين اذا ألقى في الماء الحار وأحى قليلا يشعل بنور لامع أصفر فاقع ، وكل أملاح الصوديوم اذا أشعلت تكسب اللهب لونا أصفر (٣) الجير هو أوكسيد الكالسيوم والكالسيوم المذكور هو فلز ذو لمعان أصفر يتغير بسرعة في الهواء الرطب إذ يتكون طبقة سنجابية من الكالسيوم على سطحه ، واذا سخن على صفيحة من البلاتين التهب فيحترق بلهب شديد اللعان وهو يحلل الماء على السرجة المعتادة . ثم ان أوكسيد الكالسيوم المذكور وهو الجير المعروف يحصله الناس بحرق كربونات الجير في فرن يسمى في مصر (قينة) ويسمى الجير الحى ومتى حصلنا الجير الحى المذكور بالحرق وندناه بالماء فإنه يسخن الماء ويصير له بخار ثم يتشقق ويزداد حجما واذا كان ذلك الماء كافيا استحال قطع الجير الحى الى مسحوق أبيض يسمونه (الجير المطفا)

(٤) وأما حمض الفوسفوريك فهو مركب من الفوسفور مع غيره ، والفوسفور (قسمان) أصفر وأحمر أما الأصفر فهو سريع الاشتعال ولذلك يجب حفظه في الماء لئلا يشتعل من حرارة الهواء الاعتيادية وأما الأحمر فلا يشعل بسهولة ولذلك يمكن حفظه في الهواء مثل سائر المواد وهو لا يوجد إلا مركبا مع الكالس والصخور وهو يكون مع التراب والتراب يدخل النبات والنبات يدخل الحيوان فالفوسفور جزء من عظامها فهو يتكون مع الاكسوجين ويكون فيها حمض الفوسفوريك وعظام الرجل الواحد يستخلص منه خمس رطل فوسفور خالص (٥) المغنيسيا هو مركب المغنسيوم مع الاكسوجين فالمغنسيوم معدن فضي اللون لين قابل لأن يسحب شريطا ونخيوطا ولا يكون صرفا في الطبيعة بل مركبا مع أجزاء أخرى مثل المادة الفحمية (الكربون) ومع المادة الرملية (السليكا) والمغنسيوم اذا أشعلناه يعطى نورا لامعا أبيض صافيا . وبخار المغنسيوم أسود وهو يصعد منه بدون احتراق

(٦) حمض الكبريتيك هو مركب من الكبريت مع غيره . والكبريت موجود في الطبيعة صرفا في جوار البراكين وقد يكون مركبا وهو جامد أصفر اللون قصم ذرأثة خاصة سريع الاشتعال وعند الاشتعال يكون غازا قوى الرائحة معطسا خانقا ساما وله ألقة شديدة للعادن . والكبريت يتكون مع الاكسوجين

فيكون حامض الكبريتيك الذي يقال له في التجارة (روح الزاج) الذي يستعمل في الصابون (٧) والسليكا هي مادة مركبة من السليكون مع الأكسوجين والسليكون مادة باورية سوداء ويستحضر بإزالة الأكسوجين من السليكا ، والحجر المسمى بالكوارتز أودب الملاح المتباورانما هو سليكا صرف والرمل والصخور الرملية كلها سليكا صرف أو مزوج ببعض المواد الأخرى وهكذا بعض الأحجار الكريمة مثل الجشت واليصب واليشم وهو الحجر اليماني والعقيق والياقوت وتجر النعوان والخلخيدوني سليكا ، وأنواع الرمل الملوثة سليكا ملوثة بأوكسيد الحديد أو مواد أخرى وهو موجود في قشر جميع أنواع القصب والخيزران وسوق الحبوب والحشائش وذلك سبب إنباء حروف السكاكين بها ، والسليكا موجود في أكثر مياه الطبيعة في حال الذوبان وبكثرة في مياه الينابيع الحارة في (سيلانده) والزجاج والخزف الصيني والفخار والآجر سليكات ، والزجاج يصنع بإجماع مزيج من الرمل الأبيض (السليكا) والكلس أو الصودا أو البوتاسا مع أوكسيد الرصاص (٨) أما الكاور وهو (الكاورين) فهو لا يكون حرا في الطبيعة ويكون فيها مركبا من الصوديوم وهو ملاح الطعام ، والكاور الذي هو الجزء المنعم للملاح غاز مغطس لونه مصفر مخضر رائحته مغلظة خائفة يحدث سعالا شديدا وهو سام

(٩) أما أوكسيد الحديد فهو الأكسوجين متحدا بالحديد والحديد قليل جدا في النبات وهو معروف فلا تطيل به

فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا من علم الكيمياء وقد أطلت فيه واني أخاف أن قراء هذا التفسير تنبو طباعهم مع علمي بأنك تحاشيت في هذا المقام أن تأتي بما يصب من ارضاف هذه العناصر ونحن الآن في تفسير آيتين من كتاب الله تعالى آية - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ وآية - فتلك بيوتهم خاوية بما ظهروا - . إن هذا المقام يحتاج إلى الحصر وجمع المقام بحيث تكون هذه الكيمياء منسجمة مع ما سيأتي بعدها ويكون الموضوع هيئة واحدة لا انفصام لها حتى تأخذ بجميع القارب لأن هذا المقام حقيقة غريب وإذا انتظم شمله والتأمت أطرافه واستوفيت تفاصيله سرى في العقول الانسانية سريانها لا الاسلامية وحدها وحصلت به فكرة نافعة لهذا العالم الانساني . فقلت له إن الأمر في هذا المقام سهل فننا نقول إن جميع النباتات مركبات من هذه التسعة ومثلها الحيوان والانسان لأن هذين على مقتضى النبات ، فإذا رأيت الذرة والقمح والشعير والقطن والبرسيم وأمثالها فاعلم علما لبس بالطن أن أزهارها وأوراقها وأغصانها وعروقها الضاربة في الأرض كلها مركبات من هذه العناصر

(١) فاستحضر أمامك قطعة من البوتاسا إن هذه البوتاسا منها ما يسمى بالبوتاسا السكاوية ومحاو لها يستعمل في تحضير الصابون اللين أي (الصابون البوتاسي) وانظر كيف يشتعل إذا ألقى في النار ، فهذا جسم ناري لا غير

(٢) وأحضر أيضا قطعة من الملح فان فيها الكاور وهي المادة المغطسة وفيها الصوديوم وهي المادة المحرقة

(٣) وقطعة من الجير الحى

(٤) والعيسدان الفسفورية التي يوقد بها الناس إذ تلهب بالحك ، قد جعل الفوسفور متحدا مع مادة

أخرى في أعلى العود وبه يكون الانتهاب

(٥) وقطعة من الكبريت الذي تقدم لك وصفه

(٦) وقطعة صخر رملية

إذا جهت هذه أمامك فقل إن أممي كل نبات وكل حيوان ، ما هي النباتات على الأرض ؟ هي مواد محرقة مواد كلها مهلكة . انهم إنك أنت الحكيم وأنت العليم وأنت الجليل . يا الله رأينا جلالك في الدنيا قبل الموت

رأينا في هذه المادة حكمتهك وبدائتك وجمالك . لماذا هذا ؟ لأنك حسنت قطننا وذرتنا وقمحنا من مواد محرقة ، ولماذا كانت محرقة مهلكة ؟ لأنها خالقة وسائر العناصر التي تبلغ نحو (٨٠) من ذرات ذوتية وهي الانقطة تسمى (الكثرونات) تكون في المركز ثابتة وهي كهرباء موجبة وأخرى تدور حولها وهي تسمى بروتونات وهي كهرباء سالبة وتدور السالبة حول الموجبة ستة آلاف مليون مرة في الثانية الواحدة وباختلاف عدد الكثرونات والبروتونات تكون هذه صوديوم وهذه كبريتا وهذه فوسفورا وهكذا

اتضح الأمر وظهور وعرفنا أن هذه القطع التي أمامنا الآن وفيها ملح الطعام المشتمل على جسيمين مهلكين وفيها البوتاسا الخ كلها عبارة عن كهرباء اختلفت أجزاؤها فاختلفت أوصافها فكانت النتيجة انها جميعها مواد محرقة ؟ لا ، لأننا نرى مركبات من كهرباء أو من نور الحركة السريعة والحركة توجب الحرارة والحرارة تكون كهرباء وتكون نورا وهكذا

إن من الأجسام الداخلة في النباتات الكبريت والكبريت يتركب البارود منه ومن ملح البارود ومن الفحم ، فن ملح البارود ٧٨ في المائة ومن الكبريت عشرة ومن الفحم ١٢ إذن البارود دخل في تركيبه الكبريت ، ذلك الكبريت الذي دخل في النبات كما سيأتي وصفه . ومقادير أجزاء البارود عند الدول الآتية ما يأتي بيانه

فرنسا	ألمانيا	انجلترا
ملح البارود ٧٥٠٠	٧٤٠٠	٧٦٠٠
كبريت ١٢٥٠	١٠٠٠	١٠٠٠
فحم ١٢٥٠	١٦٠٠	١٤٠٠

هذا تركيب البارود عند هذه الأمم . إذن الكبريت الذي دخل في القطن وفي القمح وفي الذرة وفي البرسيم دخل في البارود . المادة التي تتركب منها غذاء الانسان وغذاء الحيوان نار مشتعلة فكيف اطمانت هذه النار وكيف سكنت ، وما الذي أسكن هذه النار وأقرها حتى أصبحت طعاما لنا وشرا بابا فأكهة وأبا متاعا لنا ولأنعامنا ثم كيف تكون هذه الأرض نارا ملتهبة أو كهرباء مذبذبة وتصبح مخضرة وكيف تكون حركات ذراتها ستة آلاف مليون مرة في الثانية فما الذي كسر تلك الحرارة وأخذها واثبتها فانقلبت حالا الى عناصر فيها تلك الخواص المحرقة ؟ ما الذي أخذ تلك النار المتقدة . إن خواص السكرور وخواص الصوديوم وخواص البوتاسيوم وخواص الكبريت كلها ترجع الى الحرارة والاحتراق واسكن هذه بالنسبة لخواص الكبرياء في ذراتها قايلة انها محرقة جدا فان الحركة السريعة فيها أعظم والحركة تتبعها الحرارة . أما الجواب على ذلك فانه يظهر لي أن هذه العناصر فيها قوة من عالم آخر غير العالم الأرضي سكنتها فأخضعت تلك الذرات المشتملات على القوة الموجبة والقوة السالبة الكبرياء وهذه القوة نسميها نفسا معدنية وبها حفظت تلك الحركات وانقلبت الى خواص عرفناها في الصوديوم والبوتاسيوم والفوسفور والكبريت . ثم إن هذه العناصر أيضا دخلت في النبات

(الكلام على النبات)

فانظر الى (البوتاسا) فهي في شهر القطن (٥٥٠) في المائة وفي بذره (٣٣٣) في المائة وفي خشبه (٣٣٩) في المائة . وقد دخلت في عود القمح (٣٢٩) في المائة وفي حبه (٣١٥٤) في المائة وفي تبنه (١٥٦٤) في المائة . وهكذا بقيت العناصر لها نسبها كلها مذكورات في (سورة البقرة) فارجع اليها عند الطبر وابراهيم . فاذا قرأت هذا الموضوع هناك وضمته الى ما هنا عرفت أن مفهوم الانسان والحيوان عبارة عن هذه القطع التي أحضرتها أمامك الآن وأكثرها محرقة مهلكة . فيا ليت شعري ما الذي قلب وضعها والجواب على ذلك ؟ أن هناك نفسا نباتية كذا فيما مضى نعتها أقل من النفس الحيوانية ولكن الكشف

الذي تقدم في (سورة الحج) على يد عالم هندي أبرز لنا أن النبات يحس ويتحرك فبناء عليه أصبحنا نجيب من كهرباء موجبة وسالبة اختلفت مقادير جزئياتها وحركاتها فأعطينا عنبا وقضبا وزيتونا ونحلا وحدائق غلبا أعنى أنها في المعادن ، أعطتنا فوسفورا محرقا وكبريتا محرقا وبوتاسيوم كذاك وإن تنوعت الصفات وههنا ارتقت في الاعطاء فانها أعطتنا الغذاء كالبر والفاكهة كالنخاع والدواء (كالسنامكي والخروع) والماء كشجرة تسمى (الداتوره) والسام والمخدر كالأفيون عند كثرته أو عند قننه ، وأعطينا الحلو والحامض والمز والمخريف ، وأعطينا ما لا يتناهى من العجائب والحكم مما لا يحصره الله ، وبأيت شعري من أين جاءنا ذلك الذي سميناها نفسا هنا في المعدن وفي النبات ، فقال صاحبي انها كالمادة يكون ماء الورد في الورد . فقلت وإذا كانت هذه التي سميناها نفسا نباتية وما قبلها التي سميناها نفسا معدنية انما ظهرت بعد السكون في تلك الذرات الكهر بائية فلماذا لم تبرز أرضنا حرارة كحرارة الشمس وتستغنى عن حرارة الشمس ؟ إن أرضنا لا تنال حياة الحيوان ولا تنمو النبات إلا بماء وحرارة ولكن الحرارة تأتي من الشمس والنجوم لا من الأرض والماء يستحيل حصوله إلا بضوء الشمس المثير البخار المجرى للهواء الحامل للسحاب الممطر على الأرض الجارية بسببه الأنهار فلانهم ولا سحاب ولا رياح إلا بالشمس . وإذا احتاجت أرضنا الى (أميرين) وهما اصلاح الظواهر بالحرارة واصلاح البواطن بنفس مدبرة ورأينا انها عجزت عن اصلاح أسهل الأمرين وهو ظواهر الأجسام بالانضاج فمن باب أولى تجهز الأرض عن أن تضم بين جوانحها أعظم الأمرين وهي النفوس المدبرة فثبت بهذا البرهان أن المادة ليست فيها نفوس مطلقا لانتباية ولا حيوانية ولا ما سميناها نفوسا معدنية لأنها محتاجة جد الاحتياج الى حرارة الشمس ولا اصلاح ما عليها من حيث ظاهره . إذن للنبات نفوس جاءت من عوالم أخرى نجهلها كل الجهل وهذه النفوس المجهولة لنا كل الجهل تحل في النبات عند استيفاء شرط النبات وتعدل تلك الذرات وتستخرج بها وفيها أفانين الصور والأشكال والثمار العجيبة

(الذرات في عالم الحيوان)

ثم اذا وجهنا نظرننا لبقاء الحيوان ألقيناه مركبا مما تركب منه النبات لأنه غذاؤه وحكم المركب حكم أجزائه فهذا البوتاسا وهذه الصودا وما عطف عليها كلها داخلات في أجسام الحيوان ولقد أنت بالهجب العجيب فيه أكثر مما في النبات . فاذا رأينا الكبريت قد دخل في البارود (بارود الحرب) غير ما تقدم مع الفحم وملح البارود بهيئة خاصة بحيث يكون نقياً مع فحم نباتي خاص فهناك يأتي بالمقصود من الحرب وهكذا اذا رأينا أي الكبريت مع أخويه مستهملين في الخالط المضبنة والمفرقة والمحركة في الحرب وفي السواريج التي جعلت لاحتراق مراد العدو القابلة للاحتراق بترتيب غير ما تقدم وأجزاء بحيث تختلف عما قبلها فتكون ثلاثة أجزاء من البارود المحجب و(٤) من البارود الترابي و(٢٨) من الكبريت ولهب هذا الساروخ يكون متساها . وإذا أريد بالسواريج إنارة الأماكن لتري إلا يكون من ملح البارود (٨) أجزاء والكبريت (٢) ومن الأتيمون جزء واحد والضوء إذن يكون شديدا . وقد تظهر السواريج بهيئة مطرفة هذه تكون بأجزاء بهيئة غير ما تقدم . وإذا نظرنا الى نفس الكبريت الذي جهناه مثلا هنا في النبات واقنصرنا على القطن ألقيناه كما تقدم داخل في شهره بهيئة حمض الكبريتيك نحو (٨) في المائة تقريبا وفي بذره (٢) في المائة وفي الخشب (٥) في المائة . إذن الكبريت الذي أعان على أنواع البارود والسواريج وكشف الأماكن واحتراق العدو هاهوذا أعان في النبات أي في القطن خاصة على حصول شعر القطن . ذلك الشعر المركب من شعرات هي أنابيب مفرطحات مركبات من مادة (سليولوز) وهذا الشعر بخاطه بحامض التريك وبحامض الكبريتيك يكون هو قطن البارود الذي اذا سخن احترق بحيث لا يترك فضاة وهذه المادة جعلت مع مواد أخرى وصبت في قوالب فصارت مفرقات فالكبريت كما دخل في المفرقات المعدنية دخل في المركبات النباتية

﴿ الحيوان ﴾

ثم انه هو وجميع المواد الأخرى يدخل في جسم الحيوان . إن الحيوان يفتدى بالنبات و يتشكل ويمثل بمادته فيحصل هناك تنوع لا حد له ، فبينما نرى الحياة السائمة المتغذية بالمواد العفنة والأسد الضارى المفتدى بلحم الحيوان والنمر والطيور الكاسرة نرى أنهما ودواب وطيورا مفردة سارة وأخرى مرقشة الصور جميلة الهيئة متقنة الأجسام ونرى الجو والبحر والبر ملئت أنواعا يخطئها الله وكلها مختلفات الصور والادراكات والأعمال والأمكنة والأغذية وهكذا . كل هذه لم تخرج عن كونها مركبات من المواد المحرقات المتقدمة ، وهنا يرد نفس السؤال المتقدم ؟ لم أصبحت المادة الكهر بائية التي هي السكترونات (كهر بائية موجبة) وبروتونات (كهر بائية سالبة) تجري حول الأولى . أقول لم أصبحت هذه في الصوديوم حرارة وفي النبات أغذية وأدوية ثم أصبحت في الحيوان اليوم حسا وحركة وحياة وتعقلا لامور المعاش وأجهزة للعنكبوت داخلية في جسمه منها يستخرج نسيجه الذي يستعمله لاصطياد الحشرات كالذباب مثلا وفي النحل لاصطناع العسل وحفظ الولد ونظام الجمهورية وفي حيوان المرجان لاحداث جزائر وجزائر تهدد بعشرات الآلاف في البحر (انظر صور جزائره في آخر سورة الفرقان فيما تقدم) وهكذا كيف انقلبت تلك الحركات الذرية الضوئية الكهر بائية اتحادا بين أنواع الذرات المسكرو سكوبية المحدثه للجدرى وللحصى فتعاونت تلك الحيوانات التي لا ترى على اهلاك نوع الانسان أو أنواع أخرى كالخيل والأنعام وهكذا . أقول ﴿ والجواب على ذلك ﴾ عين الجواب المتقدم في النبات . ان الأرض والمواد التي فيها ليس عندها شئ كامن فيها يصنع هذه العجائب كالقوى المخيلة في أدمغة الحير التي بها تعرف الطرق والمسالك وتحيط بها علما يقصر عنه الانسان ، وإذا كانت أرضنا كما تقدم لم تجد في عناصرها حرارة تغنيها عن حرارة الشمس للحياة ولاضياء يذير السبل فكيف قدرت هذه المواد أن تحدث لنا نفوسا ذراتا تعطى حيوانا الأميرين مع نظام تركيبه وهدايته الى معاشه وإلى سبله في حياته ، فإذا كانت الأرض عجرت عما به الاضاءة والانضاج فما أعجزها وأضعفها عن أن تأتي لنا بالقوة النامية الحيوانية والادراك والتدبير ومعرفة الطرق وتربية الذرية . كلا . ثم كلا . إن هناك نفوسا ليست من هذه المادة رفعت القوة التي في العناصر فنوعت سوارتها التي كانت محرقة في الكبريت ومفرقة في الفطن الى حس في الحيوان وتبصر فيه وادراك وهداية بالنجوم والشمس والقمر

﴿ الانسان ﴾

ههنا تأتي الى عالم الانسان ونقول فيه ما قلنا في الحيوان ولكننا نرى فيه عجائب لا تحصى ، ففيه الأنبياء والحكماء والملوك وفيه النصابون واللصوص والسفاكون ، أقول لا غرابة فادته معروفة ، إياك أن تنسى أنه هو نفسه فوسفور ومادته فهو كالنبات وكالفرقة المتقدمة ، فهذه النفس التي دخلته من عالم أعلى من عالمنا يجب أن تكون على شاكله الجسم ، ذلك لأن الظرف يلائم المظروف كما ان الصدف ملائم للجوهر فيه ، هنالك يظهر لك لم كان البون بين الناس عظيما ، فهذا ملك وهذا شيطان ، ذلك لأن الاختلاف في الانسان أعظم من الاختلاف في الحيوان وفي الحيوان أعظم من الاختلاف في النبات وفي النبات أعظم من الاختلاف في المعادن إن المسافة هنا شامخة جدا فالنفوس الحالة في الأبدان إما أن تغلب هي فتغلب القوى الهائلة في الذرات التي هلمت انها كهر باء كلها الى منافع وفضائل . وان غلبت قوى الذرات أنزلت النفس الى مراتبها وغلبت طباعها إن بين نفوسنا وبين المادة مشاكسة . إن المادة كهر باء كما قدمنا وهي شديدة الحركات ونفوسنا يظهر أنها من عالم أطف جدا ففرها سراب هذه الكهر باء نفذت بها فدخلتها خبست فيها وأخذت تسعى طوعا أوكرها . وهاهي ذه تجاهد وقد حوّلت تلك القوى المادية المهلكة الى حس وحركة وخيال وقوة مفكرة وقوة حافظة وأخذ العالم ينطبع في قوى هذه النفس انطباعا وكأنها نور أشرق من لدن الحضرة الإلهية . ولما

نزل الى الأرض وغمرته المادة أخذ يتطلع كرة أخرى الى الملاء الأدنى فظهرت في لوحة نفسه صور السموات والأرضين على مشاكلة طبعه الإلهي الذي نسيه فهو من نور إلهي ، وهنا يقع التفاضل ، فالنفوس الضعيفة تتصور العالم كله اجالا ولكنها لا تدرك هذا التصور التفاتا ولا تعقله بل تهملها والنفوس الكبيرة تعلم علما ليس بالظن أن هذه القوة والقدرة خلقت فينا لندرس بها هذا الوجود والافلا ماذا نراها حاضرة عندنا ولماذا نرانا في عذاب واصب في هذه الأرض لراحة لنا ، كل ذلك لنعلم اننا مخلوقون لعالم أعلى ولن ندركه إلا اذا عرفنا قيمة أنفسنا التي لا تقا تذكركنا بمجدنا الأثيل وعلمنا الرفيع وشرفنا الأعلى

ها هو ذا الانسان هو المركب من تلك العناصر المحرقة والنفس الحالة فيه ليست من هذا العالم بما قدمنا من البرهان لأن هذا العالم الأرضي لم يقدر أن يستغنى بضوء نفسه من نفسه فهو عن ضوء العقل أعجز . إذن نفوسنا من السموات أي من عوالم أشرف من الأرض . هذا هو البرهان الذي اطمأنت له نفسي . هذا هو البرهان الذي أبني عليه ما يأتي

﴿ أولا ﴾ أذكر نظام الانسان في مدنيته

﴿ ثانيا ﴾ أتبعه بغاية ما وصل اليه بعقله وذكاؤه في اجتماعه وسياسته

﴿ ثالثا ﴾ أذكر كيف كانت الأمم المغلوبة لغيرها يسرع اليها الفناء

﴿ رابعا ﴾ أذكر أن الأمم الغالبة تلحقها في ذلك مع ذكر شواهد التاريخ

﴿ خامسا ﴾ أبين أن الانسان في ذلك لم يبلغ شأوا الحيوان في الابداع حتى انه عجزع عن أن يصنع ما صنعه

المرجان من احداث أرض تنفع الانسان والحيوان

﴿ سادسا ﴾ أتبع ذلك بخطاب عام للأمم الاسلامية كلها شرقا وغربا

كل ذلك تفسير لآيتين - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - الحق وقوله تعالى - فتلك بيومهم

خاوية بما ظلموا - فهنا إذن ﴿ ستة أمور ﴾

﴿ الأمر الأول في ذكر نظام الانسان في مدنيته ﴾

(سياسات الانسان)

هل لك أيها الذكي أن أسمعك كلام العلامة الفارابي الذي تلخصه في كتب كثيرة مثل كتاب ﴿ نهضة الأمة وحياتها ﴾ أذكر لك الآن ما ملخصه ﴿ ان من الناس من قالوا انما الحياة هي اللذات فعكفوا عليها وتركوا ما وراءها وهؤلاء يسمون ذوى الحياة الحسية ، وآخرون يقولون إن المدار في الحياة على الكرامة فلنحش على الكرامة والعظمة لأن المقصود من الحياة ذلك ، وآخرون يرون أن الحياة يجب أن تكون بالغبلة فيفعلون فعل الاسود والنمور وآخرون قالوا إن الانسان مدني بالطبع وهؤلاء انقسموا ﴿ قسمين ﴾ قسم مدنيته فاضلة وقسم مدنيته فاسقة فأهل المدينة الفاسقة هم (١) إما اجتمعوا بطريق النسب والعصبية وغلبوا غيرهم (٢) أو بطريق اللغة فأهل اللغة الواحدة يستعبدون سواهم (٣) وأما بالوطن فأهل الوطن الواحد يستعبدون سواهم (٤) وأما بالدين فأهل الدين الواحد يذلون سواهم ويدوسونهم (٥) وأما بالمعاهدة فالدول المتعاهدة المتعاقدة تستعبد غيرها (٦) وأما بالمصاهرة فالأمم التي يتصاهر ملوكها أو ذروا الأمر فيها يكونون عونا على من سواهم (٧) وأما بالاستعباد فالأمة تستعبد أخرى وهما معا يستعبدان أخرى وهكذا (٨) وأما بملك جامع يجمعهم فيكونون حربا على من سواهم

هذه هي التي ذكرها الفارابي في كتاب ﴿ أهل المدينة الفاضلة ﴾ وجعل هؤلاء كلهم أهل مدينة فاسقة خارجة عن الحق ، وإياك أن تظن أن الاجتماع الذي اجتمعه المسلمون من هذه المدينة الفاسقة لأن المسلمين الأولين كانوا يعرفون لماذا يخضعون الأمم ، كانوا يخضعونها للرابطة الانسانية الدينية وليعالموهم فلما انحطت

مدارك المسلمين نسوا أن الفتوح للدين ولرقى الأمم فأذلوا الأمم فطردهم الله من ديارهم ، هذه آراء أهل المدينة الفاسقة في نظر الفارابي ، وعلى هذا القول تكون الأمم المعاصرة لنا كلها فاسقة لأنها اجتمعت بالوطن وبالعصبية أو بالمعاهدة فانك ترى أن الانكاز تعاهدوا مع اليابان على الروسية سابقا فهزموها فهذه غلبة بالمعاهدة وكذلك اجتمعت أوروبا سابقا أيام حرب (البوكسر) في الصين على حرب هذه الأمة ولم تنل أوروبا كاهلها منها حظها وهامى ذه الآن غلبت أوروبا كلها . والمقصود من هذا المقال أن الأمم الحالية في رأى العلامة الفارابي فاسقة وذلك أنها ليست تراعى إلا أنفُسها وتريد الخير الخاص مع اذلال غيرها واهلاكهم ، وهذه الخصلة بعينها هي التي كانت في نفس المادة لأنك علمت أن المواد المعدنية الداخلة في النبات وطبايعها نارية وهذه الطبيعة النارية هذبها أولا القوة المعدنية ثم القوة النباتية ثم القوة الحيوانية ، فالإنسان بقية فيه طبائع النار وهما هوذا أخذ بالتهذيب شيئا فشيئا ، ههنا أقف وقفة لأنظر مهك أيها الذكي . لقد تبين من هذا كله أن الإنسان الحالي لا تزال فيه طبيعة النار المتقدمة وهذه النفس التي نزلت من السماء وهبطت إلى الأرض ودخلت هذه الهياكل الجثمانية لم تنزل طبائعها تقرب من طباع الآساد وطباع الكبريت والفوسفور والكافور ، إن المادة أشبه بجحيم جهنم الصفري والله كدونها مهندسة ونظام دقيق قد استبان لك في دقة الحساب إذ يدخل المنصر الواحد في أنواع من النبات بأوزان تختلف باختلاف النبات كالبرسيم وكالقطن فتري ذلك في (سورة البقرة) في الجدول هناك عند آية الطير وإبراهيم إذ يكون الوزن مختلفا باختلاف النبات ولولا هذا الوزن لم يكن قطن نلبسه ولا برنأ نأكله ولا برسيم تأكله الدواب ، فالحساب في ذرات هذه كلها جار بلا خطأ ولو حصل أى اختلاف في الحساب لم تكن هذه الحياة ولا هؤلاء الأحياء . إذن الله فعل مع المادة التي نعيش فيها مثل ما سيفعل مع النار يوم القيامة . إن الجبار يضع قدمه في النار (كما في الحديث) فتقول قط قط . فهما هوذا سبحانه وضع النفوس المعدنية والنباتية والحيوانية فانتظمت أحوالها . ولقد هذبت هذه المادة تهذيبا حسنا وسارت سيرا مستقيما بسبب حساب الذرات الذي هو أوفق لهذه النفوس التي نزلت للأرض من عوالم أخرى ، فأنه على صراط مستقيم قال تعالى - وأن هذا صراطي مستقيما فانبهوه - الخ وقال - مامن دابة إلا هو آخذ بماصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ولا جرم أن الدواب والنبات كلها موزونات ذراتها بوزن لا عوج فيه ولولا ذلك ما عاشت ولا نما الحيوان ولا النبات ولا وجد في الأرض ، ويقال في الصراط « انه أدق من الشعرة وأحد من السيف » وصراط الله كذلك لأنه لولا هذا الحساب ما كان حي . ولذلك ذكره عقب ذكر الدواب ونحن نقول - اهتدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم - وصراط الذين أنعم عليهم هو صراط الله وصراط الله هو الذي عرفته في نظام هذا الوجود . إذن وصلنا إلى المقصود . هذه أرواح بني آدم جاءت إلى الأرض وجعلهم خلفاء أرضه . لم يجعل الله عقولنا كعقول الحيوان بل فتح لنا باب الفكر وقال انظروا فنظر الفارابي هذا النظر في نوع الإنسان وقال انهم فساق ، ثم أذكر آراء العلامة الفارابي في سياسة الإنسان

(أهل المدينة الفاضلة)

وقد ذكرت هذا المقال في مواضع من هذا التفسير وأنا أجهل هنا الآن . قاس مجموع الأمة على نظام الجسم الإنساني وأخذ يشرح الجسم كالأعضاء وأعصاب حس وأعصاب حركة ويتكلم على أعضاء الهضم وأن الفم يخدم المعدة والمعدة تخدم الأمعاء وهكذا ويلخص كل ذلك في أن الأعضاء منها خادم ومخدوم والقلب كالوزير للدماغ وهو مجلس القوة الحاكمة واستنتج من ذلك كله أن كلاً من أبناء الأمة يوضع في مركزه الذي استعد له فكما استعدت العين للبصار والأذن للسمع والمعدة للهضم والدماغ للتفكير هكذا يجب أن يكون أرباب الرأي هم الحكماء وأرباب القوة هم الجيوش وهكذا ، وأبان أن التركيب إذا اختل اختلت المدينة وصارت فاسقة ، ويرى أيضا أن أهل الأرض كلهم يجب أن ترتب دولهم على هذا المبدأ بحيث تكون كل

دولة في مركزها الخصاص بها اقتصادا وعملا ويصبح الناس كلهم أمة واحدة فان خالفوا ذلك كانوا فاسقا ولكنهم لم يوضح تعليمهم العام بل تركه لمن يفهم ذلك بعده ، وأنت ترى أن آراءه تستمد من نفس الطبيعة وتنحوي نحو الذي أثبتته لك في هذا المقام

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الذي ألهمت الحكماء فعبروا عن صراطك المستقيم بما شاهدوه في عملك ، قاس الفارابي نظام الأمة على نظام الجسم الانساني وهكذا جميع الأمم وان كان قوله اجاليا ، وأنا قلت هنا أنك أنت أخضعت المادة بالنفوس التي أنزلتها الى الأرض وهذه النفوس من النور الذي أبدعته فنفسنا نور إلهي ولذلك يسمونها بالجزء الإلهي فينا ، ونحن الآن لم نصل الى الدرجة التي بها نسهل في الحياة لأنك أنت على صراط مستقيم ونحن لم نسر على صراطك الذي نقوله كل صباح - اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم - ومن أعظم المنعم عليهم أولئك الذين تكون مدينتهم على هذا الخط ويكونون في السلام الذي نقوله في التشهد ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ وأنت تقول لنا - ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها - وتقول لنا - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - فجعلت الدار الآخرة مرتبة على عدم العلو في الأرض وعدم الفساد فيها ، فقولنا في الصلاة ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ تدخل فيه تلك الحال التي يكون الناس فيها أمة واحدة إذ يكونون مصلحين في الأرض غير مفسدين وهم منعم عليهم لا يريدون العلو بل يكون الملك والعرش للنفعة العامة وخدمة المجموع لا للأغراض الخاصة التي هي شأن أم الأرض قاطبة اليوم

أنا قلت لك ان العلامة الفارابي لم يبين تعليم الأمم ولم يفصله ولكن الذي تعرض للتعليم هو أفلاطون في جمهوريته التي جعلها على لسان (سقراط) أستاذه فأنا أورد جملا منها الآن ثم أتبعه بما أراه في زماننا ﴿ آراء أفلاطون في سياسة الانسان ﴾

ذكر أفلاطون في المقالة الخامسة من جمهوريته أن التعليم لا يختص بالرجال بل يعم الرجال والنساء معا وقال إن التفاوت بين الرجل والمرأة راجع للتفاوت في التعليم وبذلك يشارك الرجال في الحرب والوظائف المدنية ويتعلمن الموسيقى والرياضة البدنية كالرجال سواء بسواء ، وهنا ذكر كلاما لا ينبغي لأنه لا يوافق حالنا ولاديفنا . وقال في المقالة السادسة ﴿ إن معرفة الوجود الحقيقي لا تكون إلا للفيلسوف لأنه هو وحده الذي يحتقر الظواهر ، وهو وحده الذي ينفر من الكذب ، وهو يحقر ما يستعظمه الجمهور من متاع الدنيا إذ لا يريد إلا التشبه بالنظام الأزلي ﴾ وأخذ يذكر تربية الحكام فقال ﴿ يجب أن يكونوا قادرين على العلم والعمل فيصطفي أذكى أهل المدينة وأكثرهم حافظة وأصبرهم على التعب ويمتحنون في الأشغال العسكرية والجسمية ويؤخذ أفضلهم للرئاسة ﴾ ثم قال ﴿ وهذا الجد والنصب والتعب لابد منه لمن يريد أن يرتقي الى معرفة أعلى العال وهو معنى الخير المحض (وهو الإله في كلام أفلاطون) ثم قال ، إن الخير للمعاني كالشمس لبقية الموجودات منها يستمد كل موجود وبقاؤه ولا يعرف إلا بها ﴾ ولا طريق لها عنده إلا العلم الإلهي الذي له ﴿ طريقان ﴾ طريق الجمع وهو الاستقراء أي الارتقاء من المعاني المفردة الى ما هو أرفع منها الى أن يبلغ الى جمعها تحت معنى عام ، والثاني طريق التحليل والتقسيم بين المعاني الجملة الى أن ينتهي التحليل الى المعاني المفردة ﴾ انتهى من ترجمة الاستاذ (سنتلانه)

ولعل بعض هذه المعاني غامض فأوضحه قائلا ﴿ انه يقول إن الله سبحانه كالشمس فكما أن الشمس بها ظواهر الحياة وبها هدايتنا لطريقنا هكذا الله به قوام الحياة وبه هو معرفة المعاني فهو لمحي وهو الهادي وعقولنا إن لم تستمد منه لم تعرف شيئا كما أن أجسامنا إن لم يحياها هو لم تحي ﴾ وطرق الاستدلال التي ذكرها هي في العلم الإلهي من فن الفلسفة بحيث يدرس الانسان هذه الدنيا إما بالتحليل والتقسيم وإما بطريق

الاستقراء ، ومن اطلع على هذا التفسير عرف مجمل ما يقوله . وذكر في المقالة السابقة مسألة المعرفة وضرب للناس مثلاً بالمغارة التي تحت الأرض وفيها أناس مغلولون منذ صباهم معتقلون فيها في رقابهم أطواق من حديد تمنعهم كل حركة ولم يروا إلا ما أمامهم من النور إذ لا يلتفتون يمنة ولا يسرة ووراءهم نار على ربوة وهي تدير المغارة وبين المغارة والنار طريق وبجانب الطريق حائط على طوله وقد كثر المارتون بهذه الطريق وهؤلاء المارتون يحملون تماثيل مختلفة وأنواعاً من البضائع ثم إن أصحاب المغارة أشبه بنا الآن لأنهم لم يروا من أنفسهم إلا الظل ولم يروا نفس الأشياء وهذا الظل للتماثيل والأمتعة ، ثم إن هؤلاء إذا تحدثوا فانهم يجادلون لتلك التماثيل أسماء ويحكمون بأنه ليس في الوجود سواها فإذا انطلق أحدهم من المغارة فإنه يستحيل أن يقدر على مقابلة الأنوار إلا تدريجاً فهناك يتعود ذلك المنطلق منهم على أن يرى ظل الأشياء أولاً في الماء ثم يرى نفس الأشياء ثم ينظر السماء ليلاً أولاً فيرى السكواكب ثم يرى القمر ثم الشمس ثم يعلم أنها سبب الفصول والأعوام وسبب كل ما يحدث على الأرض وكل ما يراه في المغارة ثم يرجع إلى أهل المغارة ليهديهم إلى ما هدى إليه شفقت منه عليهم وهناك يتعود على الظلمة شيئاً فشيئاً حتى يقدر أن يعيش معهم ثم يتحدثهم فيسخررون منه وينسبون له للجهل وربما تحدثوا بقتله ثم قال فهذه حال الناس في الدنيا بالنسبة إلى حقيقة المعرفة فالمغارة هي هذا العالم المحسوس والنار ضوء الشمس والأسير المغلول الذي خرج من المغارة هي النفس إذا ترقى إلى عالم المعاني فإذا بلغت النفس أقصى العالم العقول فهناك تعرف بعض معنى الخير المحض (يريد الله) فإذا شعرت بذلك عرفت أن الخير المحض (يريد الله) هو علة كل ما في هذا العالم من الجلال والخير ، ومتى أدرك الإنسان ذلك صغر لديه كل ما في هذا العالم وتعدى عليه توجيه همته إلى الأمور السخيفة التي هي مطمع أبناء جنسه وشغل أعمارهم في هذه الدنيا اه ثم قال (أفلاطون) ومن هذا يستدل على أن المعرفة لا تحصل للنفس دفعة واحدة كما يفتخر به بعض الناس إذ يقولون ﴿ نحن ندخل المعرفة مرة واحدة في النفوس الخالية منها كما يفعل بالمكفوف البصر بأن يرجع له الابصار ، والحق على خلاف ذلك وهو أن كلامنا له قدرة طبيعية على إدراك العلم وله كذلك آلة معه هذه الغاية والحيلة فيه أن يحول هذه الآلة والنفس أجمع من مشاهدة ما يفي إلى مشاهدة ما هو موجود في الحقيقة إلى أن يتعود شيئاً فشيئاً على مشاهدة ما هو كالشمس في الوجود وهو الخير المحض (يريد الله) ثم قال أفلاطون وعلى هذا فليس الأصح أن نحصل على الابصار إذ الابصار حاصل لكل منا لكن آلتنا لم تنظر حيث يجب أن تنظر فينبغي تقويمها لكي تنظر حيث يجب ﴿

ثم رتب على هذا كيف تكون تربية الخاكيم الفيلسوف ليستعد للحياة النظرية والعملية معا فقال بعد الفراغ من التربية المفروضة على جميع أصحاب الرئاسة وهي الموسيقى والرياضة البدنية يصطفى منهم من هم أقوى جسماً وأصح عقلاً وأصبر على المشاق وأتقى وأتقى وأكثر قوة على التعرض للمخاطر وابتعاداً عن الملاذ والشهوات فيعلمون أولاً علوم الرياضيات الحساب والهندسة والموسيقى ، فهذه العلوم مع الاحتياج إليها في العمل تعود النفس على مراقبة الأشياء الدائمة التي لا يلحقها التغير لاقتربها من الوجود المحض (الله)

ثم يتلو هذا التعليم الرياضة الحربية مدة عامين أو ثلاثة ثم الرياضات من جديد حتى يبلغ التلميذ من عمره ثلاثين سنة ثم يتعلم العلم الإلهي فيبحث عن علل الأشياء وجوهرها العقلي وهذا هو البحث عن الوجود ، قال أفلاطون ﴿ إن هذا العلم لبقية العلوم كالشخص للظل وكالعالم لجرد الظن ، ويستمررون في هذا العلم خمس سنين ثم يدرب في العلوم الحربية وغيرها ، ثم إذا انتهوا من ذلك كله يقدرون أصراً المدينة بصفة حكام وذلك إذا بلغوا من العمر خمسين سنة ﴿ انتهى

وقال في المقالة الثامنة ﴿ فذكرت أن هذه هي المدينة الفاضلة وهؤلاء هم حكامها فإذا فسدوا نزلت مدينتهم ورجعت فاسقة فتكون أولاً عسكرية وهي الخاضعة للقوة الغضبية ، أما المدينة الفاضلة فهي خاضعة للقوة

العاقلة ، ثم حكومة الجمهور ثم حكومة الجبر والفسق وهي حكومة الفرد ﴿ ثم أبان أن هؤلاء المتعلمين هم الأشراف وحكومتهم تسمى (حكومة الأشراف) ثم قل ﴿ إن فساد المدينة الفاضلة ينشأ من فساد النسل وتنازل الأولاد في أخلاقهم وأفكارهم عن شرف آبائهم ، ومن ذلك ما يقع بينهم من تفرق الآراء والتشاجر وكثرة الفتن ويكون ما لأميرهم انهم يقسمون المكاسب والأموال فيما بينهم ويسخرون بقية أهل المدينة لخدمتهم بعد أن كانوا لهم حراسا وحكاما فيغلب عليهم حب السلطان والمال وينفرد كل واحد برأيه ، فإذا تمادى الأمر على ذلك وفترت الثروة وانتشر فيهم حب الترف والاسراف والحرص على المال فقد ينقص بقدر ذلك من احترامهم للفضائل ويزداد إعجابهم بالأغنياء واحتقارهم للفقراء . إذن تتبدل هيئة المدينة شيئا فشيئا وتسير الرئاسة إلى الأقل وهم الأغنياء . إذن تكون المشاركة في الحكومة على قدر المكاسب وأنه لاحق في الرئاسة إلا لأصحاب الأموال دون غيرهم وعلى ذلك تنطبع أخلاق أهل المدينة بحب المال والبخل وعدم المروءة والحرص ثم يدوم الأمر على ذلك فيصبح المال في يد زمرة قليلة من الأغنياء ويزداد الفقراء يوما فيوما لأجل ما يؤخذ منهم من الربا وما يباع من مكاسبهم لخلاص الديون ويزداد الأغنياء بقدر ذلك ثروة وقدرة واذن تكون المدينة ﴿ فريقتين ﴾ الفريق الأكبرهم الفقراء والأقل هم الأغنياء الذين يبدونهم زمام الأمور فيحكمون في اللذات والاسراف ويتبع ذلك الكسل وضعف الأبدان وفساد المزاج وعدم الصبر على المتاعب والمشاق فإذا رآهم الفقراء على تلك الحال وشعروا بغلبة عدوهم ووفور قوتهم على قوة الأغنياء لا يلبث الأمر أن تشب نيران الفتنة والثورة في المدينة فرما يغلب الفقراء فيأخذون في قتل الأغنياء وإبلاهم عن المدينة (وقد حصل هذا فعلا كما قدمته في سورة النحل ببلاد الترك وبلاد روسيا حرقا بحرق هو بهينه فقد أخرج بنو عثمان وقتل القيصر وانتهت هذه الفتنة) ونهب أموالهم فتصير الحكومة اليهم ويستبدون في المدينة بالأمر وهذه هي الحكومة الجمهورية (ديموقراطية) وهنالك تمام الحرية وإزالة عنان الأحكام والموانع والفروض الواجبة فيتبع كل من الأفراد هواه ويصير الأمر كالقوضى بينهم لا حاكم ولا محكوم ولا ثبات ولا اتحاد وتستمر الحال على هذا المنوال إلى أن يسقط اعتبار الأحكام من نظر الجمهور وهذا إفراط في الحرية فلا يبين الراعي والرعية حاجز ولا يبين الأب وابنه قيد وينحل كل رباط فيحصل إذ ذاك العكس ، فالشيء إذا جاوز الحد انقلب إلى ضده ، والافراط في الحرية يوقع الأمة في العبودية التامة - جزاء وفاقا -

هنالك عند تفاقم الأمر يصبح الأمر بيد واحد مستبد برأيه ولا يعتمد إلا على قوة سلاحه فيطغى ويجور ولا يأمن أحد ظلمه وهذه هي الحكومة الجبرية وهي آخر هيئات الحكومات التي تتغير إليها المدينة الفاضلة وهي أخسها مرتبة وأضرها عاقبة على الأمة

وفي المقالة التاسعة ذكر أفلاطون أخلاق النفس الجبرية المشاكسة للمدينة الجبرية فقال إنها النفس العديمة العفة والحياء المنطلقة في ميدان الخلاعة والظلم والاستبداد لاستيلاء النفس الشهوانية فيها على النفس العاقلة فهي أشبه شيء بنفس السكران والمجنون ، فإذا كثرت مثل عدد تلك النفوس في المدينة كانوا للجبار المتسلط عليها من أقوى الدعائم للاستمرار في ظلمه وسعادة هذه النفوس وسعادة الجبار المتسلط عليها لا معنى لها إلا الشقاء المستمر بل هم أشقى الناس وأحقهم بالشفقة وأهل مدينتهم أشقى أهل المدن ، فإذا رتبنا الهيئات الخمس المذكورة وجعلنا الموازنة بين مآكلها من السعادة جلية وأفرادا عرفنا أن مراتب السعادة تتناقص فيها على قدر تنازل المراتب فأعلاها درجة في السعادة (مدينة الأشراف) فالمدينة سعيدة وأفرادها سعداء وهكذا بالترتيب إلى آخرها وهي الهيئة الجبرية فهي أقلها سعادة وأكثرها شقاوة ، ثم قال « إن أسعد الناس وأفضلهم وأعدلهم هو من ملك نفسه ونظمها على هيئة (مدينة الأشراف) وأشقى الناس هو أظلمهم وأخبثهم وهو الذي على هيئة (المدينة الجبرية) فهو ظالم لنفسه وغيره ولم يترك للعقل وللعدل مجالا »

والمقالة المباشرة التي هي آخر الكتاب ذكر فيها انه يجب الحجر على الشعراء والمشتخصين وغيرهم من الصنائع التي شأنها تمثيل الأهواء والعواطف المموهة لأن في عملهم اغراء النفوس وحملها على ما يشاهد أو يسمع من أنواع الشهوات والغضب والفسق والحزن المفرط والضحك المفرط وغير ذلك من أنواع العواطف المناقضة لاعتدال النفس وما يجب حفظه من رئاسة النفس العاقلة ، قل لأنه ليس من أنواع المجاهدة ما هو أعظم خطرا وأعسر مباشرة من الجهاد الموقوف عليه أن يكون المرء فاضلا لا خبيثا فلا ينبغي أن تنقل عن العدل ولا عن معيشة الفضائل لأجل شيء آخر سواء كان الكسل أو المال أو السلطان أو جزيل الشعر . انتهى ما ذكره أفلاطون ترجمة الاستاذ سنتلانه

نعم أنا ذكرته مجملًا سابقا وهنا فصلته تفصيلا أوسع لما سأورده هنا ، فها أنا ذا أيها الذي ذكرت لك مبدء الأمر وهو هذه العناصر التي في أرضنا ومنها الصودا والبوتاسا والكبريت التي هي من جلة ما في النبات والحيوان والإنسان من العناصر وانها محركات متهبت كما ان الاكروجين أيضا متهب وهو من أهم أجزاء تلك المواليد وأن هذه النفوس النباتية والحيوانية تصرف في هذه الطبائع خواتمها الى ما هو أكمل ، ثم إن هذه النفوس الانسانية أكل وقد لعبت بها هذه المادة فرجعتها الى أخلاقها والنفوس نارة تكمل لأنهم من عالم أعلى وتارة تسفل لأنها انحطت الى هذا العالم المضطرب المحترق ثم ذكرت لك أخلاق النفوس البشرية في كلام الفارابي وأن المدينة الفاضلة نتيجة كمال هذه النفوس ككمال النظام في الجسم الانساني وقلت انه لم يبين التعليم بياننا واضحًا وأبعثه بكلام أفلاطون وان كنت أجلبته في غير هذا المكان لأنه ذكر التعليم وأوضحه وفي كلامه الاصول التي سأبنى عليها إن شاء الله ما حصل في أمتنا الاسلامية وما في ذلك من العجب والعلم والحكمة وبدائع الأقدار وعجائب التصريف الإلهي في هذا النوع الانساني وكيف يتشابه الأولون والآخرون انتهى

(التعاليم الاسلامية)

(ماذا أصاب أمتنا الاسلامية من الأحوال السياسية بمخالفاتها في التاريخ

وتطبيق الآية على السابق وعلى اللاحق)

وإذا فرغت من الكلام على الأمر الأول وهو ذكر نظام الانسان في مدينته وعلى الأمر الثاني وهو ذكر غاية ما وصل اليه بعقله وذكاؤه في اجتماعه وسياسته أبين (الأمر الثالث والرابع) اللذين فيهما أن الأمم المغلوبة لغيرها يسرع اليها الفناء وأن الأمم الغالبة تلتحقها في ذلك الفناء وأذكر شواهد التاريخ على ذلك كما وعدت ، ولأقدم مقدمة في ذلك فأقول

لاجرم اننا الآن في تفسير آيتين من كتاب الله تعالى وهما - إن الملوك اذا دخلوا قرية - الخ وقوله تعالى - فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا - فلائين ما يناسب كلام أفلاطون من القرآن . اللهم انك أنت الذي خلقت هذه المادة وأنت الذي جعلتها محترقة مضطربة وأنت الذي خلقت أرواحنا والقوى المعنوية والنباتية والحيوانية وجعلت هذه النفوس من عندك مهيئات على هذه الأرض واصطفيت من هذه النفوس الانسانية أطفها وأمرتها أن تفكر تارة باجتهادها وتارة بأن توحى اليها ، فالحكام بالجد والتفكير والأنبياء بالوحى ، وأنزلت العلم على قلوب حكماء في الصين والهند وبابل وقدماء المصريين وقد تشابهوا في أصولهم وكان من بقيتهم الوارث علم قدماء المصريين (أفلاطون) ومن معه من الحكماء ، ثم إن هذا الفيلسوف ألب كتبه ومضى اليك ولم يقدر على إيجاد أمة من الأمم بل بعده بعشرات السنين ذهب دولته وهي اليونانية وحلت محلها دولة الرومان وورثوا ديارهم وعالومهم وتمسك بها أمثال (سنيكا وشيشرون) الفيلسوفين الرومانيين وتسلطت هذه الدولة على أمة كثيرة ثم فسقت ، ولكنك قبل أن تنخر بها أردت أن تظهر أمة أخرى بشكل عجيب فهدمت الى بلاد قليلة النبات لاعلم عند أهلها فهم في فقرهم أبعد الناس عن كل علم وتهذيب واصطفيت واحدا منهم وقلت له

والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم تر أنهم في كل واد يهجمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون - فهذه الآية قد فسرها (سقراط) الذي زالت وولت أمته ودولة أمة اليونان بعدها فقد قال في المقالة العاشرة المتقدم ذكرها بوجوب الحجر على الشعراء والمصورين والمبشرين الخ لأن هؤلاء يفتحون على الأمة أبواب الفسوق والفسيان فتضعف الأبدان والعقول وتصبح مدنهم فاسقة ، وقلت له - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - وهذا اجمال يفصله ما تقدم في مقالات (سقراط) قبل المقالة العاشرة كما سمعته من المدينة الفضائية وهي العسكرية والمدينة الجبرية وهي حكومة الفرد المستبد ومن المدينة التي تحت حكم الأغنياء ، وكيف ينتهي أمر هؤلاء بضعف الأجسام وضعف العقول بالانهمالك في الشهوات فيذهب ملكهم ويضيع مجدهم ، فهذه المدن الأربع (١) التي ذكرها أفلاطون وإن كان في بعضها نظرا ما أوضحه بعد هي التي ذكرها الله في القرآن بهذه الآية . وقلت له - أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - ، وقلت له - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - ، وقلت له - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض - وقلت له - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون * فحسبنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون * تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين -

فهذا كلام ابن اصطفيته من هؤلاء الذين لا علم عندهم ولا مدنية فلما اطلعنا على خلاصة فلسفة الأمم السابقة ألفينا تفسير هذه الآيات قد حضر في العقول من عندك قبل نزول القرآن كأنك أنزلت هذه المعاني أولا ثم أنزلت القرآن لنطلع الآن عليها ونجعلها شرحا لها كما أنك خلقت النبات قبل خلق الحيوان ليكون مرعى له وخلقتهما معا قبل خلق الانسان ليكونا سعادة له ، فهذا الدين أنت أنزلته على نبي أمي وامتة أميون حتى إذا قرؤا كتب الأمم السابقة دهشوا وقالوا يا عجبا ياربنا يقول أفلاطون في جمهوريته فيما تقدم هنا إن أولئك الملوك المستبدين في شقاء في حياتهم وهم معرضون لزوال الملك بعد ضعف أجسامهم وعقولهم * هذا من جهة ومن جهة أخرى ان هذه الأموال والنعم الظاهرة التي يعظمها الجمهور عند طائفة من الناس وهم الفلاسفة عذاب واصب لأنهم اطلعوا على الخير المحض ، وهؤلاء الفلاسفة يجهلون حياتهم كلها تقوية لعقولهم بالعلم الرياضي والإلهي ولأجسامهم بالتمرين الحربي ، فالعظمة والسعادة إذن ترجعان الى شئ غير المال وهو قوة العقل بالعلوم جميعها لاسيما معرفة الخير الأعظم وهو الله ومعرفة الخير الأعظم لاتأني الى الناس بغية فلا بد من ممارسة العلوم العقلية والصناعات العملية هذه في وقت وهذه في وقت آخر حتى يقوى العقل ويقاوم الانسان جميع الشهوات وتسلم لصاحبه مقاليد المدينة ويتولى نظام الأمة . إذن ما كان يفكر فيه الحكماء جاء به نفسه القرآن ، فهمه المسلمون أم لم يفهموه ، عقلوه أو لم يعقلوه ، فكلم وضع الله من بذور في الأرض فخرجت زراعا نفرا والناس لا يعقلونه ، فاذا رأينا أمما اسلامية ماتت وأخرى حية وهم جميعا لا يعلمون هذه العلوم فليس هذا بدعا فهذه أعمال الله ، ينزل الخير ولكن هذا الخير ينتظر أصحابه وهم قراء هذا التفسير وأمثاله ومن على شاكلتهم بل انهم حين يقرؤن هذا يزيدون دهشة واستغرابا لهذا الاتحاد العجيب بين العلوم المخزونة عند الأمم وبين الدين المنزل على النبي ﷺ

فهذه هي الآيات التي أنزلها يا الله على من اصطفيته من أمة العرب فأصبحت المدن الأربع التي هي

(١) الرابعة هي الديموقراطية التي يذمها سقراط ولا يوافقها المؤلف اه

أدنى من مدينة الأشراف منطبقة في الأغصان على هذه الآيات فإذا كان هذا الفيلسوف يقول ان بنى آدم جميعا لا يرون من الخير ولا الحقائق إلا صورها ولا يعرف الحقائق حق معرفتها إلا الذين تدرجوا في العلوم وقتا فوقتا كأن يتعلموا العلوم الرياضية أو الإلهية سنين ثم تناوها سنون أخرى يتعمهون فيها الأعمال الحربية تقوية لأبدانهم ويعيدون الكرة هكذا دواليك ، فهؤلاء في نظره هم الذين يعرفونك أنت ويدررون ملكك على صراطك المستقيم فإذا كان هذا رأيه على علته فيها أنت ذا يا الله قات - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - الخ وقات - الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ وقات - ألا يذكر الله تطه من القلوب - فلا اطمئنان لدولة إلا بعرفتك أنت ، وقات أيضا - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة - وقال علماء الاسلام باستحباب السبق والرمي لتقوى الأبدان وهكذا ، وقد جمعت ذلك كله في قولك - وزاده بسطة في العلم والجسم - . هذه يا الله آيات دينك المنزلة على النبي الأمي وهذه آراء حكماء خاقتهم قبله وكلمها مجهولة عند عامة هذا الانسان فالعامة لا يعرفون إلا الترف والنعيم والغلبة والراحة ويظنون انها هي أهم السعادات فجاء العقل الذي خرج من بين هذه الحواس المغلولة في وسط هذا الانسان المحبوس في مغارة (أفلاطون) وقال أيها الناس أنتم غافلون ، أنتم لا تعرفون من السعادات إلا ظاهرها ولا من العلوم إلا صورها ، أما حقيقة السعادات وحقيقة العلوم فليس لها سبيل إلا بالعقول ثم جاء الوحي مؤيدا لذلك كل التأيد بل أصبح ما وهبته للعقول غذاء وتقوية وشرحا لما أنزلته بالوحي فاصطلح العقل والوحي في هذا التفسير وتعانق القديم والحديث واطلع عقلاء المسلمين على خلاصة علوم الأمم فسيصبهون أمة لانظيرها في السابقين والحمد لله رب العالمين

ههنا يا الله عرفنا اتجاه الفلسفة اليونانية الأفلاطونية والقرآن الذي أنزلته على نبيك العربي فإذا وجدنا ؟ وجدنا أن هذا الفيلسوف لم يكون أمة وإنما تأليف نقاتها أمة الرومان فالعرب فأهم أوروبا وهاهي ذه تدور بين الأمم في أمريكا وأوروبا والشرق الأقصى ، ووجدنا أن نبيك العربي بالوحي خلقت على يده أمة وصلت مشارق الأرض ومغاربها ، فلننظر الآن ماذا كان يفهمهم حتى ارتقوا ، هاهو ذا القرآن والحكمة اتفقا على أن المال والاستكثار منه مضعف للأمة مزيل للملك ، فانظر أيها الذكي ماذا جرى ؟ أحلت الغنائم وهذه الغنائم في الحكمة سبب ضياع المجد والعقل والسعادة كما أجمع عليه الدين والفلسفة كما علمت فقال الله لهم - لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم - إذن أخذ الغنائم قد اشته منه رائحة الفضب السماوي ، وتقدم عند تفسير هذه الآية أن محمد بن اسحق قال « لم يكن أحد من المؤمنين ممن حضر بدر إلا وأحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ » هذا الذي ذكرته هناك . إذن هذه المسألة قد اختبأ فيها غضب من الله ولا يظهر أثره إلا في وقته أي حينما تظهر ذرية غير صالحة وتستعمل هذه الغنائم في شهواتها ويجعلون الأمة عبيدا لهم ولا يكونون نافعين للأمة بل آكلين أموالهم باسم الدين ولذلك ورد في حديث البخاري الذي ذكرته عند تفسير الآية أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل يارسول الله أو يأتي الخير بالشر » الحديث ، فارجع اليه في سورة الأنفال في أولها . إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم صرح بهذا وعلم ما ستلاقيه أمة من هذه الغنائم وفتوح البلدان فانه أظهر للذي سأله عن ذلك أن فتوح البلدان وان كان خيرا فانه يكون شرا على نفوس استعظمته ووضعت في غير موضعه بخلاف الصالحين . إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم الأمة معنى القرآن وهوان الغنائم ليست للذات بل هي لنفع الأمة لا غير وان حادت عن هذه الجادة انقلبت عذابا واصبا ماله من دافع ثم سمعنا رسولا صلى الله عليه وسلم يقول في رواية الترمذي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها « إن سرّك اللعوق بي فيك من الدنيا كزاد الراكب ، وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلى ثوبا حتى ترقيه » وقال عروة فما كانت عائشة تستجد ثوبا حتى ترقع ثوبها وتنكسه * وفي حديث الترمذي أيضا

عن عليّ « قال بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا مصعب بن عمير رضي الله عنه ما عليه إلا بردة مرقعة بفرو فلما رآه ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة ، ثم قال كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة وراح في أخرى ووضعت بين يديه صحفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة قالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نسكني المونة ونتفرغ للعبادة ، فقال بل أنتم خير منكم يومئذ » وعن عائشة رضي الله عنها قالت « كان يأتي علينا الشهر مانوقا فيه نارا انما هو القمر والماء الا أن نؤتي بالحكيم » أخرجه الشيخان والترمذي * وفي رواية « ما شبع آل محمد من خبز البر ثلاثة أشهر حتى مضى لسبيله » * وفي رواية « ما أكل آل محمد أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر » * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير » أخرجه الترمذي وصححه

فهذه هي التعاليم يا الله التي أنزلتها على نبيك الأُمّي فألفيناه يفسر القرآن بقوله وفعله ويقول لهم إن في الغنائم لءاء دفينا وذكرهم بالعذاب وبكى وبكى معه أبو بكر وجاء عمر فطلب أن يعرف سبب بكائهم حتى يبكي أو يتباكى فإذا هي نفس الغنائم ، هذه هي الأحوال النبوية في العصر الأول ، فإذا جرى بعد ذلك ؟

﴿ الكلام على تخريب الفاتحين للممالك وكيف يجازون بزوال ملكهم بعد ذلك من ابن خلدون ﴾
وصلنا الآن من المقتضات في الفصلين الثالث والرابع إلى المقصود منهما وهو أن الملوك يذلون أهل البلاد وهؤلاء الظالمون أيضا تخرب بيوتهم ، ولأذكر لك مجملا من كلام العلامة ابن خلدون في تاريخه في الجزء السابع فانظر ماذا يقول وهالك نصه

قال ، لما فرغ شأن الردة من إفريقيا والمغرب وأذعن البربر لحكم الاسلام وملك العرب واستقل بالخلافة ورئاسة العرب بنو أمية اقتعدوا كرسى الملك بدمشق واستولوا على سائر الأمم والأقطار وأنحنوا في القاصية من لدن الهند والصين في المشرق وفرغانة في الشمال والحبشة في الجنوب والبربر في المغرب وبلاد الجلالقة والافرنجة في الأندلس وضرب الاسلام بجراحه وألقت دولة العرب بكاملها على الأمم ثم جدد بنو أمية أنوف بني هاشم مقاسمهم في نسب عبد مناف والمتعدين استحقاق الأمر بالوصية وتكرروا خروجهم عليهم فأخذوا فيهم بالقتل والأسر حتى توغرت الصدور واستحكمت الأوتار وتعددت فرق الشيعة باختلافهم في مساق الخلافة من عليّ إلى من بعده من بني هاشم ، فقوم ساقوها إلى آل العباس ، وقوم إلى آل الحسن ، وآخرون إلى آل الحسين فدعت شيعة آل العباس بخراسان وقام فيها البغية فكانت الدولة العظيمة الحاضرة للخلافة ونزلوا بغداد واستباحوا الأمويين قتلًا وسبيًا وخلص منهم في الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام فجدد فيها دعوة الأمويين وانقطع ما وراء البحر عن ملك الهاشميين فلم تخفق لهم به راية ، ثم نفس آل أبي طالب على آل العباس ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك ففرج المهدي محمد بن عبد الله المدعو بالنفس الزكية في بني أبي طالب على أبي جعفر المنصور وكان من أمرهم ما هو مذكور واستلحمتهم جيوش بني العباس في وقائع عديدة وفرّ أدريس بن عبد الله أخو المهدي من بعض وقائعهم في المغرب الأقصى فأجاره البرابرة من (أورية) و(مغيلة) وقاموا بدعوته ودعوة بنيه من بعده ونالوا به الملك وغلبوا على المغرب الأقصى والأوسط وبثوا دعوة أدريس وبنيه من بعده في أهله من زناة مثل (بنى يفرن) و(مغراوه) وقطعوه من ممالك بني العباس ، واستمرت دولتهم إلى حين انقراضها على يد العبيديين ولم يزل الطالبيون أثناء ذلك بالشرق ينزعون إلى الخلافة ويبثون دعائهم بالقاصية إلى أن دعا أبو عبد الله المحتسب بأفريقية إلى المهدي ولد اسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق فقام برابرة كتمانهم ومن إليهم من صنهاجه وملكوا إفريقيا من يد الأغلبة ورجع العرب إلى مركز ملكهم بالشرق ولم يبق لهم في نواحي المغرب دولة ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب ووطأة مضر بعد أن رسخت الملة فيهم وخالطت بشاشة الإيمان قلوبهم واستيقنوا الوعد الصادق أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده

فلم تسليخ الملة بانسلاخ الدولة ولا تقوضت مبادئ الدين بتقويض مسلم الملك وعهد من الله ولن يتخلف في تمام أمره وأظهر دينه على الدين كله فتناغم حينئذ البربر في طاب الملك والقيام بالدعوة اليه أن ظفروا من ذلك بحظا مثل كتمانهم بأفقر يقيا ومكناسة بالمغرب وناقسهم في ذناب زناثة وكانوا من أكثرهم جهلا وأشدهم قوذا فشمروا له حتى ضربوا منهم بسهم فكان لبني يفرن بالمغرب وأفراتيا على يد صاحب الجارم على يد يعلى بن شمد وبقية ملك ضخم ، ثم كان لغرارة على يد بني خزر دولة أخرى تنازعوها مع بني يفرن وصنهاجه ثم انقرضت تلك الأجيال وتجرى دماء الملك بالمغرب بعدهم في جيل آخر منهم فكان لبني مرين بالمغرب الأقوى ملك ولبنى عبد الواد بالمغرب الأوسط ملك آخر فقامهم فيه بنو توجين و بطون من (مغراوة) حسبما نذكر ونستوفي شرحه ونذكر أيامهم و بطونهم على الطريقة التي سلكناها في أخبار البربر والله المهيمن لأرب سواه ولا معبود إلا إياه انتهى ما أردت منه والله أعلم

ولاريد أن هذا الاجال هو الذي جاء به نبينا ﷺ فانه خاف من فتوح البلدان ومن الغنائم وقد تحقق ماخافه والحمد لله رب العالمين

﴿ سر ارتقاء العرب ثم انحلال دولتهم ﴾

قلت لك آنفا ان الله لما أعظم دولة الرومان واستفحلت وعلم انها ستتحلل عموما الى أمة بدوية فاصطفى أفضلها وعامه ثم وازنت بين ما أوحى اليه وما جاء على قلوب الحكماء لأن المادة منه والحكمة منه والوحى منه - فأينما تولوا فثم وجه الله - وإنما الجاهل هو الذي ضاق عقله فلم يتسع إلا الى بعض هذه ، فالعقول والاجرام والدين كلها من الله بل الخير والشر كله منه وكلاهما عند العقول سواء في الافادة والتعليم ، أقول فلما أخذت دولة الرومان تنحل كان الله قد أعد أمة أخرى خرجت من البداية لتعليم الناس وأباحت لها الغنائم لأن هذه الغنائم ساعدتها في فتح البلدان وطيرهم بالمال وبالرجال فذهبوا الى الهند والصين والى أمم الفرنجة وأصبحوا كاهن تحت حكم أمة واحدة ، لم يرد الله بهذا في حكمته إلا أمرا واحدا هو نشر الدين في هذه الأصقاع لأن هذه الأمم في عالم متأخر وهي أرضنا التي عامت انها عالم كله نيران متأججة وهو على صراط مستقيم فليس من العدل عنده أن يجعل أمة واحدة تقود العالم كله لأن ذلك ليس هو العدل الذي أنزله في الارض ، فلا بد لكل أمة أن تستخرج مواهبها ، وهل تستخرج ، واشبهها بتسليط أمة واحدة عليها لذلك أرسل الله نبيا أميا ﷺ وذلك بعد أن عجزت الفلسفة والحكمة في الأمم عن اسعاد الأمم ، إن الفلاسفة اجمعين عجزوا أن ينشروا علما واحدا في العالم كله يجمع الأمم ، ولم يتسن استقراط وأفلاطون المعبرين عند جميع الأمم أكبر جبابرة العقول أن يوجدوا أمة تنشر هذه التعاليم فاختر الله أمة العرب وطيرها في البلاد شرقا وغربا ووضع لها مع ذلك داء دفيننا وهو المال وفتوح البلدان وألهم رسوله ﷺ أن يحذرهم المال ويخوفهم الفتنة بالمال ، فلما توفاه الله أخذوا هم يتبعون سنته ، ولقد سمى المسلمون أبابكر خليفة وهكذا من بعده فهم خلفاء لأموك ، إذن مال الله ليس لهم بل هم خلفاء على عبادته وجميع الناس خلفاء على أموالهم وتسلطهم على الأمم أولا وبالذات لتعليم الدين فلم يزل الدين يتمكن في قلوب الأمم وشيطان الطمع يوسوس في قلوب العرب بحيث يكون الخلف منصرفا عن السلف - تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا -

هنالك دالت دولة العرب وحلت محالها دول أخرى ثم ذهبت وحلت أخرى محالهم ، لماذا كل هذا ؟ لأن الله يقول - وتلك الأيام نداهل بين الناس - فلم يخص العرب بالملك بل هو سخرهم كما يسخر النحل والحشرات للاقاح النبات والنحل إنما تسمى للعسل ، وكما سخر الذكور والاناث لانجاب الذرية وهم إنما اجتمعوا للشهوة لا غير ، فهذه الشهوة قد سخرهم الله بها حتى ولدوا الذرية ثم ذهبت وضعفت وحل محالها ما هو أعلى وأغلى وهو الاتحاد والعطف عليهم والمعاشرة وتدير المنزل ، هكذا اذا كان بعض من كانوا ساعين في فتوح البلدان

لا يريدون إلا عرض الدنيا فان عملهم أنتج تلقيح أفسكار الأمم بالدين الاسلامي مع العلم بأن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ما كانوا يريدون إلا اعلاء كلمة الله ، ولولا ذلك ما أذابوا مهجهم في الحرب ولا توسعوا في الأمم شرقا وغربا . إذن أنت يا الله هكذا أردت ، حذرت من المال وحذرتهم نبيك ﷺ وطيرتهم في الشرق والغرب فزعموا الدين ثم أخذت تسلب من الأبناء مامنحتهم الآباء لتمهد الأسباب لترك آبائنا العرب البلاد لأهلها كما أنك حكمت بموت صاحب الشريعة ﷺ لما أتممت الدين فقلت له ولهم - اليوم أكملت لكم دينكم - فهو ﷺ مات لما أتم ما أوجبه عليه والعرب ماتت دولتهم لما أتمت ما خلقت لأجله لأن الدين لك أنت والأرض لك - ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين - إذن كل ما حصل في أهم الاسلام مصداق للقرآن والمحدث وللفعل النبي ﷺ والكلام الفلاسفة اليونانيين والمسلمين

نبتة من أسباب ذهاب دولة أمة العرب مصداقا للآيات والأحاديث وقوله ﷺ لما أخبرهم بأنهم يفتنون في حلة ويروحون في أخرى وانهم توضع أمامهم صحفة وترفع أخرى جاء في « الرحلة الأندلسية » ما ملخصه انه قد كثرت زواج ولادة الأندلس من العرب وأصراهم من الاسبانين وأول من تزوج منهم عبد العزيز بن موسى بن نصير فقد تزوج بالسيدة (اياونا) أرملة لدرين ملك القوط بعد أن مات أثر جروحه في واقعة شريس التي تغلب عليه فيها طارق بن زياد وتزوج الأمير محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن الأوسط باسبانية اسمها (ماريه) ورزق منها بولده عبد الرحمن الناصر ، وتزوج الحاكم ابن الناصر بن أبي عامر بنت (سانسكو) ملك بافاريا ولدت له ابنة عبد الرحمن وكانوا يسمونه سانسكو الصغير لميله الى ملاذه وجوآته على الدين في سياسته الشخصية ، وتزوج المأمون بن الناصر سلطان الموحدون باسبانية اسمها حباب وخلف منها ابنه الرشيد ، وتزوج السلطان محمد بن أبي الحسن بن الأحمر بالسيدة (ثريا) الاسبانية وولدت له ابنة أبا عبد الله وكانت أم عبد الحق بن أبي سعيد سلطان بني مرين اسبانية . قال وقد فشا الزواج والتسرى بالاسبانيات من القوط وغيرهم بين الأمراء أو الرؤساء من العرب وكان لهذا العنصر الجليل شئ من التأثير فيهم ظهرت نتائجه الخبيثة عند ضعف الدولة كما كانت سببا في استكانة هشام المؤيد الى حاجبه ابن أبي عامر ، تلك الاستكانة التي ساعدت عليها في أول الأمر أمه فلما اختلفت مع المنصور وهوقوى الارادة لم تقدر على كسر حدة فلما كبر ولدها ظهر أثرها فيه فأصبح جبانا لا يسعى الا الى لذاته وقضى في حياته على الدولة الاموية وهذا من أسباب ضعف العرب في أوروبا كما كان من أسبابها كذلك ضعفها في بني العباس بالشرق إذ كانت أم المستعين بالله العباسي صقلية وأم المهدي رومية وأم المقتدر تركية وكانت كثيرة التدخل في أمور الخلافة مدة ولدها وتجتمع بالوزراء والقواد في مجلسها وتصدر اليهم أوامرها من غير علم ولدها فلذلك أخذت الدولة تضعف في الشرق واستبدت الاتراك بدولة بني العباس كما ذهبت دولة بني أمية بالاندلس بنظر ذلك فيما علمت ، وبعد ذلك ظهرت التريبة الاجنبية في عبد الرحمن بن أبي عامر فبه قضى على الدولة العاصرية وفي الرشيد بن مأمون بضعف الموحدون وفي عبد الحق بن سعيد المريني ملك المغرب بضياع الملك من بني مرين وفي أبي عبد الله ابن الأحمر بالقضاء على حكم العرب في الاندلس

وقد كان الزواج بالاسبانيات ليس خاصا بالامراء بل تعداهم الى العامة بل نسموهم اليهن على غير عادة العرب فقالوا ابن الرومية وابن القوطية بل هذا التلقيح ظهر أثره في البر بفرق من أخلاقهم وقل من حلتهم هذه أحوال أهم العرب شرقا وغربا ، فهل تعجب بعد هذا البيان اذا تذكرت ما قدمته لك في (سورة طه) عبيد قوله تعالى - وقل رب زدني علما - إذ ذكرت لك هناك انقسام الدولة العباسية في الشرق الى دول مختلفة أو ضمتها هناك بعد انحلالها ، وكذلك لا تعجب اذا عرفت ما ذكره هنا من انحلال الدولة الاموية بالاندلس وانقسامها الى عشرين دولة صغيرة مثل (شيليه . جيان . سرقسطه . الشفر . طليطله . قرمونه

الجزيرة الخضراء . مرسية . بلنسية . دانيه . طرطوشه . لاوده . باجه . مالقه . بطليوس . لشبونه .
جزائر البليار . قرطبة) راجع كتاب (الرحلة الأندلسية) صديقنا البتنوني . فهذه النبذة التاريخية ملخصة
منه . هذا مصداق الأحاديث المتقدمة والآيات وآراء الفلاسفة ، فالنبي ﷺ قد أخبر به وجعل المال والغنائم
سببا للحرمان اذا استعملت للشهوات وتذكر حديث الرواح في حلة والغدو في حلة وقوله تعالى - وأترفناهم في
الحياة الدنيا - وآراء أفلاطون اذا أصبحت أخلاق الأبناء على خلاف أخلاق الآباء وهي المدينة التي انحرفت
عن مدينة الأشراف وهي كذلك المدينة الفاسقة عند الفارابي ، إذن ما حصل لأهم العرب قبلنا هو مقتضى
قواعد الدين والحكمة واتى أحمد الله حمدا كثيرا على ما علم وأسلم وأسعد فله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم
واليه ترجعون

ههنا اطمأنت النفس للعلم وعرفت الحقيقة بقدر الطاقة البشرية ، وما كان يخيل لي مرة في أول حياتي أن
أطلع على هذا الجمال والبهاء والحكمة وأن أصل الى بهجة الحكمة والعلم بمقدار طاقتي بحيث يكون شربا
صافيا وطريقا معبدا يسير به أهل العلم في حياتي وبعد موتي وعليه يننون مستقبلهم في هذه الحياة ويعرفون
نظائره من المؤلفات في زماننا حتى يحيا ما اندرس من معالم العلم والدين ويوقظوا أمما خلت ودولا هلكت
فالتة كما أذهب ملك كثير من الأمم الشرقية فأناهم أجيالا هولاء محالة معيد لهم مجدهم لأنه جعل العالم دولا
- وتلك الأيام نداها بين الناس - وهو يقلب الليل والنهار ، فهذه هوذا قد أعدت العدة ومهد الطرق لخلق أهم
جديدة في الشرق . فهو كما مهد لذهاب دولهم بأن أمر مترفيهم بالاندلس من الأمويين والعباسيين ففسقوا
فيهم خفق عليهم القول فدمر دولهم تدميرا . هاهوذا سبحانه أخذ يهيئ الأسباب لارجاع شباب دول أخرى
من أبنائهم قد ناموا أمدا طويلا ومن تلك الأسباب هذا التفسير وأمثاله فسيقروه ويقرأ أمثاله رجال وشبان
وستقوم أم وأهم أعلى كعبا وأرقى وأشرف دولا من الأمم السابقة في الشرق إذ يعتبرون بما حلّ بأبائهم
ويظهر فيهم مؤلفون يعلمونهم ما كان يحمله آبائهم واذ ذاك يعرفون معنى قول النبي ﷺ « ويل للعرب من
شرّ قد اقترب » ويعرفون أيضا قول النبي ﷺ لمن جاء يسأله عن الساعة أن ذلك حين تلد الأمة ربتها
وحين يتطاول الرعاء في البنيان وهذا هو الذي حصل فعلا في الشرق والغرب كما علمت فان الاماء ولدن الملوك
كما رأيت في بني العباس وبني أمية وهكذا انساء الا جانب على وجه العموم فكان ذلك سببا في فساد الدول الاسلامية
وضياعها فاذا علموا ذلك فهموا أن جوابه ﷺ للسائل عن الساعة جاء على الاسلوب الحكيم إذ يسأل السائل
عن الساعة العامة فأجابه هو عن الساعة التي تضع فيها دولة العرب وقد عرفت المجزة في ذلك كما كتبت في
كتابي (التاج المرصع)

وههنا أن أن ألقى اليك ما عقدت له هذا المقال في الامر الثالث والرابع وهو باب الامرين وما تقدم انما هو
مقدمات لهذا الباب وهو - ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ وأن - بيوتهم خاوية بما ظلموا - كما قاله
أبو نصر الفارابي في المدينة الفاسقة التي لم تكن على سنن الجسم الانساني الطبيعي وكما قاله أفلاطون في المدينة
التي مالت عن سنن مدينة الاشراف فأسمعك الآن فصولا تؤيد ما تقدم من كلام العلامة ابن خلدون وهما
(مطلبان * المطلب الأول) كيف يحصل الفساد والحرب في الأمم المفلوبة (المطلب الثاني) كيف تقع
الأمم الظالمة في سوء أعمالها وتذهب دولهم

(المطلب الأول . كيف يحصل الفساد والحرب في الأمم المفلوبة على أمرها تفسيراً لقوله

تعالى - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ)

(فصل) قال العلامة ابن خلدون مانصه

(١) إن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانتقياد الى سواهم

- (٢) وأن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الفناء
 (٣) وأن الأمم العربية (لما تركت الدين ورجعت الى قسوتها الأولى) اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب
 (٤) وأن العرب (أى بعد أن تركوا الصبغة الدينية) أبعد الأمم عن سياسة الملك
 (٥) وأن الظلم مؤذن بخراب العمران

هذه هي الفصول التي ذكرها ابن خلدون مبرهنا عليها بحوادث وسأذكرها لتعلم لماذا ذهبت دول آبائنا في الشرق وفي الاندلس وتعلم قوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال - وهنالك تفرح بنعمة العلم إذ تقف على الحقائق وتنفع الأمم الاسلامية بعلمك وعملك واجتنابك ما فعله المتأخرون ، فقال رحمه الله تعالى في الأول

﴿ الفصل الأول في أن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد الى سواهم ﴾

وسبب ذلك أن المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدتها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فاعرجوا للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزاً عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك الشام وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها ، كيف عجزوا عن ذلك وقالوا - ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها - أى يخرجهم الله تعالى منها بضرب من قدرته غير عصبيتنا وتكون من معجزاتك يا موسى ، ولما عزم عليهم لجؤا وارتكبوا العصيان وقالوا له - اذهب أنت وربك فقاتلا - وما ذلك إلا لما آتسوا من أنفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر في تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد ومارعوا من الذل للقبط أحقاباً حتى ذهبت العصبية منهم جلة مع انهم لم يؤمنوا حق الايمان بما أخبرهم به موسى من أن الشام لهم وأن العمالقة الذين كانوا بأريحاء فريستهم يحكم من الله قدره لهم فأقصروا عن ذلك وعجزوا تعويلاً على ما علموا من أنفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما أخبرهم به نبينهم من ذلك وما أمرهم به فعاقبهم الله بالتيه وهوانهم تاهوا في قفر من الأرض ما بين الشام ومصر أربعين سنة لم يأووا فيها لعمران ولا نزلوا مصر ولا خالطوا بشراً كما قصه القرآن لغلظة العمالقة بالشام والقبط بمصر عليهم لجزمهم عن مقاومتهم كما زعموه ، ويظهر من مساق الآية ومفهومها أن حكمة ذلك التيه مقصودة وهي فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلقوا به وأفسدوا من عصبيتهم حتى نشأ في ذلك التيه جيل آخر عزيز لا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصبية أخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك أن الأربعين سنة أقل ما يأتى فيها فناء جيل ونشأة جيل آخر ، سبحانه الحكيم العليم ، وفي هذا أوضح دليل على شأن العصبية وانها هي التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وأن من فقدتها عجز عن جميع ذلك كله . ويلحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم والضرائب فان القبيل المغارمين ما أعطوا اليد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لأن في المغارم والضرائب ضيماً ومذلة لا تحتملها النفوس الآية إلا اذا استهوتته عن القتل والتلف وأن عصبيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ، ومن كانت عصبيته ضعيفة لا تدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الاتقياد للذل والمذلة كما قدمناه ومنه قوله ﷺ في شأن الحرث لما رأى سكة المحراث في بعض دور الأنصار « ما دخلت هذه دار قوم إلا دخلهم الذل » فهو دليل صريح على أن المغرم موجب للمذلة ، هذا الى ما يصحب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رأيت القبيل بالمغارم في ربة من الذل فلا تطمعن لها بملك آخر الدهر ، ومن هنا يقين لك غلط من يزعم أن زنانة بالمغرب كانوا شايوة يؤدّون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رأيت إذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولا تمت لهم دولة ، وانظر فيما قاله (شهر برار) ملك الباب

لعبد الرحمن بن ربيعة لما أطل عليه وسأل (شهر برار) أمانه على أن يكون له فقال « أنا اليوم منكم يدي في أيديكم وصغرى (١) معكم فرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا إليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ولا تذونا بالجزية فتوهنونا لهذركم » فاعتبر هذا فيما قلناه فإنه كاف

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الأول . فأما ما قاله في الفصل الثاني وهو أن الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء فهذا نصه

﴿ الفصل الثاني في أن الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء ﴾

والسبب في ذلك والله أعلم ما يحصل في النفوس من التسكاسل إذا ملك أمرها عليها وصارت بالاستعجاب آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الأمل ويضعف التناسل والاعتماد إنما هو عن جدة الأمل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فإذا ذهب الأمل بالتسكاسل وذهب ما يدعو إليه من الأحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعيمهم وعجزوا عن المدافعة عن أنفسهم بما خضع الغلب من شوكتهم فأصبحوا مغلبين لكل مغلوب طعمة لكل آكل وسواء كانوا حصاوا على غايتهم من الملك أو لم يحصوا وفيه والله أعلم سر آخر وهو أن الإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس إذا غلب على رئاسته وكبح عن غاية عزه تسكاسل حتى عن شبع بطنه ويرى كبده وهذا موجود في أخلاق الاناسي ، ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانها لا تسافل إذا كانت في ملكة الأدميين فلا يزال هذا القبيل المماوك عليه أمره في تناقص واضمحلال الى أن يأخذهم الفناء والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم في أيام العرب بقي منهم كثيرا وكثر من الكثير يقال ان سبعة أحمى من وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفا منهم سبعة وثلاثون ألفا رب يدت ، ولما حصاوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم إلا قليلا ودثروا كأن لم يكونوا ، ولا تحسبن أن ذلك لظلم نزل بهم أو عدوان شملهم فلسكة الاسلام في العدل ماعمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على أمره وصار آلة لغيره ، ولهذا انما تدعن لارق في الغالب أهم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من طبيعة الحيوانات الحجم كما قلناه أو من يرجو بانتظامه في ربة الرق حصول رتبة أو افادة مال أو عز كما يقع لملك التركة بالشرق والعلاج من الجلالة والافرنجة بالأندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأنفون من الرق لما يأملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الثاني . فأما ما قاله في الفصل الثالث وهو أن الأمم السريية (أى التي تركت الدين) اذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب فهالك نصه

﴿ الفصل الثالث في أن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب ﴾

والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة وكان عندهم ملذوذ لما فيه من الخروج عن ربة الحكيم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الأحوال الهادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالحجر مثلا انما حاجتهم اليه لنصبه أثافي للقدر فينقلونه من المباني ويخربونها عليه ويهدونه لذلك والخشب أيضا انما حاجتهم اليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران هذا في حالهم على العموم وأيضا فطبيعتهم انتهاج ما في أيدي الناس وأن رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون اليه بل كلما امتدت أعينهم الى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه فاذا تم اقتسارهم على ذلك بالتغلب والملك بطالت السياسة في حفظ أموال الناس وخرب العمران وأيضا فلا أنهم يتلفون على أهل الأعمال من الصنائع والحرف أعمالهم لا يرون

(١) كذا بالأصل

لها قيمة ولا قسما من الأجر والثمن. والأعمال كما سذكره هي أصل المكاسب وحقيقتها وإذا فسدت الأعمال وصارت مجانا ضعفت الآمال في المكاسب وانتبضت الأيدي عن العمل وابتدعوا الساكن وفسد العمران وأيضا فانهم ليست لهم عناية بالأحكام وزجر الناس عن المفسد ودفع بعضهم عن بعض انما همهم ما يأخذونه من أموال الناس منها أومرما ، فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه أعرضوا عما بعده من تسديد أحوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن أغراض المفسد وربما فرضوا العقوبات في الأموال حرصا على تحصيل الفائدة والحماية والاستكثار منها كما هم شأنهم ، وذلك ليس بمعن في دفع المفسد وزجر المتعريض لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم إلا بها وتقدم ذلك أول الفصل ، وأيضا فهم متنافسون في الرئاسة وقل أن يسلم أحد منهم الأمر لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته إلا في الأقل وعلى كره من أجل الخياء فيتعدد الحكم منهم والأمراء وتختلف الأيدي على الرعية في الحماية والأحكام فيفسد العمران وينتقض قول الاعرابي الوافد على عبد الملك لما سأل عن الحجاج وأراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال « تركته يظلم وحده » وانظر الى ممالكهم وتقلبوا عليه من الأوطان من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانه وأقفر ساكنه وبدلت الأرض فيه غير الأرض ، فالبن قرارهم خراب إلا قليلا من الأمصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس أجمع والشام لهذا العهد كذلك وأفريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطه خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدائن والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . انتهى ما قلناه العلامة ابن خلدون في الفصل الثالث وأما ما قلناه في الفصل الرابع وهو أن العرب (أي الذين تركوا العمل بالدين) أبعد الأمم عن السياسة فهذا نصه

﴿ الفصل الرابع في أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك ﴾

والسبب في ذلك انهم أكثر بدواة من سائر الأمم وأبعد مجالا في الفقر وأغنى عن حاجات التلذذ وحبوبها لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لا يلافهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج اليهم غالبا للعصبية التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكتهم وترك مراغمتهم لئلا يختل عليه شأن عصبيتهم فيكون فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعا بالقهر والالام تستقم سياسته ، وأيضا فان من طبيعتهم كما قدمناه أخذ ما في أيدي الناس خاصة والتجاني عما سوى ذلك من الأحكام بينهم ودفع بعضهم عن بعض ، فاذا ملكوا أمة من الأمم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع بأخذ ما في أيديهم وتركوا ما سوى ذلك من الأحكام بينهم ، وربما جعلوا العقوبات على المفسد في الأموال حرصا على تكثير الجبايات وتحصيل الفوائد فلا يكون ذلك وازعا وربما يكون باعنا بحسب الأغراض الباعثة على المفسد واستهانة ما يعطى من ماله في جانب غرضه فتتولد المفسد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الأمة كأنها فوضى مستطيلة أيدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريها شأن الفوضى كما قدمناه فبعثت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة دينية تمحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من أنفسهم وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدواتهم في الملة لما شيد لهم الدين أمر السياسة بالشريعة وأحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم وكان رستم اذا رأى المسلمين مجتمعون للصلاة يقول أكل عمر كبدي يعلم الكلاب الآداب ، ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة أجيال نبذوا

الدين ففسدوا السياسة ورجعوا الى قفرهم وجهلوا شأن عصبيتهم مع أهل الدولة ببعدهم عن الانقياد واعطاء النصفة فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك إلا أنهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ، ولما ذهب أهل الخلافة وانمحي رسمها انقطع الأمر جلة من أيديهم وغاب عليهم العجم دونهم وأقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم أنهم قد كان لهم ملك في القديم وما كان في القديم لأحد من الأمم في الخليفة ما كان لأجيالهم من الملك ودول عاد وثمود والعمالة وحير والتابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في الاسلام بنى أمية وبنى العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى أصلهم من البداوة وقد حصل لهم في بعض الأحيان غلب على الدول المستغففة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون ما له وغايته إلا نحر يب ما يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله يؤتي ملكه من يشاء اه

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الرابع ، وقال في الفصل الخامس مانصه

(الفصل الخامس في أن الظلم مؤذن بخراب العمران)

وهنا ذكر أن الناس اذا اغتصبت مكاسبهم وقهروا على ممالكهم وانتهبت من أيديهم كسلوا عن العمل وانقطعت آمالهم وقعدوا عن العمل لعلهم أنه ذاهب من أيديهم ، وضرب لذلك مثلاً ما ذكره المسعودي في أخبار الفرس عن الموبذان صاحب الدين أيام بهرام بن بهرام ومعارض به للملك في انكار ما كان عليه من الظلم إذ سمع اليوم وسأل بهرام الموبذان عن معنى كلامها فقال له انه يعلمه وأن الأئمة لما طلبها الذكر شرطت عليه أن يقطعها عشرين قرية من الخراب فقال لها إن دام بهرام أقطعك ألف قرية فتنبه الملك فقال له الموبذان لا يتم الملك إلا بالشريعة ولا تتم الشريعة إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال والرجال بالمال والمال متوقف على الشهادة والعلم بالعدل والعدل ميزان منصوب بين الخليفة وأفعمه أنه قد انتزع الضياع من أهلها فهلكت الرعية وضاع الجند وهرمت الدولة فاتعظ الملك وعدل فانتظم مملكه . وهكذا أخذيين أن الدولة العظيمة لا يظهر فيها أثر الظلم دفعة واحدة بل يكون بالتدريج ثم يظهر بعد حين كالأصراض الدائمة - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون - انتهى المطلب الأول

(المطلب الثاني : كيف تقع الأمم الظالمة في سوء أعمالها وتذهب دولهم تبينا لقوله تعالى

- فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا - وفي هذا المطلب جوهرتان)

(الجوهرة الأولى ما قاله العلامة ابن خلدون أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم) قال وسبب ذلك أن القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعم والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصصة بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع أحد في انتزاع أمرها ولا مشاركتها فيه أذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شيء من منازع الملك ولا أسبابه انما همتهم النعيم والسكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والأخذ بمذهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأني فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدنو اليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبة والبسالة ويتنعمون فيما آتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم ويستكفون عن سائر الامور الضرورية في العصبة حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتتقص عصبيتهم وبسالتهم في الأجيال بعدهم بتعاقبها الى أن تنقرض العصبة فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون اشراقهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والفرق في النعيم كاسر من سورة العصبة التي بها التغلب ، واذا انقرضت العصبة قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة والنهضة الأمم سواهم ، فقد تبين أن الترف من عوائق الملك والله يؤتي ملكه من يشاء اه

فهذا هو تفسير قوله تعالى - إن الملوكة إذا دخلوا قرية أفسدوها - وقوله تعالى - فتلك بيوتهم خاوية بما ظالموا - وبهذا تم الأمر الرابع من الأمور الستة المذكورة

﴿ الأمر الخامس ﴾ في أن الإنسان وإن قلدا الحيوان في صناعاته فإن هناك من الأعمال ما يعجز عن نظيره الإنسان فيجب عليه أن يجد فيه

﴿ الأمر السادس ﴾ خطاب الأمم كلها شرقا وغربا ، وهذان الأمران ستراهما في آخر هذه السورة عند قوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ

ولكن هنا أتم الكلام على نظام الأمم الإسلامية الذي ظهر في التاريخ وتقلته عن ابن خلدون ، فإذا فعل الله تلقاء هذا ؟ علم الله قبل أن يرسل نبينا ﷺ أن أمم العرب والأمم التي معها ستقوم دولهم بالعصبية لأن استعداد أهل الأرض إذ ذاك لم يتجاوز هذا المقدار من الفضائل وعلم أنهم سيحبون الأرض شرقا وغربا وأنهم سينشرون الدين ثم تنطوي دولهم واحدة بعد الأخرى ، فإذا أعد لأهل الأرض ؟

﴿ أولا ﴾ أوحى إلى رسوله ﷺ أن يخبرهم بأن فتوح البلدان سيكون فتوح شر وغاية الأمر أنهم مسخرون وأخبرهم بأنه يخاف عليهم من ذلك الفتوح وأن البطنة والترف سيهلكهم ، فعل الله ذلك كله معهم ﴿ وثانيا ﴾ خلق أمما أخرى وأعد لها لمهارة الأرض وأرسلهم من جزيرة قلاء في الأرض ليعلموا الأمم لما علم بعلمه القديم أن فارس وروم قد قتلتهن البطنة ، هكذا هذه الأمم الإسلامية أعد لها أمما تحل محلهم إذا أضاعهم الترف وأهلكهم النعيم كما أخبر الصادق ﷺ ومما نك الأمم التي أعدّها الله لمهارة الأرض واستعمارها ﴿ الجوهرة الثانية ذكر بعض الممالك التي أعدّها فاحتلت بلاد بعض المسلمين لما ذهبت دولهم ﴾

ذكرت لك أيها الذكي فيما تقدم هنا اجمال الكلام على ممالك الاسلام وأنهم ذهبت دولهم دولة بعد أخرى من عرب وغيرهم وقلت لك أنهم على وتيرة واحدة (حرص على الدنيا - ترف وشهوة - ظلم للرعية - ذل الرعية ذهاب الدولة) فهذا إذا ذكر لك الممالك التي كان أعدّها الله لتحتل بعض بلاد الاسلام وهذه الممالك التي سأذكرها لك امتازت بأنها لا تجعل الأحوال موقوفة على الملوكة بل الشعب قائم بترقية نفسه بخلاف تلك الممالك فقد كان المدار غالبا عندهم على الملوكة فان مالوا للعلم والاصلاح مالوا اليهما والافلا فكانت الشعوب تتبع المصادفات وهكذا لا يتزوجون الأجانب لئلا يفسد النسل فتضيع الدولة وتذهب هباء منثورا ، وهكذا لا يأمنون الأجانب فلا يولونهم الوظائف العالية في بلادهم بخلاف الأمم الإسلامية كالتركية ، فلا ذكر لك دولة انكارتا وفرنسا الخ ﴿ دولة انكارتا ﴾

كانوا في أول أمرهم كالوحوش ومساكنهم حقيرة يقيمونها تارة من الأعواد وأوراق الشجر وتارة من الطين وكان عملهم صيد الحيوانات بها يعيشون وحالهم كأجلاف العرب وكانوا يسجدون للصخور والحجارة وينابيع الماء وأول ظهور أمرهم كان قبل المسيح (سنة ٥٥ ق . م) على ما يقول السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان ثم لم يزل أمرهم يظهر ويقوى ولم يستقلوا إلا (سنة ٨٢٧ ب . م) وستة ٣٤٣ هـ وكان دخولهم في النصرانية قبل الهجرة بست وعشرين سنة وهم فيهم الكاثوليكية والبروتستانت والدينية وهم مجتمعون من قبائل شتى ، وفيهم جماعة من (الكاثوليكين) ولهم جزيرتان منفصلتان (بريطانيا) و (ايرلندة) وصارت دولتهم عظيمة واستولوا على الهند سنة ١٧٥٧ م أي سنة ١١٧٢ هـ وتم استيلاؤهم على الهند سنة ١٨١٦ م أي سنة ١٢٠٨ هجرية وذلك بعد حروب كثيرة ، واستولوا على جبل طارق الذي في المغرب سنة ١١١٦ هـ إذ انتزعوه من الأسبان في ذلك التاريخ والاسبانيون قبل ذلك انتزعوه من المسلمين سنة ٨٦٧ هـ وهذا الجبل مفتاح البحر الأبيض المتوسط وهو مقابل للجزيرة الخضراء التي هي من بلاد الأندلس ويسمى جبل طارق وطارق هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير وموسى مولى عبد العزيز بن مروان الذي هو أخو عبد الملك

ابن مروان ووالده عمر بن عبد العزيز فسمى الجبل باسم طارق المذكور لأنه نزل بالمسلمين عنده لما قصد فتح الأندلس ولذلك يسمى (جبل الفتح) والعامية يسمونه (جبل الطار) وهكذا دخلوا مصر بعد ذلك

﴿ دولة الفرنسيس ﴾

أما دولة الفرنسيس فقد ابتدأ ملكهم (سنة ٤٢٠ ب . م) قبل الهجرة بمدة (٢٦٣) ذلك ابتداء نظام ملكهم ، وقبل ذلك كان لهم ملوك لم ينتظم أمرهم ولم يكمل استقلالهم بل كانوا تارة يستقاون وتارة يحتلهم غيرهم ، ومبدأ أمرهم كان قبل الميلاد بخمسة قرون وكانت اليونان تحكمهم ولما غلب الرومان اليونان حكموهم فلم يكن ملكهم مستقلاً وكانوا يعبدون الأصنام المصورة على صورة السكواكب فهي أشبه بديانة أهل الهند عباد الأوثان ثم دخلوا في النصرانية (سنة ٤٩٦) وأول من دخل منهم فيها الملك (كاويس) وهم كاثوليكية وبعضهم على المذهب البروتستانتى ، ومنهم من لا يتدين بدين بل كثير منهم من ينكرون الصانع وقد حصل بينهم وبين الانجليز حرب دامت (١١٦) سنة من سنة ١٣٣٧ م أى سنة ٧٣٨ هـ والصلح كان سنة ١٤٥٣ م أى ٨٥٧ هـ وهذا يسمى حرب المائة سنة

واستولت الفرنسيس على الجزائر بأفريقية سنة ١٢٤٦ هـ وفى سنة ١٢٩٦ أدخلوا المحاكم التونسية فى حمايتهم وقد استولوا على مراکش فى أيامنا هذه

﴿ دولة هولاندا ويقال لهم الفلمنك ﴾

هذه كانت تحت حكم اسبانيا ودار الحرب بين الدولتين مدة ثمانين سنة واستقلوا سنة ٩٨٧ هـ وفى تلك السنين استولوا على بلاد جاوه وكان دخولهم النصرانية فى الزمن الذى دخل فيه غيرهم من أوروبا

﴿ دولة اسبانيا ﴾

كانت تابعة لدولة اليونان فالرومان ثم بعض ملوك أوروبا ثم استولى المسلمون على أكثر ممالكهم لما فتحوا الأندلس فكان الأندلس تحت يد اسبانيا الى (سنة ٩٢ هـ) فانتزعه المسلمون منهم وبقى معهم ملك ضعيف فى آخر الأندلس ووقعت بينهم حروب كثيرة ثم انتزعوا الأندلس من المسلمين شيئاً فشيئاً الى أواخر (سنة ٩٠٠ هـ) ثم أخرجوا من بقى من المسلمين بالأندلس فى (سنة ١٠١٠) واستقلوا بالملك ، وكانوا أولاً يعبدون الأصنام ودخلوا فى النصرانية فى الزمن الذى دخل فيه غيره . انتهى من كتاب السيد أحمد ابن السيد زبني دحلان المترجم عن اللغات الافرنجية

هذه هى الدول التى أردت ذكرها هنا لأن هؤلاء أكثر من يحتلون اليوم بلاد الاسلام فكثر دولهم ليعلم المسلمون أنهم لما جعلوا الممالك مغنم واقتتلوا على ذلك لأجل الترف والنعيم فى العصور المتأخرة أبعدهم الله عن الملك وأجاس غيرهم على عروشهم وذلك قوله تعالى - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً -

﴿ استعمار الفرنجة لبلاد الاسلام وهل يدوم ؟ ﴾

اعلم أن الله عز وجل كما قدمنا قد أعد الأمم العربية لفتح البلاد لما أصبحت الأمم القديمة لاتصلح لادارتها ولما فسدت الأجيال العربية والامم التى حلت محلها أعدت أمماً أخرى كالانجليز وكالفرنسيس ، ولكن هذه الأمم سلكت مسالك العرب فى القرون المتأخرة ، وانما أرسل هؤلاء فاحتلوا بلاد الاسلام ليوقظ فيهم روح الحمية - لعلهم يعقاون - والزمان سيدستبد بدورته ، وهما هى ذه الأمم الشرقية آخذة فى الرقى مجدة لأخذ مكانتها تحت الشمس - وهم من بعد غلبهم سيفعلون - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

ولكن هنا أخطب الأمم الاسلامية فأقول ، ها أنتم أولاء قرأتم تاريخ أسلافكم واطلعت على ما حل بهم فى الشرق والغرب وظهركم هذه الخصال

﴿الخصلة الأولى﴾ إن الترف والتنعم هما المقصودان لسكل من طلب الملك في الأمم الإسلامية المتأخرة في الأندلس وفي بلاد الشرق

﴿الخصلة الثانية﴾ إن هذا الترف والتنعم جعلهم على ظلم الرعية كما في آية - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها -

﴿الخصلة الثالثة﴾ أن تلك الأمم المظلومة تذل بهذه الأعمال

﴿الخصلة الرابعة﴾ أن الأمم الظالمة تضعف قواها الجسمية والعقلية بسبب الفاقة والسكسل والأتسكال على

عمل غيرهم

﴿الخصلة الخامسة﴾ أن هؤلاء المالكين ينقرضون أيضا

﴿الخصلة السادسة﴾ أن أئما أخرى تحل محلهم

﴿الخصلة السابعة﴾ أن هؤلاء يحصل لهم ما حصل للسابقين حذوا والنحل بالنحل

ونتيجة ذلك أن الأمم ماهي إلا كدود مخلوق في جثة الميت وهذا السود لما فنى جسمه يأكل بعضه بعضا حتى إذا بقيت في آخر الأمر دودتان أكلت أقواهما أضعفهما ثم ماتت الآكلة بالجوع . وهذا تاريخ الأمم المتأخرة الإسلامية

﴿لطيفة في هذه الأيام﴾

في هذه الأيام حصل أمر مهم لابد من ذكره في التفسير لأنه يناسب هذا المقام لأن الله عز وجل قد أيد هذا التفسير تأييدا عظيما ، ذلك أنه في يوم ٢٤ ابريل سنة ١٨٢٩ دعاني الاستاذ أحمد زكي باشا لحفلة شاي جمعت علماء الشرق وعلماء الغرب ، فلا ذكر ما دار فيها لأنه أكبر شاهد على ما وصل اليه جيلنا العربي من التضرع للأئمة وهذا نص الخطبة

أتمتعون أيها السيدات والسادات اني أغتم كل فرصة سانحة لأكون واسطة التعارف بين أكاير الافرنج وأفاضل العرب ولى في ذلك مطعم بعيد المدى وهو أن يكون هذا التفاهم سببا في خلق جر جديد من الصفاء والوفاء بين الشرق والغرب ، فهذه الغيوم التي نشكو من تواليها لابد لها من الانقشاع ، وتلك الارهاقات التي نعانيها من سياسة البطش والاستعمار لامناص لها من التبدد والزوال ، أما الامتيازات الأجنبية التي تجعل أكبر عزيز في بلادنا مهانا في عقرداره ومهضوم الحق بازاء الآفاق الطارى عليه فقد انقضى زمانها ودالت دولتها في كل البلاد (ماعدا مصر)

هذه الامتيازات هي العنبة الكبرى في سبيل التفاهم بيننا وبين أوروبا لأنها أكبر سبة لكرامتنا القومية ولماضينا المجيد ، ولادواء هذه الحال القاسية إلا عن طريق أهل الرأي المجردين عن الهوى وهم أفاضل الافرنج ذوو الأخلاق الطاهرة والضما راحية ، أولئك الذين لا تهمهم مصالحهم الشخصية فيصوّروننا بأشكال لا تنطبق على الواقع واسكنها ترجع بالفوائد المادية عليهم وحدهم دون غيرهم ، هؤلاء المستشرقون والمستعربون هم القادرون على بث الدعوة بين قومهم ليحملوهم أخيرا ويعتدوا الزمان على الاعتراف بأن العرب جديرون بأن يتبوؤوا مركزهم تحت الشمس لأنهم على الأقل مساوون لبعض الأمم العائشة في النصف الشرقى من أوروبا لقد كان من دواعى اغتباطى أن يجتمع في هذه الفترة القصيرة سيدات من كرام العائلات الشرقية والافرنجية بجانب رجال من الطراز الأول على ضفاف البحر الأبيض المتوسط للتعاون على انشاء قنطرة أدبية فوق ذلك البحر المجيد لتسهيل التواصل والتعاون بيننا وبين أوروبا الرشيدة ، أتوجد فرصة لتحقيق هذا الغرض من التي أناحها لى الزمان في هذه الساعة ، ثم أخذ الاستاذ زكى باشا في تقديم المحتفل بهم الى الحاضرين حسب ترتيب أسمائهم في الحروف الهجائية فذكر أولا الاستاذ جميل بيهم فالاستاذ أنجلو جوبدى فالدكتور شخت فالسيد عبدالرحمن القصبي فالسيد العرفى فالستركراين فالاستاذ لينان فالاستاذ مارجوليت فالاستاذ تايلو فالاستاذ

يهودا ذا كرا عن كل منهم ما كان فيه الغناء والكفاء لتعريف الحاضرين بهم ، الى أن قال
ياسادة العرب . ويا أفاضل الافرنج ، مفروض عليكم أن تتضافروا على تحقيق الأمانى الكبار التي يرمقها
أبناء الشرق على العموم ويحس إليها العرب بنوع خاص

فياسادة العرب ، ويا أفاضل الافرنج ، مفروض عليكم أن تتضافروا لتحقيق هذه الغاية بقلوب يهمرها
الايمن بحقوق الانسانية على الانسان ، مفروض عليكم أن تتعاونوا هنا وفي ما وراء البحار على تهيئة رأى
العام في ديار أوروبا وأمريكا لادراك هذه الحقيقة التي تفعت الخلفاء في أيام الحرب والتي سيحتاجون إليها بلاشك
كلما تجدد الخطب واشتد الكرب

مفروض عليكم أن تتواصلوا بالفعل وبالعمل الى تحقيق تلك الأمنية العالية الشريفة وهي المجاهدة في
ديار أوروبا وأمريكا حتى يعرف أهواهما بأن العرب جديرون بالرعاية والاحترام ، جديرون بالحرية الصحيحة
جديرون بالاستقلال التام

ولى كل يوم موقف ومقالة * أنادى ليوث العرب ويحكموهبوا
ثم دعى للكلام حضرة أسعد لطفى بك رئيس نقابة موظفي الحكومة فألقى كلمة نوّه فيها بما للمستشرقين
من الفضل في خدمة العلم واللغة العربية وختمها بالترحيب بهم وشكر الحاضرين على تلبية الدعوة ، وبعد ان
انتهى أسعد بك من كلمته وقف الاستاذ (لينان) المستشرق الألماني فاستهل الكلام بقوله ﴿ نحن الغربيين
متشكرون جدا لسعادة زكي باشا لهذه الحفلة التي جاءت فريدة في مجموعها ولوانها جاءت على الحركك (كذا)
ثم قال اننا ونحن في ألمانيا نقول ألمانيا فوق الجميع وأنتم أيها المصريون تقولون في وطنكم مصر فوق الجميع
ولكن كلمتنا في هذا الاجتماع هي العلم والتفاهم بين الأمم الشرقية والغربية فوق الجميع ﴾

وبعد ذلك دعى للكلام الاستاذ (مارجليوت) المستشرق الانجليزى المشهور وهو في العقد الثامن من
عمره غيا الحاضرين وشكرهم على حقواتهم واحترافهم وخص بالشكر العلامة زكي باشا على هذا الاجتماع
الذى سبق ذكره في الأفتدة طول العمر على مر السنين مستشهدا بأحد أبيات المتنبي اه وانما ذكرت
هذا لأنه اجتماع جمع من عظماء الشرق والغرب وكننا نحن أبناء العرب نطلب المساعدة من عامائهم في استخراجنا
من ذل الاستعباد ، ذكرت هذا ليصرف أبنائنا بعدنا ذلك فيحترسوا

﴿ الذى أراه في اسعاد هذه الأمم الاسلامية في المستقبل ﴾

أيها المسلمون إياكم أن يزعمكم ما نقلته عن ابن خلدون في قوله ﴿ ان الأمم العربية لا تسلط إلا على البسائط
وانها ما دخلت أمة إلا أسرع إليها الفساد وانها خربت أئما وأما كما تقدم ﴾ فانه هو نفسه قال ﴿ ان ذلك ما
حصل إلا بعد أن تناسوا الدين ورجعوا الى طبيعتهم ﴾ ثم ان الله ما فعل ذلك إلا تحقيقا لوعده إذ قال - وتلك
الأيام نداوها بين الناس - ثم هو سبحانه وعدنا خيرا فقال - ولا تكفروا كالذين أوتوا الكتاب من قبل
فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون * اعلما أن الله يحبي الأرض بعد موتها قد بينا لكم
الآيات لعلكم تعقلون - اننا وصلنا الى أدنى مراتب الاسلام في قرون وقرون سواء أ كنا عربا أم تركا ،
فهذه الأمم كانت تجهل الدين جهلا تاما ، وهاهو ذا وعد الله عز وجل باحياء أئما قد ظل ابانه وأقبلت أيامه
﴿ اجتماع الأمم بالعلم بعد الاجتماع بالمصيبة ﴾

لقد تبين لكم من تاريخ الدول الاسلامية من كلام ابن خلدون أن قوامها لم يكن إلا على العصبية فلا
مهدي إلا بالعصبية ولا ملك إلا بها ، وقد تقدم أن العصبية تضمحل وتضعف بالترف والترف من نتائج الملك
إذن الاجتماع بالعصبية والقراية أمره زائل بالبرهان العملي . لقد وضع الصبح لذي عينين وجاء الحق وزهق
الباطل ، إذن هذه القرون ذهبت ولم تفر الانسانية من الدين الاسلامي في سياستها باطال ، ومماثل المدنية المقامة

على العصبية والنسب إلا كمثل العشق المبني على جبال الظاهر فإنه ذاهب متى قضى العاشقان شهوتهما وكسر سورة العشق والهيام بفتور الشهوة وعلى مقدار ضعفها يقل العشق ثم يزول بتاتا . فأما الحب المبني على العلم فلا حد لدوامه ، فحب الشاب لفتاة لمجرد النظر الظاهر ليس كحب المتعلم للعالم الذي بهر به بعلمه وسحره ببديع بيانه فيما بعد ما بينهما . ان الاجتماع الانساني المبني على اللغة أو النسب أو المعاهدة أو التغلب أو نحو ذلك مما ذكره الفارابي ورمساته في آخر تفسير السورة . كل هذا لا يثبت له فان هؤلاء تسجل رابطتهم متى خضعوا للترف وخضعوا للذات فأولئك تذهب مدنيتهم هباء منثورا

الطريق الأقوم لسعادة الأمم الإسلامية المستقبلية ودوام ممالكها

إنما السبيل لذلك أن تسمى كل أمة من الأمم الإسلامية حالا الى تعليم جميع أفراد الأمة رجالا ونساء وأن يتعاون جميع أهل العقل وذوى الوجاهة وأرباب الأموال في تثقيف الشعب كله ، فإذا وقع كتابي هذا في يد رجل ذي منزلة سامية فليفكر فيما أقول ولا يسمع حلال مع أمثاله وأصحابه وأهل الوجاهة وأرباب الأموال وليشمر واعن ساعد الجد وليعلموا الشعب كله وليفتحوا دور التعليم واتكن هناك مدارس ليلية يتعلم فيها الفلاح والصانع مبادئ القراءة والكتابة ولتكن لهم مناهج بها يدرسون ما ينفعهم في صحة أبدانهم وطرق معاشهم ومعادهم وليعرفوا ماحوهم من الخيرات في الأرض ، وسيكون منهم أفراد ممتازون خلقهم الله في كل قطر فهؤلاء يتعلمون ما يواقي عقولهم ويناسب أمزجتهم من العلوم والصناعات وهؤلاء يكونون عماد الأمة يقودون هؤلاء العامة في أمور دينهم ودنياهم ، وقد قدمت أمثال هذا القول في كثير من فصول هذا التفسير مثل ما ذكرته عند قوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - في آخر البقرة ، وهذا واجب على كل أمة وقعت تحت الفرنجة ، أما المستقلون فأمرهم معلوم فهم جميعا قد استيقظوا والله معين لكل مجدد

إن ما أكتبه الآن متى عرفه المسلمون لا يقف في طريقه مدفع ولا نار . إن العلم أمر روحي والعقائد متى رسخت فلن يعيقها عائق ولن يصدها صائد بل تأخذ مجراها وتنتهي الى نهاياتها ، فإذا قرأ المسلمون علوم الأمم المحيطة بهم وأشرب حبها قلوبهم فهناك يظهر جيل جديد مغرم بحمال الله ، مغرم بارتقاء الإنسانية ، مغرم بالسلام العام ، عالم ما يقوله في صلاته - الحمد لله رب العالمين - لرب المسلمين وحدهم ، وإذا كان الله مربى العالمين فلنكن متخلطين بأخلاقه ولنطالب منه أن يهدينا الصراط المستقيم والصراط المستقيم هو صراط الله الذي عرفناه في السموات والأرض من القيام بالقسط والعدل والنظام والاحكام العام لا الخاص وحينئذ يكون كبار الأمم مشوقين لأن يقلدوا النظام العام فهم كحكمة العرش أو كملائكة الذين يقومون بنظام هذه العوالم كلها وهذه الحال هي الأنسب لما نرى من جمال الكواكب ولما نرى من عموم أنوارها وهذا كله فعل الله الذي نطلب منه الهداية لهراطه . إن المسلم خلق لحياة أعلى من حياة هذه الأمم ومتى قرأ الناس هذا التفسير وأمثاله أشربوا الى هذه الحياة وعملوا لها ولن يقف الإصلاح بعد ذلك لأن العشق العام في الأرض للنجوم وللعوالم وللأنوار وللإكشاف الحديث ولا استخراج ما في الأرض والهواء من النعم الإلهية يزداد جيلا بجيل ، ثم ان هذه الحال لا يخاف زوالها لأن زوالها سببه الترف والنعيم ، والترف والنعيم انما يكون عند القوم الذين جعلتهم العصبية كلمالك الإسلامية بعد العصور الأولى ، والترف مهلك ولكن الأمم الذين يعرفون هذه العلوم ويدركون هذا الجمال وتكون لهم حكومات انتخابية يصطفون فيها أرقاهم عقولا وأذكاهم وأصلحهم يدبرون أمورهم مع عموم التعليم وانتشاره وعموم الحركة العلمية والصناعية مع سن قانون يحرم البطالة والاستجداء من الناس لا يخاف عليهم ما كانت تخافه الأمم السابقة فأين الترف والنعيم والبطالة والكسل والاتكال على ما يجي من الناس بالعسف والظلم فلا ظلم اليوم ولا اغتصاب للأموال بل هو نظام ثابت وكل مغرم بعلمه أو بصناعته قائم بواجبه هناك يكون العدل والحب والحق والسعادة اه

﴿ عبرة تاريخية في آية - إن الملوكة إذا دخلوا قرية - الخ ﴾

اعلم أيها الذكي أن هذا النوع الانساني لا يزال في مبدأ تطوره انه أشبه بالأطبال أو المراهقين الذين يختصمون ويتقاتلون ويرجم بعضهم بعضا بالججارة وهم أبدا في هرج ومرج ، هذا هو نوع الانسان ، ذلك النوع الذي امتلأت نفوسه بالبر والاحسان والرحمة ثم غطى ذلك كله الشهوات والذات فاستحلى ما كان مرا ، واستحسن ما كان قبيحا ، فترى دافقة منه يجتمعون ليدبروا الحيل لأخذ أموال الناس في ظلام الليل البهيم وهم المصوص وآخرون يتربصون في طريق السابلة فيقفون في القفار والأودية بعيدا عن العمران وهم بحاجة من القانون والشرطة ويعبثون بالمارة قتلا وسرقة ونهب ، وقد تكون تلك الفئة أكبر وأكبر حتى تكون جيوشا جارة يقودها ملك كما اتفق للسلطان سليم ، ذلك الرجل المسلم الذي قرأ كتاب الله عز وجل ، فهذا الملك لم يحجزه الدين ولا العقل عن إدلال بعض الأمم الاسلامية وهم في ديارهم آمنون . إن هذا الانسان لا يزال طباعه وحشية ونفوس كثير منه سبعية لا يحترمون الانسانية العامة ولا الاخوة الآدمية ولا الاخوة الدينية الخاصة

انقد رأينا ملوك أوروبا قد أجمعوا كيدهم وأتوا صفا لمحاربة المسلمين في دارهم أيام صلاح الدين الأيوبي وأشد من هؤلاء همجية وأكثرهم وحشية من يفتكون بأمة ويميتون آلافا من الناس وهم على دينهم وهم شريكون مثلهم بلا إثم ارتكبه ولا ذنب جنوه إلا أنهم أحياء مسلمون ، ذلك هو السلطان سليم سلطان الأمة التركية وهو من بنى عثمان فقد انقضى على مصر سنة ١٥١٧ أفرنكية والبلاد كانت بلادا صناعية زراعية وكان لها أسطول قوى يحمى تجارتها بينها وبين الهند وهكذا بينها وبين أوروبا ، فهؤلاء الترك لما دخلوها شنقوا سلطانها (طومان باي) بمصر بعد ما قتلوا السلطان الفوري ببلاد الشام وشتوا شمل المصريين وأخذوا أعظم العمال في البلاد وهم ألف صانع وجاوههم الى الاسنانة وفصلوا ما بين مصر وأوروبا والهند فأصبحت البلاد زراعية واستحالت ضعيفة بعد أن كانت قوية وماتت الصناعة فيها ولحقها البوار وحل بها الكساد وصار الناس ﴿ طبقتين اثنتين ﴾ طبقة الفلاحين للعمل وطبقة الموظفين للعظمة والمال والجاه . أما طبقة الصناع فهي ليست ذات بال ، ولقد سرت الروح الزراعية في البلاد وأهمت الصناعة واستولى الحكم على أهم موارد البلاد وهم ظالمون ، وسرى ذلك الداء في الأمة أربعمائة سنة ، ولا زال لهذا الخلق بقية باقية في البلاد الى وقتنا هذا ، كل ذلك من همجية الانسان الأولى وقسوته وظغيانه ، فهذا ملك مسلم لم يمنعه دينه من تغيير طباع أمة قد خلقنا الله فيها في هذا الزمان وأرادت أن تجارى الأمم ولكنها بطيئة التقدم بما ورثت من صفات وضعها في أبناء بلادي السلطان سليم الذي أعظم أمر الحكم فاهم السطوة والثروة وسواهم لاهو في العير ولا في النفير . وامتد هذا الخلق في أهل بلادي في عصرنا الحاضر إذ استقلت البلاد استقلال اسميا ومع ذلك بقي هذا الخلق في أهلها فنعهم من التخاص من قيود الاحتلال . مثلاً نجد رئيس حكومة إيطاليا (ماسولينى) راتبه (٣٠) جنيتها شهريا . وهذا مثل ضربته لنظرائه في أوروبا ولكن مصر فيها اليوم أى سنة ١٩٢٨ م نحو (٦٠) وزيرا يتناول كل منهم معاشا قدره (١٥٠٠) جنيتها في العام وابتلعت الوظائف مائة حكومة البلاد فصارت تقرب من نصفها وهذا سبب الخلق الذي ورثناه من سلاطين آل عثمان لما حكموا البلاد

وكما أثر سلاطين آل عثمان في أخلاق أمتنا المصرية أثروا في قوتها العلمية فان الفاطميين أسسوا الأزهر وعلموا فيه مذاهبيهم (٢٠٠) سنة أى مدة بقاء دولتهم بمصر . وفي نظير الأزهر أسس (نظام الملك) المدرسة النظامية في بغداد لتعليم الدين الاسلامي على مذهب أهل السنة ليقاوم التعليم الشيعي في مصر لاسيما ما كان منه في (دار الحسكة) أو (دار العلوم) التي أسسها الحاكم بأمر الله بمصر . ولما تغلب صلاح الدين الأيوبي على الفاطميين (سنة ٥٦٧ هـ) أبدل تعاليم المذاهب الأربعة بتعاليم الشيعة في الأزهر ودعا للخليفة العباسي وأدخلت فيه العلوم الرياضية والنجوم وغيرها وحجج اليها الطلاب أفواجا من أقاصى البلدان . ولما زالت الدولة الأيوبية ودخلت

مصر في حكم الممالك أولاً ثم في حكم الأتراك أخيراً انحط شأن الفلسفة العربية والعلوم وكان آخر انحطاط وتدهور لها في القرن الثامن عشر المسيحي ، ثم أخذت تسترد البلاد بعض مكائنها أيام محمد علي باشا ، ولا زالت في ارتفاع وانخفاض للآن تمشي ببطء وتتغير في أذيال الخجل بين الأمم وهذا زمان نهوض الأمم جماء فلا بد من نهوض هذه البلاد ، وإنما ضربت هذا المثل وهو مثل المصير بين مع الترك لأبين لك بكل جلاء ووضوح كيف يكون إفساد الملوك إذا دخلوا قرية ، وكيف يحملون أعزّة أهلها أدلة ، فالإفساد في مصر شمل القوة العقلية والقوة الصناعية وقوة العفة ، فعلم الرياضيات ونحوها والطب وأمثلة ألغيت من الأزهر الشريف وهكذا الصناعات وهكذا ماتت العزّة القهساء والهمة الشماء وهي العفة والتبرّي من الترف فإن الترف مادخل أمة إلا أفسدها فكثرت في مصر الحكام المترفون المنغمسون في اللذات واستمر ذلك الخلق حتى لصق ببعض أهل بلادى الآن بالدليل على ذلك مراتب الوزراء الضخم المتقدم ذكره ، قال تعالى لقوم - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - فعلى الأذكىاء قراء هذا التفسير أن يكونوا قادة للأهم الإسلامية وليعلموا أهل البلاد صغيرا وكبيرا بالتدريج وليجدوا في إفهام الشعب هذه المعاني وليرتوهم على الصناعات والعلوم ولينعوههم من الترف والنعيم كما كان الترك قبل انقلابهم الأخير إذ اختصوا بالحرب والعظمة على الناس فأنغمسوا في الترف على طول الزمان لتلكهم رقاب الأمم واستنزافهم أموالهم - إن الإنسان لظالم كفار - إن المسلمين في المستقبل غسيرهم بالأمس - والله يعلم وأتم لاتعلمون - والله غالب على أمره ولستكن أكثر الناس لا يعلمون -

﴿ الطائفة الثالثة في نقل عرش بلقيس ونحوه ﴾

لأنقل لك من ﴿ كتاب الأرواح ﴾ شذرة تناسب هذا المقام ، قد جاء في صفحة ٥٥ مانعه واليك الآن شرح كيفية مخبرة الموائد وفقا لتعليم الأرواح ذاتها المنقول في ﴿ كتاب الوطاء ﴾ للعلم الفيلسوف (الآن كل ذلك) وهاهوذا

- (س) هل السيل العام عنصرا لأشياء كلها ؟
- (ج) نعم كل ما في الكون مركب من العنصر الأصلي
- (س) هل من مناسبة بينه وبين السائل الكهربائي ؟
- (ج) إن الثاني مركب من الأول
- (س) في أي حالة يظهر السيل العام على بساطته الأصلية ؟
- (ج) لا تظهر بساطته الأصلية إلا في الأرواح النقية ، أما في عالمكم فهو متقلب أبدا متغير التركيب منه المادة الكشيفة المحيطة بكم ، إنما السائل الذي يقرب منه بالأكثر في أرضكم هو السائل المغناطيسي الحيواني
- (س) كيف يتمكن الروح من تحريك الجاد ؟
- (ج) يمزج جزءا من السيل العام بالمائع الحيوى المنبعث من أعصاب الوسيط
- (س) هل تنهض الأرواح المائدة بأيديها الجسم على نوع القول ؟
- (ج) بل عند ما يريد الروح أن يحرك مائدة يحياها حياة اصطناعية بواسطة السيل العام والسائل المنبعث من الوسيط وبعد ذلك يجتذبها ويحركها بقوة مابه من السائل المخصوص المنبعث منه بفعل الإرادة وعندما يكون الجرم الذي قصد تحريكه ثقيل جدا يستعين بأرواح أخرى تأتي لمساعدته
- (س) هل الأرواح التي تأتي لمساعدته أدنى منه وتحت أمره ؟
- (ج) الغالب هي أرواح مقارنته له

- (س) هل اسكل الأرواح كفاءة على إيمان تلك الأعمال ؟
- (ج) لا تأتي هذه الأعمال إلا أرواح سفلية لم تتجرد بعد من المؤثرات المادية
- (س) استنا نحمل أن الأرواح العلوية لا تنازل لعمل ما لا يليق بها فقط نسأل عما اذا كان هذه الأرواح المجردة عن الماديات مقدرة على انشاء هذا العمل اذا أرادت
- (ج) لها القوة الأدبية كالغيرها القوة الطبيعية فاذا افتقرت الى هذه تستخدم من يملكها كما تستخدمون أنتم العتالين لرفع الأثقال
- (س) يظهر من قولك أن العنصر الحيوي مستقر في السيل العام وبما أن الجسم الروحاني مركب من هذا السيل فبدونه لا يستطيع الروح أن يأتي عملا في المادة الهيولية
- (ج) نعم وهو يحيي المادة الجادية بنوع ما حياة اصطناعية فتطبعه منقادة لشارته ، فالروح إذن لا يتحرك المادة أو يرفعها بقوة ذراعه بل المادة الحية تتحرك من نفسها لشارته
- (س) فما دخل الوسيط في هذا الحادث
- (ج) قد قلت لكم إن المانع الحيوي الذي لا يملكه إلا الروح المتجسد أي الوسيط يستعيره الروح الذي لم يتجسد ويمسكه بمقدار من السيل العام وبهذا المزيج يحيي المادة وهذه الحياة مؤقتة تتلاشى مع السيل وأحيانا قبل نهايته ان كان السائل المنبعث من الوسيط ضعيفا
- (س) هل يستطيع الروح أن يعمل بمزول عن الوسيط ؟
- (ج) كلا . فقط يعمل أحيانا من غير علم أي ان من الناس من ينبعث منهم هذا السائل الحيواني من غير علم منهم فيستعيره الروح ويحدث تلك الأعمال البديهية من دون وجود وسيط ظاهر يساعده على عمله
- (س) هل المادة التي أحيها الروح تعقل ما تفعل
- (ج) لا عقل لها أكثر مما للعناصر التي تشيرون بها لأن ما بها من الحياة الصناعية يجعلها فقط منقادة لحركات الروح فلا تتوهموا أن الطاوله المتحركة روح لأنه ليس لها من ذاتها فسكر ولا ارادة
- (س) ما العلة المتغلبة في الحوادث الروحانية ، أهى الروح أم السوائل ؟
- (ج) الروح هي العلة والسوائل هي الواسطة الآلية ووجود كليهما ضروري
- (س) ما وظيفة ارادة الوسيط في هذه الحوادث
- (ج) وظيفته احضار الأرواح ومساعدتها على تنفيذ السوائل
- (س) هل فعل الارادة ضروري بوجه الإطلاق ؟
- (ج) انها تساعد على العمل وتزيده قوة ولكن ضرورتها ليست بمطلقة لأن الحوادث تتم أحيانا رغما من هذه الارادة حتى بدون علمها ، وهذه برهان على كرم علة الحوادث ليست في الوسيط
- (س) لماذا ليس اسكل الناس هذه الخاصية
- (ج) لاختلاف الامزجة والسموية التي يلقاها الروح في تركيب السوائل فبعض الوسطاء لا ينبعث منهم المانع الحيوي إلا بفعل الارادة وغيرهم يتدفق منهم بسهولة طبيعية فيستعيره الروح ويعمل فيه بدون علم منهم ، لهذا ليس اسكل الوسطاء قوات متساوية
- (س) أيستقر الروح الفاعل بالمادة داخلها أم خارجا عنها
- (ج) يعمل في كلا الحالتين لأن الروح ينفذ في الجساد ولا يعوقه عائق عن الدخول في أحسن الاماكن والنفوذ في أكثف المواد
- (س) كيف يعمل الروح عند طرفة المواند

(ج) مطرقته السائل الممتزج الذي يستعمل في التعريك وفي الطرق فعند ما يحركها ينقل اليكم الزور
صراى تحريكها وعند ما يطرقها ينقل اليكم الهواء صوت طرقتها

(س) لا يصعب علينا ادراك ذلك عند ما يطرق الروح الجداد ، ولكن كيف يستطيع أن يسمعنا أصواتنا
وألفاظا مركبة

(ج) بما أنه يعمل في الجداد لا يصير عليه العمل في الهواء أيضا ، وأما الألفاظ المركبة فيقلدها كما يقلد
بأقوى الأصوات

(س) تقول ان الروح لا يستعمل يديه في تحريك الموائد مع انه قد شوهد في مجلة حوادث نظرية ظهور
أصابع تمر على ملابس الارغن لضرب الألحان ، أليس ههنا حركة الملابس متأدية عن ضغط الأصابع لها

(ج) يتعذر عليكم بعد ادراك طبيعة الأرواح وكيفية فعلها إلا بمثلة متقاربة لا تملاً أذهانكم فلا تصوروا
طرائق أعمالها مشابهة لطرائقكم ، أما قلت لكم ان فعل الروح مناسب لطبيعته وأن سوائل الجسم الروحاني
تنفذ في المادة وتحييها حياة صناعية ، فعند ما يضع الروح أصابعه على دساتين الارغن يضربها حقاً بل يحركها
ولكن ليست القوة المضائية هي التي تضغط على الملابس بل الملابس التي يحببها كما يحبب المائدة تتحرك من نفسها
بفعل ارادته وتحدث الصوت ، وقد يحدث أمر يصعب عليكم فهمه وهو أن بعض الأرواح السفلية المتأخرة لا
يزال غرور الحياة متركبا عليها فتظن بنفسها انها تعمل كما لو كان لها جسم مادى فلا تدرك بهلة ما تأتيه من
الأعمال كما لا يدرك الفلاح بأصول الألفاظ التي يركبها ، فاذا سئلت هذه الأرواح كيف تضرب على الارغن
أجابت انها تضرب بأصابعها لجهاها بالهلة الحقيقية فيحدث الفعل فيها غريزيا دون أن تدرك بأصوله وهكذا
قل ممن الألفاظ التي تسمعها

(س) يظهر في بعض الحوادث الروحانية ما هو مناف لكل النواميس الطبيعية المعروفة . أفلا يجوز الاشتباه
في حدوثها ؟

(ج) السبب في ذلك بعد الانسان عن معرفة كل النواميس الطبيعية فلومعرفة كل ما أصبح روحا علويا
ففي كل يوم تظهر اكتشافات جديدة تكذب من ظن بنفسه انه قد بلغ متهى المعرفة ولم يبق شئ خافيا عليه ، فهذه
الاكتشافات المستجدة ينسبها الله الانسان انه لا يثق بأنوار علومه إذ سيأتي يوم فيه يعود علم العلماء غزيا لهم .
الأترون بوميا أجراما تغلب حركتها على قوة الجاذبية كقوة المدفع المقذوفة في الهواء والمظاد المتطابر في الفلاة
كفأكم تكبرا يا بني البشر . الأخرى بكم أن تقرّوا بضعفكم وعجزكم عن ادراك كل شئ

قال شير محمد لما سمع هذا القول . هذا رجوع الى ما قبل في القرون الأولى والأعصر المظلمة من أن الأرواح
لها قدرة على رفع الأثقال وعظامم الأعمال بأسباب يزعم القوم انها طبيعية . قلت نعم ولا عار على العلم اذا كشف
اليوم ما أنكره أمس وهذا يا شير محمد رجوع منك الى مبدأ الترفع والاستكبار عن القول بصحة ما قبل في
الأعصر الغابرة ولكن علينا أن نخضع للعلم ونذع الكبرياء فالدليل واضح والصدق راجح
وليس يصح في الأذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

قال إذن هات القصة الثالثة عسى أن نكون أوفى حجة وأهدى سبيلا وأقوم قبلا وأرجح يانا وأقوى
تبياننا وأعز صراما وأرفع مقامنا . قالت روى العلامة (والاس) الانجليزى في صفحة ٧٢ من الكتاب المذكور
مانعه بالحرف الواحد

في أحجب ما رأيت من وساطة الآنسة (نيشول) ايجادها زهورا وفواكه داخل غرفة محكمة الغلق فني أول
مرة بدا على يدها هذا الحادث كانت في منزلى بصحبة بعض من أخصائى فبعد أن تناولنا الشاي لأننا كنا
في فصل الشتاء دخلنا حجرة صغيرة مغلقة بأحكام ومقاعدنا برهة من الزمان حتى لاح على المائدة التي جلسنا

حولها كمية وافرة من الزهور منها شقائق النعمان والخزامى والاقحوان الأصفر وخلافها من الزهور الربيعية وكل أوراقها غضة ناضرة مكحلة بالندى الرطب فيبستها كلها وحفظتها باعتناء بعد أن علقت عليها شهادة ممضاة من الحضور ، وحوادث كهذه تكررت أمامي مئات من المرات وفي محلات شتى وظروف مختلفة ، فتارة جاءتنا الزهور بكميات وافرة وطورا مصحوبة ببعض نمار يطلبها الحضور . وفي إحدى الجلسات بالمب صدق لي الى الروح إحضار دوار الشمس فامضى هنيئة حتى رأينا انه انحطت على المائدة هذه الزهرة وعلوها ستة أقدام وجرثومتها مكسوة بكومة من التراب . وفي جلسة أخرى حضرها المسيو أولاف ترولوب والكولونل هارفي وقد قصد هؤلاء الأشراف قبل اقامة الجلسة أن ينبشوا الفرفة جيدا في كل أنحاءها وأوعزوا الى مدام ترولوب بأن تفحص جيدا كل قطعة من ثياب الأنسة (نيشول) ثم جلسنا حول المائدة والمسيو ترولوب قابض على يد الوسيطة وبعد بضعة دقائق استنشقتنا جميعا اريج زهور فأوقدنا حالا الشمعة فوجدنا أذرع المسيو ترولوب والأنسة نيشول مكسوة بزهر النسرين اه

وأغرب المنقولات التي تحدثت بها مؤخرا المجلات الروحانية منقولات الزهور على يد الوسيطة (حذروت) ومنقولات الآثار القديمة والنباتات حتى الأسماك وبعض الطيور الحية على يد الوسيط الشهير بايلي . وقد شهد هذه الغرائب كثير من مشهورى العلماء في استراليا وايطاليا وألمانيا وخلافها من الممالك الأوروبية التي تجول فيها الوسيطان المذكوران . روى المعلم الفيلسوف (الآن كاردك) في «كتاب الوسيط» حادثا نقلنا شاهداه عيانا والأسئلة التي طرحها على الروح الذي أتم الحوادث والملاحظات الأصولية التي علقها روح علوى على أجوبته كما يأتي

(س) نرغب اليك في أن تفيدنا لم لا تقوى الروح على إحضار المنقول إلا عند لقاء الوسيط في السبات المغناطيسى
(ج) السبب في ذلك طبيعة الوسيط ومزاجه فما أستطيع عمله مع هذا وهو نائم أستطيع انشاء مع آخر وهو يقظان

(س) لم تتأخر طويلا في إحضار المنقول وتمهيج بشدة رغبة الوسيط في ذلك
(ج) إطالة الوقت ضرورية لي لمزج السوائل ، أما تمهيجي لرغبة الوسيط فن باب التسلية والمزاج (ملاحظة الروح العلوى) لم يصب في جوابه ولا أدرك غاية تمهيجي لرغبة الوسيط فظنها بابا من التسلية مع ان مفهومها إثارة رشح السائل الحيوى بزيادة وهذا ناتج عن الصعوبة التي يلقاها الروح في هذا الحادث عند مالاتكون وساطة الوسيط بديهية

(س) هل للحضور تأثير في انفاذ عملك
(ج) إن انكار الحضور ومقاومتهم تركبنا في العمل جدا فلهذا نؤثر بسط مالدينا أمام ناسي مؤمنين خبراء باصول الروحانية

(س) من أين أحضرت الزهور والحلاوى
(ج) قطفت الزهور من البساتين
(س) ومن أين أخذت الحلاوى ، أما درى البائع بنقصانها
(ج) إني آخذ الحلاوى من حيث أشاء ولا يتضرر البائع بذلك لأنني أضع له بدلها
(س) والخواتم التي أحضرتها أليست بذات قيمة فكيف لا يتضرر صاحبها بخسارتها
(ج) أخذتها من محل لا يعرفه أحد بنوع الا يحصل لأحد ضرر من ذلك
(ملاحظة الروح العلوى) ليس الجواب بمستوفى الشروط والروح يحاول فيه اقناعكم باستقامته وعدم تضرر أحد بسرقة الحال أن الشئ لا يعوض إلا بمثله وذى قيمة واحدة فلو أمكن للروح ابدال الشئ بنظيره ما

احتاج الى أخذ الأول بل استعمل الشئ الثاني مكانه

(س) هل تقوى على احضار زهور من كوكب آخر (ج) كلا . هذا مستحيل

(ملاحظة الروح العاوى) أجب بالصواب وذلك لاختلاف السوائل المحيطة بكل من الكوكبين

(س) هل تستطيع احضار زهور من خط الاستواء

(ج) أستطيع نقل الشئ من أى بقعة من الأرض كانت

(س) هل تستطيع ردّ الأشياء التى أحضرتها وارجاعها الى مكانها

(ج) كما استطعت احضارها هكذا أستطيع إرجاعها

(س) هل تشهر بتهب فى انشاء العمل

(ج) لا يكافى العمل تهبا طالما أنا مأذون فيه انما نلقى الفناء الشديد فى أعمال لا يؤذن لنا فيها

(ملاحظة الروح العاوى) لا يشاء أن يقرّ بما ينويه من التعب الجسيم من عمل كهذا مادى على نوع القول

(س) ما الصعوبات التى تلقاها (ج) أخصها سوء السوائل وعدم ملاءمتها لعملنا

(س) كيف تحضر المنقول ؟ هل تمسكه بيدك (ج) كلا بل أخفيه فى

(ملاحظة الروح العاوى) بل هذا غلط لأن الروح لا يخفى المنقول فى شخصيته بل يمزج شئاً من سائل

جسمه الروحانى الشديد التمدد والانبساط بجزء من السائل الحيوى المنبث من الوسيط ، وبهذا المزيج يستر المنقول ويحميه

(س) هل يعسر عليك احضار شئ ثقيل الوزن

(ج) لا فرق لوزن المنقول ههنا وانما تؤثر جلب الزهور لطبيعتها ولطافتها

(ملاحظة الروح العاوى) هذا صحيح فانه يستطيع احضار ما وزنه مائة ومائتا كيلو دون أن يرتبك بهذا

الثقل ، فقط بما أن كمية السائل المزوجة يجب أن تكون مناسبة لجسم المنقول (وبعبارة أخرى) بما أن القوة هى بموازنة المدافعة ينتج أن الروح لا يحضر زهورا أو أشياء خفيفة إلا لعدم وجوده فى الوسيط أوفى نفسه المائع الضروى لنقل ما هو أثقل منها

(س) هل يتوقع أحيانا اختفاء أشياء سببها الأرواح

(ج) نعم قد يتوقع ذلك ويمكن استرجاع الشئ بالتوسل الى الروح فى ردّ ما أخذه

(ملاحظة الروح العاوى) هذا صحيح وقاما يردّ الروح مأخذه ولكن بما أن فعلا كهذا يستدعى ظروف

النقل ذاتها فينتج أن وقوعه نادر جدا وضياح الشئ يتأتى عن طبيعتكم لاعن فعل الأرواح

(س) أليس من المنقولات ما يصوغها الروح من نفسه بما يأتى من التغيرات فى السيل العام

(ج) أنا لا أستطيع ذلك ولكن روح أرفع منى لا يجز عنه

(س) كيف أدخلت هذه الأشياء الغرفة وهى محكمة السد

(ج) أدخلتها منى وأنا محتضن لها بجوهري ولا أستطيع أن أشرح أكثر من ذلك

فالما أن سمع ذلك شير محمد رأيت استبشرو فرح وابتهج وانشرح وقل ياسيدى إن مثلى أنا وطلاب العلم فى هذا المقام كمثل صبية صفار مات عائلهم وهم لاسبد عندهم ولا لبد ولا حول بيدهم ولا قوة ، يفتشون الثرى على الجيوب ويلتحفون السماء بهد الغروب فقال لهم قائل أيها الصبية المعدمون واليتامى المملقون هل جاءكم نبأ عما تملكون من القناطير المقطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث مما تركه أبوكم فى قرية تبعد عنكم بأميال وأنتم لا تعلمون فقالوا مالنا بهذا من علم انما نحن صعايلك محقررون وصفار منهوكون ، وفقراء محرومون ، وأذلة معدمون . ولكن هذا الكلام قد ترك أنرا فى أفئدتهم ، ومزج

الفرح بترحهم ، فأنشأوا يتساهلون ويسألون الركبان ، من كل حد ورأى ، عن هذا النبا العظيم ، وهم بين
أصدق وتكذيب وتقريب وتبعيد ورجاء ويأس وأمل وقنوط حتى إذا جاء من بيده الحل والعقد وقيل
هلموا يا أبناءى فانظروا ، هذه أرضكم وخيلكم وأنعامكم ، فقرروا عينا ، وانشرحوا صدرا ، وطيبوا نفسا ،
واصبروا قليلا لنباكم حتى تبلغوا سن الحلم فان آسنا منكم رشدا دفعنا إليكم أموالكم وعسى أن تعرفوا قيمها
وتقوموا بحقوقها ولا تنهاونوا في حفظها وعسى أن تكونوا من المفلحين

ذلك يا أستاذى مثانا وقد عشنا في الدنيا جاهلين وقرأنا كتب المراسلين فسمعناهم حدثونا بحديث البقاء
بعد الموت وذكروا عوالم تلاء السهل والجبل والبر والبحر تستكشفنا أنى توجهنا وتعيش معنا أنى عشنا وتلقى
الينا علما وتدلى الينا بحكمة وأن منها من ترفع الأثقال من مكان الى مكان . أوليس من العجب أن حديث
بليزيس وسيدنا سامان في هذه السورة له اتصال بهذا الحديث . ومن ذا الذى كان يدور بخلد أو يخطر بقله
أو يهيجس له أن العلم يكشف لنا جواز نقل عرش بليزيس من اليمن الى الشام قال تعالى - قل عفریت من الجن
أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوى أمين * قل الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به
قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر
فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنى كريم - الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله - بعد أن كانت تلك القصص مما نسمع ونؤمن به لفظا ولا نفقه له معنى . اتضح الأمر وظهر وتجلي
للحيان وعلمنا أن ذكر مثل هذه القصص لاستيقاظ الأمم بعلم الأرواح ليرقوا شعوبهم وأن البحث في تلك
الأحاديث من أقوى أسباب ارتقاء العقول وارتفاع الأمم ليكون الشك سببا للبحث والبحث مقدمة الوصول
وانظر كيف يقول الله تعالى - ليبلوني أشكر أم أكفر - ولا جرم أن غرائب عالم الأرواح . نعمة علمية ، فمن
الناس من يستمسك بها ومنهم من لا يبالي ويقول لا خير فيما لا طعم فيه ولا لباس ولا لذة ولا جاه ، فإنا وما
للأرواح والآخرة والأولى - إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم
إن هم إلا يخرصون -

ثم قال شير محمد ، ياسيدى سيقول السفهاء من الناس هل كان - الذى عنده علم من الكتاب - محضرا
للأرواح . قلت ان قال قائل هذا فقل له ذلك لاعلم لنا به وهذا مقام لا يصل اليه وإنما مقامنا أن الكشف
الحديث أظهر وجود مخلوقات حية عاقلة روحية تصديقا للقرآن لها قدرة على حمل الأثقال ، فهذا ما نرمي اليه
ليثق من لا يؤمن بالقرآن أن ذلك حق ، فأما ما عدا ذلك فإلى به يدان واست أدخل في هذا الميدان مع
من لا يعقل البرهان . فقال حسن . انتهى ما نقلته من كتابي (الأرواح) . وبهذا تم الكلام على القسم
الثاني من السورة والحمد لله رب العالمين

(القسم الثالث)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ
يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُوا
أَطِئْنَا بَكَ وَبِعَنِّ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتِنُونَ * وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ
رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ
مَا شَهِدْنَا بِهِ هَلْكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ *

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَا دَمَرْنَا هُمْ وَقَوْمُهُمْ أَجْمَعِينَ * فَبَلَّغْ يَوْمَهُمْ خَاوِيَةً
بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَلَوْطَا إِذْ
قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَنْتُمْ كُنْتُمْ الرِّجَالُ شَهْوَةٌ مِنْ دُونِ
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ
قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ *
وَأَمْطَرْنَا عَلَىٰ هَمِيمٍ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (ولقد أرسلنا إلى نوح أخاهم صالحا أن اعبدوا الله) بأن اعبدوه (فاذا هم فريقان يختصمون) مؤمن وكافر يختصمون في الدين (قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) بالبلاء والعقوبة (قبل الحسنة) العاقبة والزجة (لولا) هلا (تستعفرون الله) بالتوبة إليه من كفركم ومعاذكم (لعلكم ترجون) لاتعذبون في الدنيا (قالوا اطيرنا) تشاء منا (بك وبمن معك) إذ تابعت علينا الشدايد فتفرقت كلتنا وحبس القطر عنا وذلك بشؤمك وشؤم من معك (قال طائركم عند الله) أي ما يصيبكم من الخير والشر مكتوب عنده، وسمى طائرا لأنه لا شيء أسرع من نزول القضاء المحتوم، ويقال (طائركم عملكم لسرعة صعوده) وقوله (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون بتعاقب السراء والضراء وهذا اضرب عن بيان طائرهم وهو مبدأ ما ينزل بهم من الشر إلى ذكر سببه (وكان في المدينة تسعة رهط) تسعة أنفس وهو من الثلاثة إلى العشرة والنفر من ثلاثة إلى تسعة (يفسدون في الأرض ولا يصلحون) شأنهم الفساد الخالص عن شوب الصلاح (قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله) أي أحلفوا به (لنبيته وأهله) لنباغثن صالحا وأهله ليلا (ثم لنقولن لوليه) لولى دمه (نما شهدنا) ما حضرنا (مهلك أهله) أي قتل صالح وأهله فما ندري من قتله ولما من قتل أهله (ولنا لصادقون) ونحلف إننا لصادقون (ومكروا مكرا) غدروا غدرا حين قصدوا قتلى صالح ومن آمن معه من قومه (وملنا مكرا) دبرنا تدبيرا بأن حملنا اهلاكهم (وهم لا يشعرون) بذلك، ثم أبان ذلك فقال (فانظر كيف كان عاقبة مكرمهم أنا دمرناهم) أهلكتنا التسعة * يروى أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث ففرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه فوَقَّعت عليهم صخرة من جبالهم فطبقت عليهم الشعب فهلكوا وهلك الباقون في أما كنهم بالصيحة، وإلى هلاكهم أشار سبحانه بقوله (وقومهم أجمعين * فبَلَّغْ يَوْمَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا) بظلمهم وكفرهم (إن في ذلك لآية) لبعرة (لقوم يعلمون) قدرتنا (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الكفر والشرك فلذلك خصوا بالنجاة (ولوطا) وأذكر لوطا ثم أبدل منه قوله (إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها وهو إما من بصر القلب، ولا ريب أن اقتراف الفاحشة من العالم بها من أقبح الذنوب، وإما من بصر العين لأنهم كانوا يأتونها و بعضهم يبصر بعضا، ولا جرم أن فاحشة العلانية أقبح من فاحشة السر، ثم بين تلك الفاحشة وعلاها بالشهوة إيماء لازدراءها ومناقضتها الكمال متى خلت من الحكمة في خلقها وهي أن يطلب منها النسل فقال (أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) اللاتي خلقن لذلك (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفها لا يميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا

آل لوط من قريتهم إنهم أناس يتظاهرون) يتظاهرون عن أهلنا ويهتدون قذرا (فأنجيئنا وأهلنا إلا امرأته قدرناها من الغابرين) قسرتنا كونها من الناقين في العذاب (وأما طرنا عليهم مطرا) هي الحجارة أي أمطرنا على شذاذهم والمسافرين منهم (فساء) فبئس (مطار المنذرين) مطرهم . انتهى التفسير المنطقي للقسم الثالث من السورة والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة في قوله تعالى أيضا - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها - مع قوله تعالى - فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا - أيضا ﴾

اعلم أن الأمم الإسلامية أصابها ما أصاب الأمم فانهم ظلموا أنفسهم والبلدان التي فتحوها . مهذا قال الحديث « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » . إن الله عز وجل بالمرصاد لكل أمة والله عز وجل لما أنزل القرآن جعله نورا مينا وأمر المسلمين أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس فيجعلوا العالم كله أمما متعاونة فلا ظلمة ولا مظلومة . ولقد ظهر في أوروبا وفي الشرق من الآراء ما يناسب ما ذكرناه ليحول الظلم من أهل الأرض وهو الذي كان يأمر به نبينا ﷺ إذ يأمر بالحق والرحمة ويقول الله الله - فلا تقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقة * أو اطعام في يوم ذي مسغبة * يتما ذا متربة * أو مسكينا ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة - . إن المسلم هو الذي يوصي غيره بالعبر وبالرحمة العامة . وليعلم المسلمون أن أهل الأرض مستعدون لذلك . فاذا بلغ المسلمون ذرى المجد في العلم والعمل فليرقوا الانسانية والدليل على أن الأمم قابلة لذلك ﴿ لطيفتان ﴾

﴿ اللطيفة الأولى في رأى فيلسوف الصين « كونفوسوس » في دولة العالم ﴾

معلوم أن تعاليم (كونفوسوس) الفيلسوف كانت ترشد الشعب الصيني العظيم وتكون مصيره ومع انه قد مضى عليها ألوف السنين يقول دارسوها انها تحوى من الآراء والنصائح والنظريات ما يكاد يكون عصريا ﴿ مثال ذلك ﴾ ما اقتبسه (المسترالفرد مارتن) من هذه التعاليم عن دولة العالم وهو بالترجمة كما يلي ﴿ عند ما يسود مبدأ الدولة يصير العالم بأسره جمهورية واحدة وتنتخب الأمم أفاضل ذوى مواهب ومقدرة فيتكلمون عن الاتفاق الحقيقي ويشقون الوثام العالمى ويصبح الناس والحالة هذه لا ينظرون الى والديهم بأنهم والدوهم فحسب ولا الى أولادهم بأنهم أولادهم فحسب ، وسيهين للتقدمين فى السن معاشا حتى وفاتهم ويدبر عملا لرجال تقهدهم الشيخوخة ويقدم للأحداث ما يساعدهم على النمو والتقدم فى مراحل الحياة . أما الأرمال والأيتام والمقطوعون والعجزة من تأثير الأمراض فكلهم تكفل بهم الحكومة وسيضمن لكل رجل حقه ولكل امرأة شخصيتها ﴾ انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

فى ذكر ما جاء عن أحد الضباط الأوروبيين إذ مدح الأمير عبد الكريم بعد انتخذه . وهذا نص ما جاء فى جريدة الاهرام بتاريخ ٦ مارس سنة ١٨٢٩ م

﴿ عواطف كريمة ﴾

(كبتن كنينج فى شهره)

عرفنا من قبل الكبتن كنينج رجلا أيا هماما أعجب بشجاعة الريفين وساءه ما يلقي حقهم من باطل أعدائهم فانتدب يسعى للسلم بين عبد الكريم وأعدائه سعيا لم يقصر فيه ولكن خيبه ظلم السياسة وكبرياؤها فهل عرف قومنا أن هذا الرجل الانكليزى الشريف شاعر رحيم القلب على النفس ، يستعرض فى شعره الماضى والحاضر ليشيد بذكر العظماء ويقضى حق البطولة أنى وجدها ؟ وهل عرفوا أن العظماء التاريخ الاسلامي من شعره المكان الأول والنصيب الأوفر ؟ طمع علينا (الكبتن كنينج) منذ عامين بطائفة من شعره سماها

(موت أكبر وقصائد أخرى) خص بمعظم صفحاتها جلال الدين أكبر شاه ملك الهند العظيم فتل هذه السقامة على سرير الموت مختصرة ، وما أوسع هذا مجالا لقريحة شاعر كبير القلب ذكي الفؤاد ثم نشر هذا العام طائفة أخرى من شعره عنوانها (أبو عبد الله وقصائد أخرى) وهي مائة وخمسون صفحة من الشعر الجيد تستغرق قصة أبي عبد الله آخر ملوك غرناطة أربعين وثلاثين ومائة صفحة منها ، وقد أعطى فيها الشاعر للتاريخ نصيبه وللإنسانية حقها وأن النفس الكبيرة التي تقدر البطولة وتحب عليها في بأسائها هي التي وقفت بالسكبن كننيج على أبي عبد الله في أيام نحسه كما وقفت به من قبل على جلال الدين أكبر في سرير موته ، وكذلك قطعة عن جنسة العريف فيها للشعر والقلب العطوف مجال واسع وأعظم مافي الكتاب من بعد (قصيدتان * إحداهما) في رثاء المرحوم سعد باشا زغالو وكان الشاعر قد رآه حين قدم مصر منذ سنة ونصف ، وفي هذه القطعة يصف بلفظ موجز وقع المصائب في مصر ومكافة الزعيم الفقيد من قاب أمته ، ثم يهيب بالمصريين ألا تيأسوا وسيروا على سنة زعيمكم فالاستقبال وضاء أمامكم ، وحسبنا من نبل الأخلاق والانتصار للحق أن يقف الشاعر هذا الموقف من رجل مات وهو في نضال سياسي نخاصم فيه الانجليز (قوم الشاعر) (والقطعة الثانية) نظمها حين أحرق بالزعيم الريفي عبد الكريم نحسه فاضطره الى الاستسلام لعدوه ، والشاعر يمثل فيها ريفيا مختصرا يفتقد زعيمه العظيم . انتهى الكلام على القسم الثالث من السورة

(الْقِسْمُ الرَّابِعُ)

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرُ مِمَّا يَشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدُوْا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّأَبَاطُونا أَفَنُحْيَا كُنُوزَ جُودٍ * لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ * وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ

زِدْكُمْ بِمَنْزِلِ الَّذِي تَسْتَعْبِجُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَشْكُرُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَمِينٌ مَا تَكُنْ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْمَلُونَ * وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي
 هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ * إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ
 الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ
 يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ
 تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ * وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ
 بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ دَا
 كُتُّمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ * أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا
 اللَّيْلَ لَيْسَكُنَّ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
 فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَّةٍ دَاخِرِينَ * وَتَرَى
 الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
 تَعْمَلُونَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ
 بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ
 أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ
 أَتْلُو الْقُرْآنَ فَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ * وَقُلِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ فَعَمَّا تَعْمَلُونَ *

اعلم أن الله عز وجل لما قص في السابق من هذه السورة نبأ داود وسليمان وقوم لوط وعمود وقد ورد
 ما استبان به عظمة الله والنعمة على عباده من علم وحكمة لداود وسليمان وإطلاعه عليه السلام على عجائب
 الطبيعة وبدائع الحيوانات في الجوّ وفي التراب وإتباعه بمعرفته غرائزها وطبائعها وعجائبها والمسامه بمراتب الجنّ
 والشیاطين والملائكة وما خولهم الله من قدرة وعلم ، وكيف رتبهم مراتب ونظمهم صفوفًا كل فيما استعده له من
 عقاب يتقدرون على الأعمال بمسقة وملائكة يزاولونها بسهولة تبعًا لنفوسهم ومرتباتها في الحياة والرقى ،
 ومن نصر واعتلاء على أهل الكفر كما في قصة عمود وقوم لوط إذ أهلك الله الكافرين وردّ كيدهم إليهم
 وأوقعهم في حفرة حفروها وداهية لغيرهم طلبوها . لما قص الله ذلك وعرفت منته وفضله العظيم استبان به

أن النفوس الطاهرة الراقية تنال العلم والنصر فلا جرم يستحق سبحانه الحمد على انعامه وهؤلاء الأنبياء المخلصون سلموا من الأذى ونصروا على أعدائهم ، هاتان نتيجتان لما تقدم ، انعام من الله وأمان للذين اصطفاهم ولا جرم أن ذلك يرجع الى أصل الموضوع وهو التوحيد ، فالنعم الواصلة للمخلصين من الأنبياء وغيرهم والسلامة الموجهة اليهم لأنهم وحدوا الله وساروا على نهجه في الأعمال الشريفة وتخلقوا بأخلاقه ، فإذا رجع إلى آيات من آياته وعجائب من بدائعه ليلحق الخلف بالسلف ويقرأ الناس في سطور هذه السكائنات آيات الجلال كما قرأها سليمان في عالم الحشرات والطيور وعالم الجن والملائكة ليعتدوا بحدوه في شكر الله وليكون هذا العلم ابتلاء لهم وامتحاناً حتى اذا عرفوا الموهبة شكروا النعمة والتحقوا بالمقر بين كما قال سليمان - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي - وكما قال - ليلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فأنم يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم - هذا هو المقصود من ذكر هذه الآيات الآتية

وهي (١) خلق السموات والأرض (٢) وانزال الماء من السماء (٣) وانبات النبات (٤) وإبداع الخدائق البهجات (٥) وجعل الأرض قراراً بحيث أمكن الاستقرار عليها فاستقر عليها الإنسان والحيوان (٦) وخلق الأنهار الجارية في خلالها (٧) وخلق الجبال التي ينزل المطر منها في الأنهار (٨) وإبداع حواجز بين الماء المالح والعذب بحيث لا يختلطان (٩) واجابة دعاء من اضطر الى الله والتجأ اليه من كل مكروه (١٠) وكشف الضر عن الإنسان (١١) وجعل الناس سكاناً للأرض بالوراثة عن السابقين فيتصرفون فيها قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة (١٢) وهداية الناس بالنجوم والعلامات في ظلمات الليالي بالبر والبحر وفي مشتهات الطرق كما يقال طريقة عمياء وظلمات التي لا منار بها فأودع في قلوب البشر علوماً بها عرفوا طرق البحار ومسالكها ومدارات النجوم وألمحوا أن تكون لهم الابرة المغناطيسية لتبدهم على جهة الشمال تقريباً ومتى عرفوها عرفوا سائر الجهات بها (١٣) وارسال الرياح مبشرات قبل المطر ليستعد الناس لنزولها فحين مستبشرين (١٤) ولا جرم أن من قدر على هذا قادر أن يعيد الخلق كما بدأه (١٥) ومن تأمل هذا عرف أن الله يرزق الناس بأسباب علوية وسفلية معاً ، فالعالم كله متفق في اعمال نتائجها متوافقة فقد اتحدت الأسباب السماوية والأرضية وتعاونت على رزق الإنسان والحيوان ولا يصح هذا الاتحاد إلا اذا كان الصانع واحداً ولو تعدد فكان لكل إله عمل من هذه الأعمال لم تكن النتيجة كما هي حاصلة بهذه الوحدة لأن اختلاف المديرين يقتضي اختلاف النتائج والنتائج متعقدة متعانة . إذن الإله واحد (١٦) ولا جرم أن ذلك يدل على أن الله يعلم مافي السموات وما في الأرض ولا يعلمه سواه لأن هذه النتائج الصادقة لا يستخرجها إلا العالم بها ولا يعلمها سواه ، فإذا لم يعلم الناس مافي يبعثون (١٧) بل انهم فوق ذلك تكامل علمهم في الآخرة واستحكم بدلائل وحجج قاطعة ومع ذلك هم متحبرون فيها شاكون بل هم فوق ذلك عني عنها لا يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم وهذا وإن ذكر انه لمن في السموات والأرض ليس المقصد منه إلا الذين كفروا

هذه المسائل السبعة عشر هي من قوله تعالى - وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - الى قوله - بل هم منها عميون - واعلم أن هذه النعم المذكورة تذكروا للمسلمين وتبصرة لهم أن يعرفوا نعم الله تعالى ويفقهوها ويدرسوها ويعملوا بها كما فعل سليمان عليه السلام فانه لما علم علم الحشرات طلب من الله ان يلهمه الشكر على ذلك العلم ، ولما نال الملك في الأرض ووصل الى أقصى ما يرام من العلم جعل هذا اختباراً فلهذا فليكن حال المسلم فليدرس السموات والأرض والمطر والنبات والأشجار والبحار ويتوجه الى الله وعلى المسلمين أن يكونوا علماء بالنجوم والطرق في البر والبحر بالعلوم المختلفة وأن يذللوا الطبيعة بالدراسة لا بالمجزة كسليمان عليه السلام وأن يكونوا مصلحين في الأرض حتى تلحقهم كلمة رسول الله ﷺ إذ قال بأمر الله الحمد لله على ما أنعم على عباده وحيا كل مصطفى من عباده النافعين لخلقهم الهادين لهم المرشدين الصادقين فلتكن في

عبادهم صدقاً تدخل فيمن يحييهم النبي ﷺ بأمر ربه ولتكون عاقبتك في الدنيا والآخرة كناقبة سليمان وداود وأمشاهم

﴿ تفسير الكلمات في هذه الآيات ﴾

قال تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر الله رسوله ﷺ أن يحمد الله شكره له على نعمه التي يسديها للناس مصطفى من نبي ومؤمن وتلك النعم عاروم وهداية ونصر وأن يحيي هؤلاء الذين اصطفاهم (آله خير أما يشركون) إلزامهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم (أمن) بل أمن (خلق السموات والأرض وأنزل لكم) لأجلكم (حدائق ذات بهجة) بساكنات ذات حسن يتنزه بها من رآها (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أي أنكم لا تقدر أن تنبتوا شجرها (بل هم قوم يعدلون) عن الحق الذي هو التوحيد (أمن جعل الأرض) بدل من خلق السموات والأرض وكذا ما بعده (قراراً) دحاه وسواها للاستقرار عليها (خلاها) ظرف أي وسطها وهو المفعول الثاني والأول - أنهاراً - و - بين البحرين حاجزاً - مثل ذلك (رواسي) جبلاً ثوابت تنحها من الاضطراب لأن الجبال متصلة بالطبقة الصوانية نابتة منها وهذه الطبقة لواقعة جزء منها لاضطربت النار وخرجت من باطن الأرض فكانت براكين فاهتزت وخربت بعد الاضطراب الكثير (البحرين) الملح والعذب (حاجزاً) مانعاً أن يختلط (لا يهامون) التوحيد (أمن يجيب المضطر) المكروب المجهود المضبور بالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من نوازل الدهر فهي إذا نزلت بأحد بادر إلى الالتجاء والتضرع إلى الله (ويكشف السوء) الضر إذ لا يقدر على تغيير حال من فقر ومرض وضيق إلى غنى وصحة وسعة إلا الله القادر (خلفاء الأرض) بأن ورثكم سكنها (قليلاً ما تذكرن) أي تذكرن تذكرن كثيراً قليلاً (يهديكم) يرشدكم (بين يدي رحته) قدام المطر (أمن يبدؤا الخلق) نطفاً في الأرحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء) بالمطر (والأرض) بالنبات (برهانكم) حجتكم (إن كنتم صادقين) في أن مع الله آلهة شتى (قل) يا محمد لأهل مكة (لا يعلم من في السموات) من الملائكة (والأرض) من الخلق (الغيب إلا الله) نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت الساعة ، والمهني أن الله هو الذي يعلم الغيب وحده (أيان يبعثون) متى ينشرون وأيان أصلها أي وآن (أدارك) تسكامل وانتهى واستحكم * يقال أدركت الفاكهة تسكملت نضجاً وأصله تدارك فأدغمت التاء في الدال وزيدت ألف الوصل ليكن التكامل بها (عمون) جمع عم وهو أعمى القلب * وقيل أدارك بمعنى اضمحل كما يقال تدارك بنو فلان إذا تابخوا في الهلاك أي اضمحل علمهم في الآخرة . انتهى تفسير بعض الكلمات والله أعلم

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن هذه المذكورات التي عددناها (١٧) هي التي تفهم المسلم كيف يحمد الله . إذ حمد الله إنما يكون على نعمة والنعمة ما لم يدرسها الإنسان لا يفهم معناها وإذا لم يفهمها فلا حمد له كما شرحناه في سورة الفاتحة . ألم يعلم المسلمون أن همدته هي التي يحمد عليها . إن الحمد ثناء بجميل لأجل جميل اختياري ، فإذا لم يعرف الإنسان المحمود عليه فلا حمد له والله أمر نبينا ﷺ أن يحمد الله وذلك الحمد يكون في العبادة وفي العلم ، أما في العبادة . فالمسلم يقرأ الفاتحة ويحمد الله فيها على أنه صرني العالم كله وهو يرجمه ، وكذلك نرى المسلم يقول ﴿ التحيات لله ﴾ فالمسلم يحمد الله ويقول التحيات له ، ويقول المسلم أيضاً في الرفع والاعتساف ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ﴾ هذا حمد المسلم في العبادة ، فانظر أثر العبادة ، إن أثر العبادة يظهر في العلم ، انظر أيها الذكي ، ان الحمد في الصلاة على تربية العالمين وملء السموات والأرض وما بينهما وملء كل شيء بعد ذلك ، انظر أليس هذا هو ما في هذه السورة ، ألم يذكر الله هنا بعد ذلك الحمد المحمود عليه ، ألم يذكر السماء والأرض والمطر والنبات والأنهار والبحار والهداية في البر والبحر

وارسال الرياح ، انظر . إن الله لم يذكر في هذا علم الحيوان لأنه تقدم في قصة سليمان وذكر الانسان في قوله - ويجعلكم خلفاء الأرض - فاذن المحمود عليه هنا جميع هذه العوالم وهي المذكورة في قول المؤمن ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض الخ ﴾ فانظر كيف أمر الله النبي ﷺ أن يقول لنا - الحمد لله - ثم ذكر المحمود عليه على سبيل العلم لاعلى سبيل العبادة ، فالعبادة مجرد تذكيرة ، وأما هنا فهو علم فاذا قال - الحمد لله رب العالمين - وقال ﴿ الحمد لله ملء السموات وملء الأرض ﴾ فنتيجة ذلك أن يدرس هذه العوالم بقدر إمكانه وعلى قدر فهمه فيها يكون ارتقاؤه الى الله تعالى . هذا مقصود الحمد هنا وهو الدراسة والعلم فلا يجد إلا معرفة المحمود عليه والمحمود عليه هو هذه المذكورات وهذه المذكورات هي عجائب السموات والأرض وما بينهما من عمل وهدهد وجن وملائكة ومطر ونبات وبر وبحر وجبل الخ هذا هو الحمد ، أما السلام في قوله - وسلام على عباده الذين اصطفى - فاعلم أن ذلك هو الدرجة الثانية وهي ترجع الى الأخلاق والفضيلة والانسان ما دام مبهدا عن حب الناس جاهلا بالجامعة الانسانية فهو بعيد من ربه ، فالانسان سعاده ﴿ بأمرين ﴾ الأمر الأول ﴿ العلم وقد علم في الحمد ﴾ الثاني ﴿ في الحب العام والحب العام أشار له بقوله - وسلام على عباده الذين اصطفى - أتدرى أيها الذكي أين هذا في ديننا ، ابحث عنه تجده في التشهد ، تجد المسلم يقول ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ يقول المسلم مخاطبا النبي ﷺ السلام عليك يحويه اجلالا ويبيشره بشمى على بشمى بالسلامة كما تحييه الملائكة وهذه التحية من بواعث السرور والموثبات ، يسلم المؤمن على النبي وعلى نفسه وعلى كل عبد صالح وهذا عين قوله تعالى - وسلام على عباده الذين اصطفى - فليفكر المؤمن وقت الصلاة في هذا المعنى وليقل ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ إن التفكير في هذا المعنى يحدث ألفة بينه وبين الأرواح الشريفة التي ارتقت الى عالم الصفاء والنور حتى اذا مات أحسن بالألفة الجامعة بينه وبينهم فلا ينفرونهم ولا يأنف ، هذا هو المقصود من هذا السلام وليفكر فيمن اصطفاهم الله بالعلم والحكمة وليأخذ بأحسن ما عملوا به كما قال تعالى - فبهداهم اقتده - والاهتداء بهداهم إحكام للرابطة بين المرء وبين الصالحين فهناك ﴿ رابطتان ﴾ رابطة بالتسليم في العبادة ورابطة بالقوة الحسنة في العلم كقصة سليمان هنا إذ يتبحر الانسان في العالم ويخوض في بواطنها من علم طبيعة وعلم أرواح ويزيد في الاخلاص لله والتسليم له فلا يغتر بما أعطى بل يقول - ليلاني أشكر أم أكفر - الخ فمن اقتدى بعالم أو بنبي في خصلة فقد عظمه وحياه وهو أيضا في كل صلاة يسلم عليه . وبهذا فهمنا - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - وصار الملخص أن تتبحر في العلوم لئتم حجة الله وأن تقتدى بالأنبياء ليكون ذلك رابطة تجمعنا بهم وهذه رابطة أوكد من رابطة التحية كما قال ﷺ ﴿ أنت مع من أحببت ﴾ وكما قال تعالى - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ ذلك الفضل من الله -

واعلم أن الذين اصطفاهم الله أشبه بأبائ الناس ، وكما أن الله عز وجل منزّه عن المادّة مربي العالمين مسعد لهم ليرقيهم من حال الى حال ، فكذلك هؤلاء الصالحون يسرون على الستن الذي سنه وإن كانوا في هذه الأجسام فهم وإن شاركوا الناس في أمور الحياة لا يريدون بها إلا القوة على المنافع العامة للأمة ، وكلما كان الانسان أزهد في المادّة وأحب للعلم وأكثر مساعدة وحبا للناس كان أقرب الى الله ، وكلما نزل عن ذلك كان أبعد عنه ، إن الله أعطانا دروسا شتى في الحياة ، قلل الشهوة البدنية زمن الكبر ، وأكثر من المصائب في المنازل وفي المدن وفي علاقات الأمم ببعضها ببعض وفي الأجسام ، كل ذلك ليفهم الناس أن هناك حياة أرقى من هذه وكأنه يقول أيها الناس إن هذه الحياة ليست أعظم حياة ، إن ربكم قادر وليست قدرته واقفة عند هذا الحد ، إن هناك حياة أوسع من هذه الحياة وأعلى منها ، وعلى مقدار اخلاصكم في أعمالكم وخواص

نفوسكم من علائق هذه الحياة فانسان يعلم أرقى والعالم الأرقى يكون فيه عباده الذين اصطفى كسلیمان انه لم
تفتت زخارف الدنيا ، ان الملك وطاعة الملوك لم تؤثر في نفسه ، انه يذكر ربه في وادي النمل كما يذكره وهو على
عرش بلقيس ويفوض الأمر له وذلك هو عين التفويض وباب الحب فمتقنوا به وبالا نبياء لتكونوا مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

﴿ جوهره في قوله تعالى - أتن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به

حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها - الخ وفيها « لطيفتان » اللطيفة الأولى »

في شرح هذه العجائب « اللطيفة الثانية » في بهجة الحدائق ﴿

﴿ اللطيفة الأولى في شرح هذه العجائب وفيها خمس مطالب ﴿

(١) في قوله - حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها -

(٢) وفي قوله - أتن جعل الأرض قرارا -

(٣) - وجعل خلأها أنهارا -

(٤) - وجعل لها رواسي - الخ

(٥) وفي قوله - آمن يجيب المضطر اذا دعاه - الخ

﴿ المطلب الأول في الحدائق ذات البهجة الخ ﴿

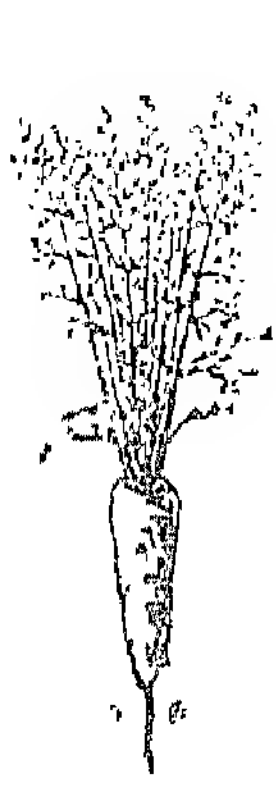
يعيش الانسان في هذه الأرض وأكثره في غفلة محجوب عن جماله وبهائه وحسنه ، إن العالم في نظر
أكثر هذا الانسان مخجّب وراءها حجب مسدولة بل هو مظلم قائم لالذّة فيه ولا جمال إلا اللذّة الحيوانية ، فالناس
يعيشون مسحورين بما أعطوا من حواس وبما نالت تلك الحواس من اللذات الحقيرة وينظرون الى الهواء
والى الماء والى المعادن كالحديد والكبريت والبوتاسيوم والصوديوم والجير والمغنيسيا والفوسفور والسلكا
(الرمل) والسكرور وغيرها نظرهم الى أمور جامدة فآفة خادمة لا تحرّك من همهم ولا تبعث من نشاطهم اللهم
إلا علماء الصناعات المتعلقة بهذه الكائنات والاعلماء الكيمياء ومن نحا نحوهم ورجال الصناعات والعلوم
الجزئية كلهم نظرهم جزئى وبحتمهم محصور في دوائر ضيقة ، ولكن من عسن الحظ أن هذا الانسان خلقت فيه
طائفة عقولهم أوسع ونظرهم أعلى وحكمتهم أشرف ونورهم أبهى وأجلى وأجل وأجل إذ ينظرون بهيمة
تندرج تحتها كل العلوم ، تلك الطائفة هم خلفاء الله في أرضه ، هم الذين جعلوا في الأرض أوصياء على هذا
الانسان المسكين المحبوس في الأرض المغمورة في حمايتها الممنوع عن الجمال ، فهؤلاء يقولون نعم العالم الذى نحن
فيه في ظاهره جاد جاف وعند البحث ننظر فنرى هذا الهواء وهذا الماء فهما عناصر الأكسوجين والادروجين
والاوزوت ويصحب هذه الثلاثة الكربون ، فالماء فيه العنصران الأولان والماء فيه العنصر الأول والثالث
والكربون أى الفحم معروف وهذه الأربعة تجتمع ويخلق منها كل نبات وكل حيوان مع اضافة مقدار قليل
من العناصر التسع المتقدمة التى أولها الحديد وآخرها الكلور . من هذه العناصر أو أكثرها يكون النبات
ويكون الحيوان . إذن هذا الهواء وهذا الماء وقليل من الكبريت وقليل من الفوسفور الخ هو نفسه هذا
الانسان وهذا الحيوان وهذا النبات ، فما هو إلا أن يأخذ الانسان حب القمح أو حب الشعير أو الفرة أو البرسيم
أو الخردل أو اللوبيا أو الخس خاش أو الجزر ويزرعها في أرض هالحة ويتمهدها بالطرق المعروفة فانه يرى بعد أيام
أن البينة التى كانت في داخل تلك الحبوب أخذت تنمو وأخذنا نلاحظ أن هناك

(١) جذرا وهو المنفوس في الأرض وله فروع ويعرف بالمجموع الجذرى

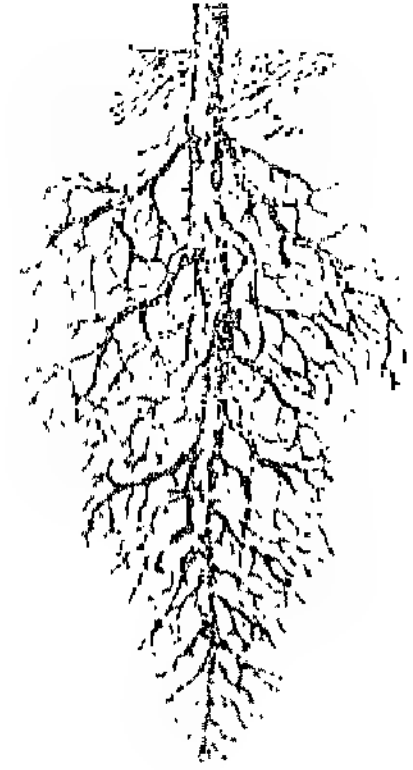
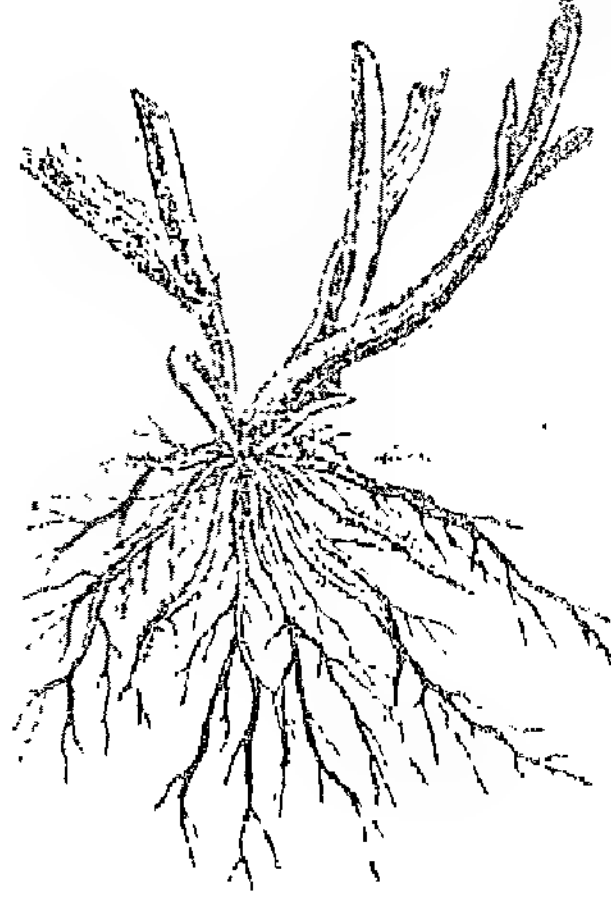
(٢) وساق وهو الجزء الذى يرتفع في الهواء ويتفرع فيه وأن من الحب الذى زرعه ما هو ذو فلتين مثل

اللوبيا والفول ، ومنه ما هو ذو فلتة واحدة مثل القمح والشعير

(٣) وأن المجموعات الجذرية إما وتدية ، وأما ليفية ، وأما درنية ، فالوتدية هي التي يستمر الجذر الأصل في النمو مع بقائه أكبر من فروعها وذلك مثل جذور البرسيم والخردل والشخاش ، والليفية تكون قليلة النمو وجذيراتها كثيرة مثل جذر القمح والشعير والذرة ، وأغلب النباتات ذات العلفة الواحدة ، والدرنية تكون منتفخة مملئة بالمواد الادخارية التي يتغذى بها النبات في المستقبل مثل الجزر والبطاطا والفجل واللفت والبسجر وهكذا ، وهذه صور أنواع الجذور الثلاثة التدية والليفية والدرنية (انظر شكل ٣٦ و ٣٧ و ٣٨)



جذر الجزر



(شكل ٣٦ - جذر تدي) (شكل ٣٧ - جذر ليفي) (شكل ٣٨ - جذر درني)

(٤) وأن الجذر لا يحمل أوراقا وله قنيسوة تحته وله منطقة نامية بالقرب من طرفه وله منطقة ماصة وهي منطقة الشعيرات الجذرية وله منطقة مثبتة خالية من تلك الشعيرات وليست ماصة وهو متفرع إلى جذيرات صغيرة وهو متجه رأسيا من أعلى إلى أسفل ويسمونه الانحناء الأرضي ويؤثر على هذا الاتجاه عوامل أخرى مثل الرطوبة والضوء ونحوهما

(٥) وأن الساق تحمل أوراقا وبراعم (وهي المجموع المكوّن من قمة الساق ومن الأوراق الصغيرة التي تحميها) وليس لها شعيرات ماصة كما للجذور وليس لها قنيسوة ونموها طرفي ودون الطرفي وتجه رأسيا من أسفل إلى أعلى وتحمل الأوراق وتهرضها للهواء وتوصل العصارات من الجذر إلى الأوراق ومن هذه إلى الأعضاء الأخرى ، وقد تؤدي وظائف الأوراق وتقوم مقامها وتمتلئ بالمواد المدخّرة في بعض النبات كالقصب والتين الشوكي والبطاطس ، ومتى نما النبات ترى له أزهارا تنشأ عليه ويطلق على مجموعها اسم (الفرخ الزهري) ثم تدبل الزهرة وتستحيل إلى ثمرة

(٦) وأن الأجزاء الرئيسية للنباتات الزهرية هي الجذر والساق والورقة والبرعم والزهرة والبزرة ، ثم ما الذي نراه من العجائب في الجذر وفي الساق ، أم الجذر فأنظر ماذا جرى فيه ، لقد رأيت أيها الذكي بعينك نظامه في باطن الأرض فهو إما مثل الوند وإما مثل الليف وإما مثل الدرنة ، ثم انظر ماذا حصل ؟ حصل كل العجب وأي عجب بعد أن ترى ساقا وورقا وبرعما وزهرا وثمرا . كل ذلك حاصل بسبب الجذور الممتدة المتفرعة في الأرض ، ماذا فعلت تلك الجذور يا ترى ؟ هذه الجذور فيها فتحات شعيرية ، تلك الفتحات الشعيرية تمتص المواد من الأرض . أي المواد تمتصها . تمتص ما فيها مما ذكرناه من العناصر وهي الأكسوجين والادروجين والاوزوت والكبريت والحديد والفوسفور الخ وكيف تمتصها . تمتصها بمقادير خاصة بمقاديرها في القطن غير مقاديرها في الفول غير مقاديرها في الورد جميل الرائحة غير مقاديرها في العنب (انظر ما تقدم في سورة البقرة واقرأ الجدول المذكور عند مسألة إبراهيم والطير) والعجب لاختلاف المقادير التي يتناولها النبات هناك وبها تختلف السوق والأوراق والطعوم والروائح والأغذية والفواكه . فيا ليت شعري أين الحكمة التي تعلمتها تلك الفتحات الشعيرية

حتى انصبت ما يليق بنباتها طعمها ولونها وقدرها . ثم إن النباتات تبلغ مئات الألوف عدا وقد اختلفت اختلافًا مدهشًا عظيمًا فكيف اختلفت الفتحات الشعرية فيها اختلافًا بمقدار اختلاف ظواهرها . ثم إن الكبريت والحديد والفوسفور والسليكا والأكسوجين وما شابهها هي هي نفس الكمثرى التي نأكلها والورد الذي نشمه والزيت الذي نستعمله . إذن نحن لم نستعمل شيئاً إلا تلك المواد التي نشاهدها من ماء ومن هواء ومن معادن أرضية ولكن هذا السحر الحلال الذي ظهر في الأعمال التي ظهرت في حب القمح وفي حب الذرة وفي نوى التمر والشمس هو الذي أرانا هذه العجائب . لا تدر ولا بر ولا ذرة ولا ورد إلا أجزاء هوائية ومائية ومعينية تقدم ذكرها اختلف تفاعلاتها فاختلقت أفاعيلها فصدق الامام الغزالي إذ يقول ﴿ إن المشعوذ البارع ان يفعل مثل ما نراه في الطبيعة ولكن الناس لاعتيادهم على مشاهدة هذه العجائب أنسوا بها فلم يروا فيها غرابة ولا عجباً ﴾ ومن عجب أيضاً أن المادة المسماة (الكأوروفيل) هي التي تجعل للنبات لون الخضرة وخاصة أجزاء النبات التي تحتوى على الكأوروفيل . انها متى كانت معرضة للضوء تمتص (غاز الكأورونيك) من الهواء وتحمله الى كربون وأكسوجين فتحفظ الكأورون وتطرد الأكسوجين . وتعرف هذه الظاهرة (بالتمثيل الكأوروفيلي) إذن هذه الخضرة تفعل في النبات فعل التنفس في الحيوان فالحيوان يبقى الأكسوجين ويطرد الكأورون بالتنفس والنبات بالمادة التي أحدثت له الخضرة طرد الأكسوجين وأبقى الكأورون بهكس الحيوان ولما كان النبات الذي يعد بمئات الألوف مختلف النتائج والثمرات اختلف طرق امتصاصه من الأرض بالشعيرات الجذرية كما تقدم واختلف طرق تصرف المادة الخضراء في هيئة تنفسه . فاعجب للاختلافين اختلاف الفتحات الشعرية في الجذور الأرضية واختلاف الخضرة في الأوراق الهوائية . الخضرة واحدة ولكنها تختلف اختلافًا بالقوة والضعف . وبهذا الاختلاف يختلف فعلها التنفسي في الهواء وتكون الثمرات والأشكال على مقتضى الاختلافين ويرجع كل هذا الى هواء وماء وكربون وحديد وفوسفور وكبريت مما تقدم ذكره . جمال الأزهار وبهجة الثمار وابتسام الورد وبهجة البساتين . هذه كلها هي نفس الماء ونفس الهواء ونفس الفرح ونفس الكبريت . فيا ليت شعري من أين جاء للهواء والفرح أن يعقل أن الجذر لابد أن يشتمل على قسم يثبت في الأرض وعلى قسم يخوفها وعلى قسم آخر يمتص الغذاء في الأرض والغذاء لابد أن يكون مناسباً للفاكهة وللحب ولطالب الحيوان ولطالب الانسان الغذائية والسوائية والفاكهة . حارت العقول يارب فما نراه وما ألفناه . هذا هو قوله تعالى - ما كان لكم أن تفتوا شجرها - هذا هو تفسير هذه الآية أي فكيف نبت هذا الشجر وما هذا الشجر إلا مواد نراها ولكننا لا نقدر أن نصنع هذه الأعاجيب منها . فنحن أمام هذا النظام أشبه بجميع الناس أمام الخطباء والشعراء إذ يعرفون الكلمات والحروف والمعاني ولكنهم لا يقدرُونَ أن ينظموا أشعاراً كأمري القيس ولا تترأ مثل عبد الحميد الكاتب . فائدة يقول لنا - هاؤم اقرؤا كتابه - هاؤم ذا النبات وهكذا الحيوان ، هذه كلها من المواد التي ترونها فهل تقدرُونَ على هذا النظام . كلا ثم إن الساق إما أن تكون قائمة ، وإما أن تكون زاحفة ، وإما أن تكون متسلقة ، فالأولى كالأشجار المعروفة والقمح والذرة ، والثانية كالخيار والقرع والسليك . وهذه لما كانت فروعها يجب أن تكون كثيرة الماء ضعفت فامتدت على الأرض وحملت الأرض عنها ثمارها ، فترى البطيخ والقرع وأمثالها على الأرض تضعف تلك السوق المائية عن حمله . والثالثة تسبق السياج وجذوع الأشجار الأخرى كاللباب الذي يلتف حول الأجسام التي يتسلقها وبعضها كالكرمة والبازلاء يثبت بتلك الأجسام بواسطة (محاليق) وهي خيوط رفيعة تلتف حول الأجسام التي تصادفها ، ومحاليق الكرمة غصون محورة ولذلك نراها قد تحمل براعم . أما محاليق البازلاء فهي أوراق محورة . ثم ان غصون السوق الهوائية قد تتحول الى أشواك للدفاع عن النبات كما في البرتقال (انظر شكل ٣٨)



(شكل ٣٩ - صورة محاليق الكرمة)

فانظر لعصن انقلب تارة الى محلاق لرفع شجرته وتارة الى شوكه ليحفظ النبات ثم الورق انقلب الى محلاق ليرفع شجرته أيضا

(٨) ثم انظر الى عجائب العلم والحساب والهندسة في النبات (أذكر ك بما تقدم في سورة الحجر عند قوله تعالى فيها - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - فتأمل شكل ١ وشكل ٢ وشكل ٣ وشكل ٤ في (سورة الحجر) وتأمل رعاك الله نظام أوراق النباتات المختلفة وكيف كانت محسوبة بحساب عجيب فتراها على الأغصان بينها مساحات متساوية تكون دائرة تامة

فانظر الى هذا الحساب هناك والى هذه الدقة في الهندسة والحساب البديع واقرا بقية شرح الحساب هناك ثم ارجع الى أول المقال فأول المقال انه ليس عندنا شئ إلا هذا الماء وهذا الهواء وهذا الحديد ثم انظر هذه التنوعات في الجذور وفي السوق وفي لأوراق وفي الأزهار وفي النتائج وفي حساب الأوراق على الساق ونظامها وأعدادها ودواثرها . هذا معنى - ما كان لكم أن تنبتوا شجرها - وكيف تنبت شجرها ونحن اذا لاحظنا نظام الجذر لا لاحظنا نظام الساق ولا الزهر ولا الفاكهة ولا حساب الأوراق . فهذا كله حاصل ولا يخل بعمل بسبب مزاجه الآخر له . هذه الملاحظات الثمانية التي ذكرتها لك أيها الذي في الحقائق والأشجار وسائر النبات متى تأملتها وجدتتها شرحا لعلم الفلسفة القديمة والحديثة . وقبل أن أذكر آراء الفلاسفة أقدم القول في الحقائق فأقول

اعلم أن الحقائق ذات الهجة على (قسمين) حقائق في البر وهي معروفة وحقائق في البحار عرفها الناس في أيامنا هذه وذلك باختراع آلة وهي عبارة عن غرفة يمكن الفوص بها على أعماق بعيدة في الماء وتتصل بالسفينة بواسطة أنبوبة تحمل الهواء ، ومن مزيها أن حركتها يمينا وشمالا لا تتأني مع حركة السفينة وسيرها ، وهي تقسع لرجلين أحدهما يتولى إدارتها وانزالها واصعادها والآخر للقيام بتصوير المناظر ثم هي مزودة بنظارة يبلغ قطرها مترين وسمكها سنتيمترات كثيرة بحيث يمتد منها البصر على مساحة واسعة . ذلك الى أنها تستخدم لعكس الأشعة وتسهيل استكشاف المناظر . وقد استطاع هذا المخترع وهو (المستر ويليام سن) المشهور باستكشافاته البحرية أن يرتاد في غرفته هذه مياه جزائر البواينيز وأن يشاهد من عجائبها ما أثار دهشة العلماء . فما ذكره انه رأى من النباتات المتباينة الألوان ما يشبه أجمل الحقائق فوق اليابسة وأن هذه الحقائق تسكنها حيوانات مختلفة الأنواع . فمنها حيوانات رخوة وذوات أصداف لم تسكن معروفة حتى الآن وهي تتطاحن وتتنازع أكثر من تطاحن حيوانات اليابسة وتنازعها . وأغرب ما ذكره المستر (ويليام سن) أن من هذه الحيوانات ما يشبه النبات في شكله ولكنها حيوانات ضارية إذ تنقض على الأسماك التي ليست من نوعها فتفترسها

ثم من أثر مشاهدته أن كشف لنا ظاهرة عجيبة وهي أن الأسماك الكبيرة كالنور الساطع وتحت وحش البحر أو ناب البحر ليست على ما يخالف جسمها أشات الأسماك فتكاد أكثر خطراتها تذهب لسماك صغير له أسنان حادة ينقض عليها ثم يفلت في جسمها مادة سامة تقتلها بالسرعة . ومشاهد المستر (ديليام سن) حركة بين فئات ضخمة من السمك تدور فيها الأسماك والآلات فكان من هذه الآلات المركبة في جسم الأسماك ما يشبه السيوف ، ومنها ما يشرب شوكه من المنشار ، أما ضعف هذه الأسماك فهو ما كان يعمل في جسمه شوكة يطعن بها جسمه انتهى من عجيبة الجديد

﴿ تطبيق المذاهب الفلسفية في جميع الأمم على نظام النبات ﴾

قام في اليونان (تاليس) بأكثر من خمسة قرون قبل الميلاد فقال أصل العالم الماء ، لماذا ؟ لأنك رأيت الماء داخلا في النبات وفي الحيوان

(٢) ثم قام بعده (أنكسيمانس) فقال : كلا . أصل العالم الهواء

(٣) ثم قام أنكسيمندر فقال أنا لا أعتبر إلا المادة العاقمة . فأما الماء والهواء فهما إلا فرعان ومنه (ديموقريطس) إذ رجع إلى الجزء الذي لا يتجزأ وقد أخذ به علماء الأشعرية من أمثال الاسلامية

(٤) ثم قام فيثاغورس وقال لا أيها الناس كلا . ثم كلا . مالنا والماء والهواء والمادة . أصل هذا العالم إنما هو العدد والحساب لأنني رأيت منظمنا

(٥) فقال أنكساغورس : كلا . أيها الناس هل يكون الحساب بلا حساب والنظام بلا منظم ، هناك عقل يعقل هذا العالم

(٦) ثم جاء سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس فقالوا بآله منظم للعالم

هذا ملخص مذاهب اليونان وتبعهم الرومان وقامت أوروبا فلم يخرج مفكروهم عن هذه الآراء فأما أهل الهند فاني رأيت في كتاب (راجا يوقا) أن قوما منهم أشبه بتاليس ومن معه لا يرون للعالم صانعا وهم السنيخ وقوم مثل أنكساغورس لا يرون له عالما به ، وآخرون يشبهون أفلاطون ومن معه ، فالوجيون يقولون انه عالم بما لانهاية له ومعلم لكل عالم في العوالم كلها ، والذين يتبعون كتاب الثيدا يقولون هو عالم وصانع للعالم كجزئيه وكيه مستدين بالنظام الموسيقي

وبناء على ذلك أصبحت عقول أهل الغرب وأهل الشرق ترجع إلى ما تراه الآن في هذا النبات . فأهل السنيخ في الهند وتاليس ومن معه في اليونان لم ينظروا إلا إلى ما أمامهم كما ينظر العاوي في هذا النبات ولا يفكر إلا في المادة وحدها ، فأما الوجيهون في الهند وأتباع الفيدا وهو الكتاب المقدس عندهم فانهم لاحظوا ما هو أعلى من حيث نظام الأوراق والأزهار وحسابها كما لاحظها أفلاطون وسقراط وشرحها شرحا جيدا كما نقلته عنهما في رسالتي التي سميتها «مرآة الفلسفة» فقالوا بأن للعالم إلهة نظمه وهو حكيم ومبدع إذن مسألة النبات التي شرحتها هنا قد شرحت أدوار الفلسفة في الشرق والغرب وقد أصبح ما كان من الفلسفة عسرا ففهم (عويصا على العقل مشتتا للفكر موجبا للإلحاد للجهل الفاشي واضعوبة الكتب) مشاهدا بالبصر سهل الفهم شارحا للصمد قريبا من العقل يفهمه المتوسطون . أما أنا فاني أجد الله عز وجل إذ وقفت على هذه المذاهب واختصرتها هنا وطبقته على النبات واستبان بهذا أن الناس في مشاهدة هذا العالم أشبه بالعميان الست الذين شاهدوا الفيل وكل حكم عليه بما وقع تحت حسه فقرأه في سورة المؤمنون عند قوله تعالى : كل حزب بما لديهم فرحون . ومن أدرك ما كتبت الآن ووقف على تفصيله في غير هذا المكان فانه لا محالة ينظر لاختلاف مذاهب الفلسفة في الغرب والشرق في عصرنا نظر البصير إلى الفيل وقد سمع العميان الست يدرسون له ولكل رأي فيه وهو من آرائهم يسخر وقد عرف أن كلا منهم قال بعض الحقيقة أما هو فقد وقف عليها وهو من الموقنين . انتهى الكلام على «المطلب الأول» في قوله تعالى هنا : وأنزل لكم من

السما ماء فأبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها -

﴿ المطلب الثاني في قوله تعالى - أئمن جعل الأرض قرارا - ﴾

أقول ، لقد تقدم رسم انقاربات كلها في (سورة النور) فارجع اليها هناك وانظرها مع الحدائق البهجة والنبات والحيوان

﴿ المطلب الثالث والرابع في قوله تعالى - وجعل خلاها أنهارا وجعل لها رواسي - ﴾

فالطلب الأول هو النبات ولما كان النبات لا بد له من قرار أنبعه بالمطلب الثاني ثم أتبعه بما كان سبب انباته فذكر الأنهار والأنهار لا تكون إلا بالسحاب والمنازل والثلج الذي يكون في الجوّ ثارة وتارة يقع على الجبل فينزل الماء في داخله ويخزن فيه فتنبع منه العيون ويمد الأنهار في الأوقات المختلفة ، فانظر في (سورة النور) وتأمل هذه المطالب هناك فانك تجد في تفسير قوله تعالى - ألم تر أن الله يزجي سحابا - الخ صورة السحاب الذي ليس بمركوم والسحاب المركوم والسحاب الذي يخرج منه الودق ، وهكذا ترى الثلج الذي هو كالجبال في الجوّ الذي يخلق البرد فيه وهو معرض لوصول الهواء الحارّ اليه فيرجع مطرا وهكذا جبال الثلج التي تحفظ فوق الجبال مثل جبال الألب المرسومة هناك وهكذا الثلج الذي يكون فوق الجبل ويرى نازلا منه في النهر كنهر الرن الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط كما يصب فيه النيل الخارج من خط الاستواء من البحيرة المسماة بحيرة فسكتوريا ، فهذه المنازل وهذه الجبال تراها مرسومة في تفسير تلك الآية فلاحاجة لاعادتها هنا وأما قوله تعالى - وجعل بين البحرين حاجزا - فانظره في سورة الفرقان عند قوله تعالى - صرح البحرين - الخ اه

﴿ المطلب الخامس في قوله تعالى - أئمن يجيب المضطر اذا دعاه - ﴾

وهذا أمر لا يعرف إلا بالوجدان ولكل حيوان ولكل انسان في الأرض شؤون تخصه لا يعرفها غيره والله أمده بامداد خاص وأنقذه من خطر هو أدري به وحده ولكل ذى نفس مع ربه سر لا يدركه سواههما . ويظهر لك في مثالنا انك تراه نوع غصن الكرم فجعله محلا ، وقد تقدم رسمه ونوع ورقة البازلاء فكانت كذلك كما تقدم ، ونوع غصن البرتقال فصار شوكا لحفظ النبات ، فهو قد راعى ما يحتاجه البرتقال من الحفظ وما يحتاجه البازلاء والسكرمة من المحاليق لترتفع بها على غيرها فأمدتها فهو إذن يحافظ على الجزء كما يحافظ على السكل ويراقب الورقة الصغيرة ويقفل فيها ما تقتضيه المصلحة . فهذا نظير إجابة المضطر اذا دعاه . هذا ما فتح الله به في هذه الآيات كتبته ليلة الاثنين ١٥ ابريل سنة ١٩٢٩

﴿ البهجة في حدائق ذات بهجة ﴾

أكتب هذا صباح يوم الخميس (٩ يونيه سنة ١٩٢٩) إذ كنت متوجها لزيارة بعض الأصحاب في شارع الصليبية الموصل من ضريح السيدة زينب الى القلعة ، فبينما أنا أسير إذ رأيت أمرا غربيا ، رأيت منظرا جيلا وحديقة بهجة في الجهة الشرقية لجامع ابن طولون ، ذلك المسجد الذي أسس منذ نحو مائة وألف سنة فوق (جبل يشكر) ولقد كنت قبل اليوم أرى هذا المسجد حوله مبان قنطرة وبيوت ضئيلة كأنها الأكواخ مشهدها يقبض النفوس ويجلب البؤس وهذا القبح والبؤس بسبب تلك القاذورات والحيوانات النثرية والرطوبات المنتشرة التي تكون سببا في المرض وفساد الصحة وذهاب الأجسام والنفوس والأخلاق ولقد مننت لي شهور وشهور لم أهر من هذا الشارع . إن مكومتنا المعصرية لما لها من الاتصال برجال الغرب أرادت أن تجاريهم في تحسين القاهرة وتجميلها فاشتريت تلك البيوت الحقيمة وغيرها وصنعت في محلها هذه الحديقة فاستوقفت نظري ولم أشأ أن أمدف في المسير حتى أنأمل هذه الحديقة . المسجد فوق الجبل والشارع منعطف عنه بما يزيد على ١٢ مترا ، فبناء عليه جعل هذا المنحدر الذي هدمت البيوت المبنية فوقه حديقة

ظريفة مكوّنة من (سبع قطع) متجاورات (القطعة الأولى) جهته السارح في أسفل المسار بيناوية الشكل يحيط بها سور من الحديد قد زرعت حشائش تكون طول السنة مخضرة ويسمونها (فزو) وفي وسطها روضة ظريفة صغيرة مزروعة أشجارا أوراقها طويلة أزهارها كبيرة شمرة يسمونها (كنه) أو سنبل وهذه الروضة الصغيرة أيضا بيناوية الشكل كمدار الكواكب كنهها فانها بيناوية ويحيط بها أشجار السرو والجبل وكل هذه انما اخبرت لأنها مخضرة طول العمر لا يتحات ورقها ولا يطعم الناس في أكل ثمرها فكان الأثمار يضيع رونق بعض الأشجار وينهك قواها فلا تبقى على رونقها طول السنة

هذه هي القطعة الأولى والقطع الست الباقية كلها مستحايلات الشكل يحيط ببعض سورها شجر يسمى (توتيه) أخذوا هذا الاسم من اللغات الافرنجية التي جلبوا هذه لأشجار منها . هذه هي الحديقة التي رأيتموها وأنا الآن أراك أيها الذكي تقول لي ، لقد وصفت حديقة لاقيمة لها وفي الدنيا حداثق جميلة بهجة وهذه بالنسبة لها أثر بعد عين أو عدم بالنسبة للوجود . فأقول أنا لم أكتب هذا المقال لأسممك هذا الوصف . كلا . بل إنني أريد أن أذكر ما خطر بذهني حين رأيت هذه الحديقة ، تذكرت أن هذا المكان كنت أتمكن منذ ٣٠ سنة بالقرب منه وما كان له هذا الرنق فتغيرت الحال فقلت في نفسي هذه أجسامنا التي نعيش بها نرى الله يقبلها من حال الى حال ثم يهدمها ويحدث غيرها ، فإذا رأينا الأرض الملاصقة لمسجد ابن طولون لما هدمت بيوتها ظهر لها رونق جديد هكذا فلتكن أجسامنا بعد أن تهدم تظهر أرواحنا بمنظر جميل شارح للصدور وهذا الخاطر ليس هو المقصود الأول من هذا المقال بل المقصد الأهم من هذا هو تذكري المسلمين بقوله تعالى - حداثق ذات بهجة -

ماهي البهجة هنا؟ يظن الجهلاء وصفار العلماء أن البهجة في مناظر الحداثق وظواهرها مع ان خضراء الدمن أي تلك الحشائش التي تنبت في الأماكن المستقدرة تكون ذات بهجة أيضا . كلا . إن المدن اذا ازدحمت بالسكان وتراكت فيها الأقذار ضاقت الأنفاس فيها وتعذر على الناس القيام بأهم شؤونهم لما يتخلل شوارعهم وأزقتهم من المزابيل والأتربة والقمامات والقاذورات فتنبعث منها الروائح الكريهة وتكثر الحيات وتضعف الأبدان ولا يبقى في المدن إلا أناس قويت أجسامهم فتحملت هذه المهلكات فعاشت ، والأثم مادامت جاهلة لم يظهر فيها مفكرون ترضى بهذه الحال وتعتقد أنه لا مفر منها وأن هذه هي الحال العامة وليس هناك خير منها فيجوس الوباء خلال الديار فيجرف الأجيال جيلا بعد جيل والناس لا يعقون . فأما اذا تخلت الحداثق المدن كهذه الحداثق هنالك يتجدد الهواء وسط المدينة فكأن المدينة بهذا تنفست بعد أن كانت لا تنفس لها . وبيانه أن النبات بينه وبين الحيوان اشتراك فملى في الحياة ، فالإنسان والحيوان يخرج الكربون (الفحم) من أنفاسهما ويأخذ الهواء ويوصله الى الأشجار ، ومعلوم أن أوراقها أشبه بالرئة فتأخذ من الهواء المادة الفحمية الآتية من أنفاس الإنسان والحيوان وتعطي الهواء مادة الحياة التي يسمونها الأكسوجين ونقول أيها الهواء خذ مادة الحياة هذه وسلمها بسلام الى اخوتي واخواني الإنسان والحيوان فيحمل النسيم تلك التحية ويسير الى أن يوصل تلك المادة وهي (الأكسوجين) الى الإنسان والحيوان فيتنفسان بها أي يجذبانها من الهواء ويدخلانها في المادة الدموية فتنظفها وتعطيها قوة الحياة فيكون الدم مريانيا بعد أن كان ورديا . فأنا اذ وقفت أمام هذه الروضة الصغيرة كنت كأني أسمع تلك الأوراق والأشجار والأزهار تخاطبني بهذه المعاني وتقول قل للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، لماذا كانت مساكنكم في مصر ومراكش والجزائر وتونس والعراق وغيرها أقل رونقا وبهجة وتنبعث منها الروائح الكريهة ؟ أجهاتم العلوم ونبذتم العلماء أم لم تفهموا قول الله تعالى - فأنبئتكم به حداثق ذات بهجة - فهذه البهجة التي تظهر في رونق الأشجار والأوراق تنبعث منها لنفوسكم بهجة وحياة فتكون هناك سعادة القلوب وانتعاش المدن وقلة الوباء وارتقاء الأمم

فها أنا ذا أكتب هذا للمسلمين وأقول قد بلغت اللهم فاشهد . فلما كتبت هذا حضر صديقي العالم فقال هذا كلام حسن ولكن مامننى قولك « قد بلغت اللهم فاشهد » هل أنت بلغت ديننا ، وهل الحدائق ذات البهجة يجب أن تتخلل المدن الإسلامية حتى تقول لأهل بلغت اللهم فاشهد . هذه قائلها النبي ﷺ في حجة الوداع ولكن قائلها في أمور هامة وهو حفظ الأنفس والأموال والرفق بالصيد والنساء . أما هذا الذي تقوله فلا هو في العير ولا في النفير وإنما أنت رجل رأيت حديقة في مكان كنت تسكن قريباً منه وكان مكاناً مزدجماً بالسكان قدراً فأصبح مكاناً جيلاً فأثر في خيالك . هذا أول الأمر وهذا آخره . قلت يا صاحب اسمع . أليست ترى بعد هذا البيان أن فيه حفظ الأنفس وصحتها . قل بلى . قلت ومتى صحت الأنفس كثرت الأموال . قل بلى . قلت أليس من هذه أن نفس النساء والعبيد . قل بلى . قلت أومضدق أنت بالقضايا العلمية التي ذكرتها لك قال نعم . قلت إذن فقد الصحة وحصول الوباء المتكرر في البلدان يميت نساء وعبيداً وأطفالاً ورجلاً ، ولكن هذا الموت ليس بالسلاح المعروف وإنما هو بسلاح آخر أرسله الله لأهل الأرض ليهلكهم فيحصل الأرواح حصداً أفلاتندكر أن هذه الباءات فروض كفايات . قال بلى . قلت وتركها إثم على الأمة كلها . قال بلى . قلت ولذلك يعم المرض ولا يخص وكذلك الوباء . كل ذلك عقاب على ترك فرض الكفايات . قال نعم . قلت فإذا تريد بعد هذا البيان ، أليس في ترك هذا الإصلاح هلاك الأنفس التي حذر منها ﷺ قل بلى . قلت إذن وصلنا للمقصود ودخل هذا الموضوع في نفس الحديث المذكور وصار الإثم خافياً بمثل وبمثاك فإذا لم نقنع الناس اقناعاً تاماً فانهم لا يسمعون ، فانهم ما قلت وفهمه للناس ، أفلا يحق لي أن أقول ﴿ قد بلغت اللهم فاشهد ﴾ قال لقد أقنعتني بحسن بيانك ﴿ إن من البيان لسحرا ﴾ فقلت الحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الثانية في بهجة الحدائق ﴾

هذه الآيات باب نلج منه لندخل أبواب الحدائق الغناء والحقول الخضراء والبساتين البهجة المدهشات وهذه ذكرى لما كان ديدنى أيام شبابي . ومشرى في أول حياتي ولوع بالأشجار والأزهار والزروع والأعشاب أجلس على حافة الأنهار وعلى شطوطها وفي المزارع وتحت الأشجار وأسمع تغريد طيورها وغوير أعشاشها ورنين حشراتهما ، وأرى مستقرها ومستودعها ، وكنت أطرب لمراى جمالها وبديع نظامها وتفنن أزيائها وبدائع أغصانها وترنح فروعها وبهجة حسناتها . ولقد كان يخيل لى أنها مراقص فائنات ومفان مرئعات ذات معان مبهجات ، وكأنما تغريد أطياريها وغوير أعشاشها ورنين حشراتهما وهى تردد في الجوائف أغانىها ومعجائب نغماتها وبدائع هزجها ورمالها جماعات من الموسيقيين الفنيين يضربون على دفوفهم ويغنون على أعوادهم وقد برعوا في فنونهم وانتظموا في صفوفهم فأبهجوا السامعين

هذه كانت حالى أيام الشباب لاسيما إذا جن الليل وأرخى سدوله ونظرت الراقصات الحسان والناعات الطرف المضيات دياجى الظلمات الباسيات الثغور الشارحات الصدور الساعيات الى جمالهن أجل العقول وأكبر النفوس أن هلموا الى واقبلوا على . إن ابتسام الزهر واقتدار الثغر وبهجة الورد واعتدال القدر وحجرة الحد كاهن مشتقات من بساتنى وبهجة أنوارى ومحاسن إصدارى وإرادى فلا تقصداً إلا الى ولا ولا إلا على وارفعوا النفوس الى العلا وأتم مبتهجون

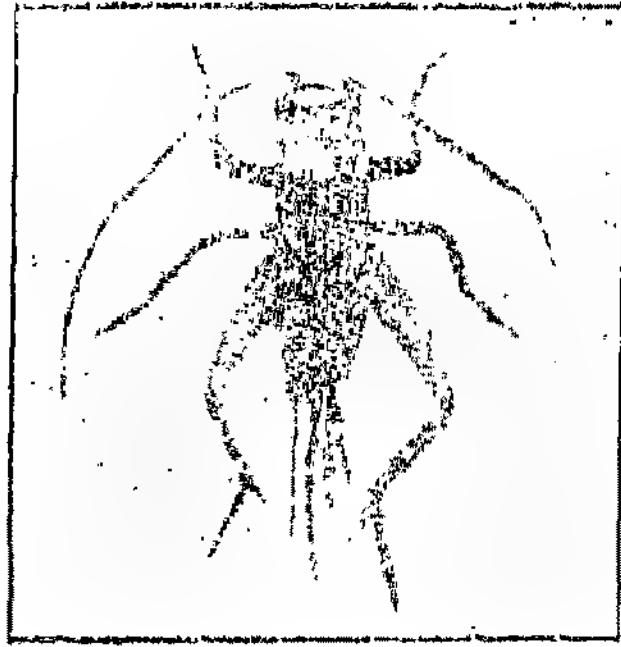
هذه كانت قصة خيالى في مبدأ حياتى في الرياض المشبكات والحقول الخضراء ، فهل كان يجيش بقاى أو يمر بنخاطرى ما طهر الآن وبهر من علم الحشرات وغنائها وأن تلك الحدائق والحقول كان فيها لك المعانى حقيقة لا مجازاً وحسلاً لا خيالاً ، وهل كنت أعلم إذ ذاك أن من أنواع الحشرات ما ينفع النمل بينها مبالغاً عظيماً وأصبحت حضارتها أبلغ في الحقيقة من حضارة الإنسان . إن هناك نظاماً يفوق الوصف في تلك المخلوقات قد قرأته في سور كثيرة لاسيما في هذه السورة ، مثل أن العلماء راقبوا النمل فوجدوا الواحدة منها تصل شواربها

بشوارب الثانية فيحصل هناك ضجة كبيرة في تلك الجياعات ، انها متعادات ، إن بينها مخاطباتا بطريق (التلغراف الذي لاسلك له) كيف لا وقد أدهش العلماء أن رأوا جماعات منها تتدافع الأميال في الليل البهيم لتتقذ حشرة وقعت أسيرة ، فن أخبرها وأى واسطة للتبليغ غير ذلك . يظن العلماء أن لها لغات لكن لا نسمعها وقد أثبتوا أن لها مغاني وآلات طرب بقسميها وهما ذوات النفخ كالزمار وذوات النقر كالطبل . مثاله (السيكادا) وهي نوع من الذباب الكبير فإن له طبلا ينقر عليه كطبل الانسان وهذه صورته (شكل ٤٠)



(شكل ٤٠ - رسم ذباب كبير له طبلة يحدث بها صوت الموسيقى)

وهكذا هناك حشرة تفرغ جذع شجر الهليون أو غيره فتجعلها كالطبلة فيسمع لذلك صوت مستمر . وهذه صورة الجدد وغناؤه معلوم (شكل ٤١)

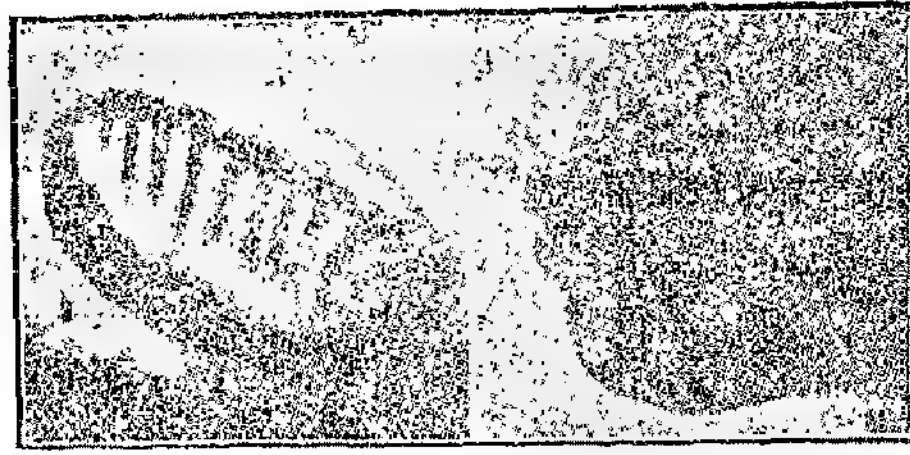


(شكل ٤١ - صورة الجدد « الصرصور »)

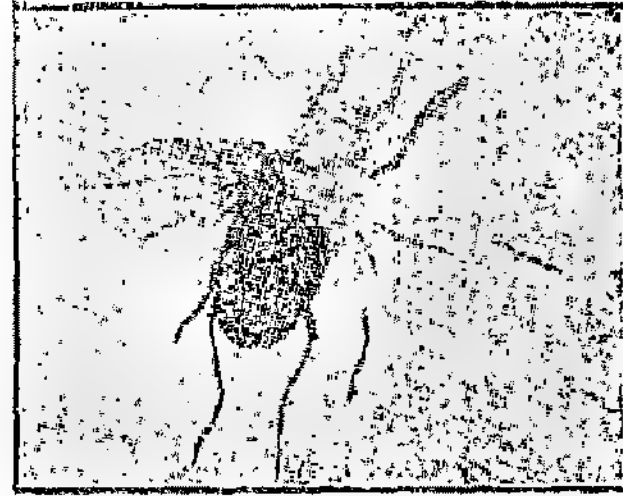
وهناك الخنفساء التي تهزف بطريق خاص بها وتشته عضلات الرجلين المقدمين والرجلين المؤخرين فيظهر بينهما غشاء رقيق مشدود فتعزف عليه ويظهر لها صوت جميل مثل (الناي) أليس هذا هو عين قول الله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - أليست الخنفساء القبيحة المنظر التعسة لها مالا من أنواع الموسيقى والغناء والألحان ، فهذه هي ذمة الممثلة لم تقتصر على حال دون حال بل وصلت الى الزينة وهي نوع الموسيقى التي كنت أتخيلها في الحقول وماهي بخيال بل كان الوجدان يقتطف ويختطف ذلك الفرح وتلك البهجة من بين الأعشاب ويلقيها الى نفسى فأتحيل النغمات وان كنت لأسمعها وأستطرب تلك المعاني وان كنت لا أدركها

﴿ مغاني النمل ﴾

وهل كان يدور بخلد أحد من أهل العلم قبل الآن أن للنمل آلات موسيقية وانها تحتك بأجسامها في أوراق الأشجار فتحدث صوتا في بعض الغابات يسمعه على بعد ٣ قدما وبين كل نملة وأخرى مسافة معلومة فتحدث هناك نغمة خاصة ويكون البدء وتكون النهاية في وقت واحد ، وهذا جهاز التنفس في الحشرات والغشاء الرقيق الذي يحدث الصوت (انظر شكل ٤٢ وشكل ٤٣ في الصفحة التالية)



(شكل ٤٢ - جهاز التنفس في الحشرات والغشاء الرقيق الذي يحدث الصوت)



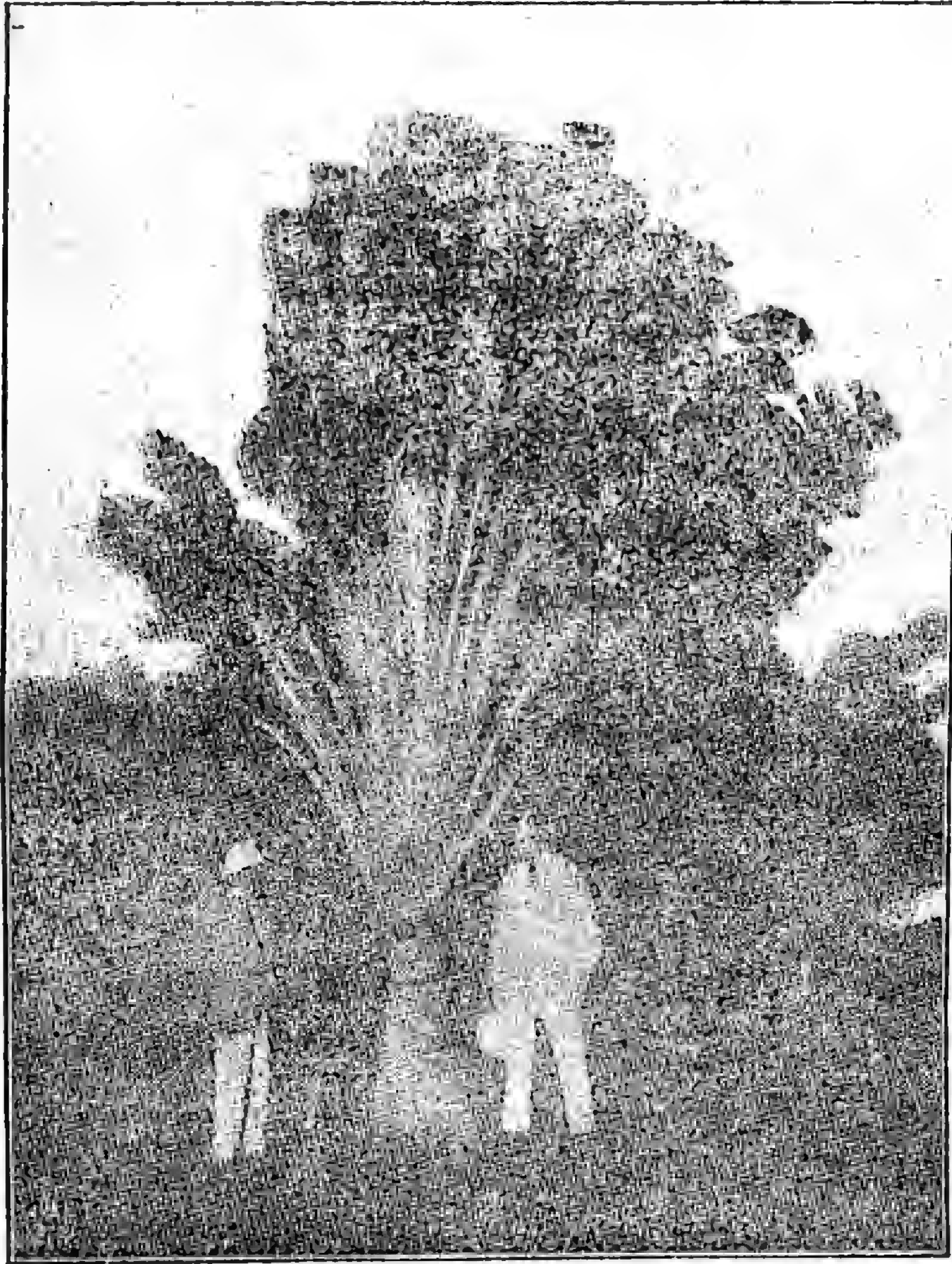
(شكل ٤٣ - رسم الخنفساء الوغلية وهي طائرة)

إن أجنحة الحشرات تتحرك بسرعة تفوق الوصف بل تصل الى (٣٥٠) مرة في الثانية في الحشرة المسماة بالزجاجة الزرقاء ، وليست موسيقى الحشرات كلها بالقرأ والاحتكاك . كلا . بل منها ماله جهاز تنفسي بجهاز الانسان

يقول علماء الحشرات إنه مامن نوع من أنواع الحشرات إلا وله نعمات خاصة به ، واذن قوة الانسان لن نقدر أن ندرك ذلك وقد قطعوا الأمل أن يدركوا ذلك بآلات لأنهم يقولون ﴿ إن الانسان أدق نحو مليون مرة من أشد الآلات العلمية إحساسا ﴾

بهذا نفهم قوله تعالى - حدائق ذات بهجة - وقوله تعالى - وفي الأرض آيات للوقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون - أفلمست أنا أيها الذكي على حق اذا قلت وأنا في تلك الحقول أيام الشباب ، ان النجوم الباسمة الثغر ليلا تقول هلموا الى لأن أرضنا فيها معان بديعة عجيبة قد استبهمت علينا فشوقتنا الى المعرفة العامة في الأرض وغيرها وبالمعرفة تكون السعادة ، ومتى طرنا من هذه الأرض أدركنا جلالاً أرقى ومحاسن أبهى والسلام اهـ

وأقول أيضا هل كان يخيّل الى وأنا في حال الشباب جالسا في الحقول كما قدمت آنفا أن هناك شجرة تسمى « شجرة السائح » نقلا عن مجلة الجديد وهاهي ذه (انظر شكل ٤٤ في الصفحة التالية) ...



(شكل ٤٤ - شجرة السامح في حديقة النباتات في (جورجتون) عاصمة غيانا البريطانية وهي تحتوى دائما على كمية كبيرة من المياه النقية الصالحة للشرب فاذا ثقب أحد الفروع يتسرب الماء من الفتحة بقوة وكل فرع به مخزن مستقل من الماء)

أم كان يخيل الى أن هناك عواطف للحب بين أنواع الحيوان والطير كما ترى من مغازلة الطاووس لآثاء (شكل ٤٥ في الصفحة التالية) فلقد جاء في مجلة الجديد أيضا مانصه



(شكل ٤٥ - رسم مغازلة الطاووس لأنثاه)

﴿ مغازلات الحيوانات والطيور وهدايا العشاق ﴾

تقدم الاستاذ (جوليان سوريل هكسلي) بجامعة أكسفورد الى الجمعية العلمية الانكليزية بأبحاث هامة أثبت فيها أن كل الطرق والاجراآت التي يتنهن في عملها الذكور والاناث من بني الانسان لاستمالة القلوب موجود مايمثلها من كل وجهه بين الحيوانات والطيور فانه يكون بين الجنسين فيها المغارلات والغناء والرقص وتقديم الهدايا الى آخر مايصير بين الحب والحبيب وليس ذلك قاصرا على الأنواع العليا . فالاستاذ هكسلي يثبت أن بعض الحشرات تنعطر بروائح الثمار والأزهار كي تكون محبوبة ، ومن المعروف أن كثيرا من الطيور والحيوانات حتى الأنواع الزاحفة منها تعرف أغاني الحب وتكثر منها لاستمالة القلوب

﴿ حب المنكبوت المبصر ﴾

ويرى الاستاذ (هكسلي) أن لكل نوع من الحيوان طريقة الخاصة به حسبما يتفق مع تكوينه فالمنكبوت مثلا ﴿ قسمان ﴾ قسم يتجول ويصطاد فريسته ، وقسم يتخذ بيوتا من النسيج الدقيق الذي يغزله ، ويرى

أن العنكبوت الأخير لا يبصر فلا عاشق منه طريقة غير التي يتبعها العاشق من النوع الأول ، فالعنكبوت المتعول الذي أبصر عنكبوتة من نوعه أخذ يدنو منها بأرشق حركة ثم اذا صار أمامها يأخذ في الرقص حولها بكل مهارة ودقة حتى اذا وجد انه أثار ميلها اليه أنقى بجسمه أثناء رقصه فرق جسمها وقد تسبقت هي باحتضانه فبرقصان معا نحو مائة دورة قبل اتصالهما العنيف الجنوني

﴿ حب العنكبوت الأعمى ﴾

وأما العنكبوت الأعمى وهو الذي يتخذ البيوت الخيطية فانه يعبر عن عواطفه في الحب بطريقة أخرى غير الرقص لأنه لا تراه حبيبته حيث يدنو من بيت معشوقته بكل مهارة كأنما هو روميو تحت شرفة جوليت فلا يحطم لها خيوط البيت ولكنه يهز أحد الخيوط برشاقة وينقر عليه بخفة و بطريقة خاصة تفهم منها العنكبوتة أن الطارق هو روميو لاذبابة وهذه الإشارة الأولية لا بد منها والا فان المعشوقة العمياء ربما حسبتة فريسة وأكلته وقد يجيء العنكبوت حاملا الى حبيبته فريسة من اللحم المختار ملفوفة في خيوط من الحرير على سبيل الاهداء فان تقديم الهدايا ليس خاصا بالانسان بل هو غريزي في بعض أنواع الحيوانات والطيور . ويوجد نوع من الذباب يصنع الذكر منه (باقة) من الأزهار الدقيقة ويقدمها للأنثى ليشرها بحبه ، وذلك بأن يخرج إفراسا يصنعه على شكل فقاقيع صغيرة ويجمع قطعها من أوراق الأزهار ويصقها عليها فاذا صنع باقته كذلك وضعها على رجله وقدمها لحبيبته

﴿ حب الفراش ﴾

ومن البديهي أن تألق الطبيعة في زخرفة الفراش بأبهج الألوان الجذابة لم يحصل عبثا فلا بد من أن تطورات الانتخاب الطبيعي لاختيار النوع الأمثل كانت على أشد حرارة بين هذه الحشرات ، وهل معنى ذلك الاشتداد العواطف الحارة بين الذكور منها والاناث . على أن أنواع الفراش لا تقنع باستمالة العشيقات بهيج الألوان فتجمع الى ذلك انتعطر بأريج الأزهار كما هو مشاهد عند العلماء الذين يشمون عند دراسة أنواع الفراش ماتحمله أجسامها من الروائح العطرية المختلفة

﴿ غناء الحشرات ﴾

وليس الانسان وحده الذي يرسل زفرات فؤاده بالألحان والأنغام فان أقل الحشرات تعبر عن وجدانها وتستميل عشيقاتها بالغناء ، ومنه ما تسمعه أذن الانسان كما في الجدد والناموس وغيره ، وقد يكون اهم سبب له اشعار الاناث بوجود الذكر أى الاعلان عن أنفسها

﴿ دموع التماسح ﴾

وقد يضرب المثل بدموع التماسح دلالة على أنه بعيد عن التأثر بالعواطف الرقيقة ولكن علماء التاريخ الطبيعي الذين درسوا حياته في موطنه الطبيعية يرون أنه شديد التأثر بميوله وعواطفه الجنسية الى درجة الجنون فهو يثور ثورة يكاد ينفجر منها اذا أغضبتة الأنثى

﴿ الحب بين الطيور ﴾

ويقرر العلماء أن حياة الطيور تكاد تكون موقوفة على مناورات الحب والاستمتاع به ولكل نوع منها إجرات وطرق عجيبة لايجاد الاتصال بين الذكور والاناث ، وذهب بعض العلماء الى أن أرقى مثل للزواج يوجد بين بعض أنواع الطيور حيث يجعل الذكر كل أعماله لاسعاد الأنثى وهي راخنة على بيضها في العش دون أن يتألم من أية مشقة في إعانتها واعدة أفرانها الصغار ، ويرى الدكتور (لودلو) العالم الأمريكي أن تفريد الطيور مكون من أفاظ غزلية وسواها حسبما تشعر به من الانفعالات والميول الجنسية نحو بعضها فهو في الحقيقة لغة عواطف الطير . ويرى الاستاذ (هكسلي) أنه من الخطأ البين حتى بين رجال العلم أن تجعل كل الانفعالات

النفسية حقا مقررًا للانسان وحده وترجم ظواهر هذه الانفعالات في الحيوان والطير من هذه الناحية وحدها في حين أن الحقيقة والأمر الطبيعي أن تعتبر هذه الانفعالات من غرائز الكائنات الحية وأن الانسان المتسلسل منها محتفظ بنصيبه منها مثل أى كائن حي . وصفوة القول أن الصفات الحسية والعواطف المختلفة التي استأثر بها النوع البشرى حيوانية قبل أن تكون انسانية ولم تبلغ درجتها الحالية إلا بعد أن تطوّرت فيه وفي أسلافه من أقدم العصور حتى هذا العهد اهـ من مجلة الجديد

﴿ بهجة الابصار في أوراق الأشجار ﴾

لما كتبت هذا واطلع بعض العلماء عليه أخذ يحادثني قائلا ، لقد ظهر لي جمال العلم والحكمة في شجرة البرتقال وشجرة الكرم والتنوع فيهما ، ولعمرك الله لقد أنعمتني وأبهج قلبي أن أرى المحلاق في شجرة الكرم وأرى الشوك في شجرة البرتقال وأن لهما مزية ظاهرة مع أن أكثر هذا النوع الانساني لا يعرفون من الشوك إلا أنه خلق لمجرد الإيذاء وأن هذا المحلاق وجد اتفاقا ، فهذا القول يفتح لنا مجالاً للتبصر والبهجة هذا من العجب العجيب ، فهل تتوسع لنا في هذا الموضوع حتى اذا تفيأنا ظلال الحدائق الغناء شرحت صدورنا بأوراقها وأزهارها وتباين أشكالها وتفنن أثمارها . ونقول

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

ونرى في الزهر والنبات ما يراه علماء البديع في تعليم المبتدئين قول الشاعر يصف مجاهدا قتل في الحرب
تردى ثياب الموت جرا فما أتى * لها الليل إلهي من سندس خضر

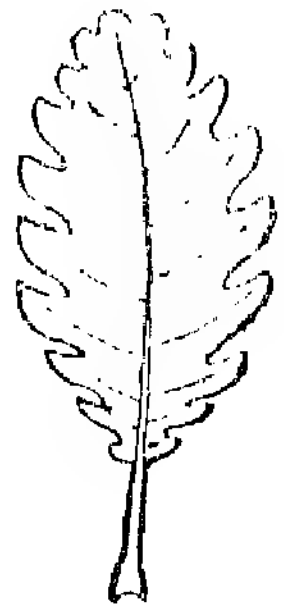
وهم فرحون طربون طربا لفظيا في ذكر الجمر والخضر وما يزاولونه مما يسمونه الجناس في قوله تعالى - ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة - من اتفاق لفظ الساعة في الموضعين واختلاف المعنيين وهكذا مما هو معروف مشهور . فقلت سئل مابدا لك في أنواع الزهر والورق . فقال لقد انبهم على السر فيما يأتي (١) ورقة القصب والذرة والقمح (٢) ورقة البازلاء وورقة الورد (٣) وورقة الخناء (٤) وورقة المشمش مثلا (٥) وورقات الفجل والخروع (٦) وورقات العدس والترمس . هذه الورقات مختلفات اختلافا بينا ، فهل تشرحها لي شرحا يشرح صدرى شرح الله صدرك كما شرحت وطربت لمعرفة السر في شوك البرتقال ومحلاق العنب . فقلت أذكر لك ما أعلمه في هذا المقام على مقتضى أصول علماء النبات

اعلم أن الله عز وجل قد أبدع في نظام هذه النباتات ابداعا لاحدله ، وما ابداع الناس في تركيب كلامهم ولا تزويقهم لصنوف عباراتهم إلا قبسة من أنوار الجلال الأعلى ولكن أنى يستوى السابق والضايع

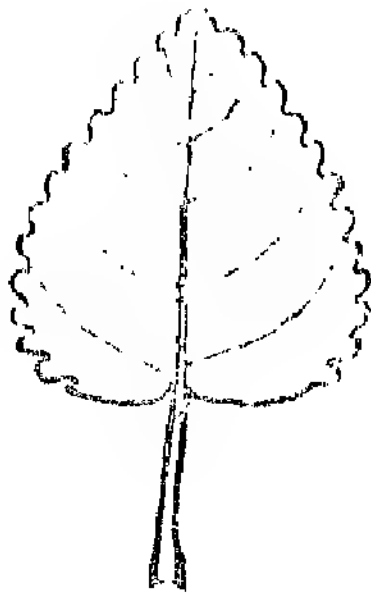
* ليس التكحل في العينين كالتكحل * ففي الطبيعة التي أبرزها الله لنا من الجمال ما يبهرا الابصار - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - إن الابداع عام في أوراق النباتات وفي أزهارها وفي أثمارها والابداع في الأوراق ﴿ نوعان ﴾ النوع الأول ﴿ في نفس تكوين الأوراق ﴾ النوع الثاني ﴿ في نسبة بعضها الى بعض ﴾ الكلام على النوع الأول وهو تكوين الأوراق ﴿

اعلم أن الله عز وجل أرسل لنا من لدنه ﴿ نورين ﴾ نورا حسيا ونورا معنويا عقليا وضرب النور الحسى مثلا للنور العقلى ، فكما اننا نرى الشمس واحدة وقد عمّ نورها الآفاق وأشرق بها الأقطار ولم تذر نباتا ولا حيوانا ولا صغيرا ولا كبيرا إلا نشرت عليه ملاءة من أنوارها وهى واحدة هكذا نرى انه هو واحد وقد بعث من لدنه نورا عقليا وحكمة قدسية هندست خلق الأوراق والأزهار بحكمة واتقان بحيث يراعى في ذلك أن يظهر جميع الممكنات ، فكل ممكن في الوجود يبرزه ﴿ وبعبارة أوضح ﴾ انه كالتنوع منافع الأشجار والزرع نوع ظواهرها ، فهذه التي ذكرتها فيها الحبوب كالقمح والذرة والبازلاء والعدس وفيها الفاكهة كالقصب والمشمش وفيها الخضراوات كالقنطريون وفيها الدواء كالخروع وفيها الزينة كالروائح العطرة في الورد والأصباغ الجميلة في الخناء

ولاجرم أن ما نحتاجه إما ضروري كالتنفس ، وإما دلي لنفاذها كالخضر ، وإما دواء كالخروع ، وإما زينة كالحاء ولورد . فهذه التي ذكرتها قد جعلت نموذجاً لما نحتاج إليه في هذه الحياة الدنيا ، فهذه النوع الموافق لحاجتنا بالحكمة والتدبير يتقابله نوع في ظواهر الأشكال بحيث يشمل كل ما يمكن حسوله في العقل إن عقولنا لا تتخيل في الورق إلا أحد هذه الصور ، أن تكون حافتها مستوية لا أسنان فيها أو أن تكون فيها أسنان صغيرة أو أن تكون الأسنان كبيرة لا تبلغ نهاية الورق أن تكون الأسنان بالغة نهاية الورقة فهذه الأنواع الأربعة كلها وجدت في هذه الأوراق التي ذكرناها ، مثال الأول ورقة الحناء (انظر شكل ٤٦) ومثال الثاني ورقة المشمش (انظر شكل ٤٧) ومثال الثالث ورق الفجل والخروع (انظر شكل ٤٨ و ٤٩) ومثال الرابع ورق العدس وورق الترمس (انظر شكل ٥٠ و ٥١)



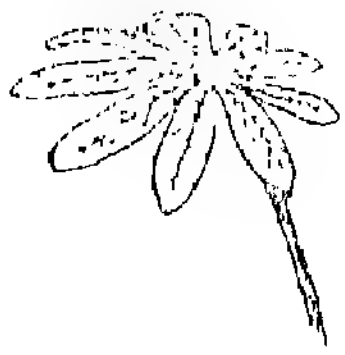
(شكل ٤٨)



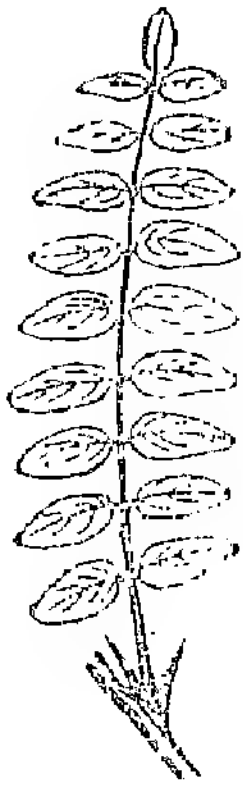
(شكل ٤٧)



(شكل ٤٦)



(شكل ٥١)



(شكل ٥٠)



(شكل ٤٩)

ومن العجب أن النبات ذا الفلقة الواحدة كالقمح غالباً ترى ورقته لها عروق متوازية . وأما النبات ذو الفلتين كالعدس والتمس فان ورقه غالباً يكون مشبهاً هيئة الريش كورقة العدس أو مشبهاً راحة الكف كورقة التمس . ثم إن هذه الأوراق كلها لها أعناق وتلك الأعناق إنما خلف لها لترفعها عن الأغصان حتى تلاقى ضوء الشمس وتمتدح بالهواء ، ولولا هذه الأعناق لبقيت جائمة على أغصانها ، فهذه الأعناق الرافعة لها إنما خلقت لهذه الحكمة ولولاها لم تتخلى ، ولذلك ترى ورق القرطم لا عنق له بل الورقة حينئذ يسميها علماء النبات جالسة لجالسها على مستقرها إذ لا حاجة إلى انفصالها عنه لأنها متمتعة بالهواء وبالضوء بلا حاجة إلى ما يرفعها . ثم إن هذا العنق الذي يرفع الورقة ربما احتاج إلى ما يحفظه . ومعلوم أنه لا بد منه للورقة والورقة نافعة للشجرة لأن الورقة أشبه بالرئة في الحيوان بها يكون ما يشبه التنفس فيدهي بها فيها من المادة الخضراء (الكالوروفيل) تنقل غاز الكربونيك من الهواء فتتحال له وتأخذ الكربون (الفحم) وتطلق الأكسوجين في الجو فيذهب للحيوان . إذن هذه الأوراق لا بد منها لحياة الشجرة ولذلك اقتضت العناية أن يرفعها ذلك

العنق فتقابل الهواء والنور ليتم فعلها فتأخذ من الهواء الغاز وبغير النور لا تقدر على عملية التنفس . وقد جاء في كلام علماء الفقه ﴿ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ﴾ فإذا وجب وجود هذا العنق لينتم عمل الورقة واحتاج الى ما يحفظه فليصنع له ما صنعه الناس في حفظ رقابهم من حوادث الجوع . إن الناس يضعون على رقابهم أربطة في بلادنا وفي أكثر بلاد العالم ليقيمهم الحرق والبرد ورقابنا لا بد لنا منها فنحفظها كما أن رقاب الأوراق لا بد منها لها ، لذلك اقتضت الحكمة الخفية أن عنق ورقة البازلاء وعنق ورقة الورد يخلق لهما ما يسميه علماء النبات (أذنين) وهما إما كبيرتان كما في البازلاء (انظر شكل ٥٢) وإما صغيرتان كما في الورد وترى الحماية لعنق ورقة السنط بالسلاء ، ثم إن العنق إما يحيط بالساق كما في القمح والنقصب والذرة فهو أشبه بالغمد وأما غير محيط به بل لاضخامة فيه كالسكتان فهذا جواب ما سألت عنه . إذن ظواهر هذه الأشجار قد أخذت الأشكال التي يتصورها العنق وبواطنها تنوعت الى ما يحتاج اليه في حياتنا ، فالظواهر والبراطن في النبات توجب علينا دراستها لتحيا أجسامنا وترقى عقولنا . انتهى الكلام على النوع الأول في نفس تكوين الأوراق صباح يوم الجمعة ١٦ إبريل سنة ١٩٢٩



(شكل ٥٢)

﴿ النوع الثاني نسبة الأوراق بعضها الى بعض ﴾

وهذا تقدم شرحه مع رسم بعض الصور في (سورة الحجر) عند قوله تعالى - وأنبأنا فيها من كل شئ موزون - فلانعيده . وأما الكلام على الأزهار فقد تقدم أيضا في أول سورة الشعراء وفي أول سورة الحجر وفي سورة الأنعام فإيراجع

﴿ ذكرى الجلال والحكمة ومخاطبة المؤلف اصانع العالم بمناسبة عجائب الأوراق المرسومة فيما سبق ﴾ في هذا اليوم (الأحد ٢١ إبريل سنة ١٩٢٩) بعد كتابة ما تقدم أخذت نفسي تحدثني كأنني أخطب صانع العالم قائلا ﴿ يا الله إني وجدتك لم تذر صغيرة ولا كبيرة في هذا العالم إلا دبرتها ونظمتها ، أضأت شمسك وأنرت قرك ونجومك وأرسلت أشعتها على الأرض ولم يغادر هذا النور المحسوس صغيرة ولا كبيرة إلا أضأها هذه شمسك الجيلة لم يكفها ارسال النور على السيارات حولها وعلى الأرض بل شمل نفعا للزرات والحشرات كما شمل الأنعام والإنسان ، ووجدت أنك أت حبوت بالتدبير الممالك الصغيرة والكبيرة الحيوانية والنباتية من حيث عمومها ولم تذر حشرة ولا حيوانا ذريا إلا أكملت خلقه ولا نباتا صغيرا ولا كبيرا إلا أحكمت ، ويزيدني دهشا أن أرى بعيني ورقة الورد ورقة البازلاء وورقة السنط محميات محفوظات مكفولات في كنفك ، فأعطيت

الأولى حافظا لها يقيها ، والثانية حافظا لها أقوى ، والثالثة أعنتها بشوكة تقيها العاديات ، حكم لا يضاهي لها
الناس يرون عليها وهم عنها غافلون ، من ذا الذي كان يذلق أن الحكمة والعناية تصل إلى ورقة السنط
الضعيفة وأختها ، من ذا الذي كان يعقل أن هذه الزوائد والروافد على البازلاء والورد وضعت لمنفعة
المهم انه لولا الحجاب المسدول بيننا وبينك اظهر نورك البديع فأحرق الأجسام والقلوب والأفئدة ، هذه
النفوس الأرضية قبسة من نورك وقد حجبتهما في المواد الغليظة فهي الآن في غفلة ولولا الغفلة لم تعش طرفة
عين ولم يستقر لها قرار ، إني لأحس في نفسي بأن في هذه الأرض أناسا منا نحن قد اطلعوا على الحقائق
فرأوك في كل ورقة وشجرة وزهرة وحجر ومدر وكوكب فعاشوا في النعيم الذي لا نعيم يوازنه ولا سعادة تضارعه
وهؤلاء لو تزينت لهم الحور العين وأغدقت عليهم سائر النعم وما كوا الجنات والولدان لم يأبهوا بها ولم يطرخوا
لها بل يرون نورك الذي بهرهم أعظم سعادة وجمال وأن احتجاب عنهم أشد العذاب
أقول هذا موقنا به ، وهذه الطائفة التي تصورتها تصبح اليوم في نعيم وان كانت في هذه الدار لا تشاق إلى
حال أرقى مما وصلت إليه لأنها ترى رب الدار وتقول « الجار قبل الدار » ولا يرونها إلا وجهك . إن في
الأرض أناسا تمت سعادتهم قبل دخول الجنان - رضى الله عنهم ورضوا عنه -

أقول هذا لما شاهدته في هذه العوالم ولما عرفته أثناء هذا التفسير من إبداعك في صنعك ورأفتك بكل
ضعيف وكفالتك للذرات والحشرات وصغيرات الأوراق والأزهار وإلهامك لكل حي ما يصلحه والآن فهمت
قولك - إن كل نفس لما عليها حافظ - وقولك - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - وقولك في قصة قارون
- إذ قال له قوم له لانفرح - ألم وقولك - وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة - وقولك - وأحسن كما أحسن
الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين - وقولك - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوًا في الأرض ولا فسادا - ألم فأنت لا تحب الفرحين ، وأنت لا تحب المفسدين ، ولا تحب الذين يريدون علوًا
في الأرض وتأمرنا بالاحسان للناس كما أحسنت إلينا ، وذلك كله تجلى لى في هذه الورقات وإبداعك فيها ،
أنت راعيت أضعف الورق في السنط وفي الورد وفي البازلاء ، فهكذا أنت تراعى كل إنسان من باب أولى ويصيبه
الخير والشر فلم الفرح ولم الحزن إذا لم يكن هناك عمل إلا عملك أنت ولا فرح إلا بما يعمله الإنسان مستقلا ولا
عمل له في الحقيقة والمفسد في الأرض خالف منهجك الذي رأيناه في رعايتك هذه الورقات والعلو على الناس
خلاف سنتك فأنت تحفظ هذه الورقة كما تحفظ الشمس والقمر والإنسان وضوء شمسك لا يتكبر على الخنفساء
مثلا ويختص بالإنسان ، فعلى الناس أن يقتدوا بك في عملك . وهذه الزروع والأشجار قد تركت للناس ثمارها
فأحسنت لهم كما أنك أحسنت إليها ، أفلا يجب على أن أنشر بين الناس هذا الكتاب وغيره اقتداء بعملك
وسيرا على منهجك إنك أنت الحكيم العليم

أيها الذكي هذا هو الذي قرأته في هذه الورقات فاقراه معي وأحسن كما أحسن الله إليك ، واعلم أن الله
عز وجل لا يكره منا إلا حب العلو وحب الفساد . أما نفس العلو فهو أمر واجب كأن يكون الإنسان حاكما
أو أستاذا واليد العليا خير من اليد السفلى . ومعالم أن المعطى خير من الآخذ ولكن لا يرى أن له فضلا في
ذلك بل يعلم انه لله ، وإذا قهرنا أعداءنا وجب أن لا يكون ذلك لمجرد الانتقام بل يكون ذلك لإصلاح أهل
الأرض كما كان ذلك دأب الصحابة في محاربة الأمم فلم يكن انتقاما بل كان عملا يراى به الإصلاح كما أن الله
يزيل نبات الصيف ويجعل محله نبات الشتاء للإصلاح لا للفساد في الأرض . هكذا فلتكن أعمال الناس .
هذا ما تذكرت عند نظر هذه الأوراق المرسومات والحمد لله رب العالمين

﴿ سعادة مؤلف التفسير وسعادة قرائه ﴾

هذه هي السعادة التي كنت أنشدتها بين الحقول والأشجار وعلى شواطئ الأنهار وأنا شاب وفتي . كنت

أنشد الحقيقة والحقيقة هي نفس السعادة ، ماهي الحقيقة التي كنت أنشدها ؟ كنت أريد أن أعرف ماوصل اليه عقل هذا الانسان في معرفة هذا الوجود . فهاأنذا اليوم أعلن أن ورقة السنط وورقة البازل وورقة الورد وآلاف أمثالها في الأرض والسماء قد أعطت نفس الايقان الذي أيقنه أفلاطون وأرسطاطاليس وقبلهم سقراط من أمة اليونان . والايقان الذي أيقنه مؤلف كتاب الفيدا بالهند . والايقان الذي أيقنه (كانت الألماني) وسبنسر الانجيزي ومثات غيرهم . هاهم أولاء كلهم قد وصلوا الى نقطة واحدة هي ما ذكرته الان في هذه الوريقات . ايقن أفلاطون . بماذا أيقن ؟ أيقن بمبدع للعالم لأجل هذا النظام وبعده أرسطاطاليس وقبله سقراط . وتغلغل مذهب أفلاطون في عقول المفكرين من أمم النصرى والمتصوفين من أمم الاسلام وفي أمم غيرهم وتقابل هذا المذهب مع مذهب الفيدا في الهند ومع آراء أمم أوروبا الحالية أى العقول الراقية هناك ومع وحى جميع الأنبياء . إذن أنا الآن أعلن انى أكتب متفقا مع أكبر العقول في الأمم قديما وحديثا ولهذا الاجال تفصيل في رسالتى المسماة ﴿ سرآة الفلسفة ﴾ وسأكتبها في هذا التفسير إن شاء الله تعالى اه ههنا نرجع للتفسير اللفظي يقول الله تعالى - وقال الذين كفروا انذا كنا ترابا وآبأؤنا أننا لمخرجون الخ - ههنا ذكر الله أقوال الكفار والرد عليهم في أمر الآخرة

(١) يقول الكافرون كيف نخرج نحن وآبأؤنا بعد أن أصبحت أجسادنا ترابا وكيف يصير التراب أجسادا
(٢) إن هذه المواعيد قد سمعها آبأؤنا من قبلنا وماهى إلا أحاديث الأقدمين يتحدثون بها في سمرهم ومحاوراتهم وليس لها حقيقة

(٣) أمر الله نبيه ﷺ أن يأمرهم بالنظر في الأمم التي كذبت فبقد كذبوا فلما كذبوا أهلكوا
(٤) وكما أمرهم بذلك أمره ﷺ ألا يحزن ولا يضيق صدره من مكرهم
(٥) ذكر الله لهم يستبطلون العذاب الذى وعدهم به . ذلك انه أمرهم بالاعتبار بالأمم السالفة فسكأنهم قالوا وأين العذاب الواقع بنا كما وقع بهم ؟ فأجاب قائلا عسى أن يكون تبعكم ولحقكم بعض ما تستعجبون منه كيوم بدر وكالمصائب التي تحل بالناس في أموالهم وأولادهم وفي مدنهم وفي منازلهم كما قل تعالى - فلا تهجيك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليُعذبهم بها في الحياة الدنيا - والعذاب على قدر الاحساس ومادام الانسان غافلا يظن أن هذه الحياة هي كل شئ فليعلم انه يعذب بكل حادث حل به لتعلقه بهذا العالم وارتباطه به ، فبقدر الارتباط يكون العذاب فيحزن لفقد المال والولد ولكل طارئ يطرؤ لغفلته فهذا هو قوله تعالى - قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجبون -

(٦) ذكر أن الله ذو فضل على الناس فانه غمرهم في النعمة وهم لا يشكرونها
(٧) ذكر انه يعلم مايسرون وما يعلنون ويعلم ما غاب في السموات والأرض
(٨) والقرآن أيضا من علمه تعالى فهو يقص على بنى اسرائيل أكثر ما يختلفون فيه وهو هدى ورحمة للمؤمنين ، وبعد ذلك خاطبه ﷺ بقوله - إن ربك يقضى بينهم بحكمه - الخ
﴿ تفسير بعض الكلمات في هذه الآيات ﴾

(من قوله - وقال الذين كفروا - الى قوله - وانه هدى ورحمة للمؤمنين -)
قال تعالى (وقال الذين كفروا انذا كنا ترابا وآبأؤنا أننا لمخرجون) من قبورنا أحياء والعامل في اذا مادل عليه - أننا لمخرجون - وهو نخرج وتكرير الهمزة للبالغة في الانكار والمراد بالخراج الاخراج من الأجداث وهذه الجملة تبين لعصمهم وازدياد ضلالهم وجهالتهم (لقد وعدنا هذا نحن وآبأؤنا من قبل) من قبل وعد محمد ﷺ (إن هذا إلا أساطير الأولين) أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) هذا تهديد لهم على التكذيب وتخويفهم بأنه ينزل بهم منازل بالمكذبين قبلهم

(ولا تمنعوا عنهم) على تكذيبهم (ولا تنكروا في ضيق) في حرج صدر (نما يكفرون) من كفرهم فان الله يهتك من الناس (ويقولون متى هذا الوعد) العذاب الموعود (ردف لكم) تبعكم بالحقكم وللا مزيعة للتأكيد (بعض الذي تستعجبون) حلو له وهو ما تقدم من عذاب النفوس والمعاملات وازعاج الأهم . كل ذلك يكون قاسيا على النفوس مادامت مغرمة بالدنيا ، فإذا كانت نزاعة الى الشرف والفضيلة واعلم وحب الله خف عنها ما تجده في الدنيا وزال عنها في الآخرة (وان ربك له ذو فضل على الناس) ولكن أكثرهم لا يشكرون واعلم انه لا شكر للنعمة إلا بعد ادراكها وفهمها ، ومتى فهم النعمة شكر الله بقلبه واعتقاده وقام بالعمل اطاعته وأثنى على الله بلسانه ، وكيف يشكر نعمة هو يجهلها ، فالحمد لله فيما تقدم والشكر له هنا يوجبان درس هذه العوالم المذكورة فيما تقدم ، ولتعلم أن الامام الغزالي أثبت بابا من أبواب الإحياء في شكر الله تعالى وذكر فيه درس العوالم ومتى فهمت هذه السورة ومقاصدها عرفت أن شكر المسلم ان يكون الابدراسة هذه العوالم والعوالم وعجائبها وهؤلاء الكافرون لجهلهم بالله قصروا علمهم على هذه الحياة وأنكروا سواها . ولو انهم درسوا هذا الوجود لعرفوا انه لم يخلق سدى وأن هذه الحياة لو لم تكن هناك حياة بعدها لكان ذلك نقصا في الخلق والحكمة فما الحكمة في خلق الناس وموتهم بلا فائدة لهم . إن ذلك نقص مشين في خلق العالم وفي الحكمة . فالوقوف عند الحياة الدنيا اخلال بالعلم والشكر لله وجهل به وكفى بالجهل كفرا بنعمة الله وعسد شكره (وان ربك ليعلم ما تنكروا صدورهم وما يعلنون) أي ما تخفيه صدورهم وما تعلنه من عداوتهم له فيجازيهم (وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) أي خافية فيهما . وغائبة وخافية من الصفات الغالبة والتأفيم ما للمبالغة كما في رواية (إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) يبين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) من أمر الدين وقد كان بنو اسرائيل يختلفون في التشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح (وانه لهدى ورحمة للمؤمنين) فانهم المنتفعون به (إن ربك يقضى بينهم) بين بني اسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بأحوالهم فلا يخفى عليه شئ منها (فتوكل على الله) فثق بالله ولا تبال بعاداتهم (إنك على الحق المبين) وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره فلا ناصر لك سواه . أما هم فلا طمع في مشايعتهم ومعاضدتهم لأنهم كالوقى وكالمم وكالعمى (إنك لا تسمع الموقى) لأنهم لا ينتفعون باستماعهم ما يتلى عليهم (ولا تسمع الصم الدعاء) دعوتك الى الحق والهدى (إذا ولوا مدبرين) معرضين ولا جرم أن الأصم اذا ولي مدبرا قطع الطمع في اسماعه برفع صوت أو نحوه (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) الى الهدى حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) إلا من يصدق بالقرآن انه من الله (فهم مسلمون) مخلصون من أسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) أي اذا وجبت الجنة عليهم أو اذا لم يرج صلاحهم بالطرق المعروفة في آخر الزمان (أخرجنا لهم دابة من الأرض) * وقد ورد في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « بادروا بالأعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة » وورد فيه أيضا « ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس فحصى وأيتهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا » ولم يرد في الصحيح على ما أعلم ما ذكر من صفاتها من أن معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجלו وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الحق ليجتمعون فتقول لهذا يامؤمن وتقول لهذا ياكافر وأن اسمها الجساسة وطولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ، ولها أربع قوائم وزغب وریش وجناحان ، ويقال لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخالصة هرة وذنب كبش وخف بعير الخ وانها تخرج من الصفا فكل ذلك لم أره في الصحيح وانما نعرف من صفاتها ما ورد في الصحيح كما تقدم فانه لم يذكر إلا من مجيئها ولم يرد في القرآن إلا قوله تعالى (تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تكلمهم من الكلام بأن

الناس الخ وعلى قراءة كسر أن يكون المعنى تكلمهم قائلة ان الناس كانوا باياتر بنالخ ، ثم ذكر قيام الساعة فقال
(و يوم نحشر من كل أمة فوجاً) أى واذ كر يوم نجتمع من كل أمة من الأمم زمرة (من يكذب باياتنا) من
اللتين ومن الأولى للتبعض (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع
الحساب والمراد بذلك كثرة عددهم وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف
الحساب (قال أ كذبت باياتي ولم تحيطوا بها علماً) الواو للحال أى أ كذبت بها بايدي الرأى من غير فكر
ولا نظر يؤدى الى احاطة العلم بكنهها لتعلموا بالتصديق أم التكذيب هي جديرة (أم اذا كنتم تعملون) أى أى
شئ كنتم تعملون بعد ذلك وهذه الجملة تبكى لهم إذ لا عمل لهم غير التكذيب (ووقع القول عليهم بما ظلموا)
حل بهم العذاب الموعود وهو دخولهم النار بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله (فهم لا ينطقون) باعتذار
لشغلهم بالعذاب (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليكنوا فيه والنهار مبصراً) أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه لجعل الابصار
حالا من نفس النهار ، يقول الله ألم يبصروا تعاقب الليل والنهار وكيف جعلنا الظلمة والنور متعاقبين في أوقات
محددة ، أليس ذلك دليلاً على عظم قدرتنا ووجودنا ، أوليس نوم الناس في الظلمة واستيقاظهم في النور مما
يدل على أن لهم حالا بعد الموت مخالفة وذلك بالحياة ، أليس الموت كالنوم ليلا والبعث كاليقظة نهاراً ، أوليس
تسهيل المصالح باليقظة دليلاً على عناية نامة بهم ، يوم يبعثون فيعطى كل ما يليق له كما يفعل ذلك بعد اليقظة تماماً
(إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) لدلائلها على الامور الثلاثة المتقدمة وحدانية وبعث وعناية بالمصالح بعد البعث
كما يفعل في اليقظة (و يوم ينفخ في الصور) قيل هو جمع صورة * ويقال الصور القرن فهو تمثيل لانبعاث الموتى
بانبعث الجيش اذا نفخ في البوق ، يقول الله واذ كر يوم ينفخ في الصور (ففزع) من الهول وعبر بالماضي لتحقق
وقوعه (من في السموات ومن في الأرض) ماتوا أى يلقى عليهم الفزع الى أن يموتوا (إلا من شاء الله) أن
لا يفزع بأن ثبت قلبه * ورد في حديث البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ينفخ في الصور
فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من رفع رأسه فاذا
موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلى » وهناك
أقوال فيمن استثناهم الله كالأئمة الأربعة وكالشهداء والحوار والخزنة والعلم عند الله ولا تثنى إلا بما يحىء في
الصحيح (وكل أتوه) جاءوه بعد النفخة الثانية (داخرين) داغرين (وترى الجبال تحسبها جامدة) قائمة واقفة
(وهي تمر السحاب) تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض فتسوى بها وذلك لأن الأجرام الكبار اذا
تحركت في سمت واحد لانكاد تبين حركتها (صنع الله) مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة
(الذى أتقن كل شئ) أى أحكم خلقه وسواء (إنه خير بما تفعلون) علم ببواطن الأفعال وظواهرها وهو
المجازى عليها (من جاء بالحسنة فله خير منها) من عشرة الى سبع مائة وما فوق ذلك (وهم من فزع يومئذ آمنون)
أى من خوف عذاب يوم القيامة وان كان الرعب المتقدم عند مشاهدة الأهوال لا بد منه مع أن المحسن
آمن من وصول ضرره اليه (ومن جاء بالسيئة بالشرك) فكبت وجوههم في النار (أى أبدانهم أى كبوا
وطرحوا جميعهم في النار) هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) في الدنيا من الشرك أى تقول لهم الخزنة ذلك
(إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها الله) بعد أن ذكر المبدأ والمعاد وشرح الدول والممالك
والقيامة والفزع والثواب والعقاب وهذا تمام الدعوة ، أمر أن يستغرق في العبادة وتخصيص مكة بالاضافة
لتشريفها وحرماتها (وله كل شئ) خلقا ومالكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين أو الثابتين على ملة
الاسلام (وأن أتأوا القرآن) وأن أوأظب على تلاوته لتكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً (فمن اهتدى)
باتباعه إياي (فإنما يهتدى لنفسه) فان منفعه عائدة اليه (ومن ضل) بمخالفتي (فقل إنما أنا من المذرين)
ولا يضرنى ضلاله وما على الرسول إلا البلاغ (وقل الحمد لله) على نعمة النبوة والعلم والتوفيق للعمل (سبيريكم

آياته) في هذه الدنيا من الوقائع التي أخبر بها القرآن كنصر النبي ﷺ وكظهور عجائب الكون وغرائب علم الأرواح والكشف الحديث في العلوم الذي أدهش العقول (فتعرفونها) فتعرفون أنها آيات الله ، ولقد عرف كثير من الناس في أوروبا وفي الشرق ربهم واليوم الآخر بقراءة علم الأرواح أو باستحضارها وبالاطلاع على عجائب العلم الحديث وظهور حقائق مذهشة (ومار بك بغافل عما تعملون) فان الله عالم به غير غافل عنه فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه انتهى التفسير اللفظي

﴿ لطائف هذا القسم ﴾

- (١) في قوله تعالى - أخرجنا لهم دابة من الأرض -
- (٢) وفي قوله تعالى - وترى الجبال تحسبها جامدة - الخ
- (٣) وفي قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها -
- (٤) وفي أن في هذه السورة شكرين لسليمان عليه السلام وحدين لبنينا ﷺ وما سر ذلك
- (٥) وفي تلخيص كتاب الشكر اجالا للامام الغزالي في الاحياء وتذكير المسلمين بهذه العلوم

﴿ اللطيفة الأولى من كتاب الارواح بالحرف ﴾

وعما يدهش العقلاء أن القرآن ربما أشار بطرف خفي الى حادثة ظهور الأرواح في هذا الزمان في آية - واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون - . يقول الله تعالى - واذا وقع القول عليهم - أي شارف الوقوع وهو قرب قيام الساعة وحقت كلمة العذاب على نوع الانسان فجهاوا المعنويات وعكفوا على الماديات وكذبوا الديانات وشكوا في الآيات وأصبحوا لاشرف لهم في حكوماتهم ولأفرادهم وصرنوا على الكذب والنفاق وازدادوا بالعلم عمى وبالفلسفة ظلما أخرجنا لهم من الأرض من يطرق الموائد ويحركها ويمسك الأقلام في أيديهم ويكتب ويتراءى لهم في أشكال وأزياء مختلفة ووجوه نورية فتراه أبصارهم تارة ويسمعون كلامه وطورا يبصرون أشكالا وتارة يقرؤون خطوطا وآونة يسمعون صريرا وصوتا شديدا كالرعد القاصف وقد يحسون ببرودة تمر عليهم ثم تتحرك الأيدي بالكتابة فكان في عمله أشبه بمن يدب على الأرض من الانسان في تعسقه وعمله وبما يجري فوقها من الدواب في حركاتها وأعمالها الأخرى ، فهذا يشير له معنى قوله - أخرجنا لهم دابة من الأرض - وهذه الدابة تبين للناس حقائق وتدرس لهم حكمة وربيهم انهم غافلون جاهلون ضالون فيجاس أمامها أكبر الضالين وأعظم الفاسقين وأشد الغافلين ومن يدعى انه ملك مقاليد العلم وبرع في الحكمة المادية فيخرساجدا لربه خاضعا لحالقه موقنا أن روحه سبقي بعد موته ، فهذا معنى - تكلمهم - الخ وقرأ ابن مسعود - تكلمهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون - وهذا هو الحال الآن بعينه وهذه معجزة للقرآن وحكمة ثابتة للفرقان فان الآلاف المؤلفة من البشر اليوم في أنحاء العالم يوقنون اذا تحققوا مذهب الأرواح وليس الايمان بكاف بل اليقين هو اكمل الايمان فتعجب من الآية وانظر كيف كان هذا مظهرها وهي مسألة ظهور الأرواح فالقرآن يشير اليها

قال شير محمد ، ياسيدي إن تفسيرك هذا يخالف ما جاء عن سيد البشر وكيف نترك قول النبي ونسمع مقالك ، أوليس النبي ﷺ أعلم بالكتاب منك . قلت وكيف ذلك . قال ، قال الفخر الرازي إن لهذه الدابة أربع قوائم وزغب ورشا وجناحين * وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وصدر أسد ولون نمر وحصاة بقر وذنب كبش وخف بهير وانها تخرج من المسجد الحرام أو تخرج من الصفا وقيل تخرج باليمن ثم تخرج من بين الركن حذاء دار بني مخزوم . فقلت يا شير محمد اعلم أنه لا دلالة في الآية على ما روى وقد قال الرازي نفسه فان صح الخبر فيه عن رسول الله قبل والام يلتفت اليه وهو يريد أن الخبر غير صحيح . أقول ولقد بحثت في كتب الصحاح فلم أعثر على هذا الوصف للدابة ، على أنه لو صح فرضا

لدل على انها مخافة لكل حيوان . فقال ولكن كيف تقصرها على مسألة الأرواح وأنى لك هذا . فقلت
يا شير محمد أنا لم أقل ان هذا هو المعنى ولكن أقول انه رمز له وإشارة ، فالآية باقية على ظاهر معناها ترمز الى
ما ذكرنا ، فالدابة باقية على المعنى الأصلي نكل عالمها الى الله تعالى وتكون رمزا لهذا وهذا قسم من أقسام
الكناية في علم البيان فاللفظ على حاله يشير لما اقترب منه كما أوضحه الامام الغزالي في تفسير قوله ﷺ « إن الملائكة
لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة » فقد جعلهما على حالهما ورمز بهما الى الشهوة والغضب فافهم ، فاذا فهمت
هذا فقد « قطعت جبهة قول كل خطيب » وقطع اسنان كل معترض بمدك فقد سدت في وجهه أبواب الجدل
- وكفى الله المؤمنين القتال - انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وترى الجبال تحسبها جامدة - الخ ﴾

لأبين لك في هذه اللطيفة عجيبة من عجائب القرآن وهي ان هذه الآية بديدة الوضع محكمة الصنع فان التفسير
المتقدم يناسب المتقدمين من الأمة الاسلامية ، واذا فسرت بأن الأرض دائرة حول الشمس والجبال بالطبع
سائرة معها ونراها الآن جامدة وهي في الحقيقة جارية جرياسريعا جدا فان ذلك يناسب قوله - صنع الله الذي
أتقن كل شئ - فهذا هو الاتقان والا فالقيامة تخريب للعالم والاتقان يناسب هذا التفسير

﴿ حكاية ﴾

قد ذكرت في سورة البقرة أن سيدة روسية تسمى (المدام ليبيديف) قد جاءت الى مصر وأقول الآن ان
وزير المعارف إذ ذاك قال لها لما سأته عن يدرس معها علم التصوف ان الشيخ طنطاوى له إلمام بهذا العلم ثم
انى لما اجتمعت معها في المنزل الذي نزلت به أخذت أدرس معها هذا العلم في الرسالة القشيرية نحو تسع سنين
وهي كانت بعد الفهم تترجمه الى اللغة الفرنسية ، واستمررتنا في الكتاب وفيه حكايات كثيرة عن الصالحين فقرأنا
حكاية عن الجنيد رحمه الله تعالى ، ذلك انه كان في مجلس ذكر وهناك قول ينشد فطرب التلاميذ طر باشديدا
والشيخ ساكن لا يتحرك فقال له أحد التلاميذ ياسيدي أليس لك حاجة في السماع فقال - وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمرّ صرّ السحاب - فقالت ما مناسبة هذه الآية في الحكاية . فقلت إن للآية ﴿ معنيين ﴾ معنى
يليق بالأهم الاسلامية التي قبلنا ، ومعنى يليق بأيماننا والقرآن يحتمل المعنيين ولكن الثاني أقرب . فقالت ما هما
المعنيان . قلت أما المعنى الأول فان الجبال يوم القيامة تمرّ صرّ السحاب لأجل أن تصل الى الأرض فتسوى
بها ولعظم تخمها يراها الانسان كأنها جامدة غير متحركة وهذا يناسب مساق الآية ، وأما المعنى الثاني فهو
أن الأرض تجري سريعا والجبال ما هي إلا من أجزائها فهي جارية تمرّ هي والأرض حول الشمس كما يمر السحاب
حول الأرض والدليل عليه قوله - صنع الله الذي أتقن كل شئ - فعبّر بلفظ أتقن لا بلفظ خرب كل شئ لأن
القيامة تخريب لا اتقان للصنع وفرق بين الصنع والتخريب وكأن الله أتى بالآية على هذا الشكل لتكون
موافقة للعصور الأولى من حيث مساقها وهذه العصور من حيث نهايتها ويكون فهم الناس هو الذي يخطئ
ويصيب والحقائق باقية على حالها ، وأما الشيخ الجنيد فلم يرد هذا ولذا ذلك بل قال انه في سكونه أشبه بالجبل
الذي هو متحرك ويظن الناس انه ساكن يريد انه يرى ظاهره ساكنا ولكن قلبه متحرك في مشارق الأرض
ومغاربها ويجول في المعاني العلية البديعة ، فلما سمعت هذا القول فرحت فرحا شديدا وقالت تعس الفرنجة
يقولون ليس في القرآن لطائف ولا نسكت بديدة ، وها أنا ذا أنقل لك المحاوراة التي جاءت في كتابي ﴿ جواهر
العلوم ﴾ الذي هو أول ما ألفته من الكتب العلمية فقد جاء فيه مانعه لانه فيه زيادة فائدة

قال تعالى - ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين *
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ صرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ -
معلوم مما قدّمنا في المجالس السابقة والمذاكرات أن علماء الهيئة ﴿ قسمان ﴾ المتقدمون وهم يوافقون

ما يظهر للنظر العام من ثبوت الأرض ودوران الشمس والمتأخرون وتخالفت همتهم ما يعرفه العامة فيحكمون بدوران الأرض حول الشمس وهذا المقام قد أوضحناه سابقا بما لا مزيد عليه وقدّمنا أن هذه كلها دائرة على الظن وأن الثاني أقرب الى الظن من الأول وأن القرآن لم ينزل لتحقيق مثل هذه المسائل لأنه جاء لما هو أجل من هذا إذ هذه الأشياء أقرب شيئا الى الصنائع وقلنا ان اشكالها على نوع الانسان دعا الى تصور الأفكار فهو المقتضود إذ هو في عالم الترتيب ثم نقول الآن العجب كل العجب من وضع الآية التي نحن بصددتها وضعا متقنا على حسب ما قدّمنا وبيانه أن قوله - ويوم نفخ في الصور - الى قوله - داخرين - أي صاغرين مسوقة ليوم القيامة ثم قوله بعدها - وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب - حملها العلماء على يوم القيامة - ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة - واشدة عظمتها ترى كأنها واقفة ، ولا ريب أن هذا التفسير يناسب من علقت في ذهنه الهيئة القديمة من أيام نقل الفلسفة اليونانية الى الآن فناسب ما قبل الآية وصدرها أول الأمة ، وإذا نظر الى قوله بعدها - صنع الله الذي أتقن كل شيء - نجد أن خراب الأرض ينافي الاتقان وإنما الاتقان يناسب سير الأرض وجبالها ثم يراها الانسان مع شدة حركتها ساكنة لا تتحرك فهذا هو الاتقان العجيب وإنما لم يقل وترى الأرض لأنها على هذا الرأي لا ترى إلا متحركة مع خروج الانسان بالمرّة عنها وهذا مستحيل في الدنيا ، أما الجبال فرؤيتها ممكنة ثم انظر كيف تسير الأرض بتلك الحركة العجيبة حول نفسها وحول الشمس ونحن نراها ساكنة لم يحس أحد بحركتها من آدم الى الآن ، فهذا هو الاتقان وهذه هي الحكمة وهذا هو الوضع العجيب الذي جمع بين الحركة والسكون ، ففيه تنبيه على أن العالم كله في حركة مستمرة مع انه يرى في سكون بل الانسان يرى ساكنا مع انه لا يقف فكره لحظة لافي اليقظة ولا في المنام إذ قوته الخيلة لا تقف حركتها لحظة ولا تقف إلا بالموت وهكذا الأمة في حركة مستمرة إما الى صعود وإما الى هبوط وإما الى استمرار ، فالصعود باختراع الجديد والهبوط بهدم سور المدنية الحقّة والاستمرار في الامور الدنيوية على ما عودهم الآباء بلافكر جديد ، فالعالم كالعالم وكالانسان والأمة كل في حركة مستمرة ويرى في الظاهر كأنه ساكن دائم السكون ولم نذكر هذا على انه تفسير للآية ولكن لمناسبة العالم بعضه بعضا وإنما نحن في ذكر الجبال وانها على الأرض وترى انها ساكنة مع انها على الهيئة الجديدة سائرة دائما معها وهذا هو غاية الاتقان ويحق لنا أن نقول - صنع الله الذي أتقن كل شيء - بعد ما ذكر هذا ما خطر ببالنا الآن ، وانى لأعجب من هذا الوضع المتقن في الآيات وكيف ناسب صدرها صدر هذه الأمة وعجزها متأخريها أي العصر بين المعاصرين للأوروبيين فلم تصادم الآية مذهب السابقين وأشارت لمذهب المتأخرين^(١) ولعمري هذه هي الحكمة العجيبة جعل نظام كلامه كنظام ملكه ، فأتقن الفعل وما أحسن القول ، سياستان متشابهتان - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور - وعندى أن هذا وأمثاله هو الاعجاز والحكم لا التأكيد بان ولا الجناس والطباق ولا غيرها ، ألا فليتنق الله العلماء وايبينوا للناس منازل اليهم ولعلهم يتفكرون . ومن عجيب الاتقان نفس هذه الآية فكفى باتقانها واحكامها برهاننا ساطعا ومعجزة لمن درس العلوم وذاق لذّة

(١) فيكون ملخص المعنى سيقوم من في السموات ومن في الأرض فرعين إلامن شاء الله وهم جميعا صاغرون ، ولا ريب أن السموات والأرض أكبر من فيهما واليه الرمز بقوله - نخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس - وإذا كانت السموات والأرض أطاعتا حتى قال فيهما - قلنا أنينا طائعين - فكيف لا يأتيه كل من فيهما صاغرين أذلاء ، أولايرون أن الأرض التي هم عليها وما فوقها من الجبال منقادة له مسخرة في هذه الحياة الدنيا لا يمكنها الاستقرار لحظة من الزمان - فترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب فإذا كانت الأرض التي خلقها أعظم من خلقكم أتم في الحياة الدنيا خاضعة له مع جبالها وأتم عليها فكيف بكم أتم وحدكم فلا بد من إتيانكم صاغرين يوم القيامة * أطرق كرا إن النعام في القرى *

المعارف ، ولعمري لا يعقل هذا إلا العالمون ، فتأمل كيف ناسب مراعاة مذهب المتقدمين سابق الكلام ومذهب المتأخرين لاحقه ، وكيف ثم كيف قال بعد أربع آيات في آخر السورة - وقل الحمد لله سير بكم آياته فتعرفونها - اهـ

(اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - وقل الحمد لله سير بكم آياته فتعرفونها -)

لأذكرك ما كتبته في « جواهر العلوم » تحت عنوان « إن القرآن والسنة يتجدا عجايزهما كالتماهى الزمان » والذي أعلمه من ذلك

(١) قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - بعد قوله تعالى - والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة - إذ لم يقل - ويخلق ما لا تعلمون - في القرآن كله إلا بعد ذكر ما يركب في هذه الآية وحدها إشارة الى ما سيحدثه في المستقبل من مدهشات ما يركب ويسير بالرسائل من البخار والكهرباء والسفن الحربية والبالون والتلغراف بلاسلك أو به وكل هذه إما حاملة رسالة أو وقرا وهي تختص بالدواب عادة ، وقال أيضا - وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون - وقد وضع هذا في سورة النحل ايضا حاتما (٢) - ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا - وقد سكن الظل بواسطة الفوتوغرافية (٣) المواربة في ذكر - وكل في فلك يسبحون - بعد ذكر الشمس والقمر والأرض وجعلها بعد الشمس والقمر وذلك لاجتماع الأهم على حركتهما ، وأما الأرض فذكرت اينسا لمن يعتقد سكنها لوجود الفصل بالشمس والقمر ولمن يعتقد دورانها بدخولها في - يسبحون -

(٤) ذكر السفن في قوله تعالى - وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون - بعد الكواكب والأرض إشارة الى أن الجميع من واد واحد ، فالسفن في البحر كالشمس والقمر والأرض في الأثير وهي المادة المائنة للفضاء ، وكأن الكواكب كلها والأرض سفن في بحر الأثير - فقال لها والأرض اثينا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين -

(٥) اقتربت الساعة وانشق القمر - أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها - إشارة الى ما قيل أن القمر انفصل من الأرض فنقصت وانشق هو منها

(٦) - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - قالوا ان الشمس والأرض كانتا شيئا واحدا فافصلنا

(٧) مادة العالم الأثير وهو مالى للسكون لم يعرف إلا بالعقل لدقته عن الحواس - ثم استوى الى السماء وهي دخان -

(٨) - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنشرون - اكتشف أن حواس الانسان وأعضائه كلها تراب صارت نباتا وحيوانا ودخل في الجسم فصار هو نفس الانسان

(٩) - بل هم في لبس من خلق جديد - قد اكتشف أن جسم الانسان يتجدد في كل مدة نحو ثلاث سنين فتذهب مادته ويؤتى بدلها بالمواد النباتية والحيوانية والمعدنية فتصير بشرا سويا منتشرا - ثم اذا أنتم بشر تنشرون -

(١٠) - حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير - قد كشف أن الخنزير منشأ الدودة الوحيدة (١) وقد

(١) وفي الخنزير ديدان لا تؤثر فيها الحرارة في درجة من درجاتها . ولقد أخبرني أستاذنا الشيخ حمزة فتح الله عن دولة الغازي مختار باشا أن جماعة ماتوا بعد أن أكلوا فبحث الأطباء عن سبب موتهم فاذا هم أكلوا لحم الخنزير فأمااتهم مكروبانته وهو بلامين من هذه القاعدة ، وفي مقدمة (ميزان الجواهر) فوائد في هذا أيضا فاقرأها هناك إن شئت

تقدم رسمها والكلام عليها في هذا التفسير

- (١١) كراهة أكل لحم بعض البقر لأن منشأ السل -
 (١٢) وجوب غسل أثر الكلب سبعا فقد كشف أنه سم ومثله الهر كما في بعض أحاديث الجامع الصغير
 (١٣) المستنقعات منشأ المكروبات القتالة للإنسان وقوله عليه السلام « لا يموت أحدكم في الماء الدائم ولا يغتسل فيه » فبالأول يزيد ضرره وبالثاني يصيب المغتسل الضرر بالمكروب
 (١٤) ورد في السنة أن الطاعون من وخز الجن وقد ظهر أنه حقا من الحيوانات المكروبة التي هي قسم من أقسام الجن في الحديث الذي في كتابنا « ميزان الجواهر » نقلا عن الإحياء حيث قال فيه وصنف كاهواء

- (١٥) الأمر بكثرة الاغتسال والوضوء وهذا أعظم داع لعدم الدعاوى وامتلاء السحون كما قاله العلامة (بنام الانجليزى) مشرعهم الشهير الذي درس علوم الأمم كلها وقال « من راعى على اغسال الدين الاسلامى لم يصدر منه ذنب ولا جريمة » فالنظافة من محاسنه كما استحسن أيضا منع الخمر منها بانا في جميع الكرة الأرضية وعنده من محاسن هذا الدين واليه الاشارة بقوله تعالى - إن الله يحب المتطهرين -
 (١٦) ظهور الأزواج في جميع النبات - ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين - وأنبثا فيها من كل زوج -

- (١٧) - وأرسلنا الرياح لواقح - قد علم مما قدمناه أن الريح هي الملقحة لأكثر النبات
 (١٨) ظهور الجدرى في أصحاب الفيل بالمكروب الذي دل عليه قوله تعالى - وأرسل عليهم طيرا أبابيل - أى متتابعة مجتمعة - ترميهم بحجارة من سجيل - أى من الطين الذي يتناسك على سطح المستنقعات
 (١٩) ظهر أن كل شئ له مقدار محدود بالتحليل الكيماوى - وكل شئ عنده بمقدار -
 (٢٠) - ويوم ينفخ في الصور - الخ تقدم قبل هذا
 (٢١) اعلم أن الأرض متزنة بالجبال ولولاها لاضطربت في سيرها لأن الجبال والطبقة الصوانية تحفظ الكرة النارية أن تتصاعد فتختل الأرض - وألقى في الأرض رواسى أن تمد بكم -
 (٢٢) قوله تعالى - حتى اذا فتحت بأجوج ومأجوج - قد تقدم في سورة الكهف
 (٢٣) قوله تعالى - ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى - ومعلوم في الاصول أن الذين اسم عام لا يخص من نزلت الآية بسببهم وظهر في كل زمان لاسيما هذا الزمان أن كثيرا منهم يدخلون بسرعة في الاسلام بخلاف اليهود باجتماع فلاسفة الأمتين ، وفي أمريكا العجب العجيب وكذلك في أوروبا ، وسيأتى الزمان المستقبل بأعجب من هذا في الاعجاز وقال تعالى لعيسى - وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة -

- (٢٤) تشقت اليهود في أقطار العالم وعذبهم الفرنسيون في الجزائر وغيرها وطردتهم الروس وهم مبعوضون في كل دولة - واذا تأذن ربك ليعلمن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب -
 (٢٥) - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - قد أجمع علماء اليونان والعرب وأوروبا أن علم النفس إنما يكون بعد الرياضيات والطبيعات ، وهالك آخر ما وصل اليه البحث الى وقتنا هذا من ترتيب العلوم بحيث ان المتأخر لا يفهم إلا بعد المتقدم (أ) العلوم الرياضية (ب) العلوم الفلكية (ج) العلوم الطبيعية (د) علم الكيمياء (هـ) علم وظائف الأعضاء (و) علم النفس والمنطق (ز) علم الاقتصاد السياسى (ح) علم تكوين الشعوب (ط) علم تمييز الجبال (ى) علم ما وراء الطبيعة ويدخله العقائد ومعرفة الخالق والروح ، وأما علم النفس فانما هو ظواهرها لاحقيقتها (ك) علم الأخلاق (ل) علم الحقوق

(م) العلوم السياسية ، فأنت أيها الذكي ترى من هذا أن علم الروح في المرتبة العاشرة مع العلم الإلهي المعبر عنه بما وراء الطبيعة أو الفلسفة الأولى أو العلم الأعلى والمخاطب بهذا هم يهود جزيرة العرب ولا ريب أنهم أبعد الناس عن هذه العلوم فلا يمكنهم فهم الرياضيات العليا فضلا عن الروح فلذلك قال - وما أوتيتهم من العلم إلا قليلا - أي ولا يفهم الروح إلا من درس علومها كثيرة ، وما أعجب قوله - من أمر ربي - إذ علم الروح وعلم الألوهية في الدرجة العاشرة

(٢٦) قال عليه الصلاة والسلام ﴿صنفان من أمتي في النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يخرجن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا﴾ أخرجه مسلم ، قوله كاسيات عاريات أي يسترن بعض أجسامهن ويكشفن بعضها أو يلبسن ثيابا رقيقة تصف ماتحتها فهن كاسيات ظاهرا عاريات حقيقة ، وقوله مائلات أي زائغات عن طاعة الله فلا يحفظن فروجهن ، وقوله مميلات أي مميلات الرجال الى الفتنة ، وقوله كأسنمة البخت أي يكبرنها من المقانع والخمر والعمائم أو بصله الشعر كأسنمة البخت انتهى من تيسير الوصول لجامع الاصول . وقد ظهرت تلك السياط بعد النبوة بأزمان وهو السكر باج . أقول فأما النساء الموصوفات بذلك فقد رأيتهن في زماننا

(٢٧) ورد أن الذباب فيه داء وقد ظهر هذا بالاستكشاف

(٢٨) قال تعالى - ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف وللرجال عليهم درجة والله عزير حكيم - قد قارن علماء أوروبا بين النساء المتعلمات وبينهن حين لم يتعلمن فاستنتجوا أن المرأة كلما قدمها التعليم لتلحق الرجل آخرتها الحكمة الإلهية في القوة والادراك والجسم فصارت على الثلث منه في مجموع قواها ، فكلما قدم التعليم آخرتهن الحكمة على مقدار ذلك لتبقى درجة الزيادة محفوظة بين الرجال والنساء والا لاختل النظام بتساوي الدرجتين ولذلك قال بعدها - والله عزير - أي غالب حكيم فيما صنع (اقرأ المرأة المسالمة اصدیقنا محمد أفندي فريد وجدي فقد ذكر هذا وأنه قامت قيامة فلاسفتهم الآن يندرون قومهم الخطر

(٢٩) إن الفونوغراف داخل في عموم - قالوا أنطقنا الذي أنطق كل شيء -

(٣٠) قوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - أما آيات الآفاق فهي جميع ما استكشف في العلوم الحديثة في الأرض والسماء بعد أن كانت منحصرة في كواكب معدودة من السيارات وهي (٧) مع جهل الثوابت وعناصر محدودة فقد كشفت كواكب سياره أخرى وعرف كثير من الثوابت وهكذا العناصر بعد أن كانت (٤) وصلت الى نحو (٧٠) وأما آيات الأنفس فإن للإنسان جسما وروحا ، أما الجسم فظهرته أشعة رنتجن التي هي عبارة عن أضواء شرر الكهرباء المنحصرة في آلات تسلط على الجسم فتكشف الأعضاء من الداخل وتظهر الدورة الدموية من وراء الجلد واللحم والقلب والعروق كأن هذه أجسام شفاقة لا تحجب ما وراءها مما يدهش العقل ويحار فيه فذكر اللبيب مصداقا لقوله في هذه الآية - وفي أنفسهم - ومعلوم أن في للظرفية أي الآيات المظروفة في نفوس النوع البشري والمراد بها هنا ما يشمل الجسم . وأما الروح فقد ظهرت عجائبها بالتنويم المغناطيسي الذي تناقلته الأفرنج عن الهنود . انتهى ما أردته من كتابي ﴿جواهر العلوم﴾

﴿اللطيفة الرابعة . إن في هذه السورة حدين وشكرين﴾

اعلم أن سليمان عليه السلام شكر الله مرتين في هذه السورة ، شكر دخل في ضمن الدعاء إذ قال - رب أوزعني أن أشكر نعمتك - الخ وشكر دخل ضمن قوله - هذا من فضل ربي ليبلوني أن أشكر أم أكفر - معلوم أن الله يستجيب دعاء الأنبياء في الأولى ، فأما في الثانية فإن الأنبياء أقرب الناس الى الشكر إذا أنعم الله عليهم بنعمة ، فاعجب كيف كان له ﴿شكران﴾ أحدهما ﴿على نعمة العلم﴾ والثاني ﴿على نعمة الملك﴾ فأما سيدنا محمد ﷺ فإنه أمر من الله أن يحمده وأن يسلم على الأنبياء وكل مصطفى بعد أن ذكر نعمة

سليمان بالعلم والملك ، ولما انتهت السورة أمر أن يحمد الله تعالى على أن أمة ستعال العلم والعرفان وأن الله يعلمها على عجائب هذه الدنيا ، هما حمدان وأنت تعلم أن النبي ﷺ يبعثه ربه مقام محمودا والمقام المحمود مقام يحمد القائم فيه ويحمده كل من عرفه فهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامته وليس خاصا بمقام الشفاعة بل هو مقام أعم منه ولذلك قيل أيضا ﴿ انه مقام يعطى فيه لواء الحمد ﴾ فهذا المقام أعم وعليه نقول انه ﷺ لما أمر أن يحمد الله ويحيى الأنبياء في هذه السورة وأمر أن يحمد الله على أن الله يعرفنا آياته بعده دل ذلك على أن هذا أيضا مقام جدي يحمد فيه العالم على رقي أمة لأنها ستعرف هذه العوالم - سبريكم آياته - وستكون لها القدح المعلى في العلوم السكونية وتعرف علم الأرواح كما تقدم في قصة سليمان والعلوم الطبيعية من حيوان ونبات الى آخر ما تقدم في هذه السورة وعلم الفلك أيضا كما عرفت وستصبح أعلم الأمم وأحسنها نظاما

إن الحمد لا يكون إلا بعد معرفة المحمود عليه والمحمود عليه هو النعم والنعم جسمية وروحية وغيرهما وجميع العلوم نعم فمن جهل شيئا فانه لا يحمد الله عليه وكيف يحمد على ما لم يعرفه . إن الحمد نوع من الشكر والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فمن قال الحمد لله فهو شاكر على نعمه ويكون هذا الحمد على مقدار ما عرف من النعم الواصلة من الله الى عباده وهذا المعنى هو الموافق لقوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وظهور رحمة للعالمين أن يكون المسلمون أرقى الأمم في جميع فروع العلوم كما يقتضيه القرآن على مقتضى ما بينا في هذا التفسير ويصبح المسلمون أقوى أهل الأرض علما وعقلا وحكمة وعدلا ويكونون رجاء بأهل الأرض آباء لهم . هذا هو المقام الذي يحمد فيه رسول الله ﷺ في الدنيا . فأما حمده في الآخرة فعلم . فاذا رأينا سليمان ﷺ أوتي حكمة وعلمًا وملسكا وحسن سياسة فليكن أتباعه ﷺ قائمين مقام سليمان في ذلك وفي غيره من عموم العلم والحكمة وليكونوا معلمين لكل الأمم مهذبين لهم

إن النبي ﷺ كما تقدم أمر أن يحمد الله فهو له مقام محمود يحمد فيه ربه ويحمده كل من عرفه وأيضا له الشفاعة ، ولا جرم أن هذين يستلزمان أن ترتقي الأمة الاسلامية وتكون نورا لأهل الأرض في مستقبل الزمان ، ألا ترى أن الشفاعة تكون على مقتضى ما وصل للناس من علم وكذا الحمد يكون على مقتضى نعم وأهم النعم العلم . إذن يكون لواء الحمد ومقام الشفاعة يرجعان لشيء واحد لأنه اذا حمد الله على نعمه وحده الناس عليها فلاحمد إلا عن علم واذا شفع للناس فالشفاعة على حسب مقتضى العلم والعلم فيهما يتبعه العمل إذن ينتج من ذلك أن هذه الأمة ستكون أمة علم أرقى من سائر الأمم فتكون محمودة لعلمها وعملها وحامدة لأن الحمد على نعمة العلم والعمل . انتهت اللطيفة الرابعة

(اللطيفة الخامسة)

قال الله لسيدنا محمد ﷺ - فبهذا هم اقتد - وقد شكر سليمان عليه السلام على نعم العلم والملك فلنبحث في الشكر وقد أمرنا الله بالشكر فلنبحث فيه لما له من العلاقة بهذه السورة وبرقي الاسلام في المستقبل . واعلم أن الشكر مطلوب قال تعالى - واشكروا لي ولا تكفرون - وقال - وسنجزي الشاكرين - وقال - وقليل من عبادى الشكور - وقد جعل الله الشكر مفتاح أهل الجنة وهو - وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا - الخ ولا نطيل بذلك فالآيات والأحاديث كثيرة

ولأنخص لك بعض كلام الامام الغزالي في هذا المقام لتعرف أن أمة الاسلام الآن لم تقم بالشكر ولما لم تقم بالشكر دخلها الفرنجة واحتلوا ديارنا ، فهل يعلم المسلمون أن العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والعمل بها هو شكر الله ، هل يعلم المسلمون ذلك ؟ هل يعلم المسلمون أن ما ذكر في هذه السورة من عجائب العمل والهدد وعجائب العقاريت والملائكة والمجائب التي عبدناها كالأنهار والجبال والبحار والسماء والأرض والحدائق والأشجار ، هل يعلمون أن علم ذلك واستعماله وقبوله من خالقه هو الشكر . إن المسلمين لو علموا ذلك لكانوا

نبتوا في هذه العلوم ولكن قام رجال صغار العقول صرفوهم عنها ، هل يعلم المسلمون ذلك ؟ فوا حسرتا على أمة قتلها رجال سمو أنفسهم قادة وما هم بمالين

يقول الامام الغزالي ﴿ لا بد للشكر من علم وحال وعمل ، فالعلم هو الأصل والحال هو الفرح الحاصل بالانعام والعمل القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويكون العمل بالقلب واللسان والجوارح ﴾ وفي مقام العلم أخذ يشرح نعم الله عز وجل في النفس وفي البدن وفي المال وفي الأصحاب وجعل كل واحد من هذه أربعة أقسام فهي (١٦) ولا حاجة الى تفصيلها ولكن نقول اذا نظرنا الى صحة البدن وحده عرفنا أنه لا بد له من طعام والطعام لا يناله الانسان إلا بالنبات والنبات لا يتم إلا بالمطر والأرض والبذر والشمس وبالطواء

ثم إن الانسان لا يتعاطى الغذاء إلا اذا أعطى أعضاء باطنة وظاهرة ، فالظاهرة للجلب والباطنة للهضم وغيره ، ولا بد من الخواص الظاهرة والباطنة ، فهنا علوم التشريح وعلوم النفس وعلوم النبات وعلوم الحيوان وعلوم السكواكب لما علمت أن الحرارة منبعثة من الشمس الى الأرض فصح بدلك ، إن جميع العلوم لا بد منها في معرفة نعمة الله تعالى . فتي عرف الانسان هذه العلوم التي هي مرتبطة ارتباطا لا انفكاك له فقد عرف النعمة ومعرفة النعمة ليست شكر الله بل هي ركن واحد من أركان الشكر ﴿ الركن الثاني ﴾ الفرح بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ، فاذا رأيت جمال الله في السموات والأرض وأدركت بعض العلوم أحسست بسرور ، ولكن يجب أن يكون السرور بمن خلق هذا الجمال ﴿ الركن الثالث ﴾ العمل بموجب هذا الفرح وهذا العمل انما يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فأما بقلبه فيقصد الخير لجميع الناس ، وأما بلسانه فليكن شاكر الله به دائما ، وأما بالجوارح فليصرفها كلها في فعل الخير ، فالعين مثلا لا تنظر الى محرم بل تنظر نظرا اعتبارا

أنا لا أطيل عليك ما ذكره الامام الغزالي فاني لو ذكرت شرحته لاحتاج الى مجلد ولكن الذي يهمني في هذه السورة أن تنظر أيها الذكي ، انظر واعجب من أمة الاسلام ، انظر كيف يقول سليمان عليه السلام - ليلاوني أشكرا أم أكفر - ويقول - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ - ولما بحثنا عن الشكر وجدنا مبداء العلم بالنعمة ، ولما بحثنا عن العلم بالنعمة وجدناه دراسة هذه العلوم المذكورة في هذه السورة وفي غيرها علوم الحيوان من طير وحشرات وغيرها وعلوم النبات وعلوم السكواكب وعلوم التشريح والطب وغيرها ، يارب عجا لامة هذا دينها وهؤلاء علمائها . ألهذا الحد يجهل المسلمون . ألهذا الحد ينامون . يذكر الله الشكر ويقول عالم الاسلام الشكر بعلم والعلم شمل سائر العلوم التي فازت بها أوروبا علينا وغلبتنا والمسلمون نائمون ، ألم يقرأ أحد منهم كتب السابقين ، ألم يقرأ القرآن ، أيها القارئ الذكي بالله أيقظ هذه الأمة واخبرها أن الله أمرنا بالشكر وأن الشكر مبدؤ العلم بسائر العلوم التي جاءت في هذه السورة من الأرض والسماء والأنهار والبحار والجبال والحيوان وكل ما أمكن معرفته والمسلم اذا لم يعرف هذا وهو قادر فهو غير شاكر ومتى عرف فانه يفرح بالمنعم نفسه لاحتالة ومتى فرح به وجب عليه أن يحب الناس كلهم ويشكر الله بلسانه ويعمل الخير لسائر الناس فالشكر علم تام واخلاص عام وعمل نافع بجميع الجوارح

المسلمون غير شاكرين ما لم يفتحوا مدارس ابتدائية ومدارس ثانوية ويذيعوا تعاليم جميع الأمم من فلك وطبيعة وكيمياء وحيوان ونبات وانسان وطبقات الأرض ، وهذا التعليم لا بد منه لسائر الطبقة المتوسطة أما الطبقة العليا فهم المختصون بعلوم خاصة كالطب والهندسة وغيرها ، كيف جاز للمسلمين أن يناموا أجيالا وأجيالا كيف يجهلون شكر النعمة ، كيف تركوا علم النبات وعلم الحيوان وعلم التشريح وعلم النفس وعلم الفلك ، كيف تركوها والله أمرهم بالشكر والشكر علم وحال وعمل ، شكر سليمان وشكر ﷺ فهذا هو شكرهما لقد نظر رسول الله ﷺ الى السماء وقرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار - ثم قال ﷺ ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبيلته ، ومعناه أن يقرأها ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت

السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا ، فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته ، فله في ملكوت السموات والآفاق والأنفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان من أحب علما فانه لا يزال مشغوبا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده ، فان تعجب من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه اهـ

فهذا عرفت معنى الشكر المذكور في قول سليمان عليه السلام وأن ملخصه معرفة جميع العلوم والفرح بالمنعم وانضمار الخير للناس قاطبة وانطلاق اللسان بالشكر والجوارح بالأعمال الصالحة . وأمر الله لاني ﷺ بالحمد على أن الله سيرينا آياته اشارة الى أن هذه العلوم ستذاع في الأمة الاسلامية وهو اخبار بما سيقع لاحالة من سعادة هذه الأمة ورقبها حتى أمر نبيه أن يحمد الله على معرفتنا ومعرفتنا لا بد أن تشمل كل العلوم ونظام المدن المذكور في هذه السورة ومعرفة العوالم الروحية من ملك وجن باتساع علم تحضير الأرواح وفهم العوالم كلها وانتظام ممالكنا كما نظم ملك سليمان والافلاماذا قال له بعد تلك القصص - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - ذلك اشارة الى أننا سننسخ على منوالهم ونحفظ مدننا ونرقى علومنا ونشكر ربنا حتى حمد الله نبينا على معرفتنا والمعرفة يتبعها العمل والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة في مقال عام في قوله تعالى - سيريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ ﴾
هذا المقال قد وعدت به فيما تقدم ، ووعدت أيضا بأن أكتب هنا في تفسير هذه الآية ﴿ رسالة مرآة الفلسفة ﴾ وليكن وجدت المقام لايسع هاتين الرسالتين فسأجعل الرسالة الأولى في سورة فاطر عند قوله تعالى - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها - وأجعل ﴿ مرآة الفلسفة ﴾ في سورة القتال عند قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - الخ والعلم بذلك للأُنبياء وهي وليكن لنا كسبي ، ومرآة الفلسفة فيها ملخص آراء الأمم قديما وحديثا وبها يفهم المفكرون قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه - وقوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - وملخص الرسالة أن الموجود الحقيقي الكامل هو الله وماسواه هالك ، وهذا الذي سميناه هالكا له نوع من الوجود بحيث يكون كله آيات دالة على جلال الله تعالى وهذه الآيات تتجدد وقتا فوقتا ، ولا جرم أن ﴿ رسالة مرآة الفلسفة ﴾ فيها ملخص أصول الحكمة العامة في هذه الدنيا بحيث يطلع الأذكياء قراء هذا التفسير على ما استبان من نظام هذه العوالم بطريق العقل

(١) فن نظريات جعلت مقدمة للرسالة بحيث تبين أن النفوس الانسانية ليست من عوالم الأرض بأدلة عقلية وانما باقية بالبراهين الحسية التي توافق عقول جميع الأمم فهي أشبه بمقدمات علم الهندسة التي تقبلها جميع العقول وتكون لها نتائج فيها اليقين الذي لا شك فيه ، وهذه الأدلة والحمد لله لم تكن إلا في هذه الرسالة ليعلم المسلمون قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته - الخ فهذه البراهين من آيات الله المتجددة في زماننا فليفرح بذلك عقلاء الأمم مقاما

(٢) ومن آراء لأقدم الفلاسفة وكيف كانوا في بحثهم متدرجين من ماديين ودهريين وسوفسطائيين وعلماء إطيين من طاليس ومن بعده الى فيثاغورس الذي يقول ﴿ أصل العالم العدد ﴾ الى أنبذوقاس الذي يقول ﴿ أصل العالم المحبة والهداوة ﴾ الى إنكساغورس الذي يقول ﴿ للعالم إله واسكنه تركه كما يترك الانسان الساعة تجرى وحدها ﴾ الى سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس الذين يقولون باله صانع للعالم منظم له مصلح لصغيره وكبيره الى من بعد هؤلاء من المشائين والرواقيين وعلماء الاسكندرية ثم انتقال العلم من الاسكندرية الى أمم الاسلام أيام الفارابي ومن بعده ثم انتقال العلم الى أمم أوروبا ، وكيف ترى هناك أن علماء أوروبا

الحاليين يقولون بأوفى حجة وأجلى بيان ﴿ اسهم في معرفة الله والنفس ومبدأ العالم لم يصلوا الى عشر معشار سقراط وأفلاطون ونحوهما وأن المذاهب المنتشرة اليوم في أوروبا لم تخرج عن كونها تكرار المذاهب اليونانيين فن زعم أن العالم مادي ولا إله له فذلك هو عين مذهب طاليس قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون ، ومن زعم أن الحقائق لا تعرف وهو شاك فهو أشبه بالسوفسطائية بأقسامهم الثلاثة التي سترها وهم (العندية والعنادية والملاذرية) وإذا رأيت قوما من أوروبا نبهوا في ذلك وأدركوا بعض سرّ التكوين مثل الفيلسوف (كنت) الألماني الذي تبعه اليوم الأمم الألمانية ، وتبعهم في قراءة كتبه أمة إيطاليا فاعلم أن هذا المذهب عينه هو مذهب سقراط وأفلاطون الذي ستقرأ فيه الحكمة البديعة بحيث أنك حين تطالع على ما نقلته عنهما بنصه وفصه مما لم تنقله أسلافنا بنصه تدهش إذ ترى أن القرآن حقا وصدقا نفس آراء هؤلاء الفلاسفة الذين خلقهم الله قبل أن ينزل القرآن ، أما أنا فاني اعتراني الدهش وازداد تعجبي من صنع الحكيم العليم الذي أنزل حكمة على قلوب عباده قبل نزول القرآن بنحو (٩) قرون وجعلها أشبه بتفسير للقرآن المنزل على عبد من عباده في جزيرة قاحلة ، وستقرأ في الرسالة المذكورة كيف جاء حب الله على لسان الفلسفة وكيف يكون ازدياد هذا الوجود المتغير الناقص وكيف يجب علينا في هذا الوجود أن ننظم دوله فلانظر الدنيا الناقصة ولكن نظمها ونتبعه أثناء تنظيمها الى مبدعها . كل ذلك ستره في ﴿ مرآة الفلسفة ﴾ وستعجب أنت كما عجبنا أنا من تفاني هؤلاء الفلاسفة في حب الله والاخلاص له وهذا هو لبّ القرآن . أوليس هذا هو معنى قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وقوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - ومتى قرأت هذه الرسالة أيها الذكي ستقول كما قلت سواء بسواء ، لقد رأينا آياتك يا الله في هذه العوالم كما رأيناها ظهرت على قلوب الحكماء من الأمم إذ تجلت قبل نزول القرآن وخبئت في الكتب وظهرت اليوم فوجدناها مفسرة للقرآن مجلية للحقيقة موضحة لحقيقة العقل والنفس بل فوق ذلك ترى ما كان من الخلاف بين أفلاطون وأرسطاطاليس من قول الثاني للأول ﴿ ان تعاليمك الفلسفية لم يظهر فيها المناسبة والارتباط بين عالم المثال الذي تخيلته وبين هذه العوالم المشاهدة إذ أنك اعتبرت أن العلم لا يبنى إلا على أمور ثابتة ولا ثبات لعالم المادة من سموات وأرضين والثابت في نظرك هو عالم المثال ، وقد قلت ان ما يظهر للناس في الأرض والسماء انما هو على مقتضى عالم المثال وهو على صورته أو نسخة من نسخة ﴾ فهذان العالمان المادي والمعنوي لم نعرف المناسبة بينهما

ثم قال (أرسطاطاليس) بعد ذلك ﴿ أنا أرى أن العلم لا يحتاج إلا الى المادة والصورة والمادة لا توجد إلا بهذه الصور التي نراها في الأرض والسماء الخ ﴾

وقد جاء المشاؤون بعد (أرسطاطاليس) أيضا وفندوا رأيه واعتضوا عليه وقالوا له ﴿ اننا لم نعرف المناسبة بين المادة والصورة وبين الله الذي صنع العالم وأنت برهنت على وجوده ، وأنت لم تبين المناسبة بينهما كما لم يبين أستاذك المناسبة بين عالم المثال وعالم المادة ﴾

هنالك أخذت الأمم بعدهم تقرأ هذه الآراء وتبين اتحادها تارة واختلافها تارة أخرى ، فهذه المجادلات التي سترها في الرسالة المذكورة ولخصتها هنا لا يكون لها أثر بعد المقدمات والحجج التي سترها بمقتضى ما ظهر للناس اليوم في العالم من العلوم في ﴿ رسالة مرآة الفلسفة ﴾ إذ ترى أن البراهين اليقينية التي ذكرتها في أولها لا يرد عليها ماورد على أفلاطون وأرسطاطاليس ، وستقرأ هناك أن خلق العالم يتضح بما يراه الانسان في نفسه من العوالم العقلية ، وسترى شرح ذلك وتعلم أن هذا هو قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - فهذا هو العلم بانفراد الله بالالوهية لأنه أتى بملخص عقول الأمم قديما وحديثا وهذا يفهمنا قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق - وقوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فهذه الرسالة ظهر فيها كيف كان علم النفس هو المفتاح الذي به فتح ما أغلق على الناس أيام سقراط وأفلاطون ومن

بعدهما وبإزالة الاشكال الذي ورد على طريقتيهما في تعيين أصل العالم وسبب العالم المادى بالعالم العقلى وصلتهما بخالفهما ، فهذا الاشكال كله ستراه قد حلّ في هذه الرسالة . ومن أعجب العجب انها لم تظهر للناس إلا في تفسير القرآن عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وقد انطبقت على هاتين الآيتين اللتين ختمت بهما هاتان السورتان الدالتان على أن المادة باطلة وأن العوالم المشاهدة آيات الله والله سيرها لنا ، وهاتين أولاء قد رأيناها في كلام العلماء والحكماء ، وفي العوالم المشاهدة ، ومن أهم الآيات التي أراها الله لنا إيفاء لعهدده تقسيم العلوم ، وهذه سنختم بها ﴿ رسالة مرآة الفلسفة ﴾ بحيث يطلع الأذكياء من المسلمين على آثار عقول الأمم البائدة وما تركته لنا من العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية وتهذيب الأفراد وتدير المنزل وتدير المدينة والأخير هو علم السياسة وهناك تقسم هذه العلوم الى (١٧) علما وهذه العلوم فروع تبلغ أصولها مع تلك الفروع نحو (٦٠) علما وصناعة ، وهناك ترى أن الصناعات كالطب وكالزراعة وأمثالها وهكذا التجارة والحداثة ماهي إلا فروع لتلك العلوم . هذه هي الآيات التي وعد الله أن يريها لنا وهي آيات العلوم الحسكية المنقولة عن الأمم الحالية الموافقة للقرآن حقا وصدقا وآيات هي أقسام العلوم وما يناسبها من الصناعات التي لا بد منها للأمم . هذه هي ﴿ رسالة مرآة الفلسفة ﴾ التي وعدت بها فيما تقدم والتي ستطلع عليها أيها الذكي في (سورة اقبال) عند قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وقد تضمنت أيضا الآيات في آخر هذه السورة ونظيرها آية - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - والآية التي في آخر سورة القصص وهي - كل شيء هالك إلا وجهه -

أما المقال العام الذي وعدت أن أكتبه هنا فيما تقدم وسأذكره في سورة فاطر عند قوله تعالى - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها - لأن الحال اقتضت ذلك فهناك ملخصه ابقاء بما وعدت ومقدمة لذكرها هناك فهي

(١) أولا ان اشراق العوالم التي تحيط بنا على ﴿ قسمين ﴾ اشراق ظاهر واشراق باطن ، فالأول ما تدركه الحواس والثاني ما تدركه العقول ، وهذا الأخير مراتب وراء مراتب ولن نصل لمرتبة إلا بعد وصولنا الى مرتبة قبلها والحد في الآية تابع لاستكناه الحقائق وظهور المعلومات فلا تكون المعرفة اللاحقة إلا بعد السابقة (٢) المسلمون في القرون المتأخرة نظروا العوالم الظاهرة فلم يزدوا في معرفتها عن العامة مع انهم يقرؤن في القرآن قصة سليمان إذ سخرت له الريح وهذه القصة تدلهم أن هناك منافع غير التي عرفها العامة في هذه المخوقات المحيطة بنا

(٣) مثل ان الهواء مركب من نيتروجين وأوزوت واكسوجين ومن مواد أخرى وهذه المادة وهي النيتروجين أو الأوزوت وجدت مركبة مع مواد أخرى في جزيرة (شيلي) فجعلها الناس سمادا لأن النيتروجين من مركبات السماد المعروف من الدواب في القرى وبلاد الفلاحين في مزابلهم

(٤) وقد استخدم العالم الألماني (فرتزهابر) الكهرباء في استخراج النيتروجين من الهواء بدل الاتكال على ما يستحضره الناس من (جزيرة شيلي) وعلى ما يأخذونه من سماد الحيوان وصنع في الهواء بالكهرباء ما يصنعه الناس في الماء من تبريده وجعله ثلجا فالتاس جميعا يجدون طريقة لجعل الماء السائل جسما صلبا وهو الثلج هكذا العالم (فرتزهابر) جعل النيتروجين بالكهرباء جسما صلبا بعد أن كان جسما غازيا كالبخار في الهواء ، فالبخار يكون سائلا ثم صلبا وهكذا الغاز الذي هو جزء من الهواء يرجع سائلا فصلبا ويكون سمادا وهو المطلوب وذلك بواسطة (الفون الكهربي) الآتي شرحه في سورة فاطر في المقالة العامة هناك

(٥) كان عند الألمان مصانع كبيرة زمن الحرب يستخرج بها النيتروجين من الهواء فيه تكون المواد المهلكة ثم حوّل هذا كله بعد الحرب الى سماد

(٦) المسلمون يأكلون الملح ولا يعلم أكثرهم أن علماء أوروبا استخرجوا بالكهرباء من محلوله في ماء

البحار مواد مثل الكور والصودا السكرية والهيدروجين ، والكور المذكور المستخرج من الملح ينفع في تطهير ماء الشرب من الجراثيم فيمنع انتشار الحمى التيفودية وينفع في جعل الورق أبيض ، وينفع في أحداث التخدير للريض عند العملية الجراحية ، ويكون سماً للأعداء في الحرب إذ يرسل في الهواء ، ويكون في المفرقات القاتلات للأعداء ، ويكون قاتلاً للحشرات ، إذن ملح الطعام يأكله المسلم ولا يعلم أنه أصبح مطهراً لشرابنا قاتلاً للحشرات النورية التي تفتك بالناس في الوباء مبيضا لورقنا مزيلاً لآلام جرحانا مهلاً كالأعدائنا

(٧) إن المسلمين الذين جهلوا هذه العلوم التي عرفتها الأمم في الأرض يعاقبون في الدنيا والآخرة لأنها فروض كفايات ، فإذا أمر الله بقطع يد السارق لأجل ربع دينار أفليس معناه أنه يحافظ على المال النافع لنا ، وإذا أمر بقتل القاتل فمعناه أنه يحافظ على نفوسنا ، إذن هذه العلوم تحفظ أنفسنا وتحفظ أموالنا فكيف يسوغ للمسلمين تركها

(٨) وهناك فوائد كثيرة للكور وغيره من عناصر الملح وصلت إلى (١٢) فائدة كلها نافعة في الحياة فكيف يجهلها المسلمون وهي فرض كفاية

(٩) وهناك معدن يسمى (الالومنيوم) وله فوائد عظيمة ستذكر لاحقاً لا طالة الكلام عليها هنا مثل أنه إذا خلط مع القصدير استعمل بدل النحاس ، ومثل أنه يجعل صفائح للتفضيض ، ومثل أنه يركب مع النحاس فيكون شبيهاً بالذهب ، فكيف يترك معرفة هذا المسلمون وهو من فروض الكفايات

(١٠) إني أنذر الأمم الإسلامية بأنهم إذا أهملوا العمل بما في كتابي هذا فإن هذا القرن يكون آخر قرونهم في الأرض

(١١) أفلا ينظرون كيف اخترع (المستر بالي) زجاجاً سماه (زجاج بلاس) وهو زجاج لا ينكسر ومنه تدخل الأشعة فوق البنفسجية من الشمس لتنفعنا في الصحة بخلاف زجاجنا المعروف وهو مصنوع من مواد أرخص من المواد التي صنع منها زجاجنا ، وسيصنع من هذا الزجاج ألواح بهيئة قشر السلحفاة وأقلام لن تنكسر وهكذا

(١٢) فيا أيها المسلمون ، عليكم أن تجتدوا في الأعمال حتى تلحقوا الأمم ثم تكون هناك أجيال بعدنا إسلامية متحدة مع الأمم في رقي أهل الأرض . انتهى الكلام على ملخص المقال العام الذي سيكتب في سورة فاطر كما نخصت قبل ذلك ﴿مرآة الفلسفة﴾ التي ستكتب في سورة القتال عند قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - اهـ

﴿جوهرة في بعض سر الطاء والسين في قوله تعالى - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى -﴾ ههنا السين في - وسلام - والصاد والطاء في - اصطفى - والحرفان الأخيران من واد واحد لأنهما من حروف الاطباق وهي الصاد والضاد والطاء والظاء ، فسلام مبتدأ بالسين واصطفى مبتدأ بحرفين من واد واحد وهما الصاد والطاء المذكورة في - طس - في أول السورة ولا عبرة بالهمزة لأنها زائدة للتوصل للنطق بالسالكين وهذا تذكرة بالسلام للمصطفين وفتح باب لفهم ما سأسمعه لك

إن الإنسان على الأرض دائماً في اضطراب مادام جاهلاً بنظام هذا العالم وما مبدؤه وما مبدعه وما نهايته ونهاية الأرواح وأكثره يشك في مستقبل هذه النفوس الإنسانية ويسمع بالزلازل والوباء والحروب وبشتك الحيوانات النورية في الإنسان ، ويرى هذا العالم كله اختلاطاً واختباطاً ولانظام فيه ولا أمان غاية الأمر أن المؤمنين بالديانات يسلمون تسليماً ولا يفسكرون والمفسكرون منهم يقعون في هذه المآزق فإذا فكروا في هذا نشأت لهم وساوس وأحسوا بالآلم النفسي وزايلهم السلام والأمان فنفسهم في وحشة وإن ظهروا مستأنسين وقالو بهم في غم وإن كانوا في ظاهراً أمرهم فرحين ، وهؤلاء متى عرفوا الحقائق واطمأننت نفوسهم إليها وركنوا

لها أحسوا بالسلامة والامان وأيقنوا بأن من يسوسهم في الدارين رحمن رحيم لا يبرى عليهم إلا ما هو خير لهم عاجلا أو آجلا ويرون الموت والمرض والفقر وأشباهاها أعراضا زائلة كما يعترى الأرض حقول وقطعها أنزل عليها الماء اهتزت وربت ، فهؤلاء هم المصطفون الأخيار الذين تسلم نفوسهم من تلك المهلكة في هذه الحياة وغيرها ، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم - لا ينزهم الفرع الأكبر - الخ - وفل فيهم - الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم - الخ - وقال فيهم - والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار - والقرآن يفسر بعضه بعضا ، فهذه الجلة جاءت فيها السنين والطاء المصاحبة لصاد والسين والطاء ذكرت في أول السورة لتوقفنا للآيات الأخرى . ولما ذكر السلام والاصطفاء أعقبه بالدروس التي يدرسها أولئك المصطفون فذكر السموات والأرض والمطر والحدائق والأشجار والأنهار والجبال والبحار والبرايزخ بينها واجابة دعاء المضطر والهداية في البر والبحر وارسال الرياح ، فهذه الطائفة التي أفعمت عقولها بهذه العلوم والحكم تكون مصطفاة وأنفسها تعيش في سلام وتموت في سلام كما قال تعالى في عيسى عليه السلام - وسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا - وهذا السلام هو الذي يقوله المسلم في التشهد فيسلم على نبيه وعلى نفسه وعلى الصالحين من الأمم ، ومثل هذه النفوس المصطفيات هي التي اذا صلت وقرأت - اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم - لا تفهم معنى الغضب كالذي تفهمه في غضب الناس لأن غضب الناس انفعال ورجتهم انفعال ولكن غضب الله ورجته لا انفعال فيهما بل الله منزّه عن ذلك وانما هذه شؤون النظام والتدبير والاحكام في الخلق سميت رحمة في حال وغضبا في حال بحسب مراتب الموجودات لاغير ويفهمون ذلك من تسبيحهم في حال الركوع والسجود فالمسلم يقول ﴿ سبحان ربّي العظيم ﴾ ويقول ﴿ سبحان ربّي الأعلى ﴾ ويفهم من ذلك المصطفون انه منزّه عن الغضب الانفعالي وعن الرحمة الانفعالية عند قراءتهما الفاتحة (ففيها ذكر الرحمة وفيها ذكر الغضب وفيها تقديم الرحمة على الغضب للإشارة الى قوله تعالى - ورحمتي وسعت كل شيء - والى ماورد في الحديث ﴿ ان الرحمة سبقت الغضب ﴾ لأن هذا نقص في العباد والله كامل محكم التدبير منظم الشؤون ، وهذه الطائفة حين تعرف هذا توقن بأن نفس الصلاة فيها رموز وعلوم وحكم وكلما ارتقى الانسان فيها زاد علما كما قال تعالى - وقل رب زدني علما -

فالمسلم وهو يقرأ الفاتحة يفهم معنى الرحمة والغضب اجالا فاذا ركع وسجد فهم أن الله منزّه عن صفات العباد بالتسبيح . ومن أعجب العجب أن يقول في هذه الآية - وقل الحمد لله وسلام - الخ ثم يقول في آخر السورة - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فهنا أمره بالحمد وجعله مصحوبا بالسلام وأردفه بالدروس التي يتلقاها المصطفون وفي آخر السورة أمره بالحمد وأتبعه بنفس الدروس اجالا وهي انه سيريكم آياته وانهم يعرفونها . ولا جرم أن الدروس التي جاءت في هذه الآيات هنا بعض الدروس المجملة في آخر السورة

الله أكبر . تبين هنا أن السلام بعد الحمد ولا حمد إلا على نعمة والنعمة مذكورة في هذه الآيات هنا مفصلة وفي آخر السورة مجملة وهذا قوله تعالى في سورة أخرى - دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام * وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - واعلم أن الحمد مصحوب بالسلام المتبوع بالآلاء والنعمة فيما نحن بصددده وبعده الحمد الذي في آخر السورة وقد بيناها الآن كأنهما تطبيق أو نتيجة لما جاء في قصة سليمان في أول السورة إذ حمد الله هو وداود على نعمة العلم وأن الله فضلها على كثير من عباده المؤمنين ، فهما جدا الله على نعمة العلم وهما أمر النبي ﷺ أن يحمدا الله مرتين وذكر بعد الحمد المعاومات فاعجب لأسرار القرآن ، فتبين أن السلام يذكر مع الحمد والحمد لا يكون إلا على علم بالمحمود عليه حتى يذعن القلب ويفرح بالمنعم . إذن فليعلم المسلمون أن ديننا دين حمد ولا معنى للحمد إلا على نعمة ولا تعرف النعمة إلا بالتعليم ، فليتعلم المسلمون كل علم ولا يزيدوا على الأمم والافلحوا من هذه الأرض لأنهم لا أمان لهم في الدنيا لأنهم بجهلهم

نواميس الوجود لا يقدر على مقاومة الأهم وهكذا يكون عقلاؤهم مضطربى الآراء فى الوجود وفى الأنفس الإنسانية ونهاية هذه الدنيا . هذا ما فتح الله به يوم الجمعة ٣١ مايو سنة ١٩٢٩

(المستنبطات التى وجدت بين سنة ١٧٠٠ وسنة ١٨٠٠ ترجع الى الأدوات والآلات الميكانيكية)
(فأمام مستنبطات العصر الحاضر فأكثرها كهربائى أو كيميائى معدنى)

كتب كاتب أمريكى فى مقتطف اكتوبر سنة ١٩٢٨ يقول مانصه

- (١) فى الولايات المتحدة خمسة ملايين آلة لاسلكية مستقبلية
- (٢) ألفت فيها شركات لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف السلكى واللاسلكى
- (٣) وقرب الوقت الذى تنقن فيه اذاعة الصور المنحركة كما تذاع الخطب والأغاني والقصص وتستقبل
- (٤) وقرب الوقت الذى يمكن فيه توزيع القوى الكهربائية بآلية فتلقظها البواخر فى عرض اليم والطائرات محلبة فى الفضاء

- (٥) والأشعة التى فوق البنفسجية قد كمن فى أمواجها فوائد صحية جزيلة ، وقد ألفت شركات لتوزيعها بعد اتقان آلاتها فتضاء بها المصابيح فى الدور والمكاتب والمعامل والمدارس فتعطى الناس قوى حيوية جديدة
- (٦) ويسمى الناس زرعهم من الأسمدة المستكنة فى الهواء بسبب الكيمياء
- (٧) وسيصنعون جوارب حريرية وأدهاناً مختلفة من الأشجار
- (٨) والمادة التى تصبغ بها السيارات تصنع منها الجوارب الحريرية والمفرقات والجلد الصناعى وهكذا
- (٩) ثبت أن (معدن الكروم) اذا أضيف الى الصلب صار الصلب قاسياً جداً لا يصدأ فاستعمله يوفر على الناس ملايين يخسرونها بسبب الصدأ

(١٠) والنفط يستخرج الآن من الفحم الحجري ومن القار بأسلوب كيمائى ، وذلك فى ألمانيا بأسلوب (برجيوس)

- (١١) وقطران الفحم الحجري يستخرج منه الآن أصباغ عجيبة تفوق التصور ، فهذه ملابس السيدات الزاهية الألوان تصبغ بأصباغ تستخرج من الفحم الحجري وفى المستقبل عجائب أكثر فى هذه الألوان
- (١٢) « مستقبل الطيران » - إن الطيران سيوصل الناس الى أخصب بقاع الدنيا والى حراج غيباء لا يقيم الناس لها وزناً وستزيد ثروات طائلة بسبب الطيران

- (١٣) النور الآن متحد مع الحرارة فنحتو ٩٦ فى المائة من القوة يذهب فى الحرارة وع فى المائة يعطى ضوءاً وسيتمكن الناس من قلب الوضع فتسكون ٩٦ للضوء وع للحرارة واذن تنار المنازل بجزء من عشرين جزءاً مما نستعمله الآن من الكهرباء ويتم ذلك بعد مائة سنة ، وفى ذلك الوقت تتولد الكهرباء بآلية من ضوء الشمس رأساً لامن الفحم الحجري ولامن الماء المنحدراً لومن قوة المد والجزر لومن حرارة باطن الأرض
- (١٤) فى كثير من البلاد ينابيع حارة ، وفى هذه الأماكن ستصير هناك مدن عظيمة لأن حرارة باطن الأرض تستخدم حينئذ لتوليد الكهرباء والكهرباء هى سر الصناعة الحديثة

- (١٥) وفوق هذا وذاك قوة الشمس ولا يعوزها إلا آلة تمتص الحرارة ولا تشعها ولم يوفق الناس الى الآن لاختراع آلة تمتص الحرارة ولا تشعها ومتى وفق الناس لها أصبحت هذه مصدراً هائلاً للقوة الهائلة الرخيصة الثمن
- (١٦) إن المستنبطين الى الآن لم يعكفوا على استخدام المد والجزر فى توليد القوى بمجد وعزيمة

- (١٧) قد استحدث الناس آلة لاستحداث أصناف جديدة من النبات والخضراوات والأثمار والأزهار والاستاذ (بربنك) أكبر مستنبت فى هذا الميدان كما ان (اديسن) أكبر مستنبت فى الكهرباء بآلية
- (١٨) استنبت (بربنك) مئات من الأنواع الجديدة من الأثمار والأزهار وأدخل فيها صفات لم تعرف من

قبل مثل البرقوق (خوخ) لاقشرة قاسية لفواته ، ومثل التين الشوكى الذى لاشوك فى أغصانه ، وعنده أن الاستنباط هنا يفوق ما استنبطه (اديسن) و (ماركوني) و (بل) و (فورد) وغيرهم

(١٩) وسيتدع الناس وسائل تغير الجو فتجعلها صالحا لأحوال زرعهم بإدارة زر كهربائي ولا مانع يمنع علماء الزراعة من أن تكون أثمار الفراولة حجمها كحجم البطاطس وحجم الكرز والبرقوق (الخوخ) والتفاح كحجم رؤس الكرنب

(٢٠) وعند المهندسين الآن آلة لاسلكية تبعث فى الفضاء أموجا صوتية خاصة فتفجر مقداراً من الديناميت على بعد (٢٠) ميلاً أو (٣٠) بشرط أن يكون فى الديناميت آلة تقبل هذه الأصوات ، وأمثال هذا الجهاز يستعمل فى البحث عن المعادن بحيث تكون الأرض التى لامعادن فيها لا تعوق الأصوات المذكورة فتصل فى الوقت المعين لها وإن أبطأت دل ذلك على رواسب المعادن التى أخرجت هذه الأصوات

(٢١) وسيفوز الإنسان بالطعام المركب تركيباً كيمياوياً . قال وفى السنة الماضية أدب أحد أصدقائى مأدبة لجمهور من معارفه وجميع طعامها مرتبة فى العمل الكيماوى مثل (الاوردوفر) و (اللبن والقشدة) و (اللحوم) و (الخضراوات المختلفة) و (الشوربه) وهكذا الأثمار والمثلوجات وأصناف الحلوى ولم يكن للفلاح ولا للبستاني أثر فى هذه المأدبة

(٢٢) إن فى الجوهر الفرد قوة هائلة مدخرة . ويقال إن الهيدروجين فى الماء الذى يملأ ملعقة شاي واحدة يولد مائة ألف كيلو من الكهر بائية وتساوى قوتها ١٣٣ ألف حصان فإذا أطلقت هذه القوة واستخدمت استغنى الناس عن الفحم استغناء تاماً وحينئذ تقطر القوة اللازمة لإدارة معمل كبير كما تقطر القطرة فى العين (٢٣) إن الغدد فى الأجسام لها علاقة بالحياة والصحة وبالعواطف والصفات الأدبية كالشجاعة والمضاء ولابد أن يصلوا إلى إطالة الحياة وربما يكون الرجل فى نشاطه الجسدى وعقله الذكى حينما يبلغ المائة من العمر انتهى ما أردته من مجلة المقتطف وبه تم تفسير سورة النمل والحمد لله رب العالمين

تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثالث عشر من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم
ويليه الجزء الرابع عشر * وأوله تفسير سورة القصص



(الخطأ والصواب)

غلينا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
توحى	نوحى	٢٢	١١١	البلن	البسكن	٢٢	١٠
ازدانت	ازدان	٦	١١٣	وثانيا ليدل	وليدل	٢٤	١٧
بفماعات	فجموع	١١	١٢٣	كشفيها	اكتشفيها	١٧	٢٦
المطلوب وهناك	المطلوب	٢٩	١٢٧	فهز	هز	٢٢	٢٨
فهو	وهو	٢٩	١٢٧	جاء بعض غلط في كتاب « المختار في كشف الأسرار » في النسخة التي نقل المؤلف منها فتركناها بحالها من صفحة (٣٢) الى صفحة (٣٩)			
أن ينال	ينال	٣٠	١٣٠	فأخرجها	أخرجها	٢٩	٣٧
ودخلها	ودخلها	٣	١٣٧		سقط	٢٠	٤١
دروب	ضروب	١٧	١٣٧	لم يسقط	سقط	٢٠	٤١
ما	في ما	١٥	١٤٦	حسن	حسن	٤	٤٩
كناش	للتقوم	١٦	١٥٨	قيل	بين	١٢	٤٩
	كناشا	٢	١٦٠	مشابه	مشابه	٦	٥٠
مع	من	١٠	١٧٥	مرتبطان	مرتبط	٢٧	٥٢
وكثرت	وفتت	٦	١٨٣	استمرت	استمرت	٩	٥٧
والرؤساء	أوالرؤساء	١٩	١٨٩	سد	صد	٢٠	٥٨
نهاد	نها	٤	١٩٣	أيها الفقراء	أيها الأغنياء	٥	٧٧
والجباية	والجباية	٦	١٩٣	قسما	قسم	١٥	٧٧
غيرهم	غيره	٢٢	١٩٦	ليستخرج	ليستخرج	٢٦	٧٩
١٩٢٩	١٨٢٩	١٩	١٩٧	انخفضت	انخفضت	٣	٩٠
الفوض أحسن	الفوض	٣٣	١٩٧	فهذا	وهذا	٣٤	٩٥
الله	الله الله	١٢	٢٠٨	منسأته	منسأته	٧	١٠٧
ليحدثوا	ليحدثوا	٩	٢١١	سألت	سألت	١٣	١٠٧
طريق	طريقة	١٦	٢١١	وتتم	وتتم	١٣	١٠٧
نمره	نمره	١٨	٢١٥	اتقوا	اتقوا	٣٣	١٠٧
يتناولها	يتناولها	٣٤	٢١٥	الشمس	الشمس	١٢	١١٠
برون	لايرون	٢٠	٢١٨	وما قيا	وما قيا	٦	١١١
طرا	طرا	١٤	٢٢٣	لعمرك	لعمرك	٢٠	١١١
جديرة	جديرة	٦	٢٣٣				
قدمهن	قدمهن	١٧	٢٣٩				

(تمت)

فهرست

البحر النافع

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صيفة

- ٢ تقسيم سورة الشعراء الى (سبعة أقسام) ذكر القسم الأول مشكلاً الى - وان ريك هو العزيز الرحيم -
- ٣ التفسير اللفظي لهذا القسم
- (الطيفة) في معنى - طس - ومعنى - كهيمص - كاف زكريا وهاء هزى وياء يحيى وعين عيسى وصاد صديقا وطاء لأقطع وأطمع وميم الرحيم
- ٦ (الآيات في النبات * الآية الأولى) تنفس النبات ، الانسان والحيوان يخرجان بالتنفس الكربون (الفحم) وهذا يفسد الهواء والنبات يصلحه لأنه بتنفسه يعطيه مادة الحياة (الأكسوجين) ولولا ذلك لمات كل حيوان على الأرض بالاختناق (الآية الثانية) ان النبات كما يخرج بالتنفس الأكسوجين بالنهار يخرج حامض الكربونيك بالليل (الآية الثالثة) أن النبات يتصاعد منه بخار كما يصعد من البحار وكما كثرت الشجر في بلاد زاد المطر فيه ، إن الندى الذي على سطوح الورق ليس من السماء بل هو من البخار المتصاعد من نفس النبات ومن النبات ما يتصاعد منه مضاعف وزنه بالليل والنهار . نبات الأباريق يشرب الناس منه الماء (الآية الرابعة) ادرس الأشكال الأربعة في صفحة ٧ والشكل الخامس في صفحة ٨ ففيها إيضاح مسألة الالتحاق فوق ما تقدم في الأنعام والحجر وغيرهما وبيان أعضاء التذكير والتأنيث الأسدية والمدقات وقد يكون القسمان في زهرة وقد تكون الأسدية على زهرة والمدقة على أخرى في نباتة واحدة كالخيار وقد يكون أحدهما على شجرة وثنائهما على أخرى كالصنوبر . بيان الزهرة السكاملة القانونية المنتظمة وبيان زهر العليق والحبارى . جمال العلم والحكمة (الآية الخامسة) اهتزاز النبات عند التلقيح
- ١٠ النبات يحس ويتحرك . النبات يحس بالسموم وبالأفيون فيموت بالأول وينام نوما عميقا بالثاني وحامض (البروسيك) يسم النبات . النبات الحساس ينكمش اذا لامسته وورق الخس اذا هيجت أطرافه درت بعض عصاراتها (الآية السادسة) نبات (دسموديا) بالهند تتحرك فيه ورقتان متى أشرقت الشمس عليه فيكونان كعقرب الساعة ، والنبات المسمى مصيدة الفار اذا وقعت عليه ذبابة انطبقت أهدابه عليه (الآية السابعة والثامنة) ان عضوى التذكير والتأنيث يقترب أحدهما من الآخر زمن الالتحاق وهما يهتزان وقد ينعطف أحدهما دون الآخر ، وبعض الأزهار المائية تطفو ونهارا على سطح الماء وتغوص بالليل ، وقد يكون لاطلع أجنحة أو أهداب يسبح بها أو يطير في الهواء (الآية التاسعة) شجر المسافرين في (مداغشكر) للواحدة (٢٤) ورقة وتحت كل ورقة ما يشبه (القارورة) فيشقها المسافر ويشرب ماءها وأيضا شجرة اللبن يستخرج منها ما يشبه القشدة وفيها كثير من شمع كشمع العسل وتتمو في (فنزويلا) حيث يقل المطر وهو كالقشدة المحلاة وقد يتجمد كالجبين ، ومن النبات ما يستخرج منه ما يشبه سنن الفيل

بيان أن هذا هو المقصود من آية - أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها - الخ
 ١٢ الزهر إما ذو مسكن وإما ذو مسكين وإما كثير المساكن والنبات (٢٤) رتبة أحادي أعضاء التذكير ثنائيا ثلاثيا إلى عشاريها وهكذا . إذن الزهرة أشبه بحروف الهجاء فقد تنوعت باختلاف أعضائها على مقتضى تنوع النبات البالغ (٣٣٠) ألف نبات فهي ككفم الانسان جمع (٢٨) حرفا أو أقل أو أكثر فعبرت عن كل الموجودات

﴿ القسم الثاني ﴾ مكتوب شكلا من قوله تعالى - واذا نادى ربك موسى - إلى - وان ربك هو العزيز الرحيم - . التفسير اللفظي لهذا القسم
 ١٦ نبينا ﷺ يقول في القرآن بطريق الوحي يا أيها الناس اعبدوا ربكم الخ يلفت العقول إلى المجائب الكونية وموسى عليه السلام يذكر لفرعون خلق السموات والأرض وخلق الآباء الأولين الخ ولما لم يفهموا عجائب السكون رجع كلاهما إلى المعجزات ، فالنبي ﷺ رجع إلى البلاغة فقال الله - وان كنتم في ريب - الخ وموسى هرع إلى إبطال السحر بالعصا الخ

١٧ تفسير قوله تعالى - قال للملا حوله - إلى قوله - وان ربك هو العزيز الرحيم -
 ١٩ جوهرة في قصص القرآن من كلام الامام الشافعي وأن التمسكين درجة الأنبياء بعد المحنة ولا بد لها من الصبر . وبيان أن العالم إنما هو من يمكن في علم واحد ثم يتعرض لسائر العلوم * وجاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ وصاحبيه ذهبوا إلى أبي الهيثم فأطعمهم لحم الشاة وخبز الشعير وشربوا ماء فقال ﷺ - لتسألني يومئذ عن النعيم - وأن حال الصحابة في الفقر خير من حالهم إذا سترت بيوتهم كالسكبة وغدوا في حلة وراحوا في أخرى . وبيان أن لغز قابس وكتاب الكوخ الهندي ينحوان هذا النحو
 ٢٠ أقوال علماء العصر الحاضر في التاريخ ، وبيان أن التاريخ وإن كان في ظاهره لا يأتي بدرهم ولا دينار لاهو ولا علم الشعر والأدب ، هو في الحقيقة متى كان منتظما يثير القوى من مكانها ويدفع الشعوب للرقى بمقاييسه الحاضر بالغائب ، فقارى التاريخ كالمطائر في أعلى طبقات الجو ومقارنة الزمان الحاضر بالماضي يفيدنا رقى واعتبارا . وقال فون سيبل ^١ إن من يعرف من أين لا بد أن يعرف (الى أين) والسياسي الذي يجهل الماضي يتجهج الخطط التي يجهل نتائجها ^٢ وتبدأ جندي بنفي (أميراطور ألمانيا) إذا خسر الحرب قياسا على نفي نابليون والفضل في ذلك للتاريخ ومعرفة التاريخ تعين الأفراد على معالجة شؤونهم ومن يدرس من النتائج الخيبة آمال غيره فهو جاهل بالتاريخ ، فالأحوال مختلفة ودراسة التاريخ تبعث فينا الهمم لأداء الواجب . إن سيرة (الاسبارنيين) في مضيق (ثرمبولي) تهيج الشجاعة لحفظ الأوطان وتفوق الرومانيين على يدي هنيبال يلهب الحماسة فينا . التاريخ فلسفة تعلم بضرب الأمثال فهو علم جليل
 ٢٢ ﴿ السحر عند الفراعنة ﴾ لقد كان للسحر عندهم منزلة وهالك قصة منقولة عن الورق البردى عن الأسرة التاسعة عشرة وهي أن فتاة أحد الملوك طلب أبوها من رمسيس الثاني أن يرسل له المعبود (خونسو) فأرسله وأخرج العفريت من الفتاة وشرط العفريت أن يصنعوا له مهرجانا لوداعه فأجابه ثم رجع المعبود إلى مصر بحيلة ، وعندهم عزائم يتلوها الأطباء للشفاء من المرض وهناك عزيمة تتلى إذا كان الدواء من الباطن يقال ﴿ هلمى أيتها الأدوية واطردى الأوجاع من قلبي ومن أعضائى الخ ﴾ وهناك عزائم لا بعدد الهوام والبعوض والقبول ويمثلون شخصا على هيئة العدو ويقتلونه ويتلون العزيمة فيحصل العدو ما حصل للصورة في زعمهم

٢٣ ثلاث محادثات بين الملك (خوفو) وباني الهرم وبين أولاده الثلاثة إذ قال ابنه الأول إن أكبر علماء السحر

في زمن الملك نيقا عشقت زوجته رجلاً وأهنت هذا رجلاً بها في بستان زوجها فلما علم الساحر بذلك صنع صورة تمساح من الشمع وسحقه فألقى الملك على الزاني بوجبة الساحر صورة التمساح الشبيهة حين أتى ليفتسل فالتقم التمساح الزاني ونقض به في ماء البركة ثم طلب الملك من الكاهن أن يبين طريقة فأتاه على هذا الرجل فغضب فأخبره الخبر فأمره بأرجاع الزاني في بطن التمساح وأحرق المرأة وقضى الملك الثاني خبير الفلاح المصري الساحر الذي عاش (١١٠) سنة ورأى الإنسان بعد فلاحه فهو ينجي الموتى ويخضع له الأسد ويعرف حساب (أبت) وأبجد من اليهود (توت) فأرسل لأحضاره فطهروا رأس أميرة وفرق بينها وبين الجثة وبالعزيزية رجعت الرأس الفم الجسد وصاحت الازفة ثم قسست أبنائها الثلاثة التي (سفرهم) إذ ركب في سفينة البركة ينجي بها (٢٠) فتأذى بها فأتى من خبير النجاة من الخليل والذهب وهن مهران بعناية الجبال والخلي والخلل والكل صنف قائمة فوقه فقص (سحر الذهب) من ذك طاحني الثابتين فقرأ الساحر العزيمة فانفاق الماء وظهور الحجر ورجع إليها ثم رجع الماء لحالته

٢٦ تقدس كتب السحر وأكابر السحرة عند قدماء المصريين . وبيان أن الفراعنة كانوا يجلبون السحرة وهم يفسرون لهم الأحلام ولا ينبغي الساحر إلا بعد المران الطويل وحسن السيرة ومقاومة الشهوات والتسك بالطهارة والعفاف وترك أكل اللحم والسمك والاعتكاف في الخلوة واذن كانوا يأتون بالأمور الخارقة للعادة ويخبرون ببعض الغيبات هكذا جاء في (أدب الدنيا والدين) عند قدماء المصريين

٢٧ جمال العلم وبرهجة الحكمة في كتابين اطالع عليهما المؤلف ، فأولهما كتاب (السحر الخلال) وفيه فوائد (١) مثل جعل رأس عجل مطبوخ يبيع على المائدة كأنه حي بواسطة النفخعة إذ توضع في الرأس المطبوخة (٢) ومثل عمل برق في حجرة بالعرق مع الكافور (٣) ومثل أحداث قوس قزح بنفخ الماء (٤) ومثل جعل الورق غير قابل للاحتراق بنفسه بماء الشب (٥) ومثل تسكييف شراب حتى يضيء في الظلام وذلك بإدخال الفوسفور في القينية (٦) وحفظ الزهر حتى يظهر في غير أوانه (٧) وغليان حامض النريك بدون نار (٨) وتغيير لون الماء (٩) وتغيير هيئة جماعة في مكان (١٠) وتغيير لون طائر أو تزيين زهرة (١١) وجعل صينية القهوة تدور من نفسها ظاهراً على الجلاس (١٢) وكيفية وضع شيء في البين وإخراجه من الفم كما يفعل المشعوذون (١٣) وتحويل نصيل سكين من الفولاذ إلى نحاس أصفر (١٤) وكيف يكون الفولاذ كأنه سائل (١٥) كيفية اصطناع الجليد من الماء في فصل الصيف (١٦) سر خاص في عدد ٣٧ فانه يضرب في ٣ و ٦ و ٩ الخ فيخرج حاصل الضرب هكذا ١١١ و ٢٢٢ و ٣٣٣ وهكذا (١٧) طريقة للكتابة بحبر يظهر ويختفي (١٨) طريقة لأجل الكتابة بالاحبر (١٩) كيفية منديل يدل على المطر أو منديل غير قابل للاحتراق ، وكيفية مسك النار ، وكيف تطير البيضة ، وبيان عمل الحبر السري ، والحبر الذي ينظر ليل فقط ، وكيف ينزع الحبر من الثياب ، وكيف يكون إهلاك البراغيش والصراصير وطرد النمل ، وكيف يكون ضوء الفوسفور . هذا هو ملخص كتاب (السحر الخلال)

٣٢ والكتاب الثاني هو (المختار في كشف الأسرار) وفيه كشف أسرار من ادعى النبوة مثل اسحق الأخرس الذي قام بأصفهان أيام السفاح وملك البصرة وعمان ثم قتل وهذا كان ذكياً وتعلم العلوم ثم ادعى الخرس ونزل بأصفهان الخ

٣٣ ومثل (سنان) وهو من الاسماعيلية وقد حكم بمسياط وتحيل على الناس بأن تظهر بأنه قتل رجلاً ثم أحضر الناس في مجلسه وأظهر رأس هذا الرجل وهو لا يزال حياً وحوها دم وهو محجوب في الأرض جميعه إلا رقبته فاستنطقه فأخذ يقول أنت المقرب لله الخ ثم لما قام الناس قتله لئلا يفشى سره فهذه وأمثالها

جعلت القوم طائفتين له بحيث يتصور أن يتصرا من فوق الجبل على رؤس الأستة متى أمرهم لأنه يدخلهم الجنة متى أمرهم . ومثل (فارس بن يحيى) الذي ظهر في مصر بناحية (قنيس) وادعى أنه كيميائي عليه السلام يرى الأرض والأجسام والأشياء وكان يلطخ قدمه بسبب القناء مع ما خرج من الأدمى مع دهن الياسمين الخ ويعشى في الماء فيأتي السمك إليه

٣٥ الكاذم عن الشيوخ السكاكين الذين ليسوا من أمثال الجنيد وهو في الدرجة الأولى ولا من أمثال الشيخ أبي العباس وهو في الدرجة الثانية من انتخاب الأسماء بل هم من الدرجة الثالثة المنمومة مثل أولئك الشيوخ الذين ينزلون في التنوير وهو متقد نارا فيضيب الواحد منهم ساعة ثم يخرج منه ومعه طاجن سمك مقلو أو دجاج محشو أو خروف مشوي الخ وذلك بأن يكون فيه صاج في داخل متسع من الطائط الخ فيدهش القوم ، والشيوخ الذين يدخلون النار وقد أدهنوا بدهن الضفدع مع البارود الثلجي فلا يحسون بالنار ، أو الشيوخ الذين يأخذون الابريق الفارغ فيملأونه ماء بحيث يفورون الماء فيه سرا من مصران غم مدبوغ مخبأ تحت القميص من السم إلى السم ، أو الذين يوقدون الأصابع العشرة فتكون كالشمع وذلك بدهنها بدهن نزول التنوير ثم بالتفطيم يشعلونها ، أو الذين يحضرون لسكر جالس ما يطلبه من الطعام إذ يدخل أحدهم الخلة ويدعوا الله فيحضر ذلك وما أحضره إلا الحسام الذي يرسله ومعه البطاقة ترسل للمجوز في المنزل ، أو الذين كراماتهم أكل الحيات أو الثار ، أو الذين يغمسون المنديل في الخردل فإذا وقف على المنبر ووعظ مسح وجهه بالمنديل فتهطل الدموع ، ويمكننا الرهبان يأكلون أسوال النصارى بقناديل في الكنيسة بيت المقدس وقد عرف ذلك ابن ذلك العادل يوم سبت النور

٣٦ عمل أهل الكيمياء وبيان حيلة الرجل النجفي على السلطان نور الدين بن زنكي إذ جعل النجفي ألف دينار في بنادق ووضعها في مخلاة وباعها من عطار بدمراهم موهودة ثم تظاهر بالعلم والصلاح حتى عرفه الملك وقد اشتهر الرجل بأنه يستخرج الذهب لأجل عمارية النصارى بأرض الملك فأحضره الملك وخلا به وظهر له الذهب في البنادق المتقدمة على النار فصدق وأرسله ليحضر مثلها بزمج من بلاد الخجم وأعطاه مالا جزيلا فأخذه ولم يرجع

٣٧ بيان السبب في ذكر ما هو كالحجرات هنا وذلك في خمسة أسباب ١ وذكر خواص النفس الانسانية في قوة الارادة ، وذكر خوارق العادات على يد الصوفية وعلى يد أهل الطائعات الذين قابلهم ابن خلدون إذ يهجمون الفهم والدين يأكلون الشاة بغير ذبح ، وبيان أن هذه الآية نزلت لتعلم الناس أن القائمين بالحق لا يغلبهم غالب ، وبيان أن التخيل تأثيرا عظيما وهذه لها اتصال بنظرية (اينشتين) التي أعلنها سنة ١٩١٥ وهي أن هذا الكون كله لا جسم فيه البتة ولا شمس ولا أرض وإنما هناك حركات في الأثير ظهرت آثارها في حواسنا الخمس ، إنما أجسام اختلاف آثارها باختلاف تلك الحركات لا غير ، وما العوالم إلا الطول والعرض والعمق والزمان لا غير . خطاب للأئمة الإسلامية لبيان أن هذه هي التي اتخذها المسلمون سلما لاستعباد المسلمين فأبقوهم جاهلين . ذكر (سديو الفرنسي) أن آخر رؤساء السكرمانية كان يتصرف تصرفا مطلقا في أتباعه ثم تبعه في ذلك حسن بن الصباح وأتباع هذا لا يزالون في الهند إلى الآن ، وقد ظهر في القرن الحادي عشر الميلادي وملك عدة قلاع واستوطن قلعة الموت قرب قزوين وأمر قومه بشرب الخشيش فهم الخشاشون ، ومعلوم أن أغا يمنون بالهند في زماننا من أتباعه . فرقة الراوندية عبدو المنصور فخار بهم لذلك وحاربوه ، فعلى المسلمين قراءة التاريخ

في القسم الثالث والرابع من قوله - واتل عليهم نبأ إبراهيم - إلى قوله - وإن ربك هو العزيز الرحيم -

التفسير اللفظي

- ٤٥ جوهرة في قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - أصل الطب لا يهدو ﴿١٣﴾ ثلاثة أحوال في التجربة الإلهام المصادقة والاتفاق ، وحكاية المرأة التي احتبس حيضها فأكت الراس فشفيت ، وحكاية الرجل الذي وضع الكبد على ورق نبات فسالت فأرشد الناس إليها فقتله الملك لينزع الضرر بزف الدم بيان النبات الذي يشمه الناس فيكون الرعاف ﴿١٤﴾ الحال الثانية ﴿١٥﴾ الإلهام بالرؤيا الصادقة
- ٤٦ رؤيا جالينوس إذ أمر بفصد العرق الضارب ففصده فشفي وهكذا الرجل الذي انتفخ لسانه فأمر في الرؤيا أن يسلك عصارة الخس في فمه فبرأ ، ورؤيا الرجل الذي كان في مثاقيد حجر عظيم فأمر في المنام بتعاطي رماد طائر ففعل ذلك فخرج الجرم فتأ ، وبعض خلفاء المغرب رأى النبي ﷺ يأمره بالأكل والادهان بزيت الزيتون ففعل فشفي ومنه رؤيا عبد الملك بن زهر إذ أمر أن يكتحل بشراب الورد ففعل فشفيت عينه
- ٤٧ ﴿الحال الثالثة﴾ الاتفاق والمصادقة وأن ذلك أفاد أن كل سم لحيوان يمنع ضرره نفس له ، وأيضا هذا الأحكام يشفي كل مرض من مرض كالحم الحيات إذ تشفى البرص والجذام . وهناك ﴿حال رابعة﴾ مثل مسألة الخفاف إذا أصيب فراخه باليرقان يحضر حجرا أبيض في عشه فيأخذه الناس لليرقان ، وهكذا العقاب يحضر حجرا يهرف بالقلقل لأنثاء يسهل على أنثاء بيضها ، ونبات الرازي ينج تمره الحيات على عيونها إذا أظلمت بسبب اختفائها في الشتاء فانتفع الناس بذلك والطائر (ايسس) علم الناس الحقن
- ٤٨ البازي يتداوى بأكل كبد طائر معلوم ، والسنانير تأكل الحشيش فإذا أمرضها أكلت الخوص فشفيت بالثقيو ، وإذا نالها أذى بالسموم عمدت الى السيرج ، والدفلى تضرر بالبهايم فتدعى حشيشة أخرى فتشفي . والمعزى البرية رميت بالنبل فأكلت نباتا خاصا ففساقت الرماح عنها والقلق يأتي بحشيشة خاصة في عشه يشمها أعداؤه فتعمى . وليت القنافذ منافذ يستدها إذا هبت الرياح . والحباري قاتلت الأفعى وكلما نهزمت تناولت من نبات خاص فتشفي فلما قلع النبات مات الحباري . ابن عرس يستنير في قتال الحية بأكل السذاب . والسنبل تأكله الكلاب إذا دودت بطونها . والصقر يداوى جرح اللقلق
- ٤٩ مخطوطات هيروغليفيّة منقولة عن البردي تاريخها ١٥٥٠ (ق.م) وهي بذور خاصة تنبت في الوجه القبلي تدعى التهاب القرنية مع عقاقير أخرى فيها (شكل ٦) الصورة الفوتوغرافية وترجمتها بالعربية وعندهم ﴿قسمان﴾ أطباء وصيادلة مثل ما في وقتنا الحاضر
- ٥٠ آية - الذي خلقني فهو يهدين - فيها ستة أحوال الخلق الهداية الخ
- ٥١ الهداية على ﴿قسمين﴾ فطرية كالعطش وتعليمية بتدري في الحيوان كالغراب يعلم صفاره الطيران خارج عشه وكالإنسان يعلم الصناعات الخ
- ٥٢ الهداية التعليمية في الطب ﴿نوعان﴾ حفظ الصحة ومداواة المرض . حفظ الصحة (نوعان) نوع يختص بالطعام والشراب والهواء . ونوع متم له كالنظافة واستعمال الصابون النقي وهذه (١٢) نوعا مثل غسل الأنف وتنظيف الأذن والعين الخ
- ٥٣ السواك ومعجائب النبوة وأن النبي ﷺ أمر بالسواك عند كل وضوء وبيان إيضاحه في كتب الفقه
- ٥٤ بيان مصداق النبوة في العلم الحديث وأن الرمد ومرض الجهاز الهضمي والفم والحنجرة والمعدة وسرطان الفم واللسان ونوازل المعدة المزمنة وتقيح الأعور والتهابات المعلقة الدودية والانيما الخبيثة ومرض القلب والروماتزم والحمول وارتفاع درجة الحرارة والضعف وبعض الأمراض العقلية والتدرن الرئوي (السل) كل هذه تحصل بسبب مرض الأسنان أو عدم نظافتها والسواك يمنع ذلك إذن هذه معجزة لنبينا ﷺ

٥٥ الكلام على التعليم الذى يختص بعرفته الأطباء وفيه **﴿مسألتان﴾** الأولى **﴿ان الانسان أعداء في داخل جسمه ويصطدم هناك (فريقان) جنود مهتدة لحياى وهى السكرات البيضاء والحراء ، وجنود تدخل عليها ويصطدم الفريقان أمد الحياة كلها لأجلى﴾** المسألة الثانية **﴿ان قدماء المصريين حرّموا لحم الخنزير ، وظهر اليوم بالتصوير أن الدودة الوحيدة فيه**

٥٦ **﴿الوقاية أفضل من العلاج﴾** المكروبات تصل من المريض إلى السليم بالهواء والماء والحشرات والطعام وبالملاسة وجميع المرض بالمكروبات ولكل مرض نوع من المكروبات وهى تسكن في المواضع المزدحمة والبرك والمنخفضة وتقل في الأمكنة المرتفعة الخ ويكون في التراب والأقذار والماء الراكد وعلى جلد الانسان وفيه . الجسم مركب من أعضاء كل منها له نوع استقلال يعمل للمجموع ، فيجب غسل اليدين قبل الأكل وغسل الوجه والفم وبهذا تدفع الأخطار وتساعد جنودك الحراء والبيضاء فتغلب العدو . كل هذا بغسل يديك وفك قبل الطعام وبعده . إن ٧٠ في المائة من الفلاحين بمصر مصابون بداء الرهقان والسبب ديدان تدخل الجسم من الفم مع الماء أو الطعام

٥٨ حكاية الرجل المصرى الذى دخل المسافر في رجله وانزعه وثابر على عمله فامضى ١٥ يوما حتى أحس ببس في فككه وعنقه ثم سائر جسده ثم مات وكل ذلك لأنه استصغر الأمر جهلا

٥٩ تحريم لحم الخنزير . أسطورة الخنزير الاسود . ذلك أن (حورس) و (ست) خصمان بينهما والحرب سجال فاحتمل (ست) بأن جعل نفسه بهيئة خنزير أسود ونفخ على (حورس) نارا أصابته في عينه فلذلك لعن (رع) الخنزير وقال **﴿ليكن الخنزير نجسا ومكروها لحورس﴾** وهذا موافق للطب الحديث (فانظر شكل ٧) وفيه عضلات من لحم الخنزير محتوية على أكياس الدودة الوحيدة (وشكل ٩) وفيه ديدان لحم الخنزير ٦٠ بيان اشراق النور الإلهي في هذا التفسير إذ قابلني بعد ما كتبت هذا صديق وأخبرني بأن علماء ألمانيا يقولون إن قوله **﴿فر من المجذوم فرارك من الأسد﴾** جعلهم يبحثون فوجدوا أن النرات التى في جسم المجذوم مخلوقة على هيئة الأسد

٦١ اعتراف المؤلف بنعمة الله واغترافه منها وشكره وبيان أن هذا الزمان هو زمان ظهور الحقائق الاسلامية الكلام على مداواة المرض وهو القسم الثانى من تفسير قوله تعالى : واذا مرضت فهو يشفين -

٦٢ **﴿العلاج بالهواء﴾** الهواء النقي كما أنه يحفظ الصحة تعالج به المرضى فالمصاب بالنقرس يعالج بالبخر الساخن فيعرق وتلين أعصابه وهو (الاستحمام التركى) ومن يشكو حصى شديدة فليجرد من ملابسه ويلقى في الهواء الطلق تنزل الحرارة حالا ويشعر براحة ومتى أحس بالبرد يلف في ثوب فيعرق حالا

﴿العلاج بالماء﴾ البخار يستعمل في الحيات والصداع الشديد ، والروماتيزم اذا تبعه الاستحمام بالماء البارد ويستعمل في السمامل والقروح ويفيد في التعب الشديد وفي منع الأرق والماء الدافئ يقوم مقام البخار في جميع ذلك ، ووجع البطن تستعمل فيه القينينة المملوءة ماء دافئا لتسدى البطن وشربه يقى ويمنع الامساك اذا شرب وقت النوم الخ

٦٣ (جوردن سبرنج) نسب صحته لشرب كوب من الماء الساخن يوميا قبل النوم . كيفية الاستحمام البخارى الماء البارد يقوم مقام الماء الساخن . التلف بالشوب المبالى بالماء البارد نافع في الحمى والجسرى والأمراض الجلدية والجنون والدوار يشفيان بشوب مبالى في ثلج يلف على الرأس واذا لفت على البطن يمنع الامساك ويمنع ذلك كثرة الأحلام ونزف الدم من أى عضو بمنه ذلك وكذا الرعاف بصب الماء البارد على الرأس وأمراض الأنف والزكام والصداع تعالج باستنشاق الماء البارد بهيئة خاصة والحقنة نافعة جدا للروماتيزم

وسوء الهضم والأوجاع في الاحشاء واحداث سوسة الطعام والبراز والاسهال بالبلغم والحمى والتهامها عند التكرار . يقول الدكتور (هويس) الألف في (إن المانع الذي ينشأ في جميع الأمراض) ويقول الدكتور (كيوهن) في معنى داوينا البطن ذهبت عنا أمراض كثيرة كالروماتيزم والنور والذروب والحمى فهو وحده سببها ويؤثر مرضه بفساد من الأعضاء ، سقاء البارد وهذا يؤثر في البواسير المزمنة وكثرة البساق والضعف والذرف السهوي والسرطان . والحامل باستعمال هذا الاستمعة تم تسهوا ولادتها) وهناك نوع آخر من الاستمعة وهو طريقة (ريت . شيت . باك) وكل هذا أغذية خاصة وشروط

٦٥ (العلاج بالتراب) ينفع في جميع الأمراض وللمسك الثعبان والذوسنطاريا وورع الماء - والعين ويغني عن الشرب والأدوية مثل ملح الفواكه

٦٦ بيان شروط التراب الذي يستعمل لبخنة وكيفية العمل . العلاج الحمى يبرقع المريض يوماً يومين ويستحم كل يوم مرتين على الأقل بطريقة (كيوهن) المتقدمة وتجعل لبخنة الطين على بطنه وبعطي عصير الليمون مزوجاً بماء بارد أرحار ولاسكرمه ثم يعطي نصف موزة مع زيت الزيتون . استعمال الثابت أيام الحمى قليل الثمرة

٦٧ الامساك والذوسنطاريا والمغص والبواسير تعالج كلها بعلاج واحد لاتحاد أدائها لأنها كلها بسبب أن المعدة انضغطت بفناء غير مهضوم . إن جميع الأدوية المشهورة مضرة جداً بالناس فليجوع المريض (٣٧) ساعة ثم توضع اللبخة الطينية على البطن أثناء النوم . يستعمل بالنهار مرتين على طريقة (كيوهن) ويمشي المريض ساعتين كل يوم والمصاب بالمغص لا يأكل شيئاً غير عصير الليمون في ماء حار . إن الثمار كالبرقوق والزبيب الخ نافعة في الامساك الخ

٦٨ (فوائد صحية من كتاب ويلكوكس) حسن المضغ يمنع البواسير الخ وهي (١١) فائدة ومن أعجبها أن عصير البرتقال إذا شرب يومياً يمنع الجرب وأن أكل الفواكه بقشرها متى أمكن أفضل

٦٩ جدول لأدوية طبيعية مثل أن أكل البقدونس ينفع السكاكية ، ومثل أن أكل البرتقال والليمون يورث الشجاعة . لطيفة في إزالة سوء الهضم الخ وبيان أن هذا الكتاب وإن لم يكن كتاب طب قد جاء فيه ما هو أعجب إذ يدهش الأذكاء إذ يرون الخس ينفع أعصابنا وأن البرتقال يمنع عنا الخوف وأن الجير الذي في السكرن يشفي الجروح والمفوسيوم الذي يمنع الفتق يكون في السبانخ والخس والخيار الخ فهذه عجائب الحكمة الإلهية وشفاء الأجسام الإنسانية . إذن هي تليق للتفسير

٧٠ بيان أن أكل التفاح والجزر ينفع لقوة التفكير . الليمون أعظم الثمار كلها وله فوائد كثيرة . وههنا ذكر تعجب المؤلف من هذه الدنيا وما مناسبة هذه النباتات إلى أعضائنا الداخلة والخارجة ، ولعمري أي مناسبة بين عصير البرتقال وبين الجرب . إن هذه العلوم المذكورة في هذا التفسير تجعل في العاقل رغبة أن يدرس هذا الوجود وأن ينظر لما هو أعلى منه ، وبيان أن الاسميانيين لما رأوا أهل أمريكا يشمون الدخان منهوهم أولاً ثم سموه هم ثم ملأ الدنيا كلها . إذن الناس أشبه بجسم واحد وكل أمة عضو منه

٧٢ محاورات طيماوس الحكيم مع سقراط يقول في العالم حادث . هو نسخة لما هو أجل منه . صنعه الله لأنه جواد . المادة كانت مضطربة فنظمها . العالم أشبه بحيوان . وفي العالم عقل عام ونفس ومادة . هناك كان الزمان الماضي والحال والمستقبل . الكواكب منظمة بهقول تدبرها . أرواح الناس مشاكسة لتلك العقول . الكواكب ومدبراتها حدثت بعد العدم . جمع الله أرواح الأولين والآخرين وبين لها نظام

العالم وأن لها هي شهوات فمن اتبعها رجع بعد الموت الى أسوأ حال ومن نبذها رجع الى حال أرقى في مقعد صدق . خلق البصر لعرف الليل والنهار وتوجه للحكمة . العناصر بحسب أيامهم أربعة . المادة مثلثات مركبات في الأجسام بهيئة هندسية وبها كان الخشن واللين والحر والبارد وهناك تحصل اللذة والألم ونحوهما باختلاف تلك الأشكال وقال إن الجسم الانساني صنعه الملائكة بأمر الله ووضعوا النفس الأزلية مع المائة . النفس الغضبية في أعلى الصدر والشهوانية في أسفل البطن وبين منافع أجزاء البدن كلها

٧٣ بيان ان الأمراض النفسية تكون بإفراط اللذة والألم المؤثر في الفكر ، أو بإفراط المرارة ونحوها فيكون سوء الخلق والتهور الخ والشر عند غير اختياري إما بفساد المزاج وأما بسوء التأديب فالشرير كالمريض يستحق الشفاق عليه وحفظ النفس والبدن يكون بالمعادلة بينهما فالنفس القوية في بدن ضعيف تمرضه والبدن اذا كان أقوى من النفس يجعلها بليدة فيجب رياضة الجسم بالحركات البدنية ورياضة النفس بالموسيقى وبإعطاء النفس العقلية والغضبية والشهوية ما يناسبها . يقول المؤلف إن هذه تذكرة ماجربته في حياتي من الأعمال الطبية لما مرضت في شباني منعت شراب الماء على الطعام وعقبه وقللت الطعام ولما بلغت الستين تركت اللحم وكان يجب أن أتركه مدة الحياة فنقص مرض الروماتيزم ولكن بقيت بقية قليلة لأنني كنت آكل الخضار مطبوخا باللحم . ولما قرأت كتاب غاندي أكلت الخبز من غير أن ينخل مع زيت الزيتون والفواكه مثل التمر والتفاح والليمون وربما أكلت الطماطم من غير طبخ . بهذا زال الروماتيزم ، أنام ليلاً والشبابيك مفتحة وتجرتني مضت لها بضعة شهور وقد نجحت فأعلنتها للناس

٧٥ بيان جهل هذا الانسان وكيف يشرب الناس القهوة والشاي ويتعاطون الدخان والطب منع ذلك كله . وبيان أن قرينة المؤلف سارعت الى عمل الخبز المذكور لما عانت به فساعدت المؤلف ، وتذكرة ما قاله ابن خلدون أن الصحابة ما نخلوا الدقيق ترهدا فظهر انه نافع في الصحة أيضا ، وقصة عمر مع الربيع بن زياد في زهده هي عين الطب الحديث . وبيان معنى قول سقراط من طلب اللذة هرب منه ، ويحمد المؤلف الله إذ كان يتعاطى زيت الخروع عند ارتباك المعدة ويحصل له ضعف ولما ارتبكت المعدة حديثا امتنع عن الطعام يومين ولم يذق إلا عصير البرتقال فشفي . ذكر الاستشفاء بنور الشمس وأن الزارع الفقير لجهله بنعمة ربه لا يحمد الله على انه أرغمه على الوقوف في الشمس طول النهار وعلى الحركة وكلاهما لصحته وهو لا يعلم ويظن صاحب الأرض انه ببقائه في منزله طول النهار سعيد مع انه شقي لحرماته من الرياضة البدنية والشمس والهواء النقي . كل هذا جهل الانسان . إذن كثرة الفقراء نعمة والأغنياء الجهلاء فداء لهم معرضون للأمراض . كل هذا في حال جهل الأمم فلما ظهر العلم أخذوا يستشفون بنور الشمس ضحى (انظر شكل ١٠) في صفحة (٧٧)

٧٨ عاملني الله أثناء تأليف هذا التفسير كما يعامل الزارع الجاهل سلط على رجلا يناوئني في المزرعة في أمور تافهة فكان سببا في توجهي الى الخلاء في الهواء النقي وحرارة الشمس فعلمت أن ذلك لا كمال الرياضة البدنية التي أقوم بها إذ كنت أمشي كل يوم نحو (٦) كيلومترات . ولقد فعل الله مع الأمم ما فعله مع الأفراد إذ كان الغرب والشرق جميعا في خمول نخرج من عمان أساطيل اسلامية لفتح الهندستان ومن جزيرة البحرين أساطيل أخرى ففتحوا ما بقي من بلاد العجم ثم سلكوا السند الخ كل ذلك لإزالة العزائم وانعاش الانسانية كما ينتعش الفلاح بالهواء والشمس والعمل في الحقل . الاحساس بالجوع أفاد الفلاح طعاما ورياضة وهواء نقياً ، واحساس المسامين اليوم باحتلال الفرنجة يفيدهم تعلم العلوم وتعلم

الصناعات والتعاون العام ، فهذه دوائد ثلاثة تحصل بإدلال الفرجة كالثلث التي يجزيها العلاج بسبب
ألم الجوع

٨٠ فكرك في خلق هذا الانسان . إن الله هو المولود . لولا ألم الانسان والحيوان لم يعبدنا وهذا من معنى
التسبيح في الركوع والسجود ، فالمسبح الحقيقي هو الذي يدرك سر هذا الوجود والألم المدكور داخلي
كالعطش الخ وخارجي كالحر الخ إذن هنا هيكل يحفظه ألم داخلي وألم خارجي

٨١ اللذة تلازم الألم بل الذي فقد ألم الجوع ناقص وما ألم المرض إلا إحساس يطلب كمال الجسم بإدخال الدواء
فيه . إذن التسبيح يفيد هذه المعاني

٨٢ إيضاح الكلام على اللذات ، وبيان أن الخير والشر مقرونان في قرن

٨٣ الإبداع في هذا الوجود وأن هذا الوجود كما أنه (غذاء ودواء وفاكهة وشراب) هو لوح يدرس الناس
وأن أهل الشرق وأهل الغرب متعاونون وإن لم يعلموا

٨٤ اعتراض على المؤلف بأنه لا مسبح إلا من يعرف هذه المعاني وجوابه بأن التسبيح اللفظي له أثر في النفس كما
يؤثر التويم المغنطيسي

٨٥ القسم الخامس - كذبت عاد المرسلين - إلى - وإن ربك هو العزيز الرحيم - كتب مشكلا
والتفسير اللفظي

٨٦ القسم السادس - كذبت قوم لوط - إلى - وإن ربك هو العزيز الرحيم - وتفسيره اللفظي

٨٧ لطيفة في قصة قوم لوط عليه السلام

٨٨ قصة سدوم وعمورة وأحدث الآراء في ذلك وبيان ما قاله الدكتور (أولبراط) أن القصة الواردة في الكتب
المنزلة ليست خرافة ولا رمزية وقد حصلت حوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد إذ جاء إبراهيم ولوط إلى
تلك البلاد قبل اليوم بأربعة آلاف سنة وكانت هناك حضارة وهذه المدن الخس ظهرت آثار تدل على
أنها كانت موجودة بجوار بحيرة لوط المسماة أيضا بالبحر الميت والبحيرة المنتنة الخ

٩٢ التفسير اللفظي لقوله تعالى - كذب أصحاب الأيكة المرسلين - الخ

القسم السابع - وأنه لتنزىل رب العالمين - قد كتب مشكلا إلى آخر السورة ثم تفسيره اللفظي
٩٤ جوهرة في قوله تعالى - وما أهلكنا من قرية إلا الهام منذرون - الخ وبيان أن ما أكتبه الآن للمسلمين
سيرفع من همهم كما رفع الكتاب بأوروبا همهم ففويت كما اتفق لعالم نصيح الشبان بإيراد تاريخ
الرومان إذ تبرجت النساء تبرجا أدى إلى فساد الأخلاق فذهبت الدولة فانهط بذلك الشبان

٩٥ الكلام على انحطاط ديانة قدماء المصريين . كانوا يقولون « إن خالق السكون لا يصح النطق باسمه إعظاما
له بل لا يعرف اسمه » ثم عرفوا صفاته وقد جعلوا عبادة الكواكب والمخلوقات الأرضية رمزا لعبادة الله
ثم انحطت مصر من سنة ١٦٠٠ (ق م) إلى سنة ٣٤٠ (ق م) بسبب الثورات التي قامت فيها واستمرت
إلى العصر الروماني والحيوانات التي كانت رمزا لله عند القدماء جعلوها فوق الهياكل بل عبدوا الطير
والسمك والتمساح والحية ولما أكل أهل مديرية سمكا تعبده مديرية أخرى عاقبوهم بأكل كلب وهو
معبودهم ، وبيان نبوءة الفيلسوف (هرمس) والنبي (ابوور) وقول الثاني « إن مصر ستقع في الهلاك »
هذا ما كان من أمر خراب مصر وأخبار أنبيائها به تفسير لقوله تعالى - وما أهلكنا من قرية إلا الهام
منذرون * ذكرى -

٩٧ الفصل الثالث - فيما حل بالأندلس من احتجاب الخلفاء وشيوع الترف الخ وبيان أن الأندلس صارت

(٣٠) دولة بعد ذهاب دولة بني عامر وصار هؤلاء يحارب بعضهم بعضا ويحاربون البر تغال والأسبان ويستأجر الابن على أبيه والأخ على أخيه، يملوك النصرانية وكان أولئك الأمراء يستظهرون بالسيد قنبلور المسيحي بل استعان به الأمراء بعضهم على بعض في الاسلام وقد توقع العقلاء خراب الأندلس قبل حصوله إذ قال أحد شعراء الأندلس

حسوا حالكم يا أهل أندلس * فما المقام بها إلا من الغلط الخ

وبان أن هذا معجزة لنبينا ﷺ إذ قل « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » ثم أبان ان اتباع اللذات يهلك الأمم

١٠٠ تفسير - وما تنزلات به الشياطين - . الأرواح (قسمان) شريرة وبارّة سواء أكانت في أجسامها كالأدميين أم مجردة ولن يعيش البارّ ولا الفاجر منها في غير ما استعدّ له وروح الشرير المتجسدة لانليها إلا أرواح مثلها وهكذا البارّة . كل ذلك في (كتاب الأرواح) فترى الأنبياء يخبرون بما هو مناسب لللائكة الفخام ، والأشرار يخبرون بالأمور التافهة تبعاً للأرواح المناسبة لهم . تفسير قوله تعالى - وما يستطيعون - الخ

١٠٢ ذكر أربع أسئلة للأرواح والاجابة عليها ببيان ما يجذب الأرواح الصالحة ويبعد الخبيثة ، وأن أهل الأرض لا يكمل عندهم ووجوب ترك الكبر والتجرد من الذات . تفسير قوله تعالى - فلا تدع مع الله - الى قوله - انه هو السميع العليم - . أحاديث البخارى في انذار بنى هاشم . تفسير قوله تعالى - هل أنبئكم - الخ و ٢٩ سؤالاً وجهت الى الأرواح واجابتها عليها مثل هل تجيب الأرواح عن كل سؤال وهل المخبرة الروحية تجعل باباً لله الخ

١٠٧ ايضاح لهذا المقام وتطبيق على الدين الاسلامى . بيان مداخل الأرواح في أعمال الناس في القرآن وفي العلم الحديث

١٠٩ الكلام على الشعراء . التفسير اللفظي لقوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون - الى آخر السورة . الكلام على وزير مصرى كان يتباهى بأنه أمر بشرح ديوان ابن الرومى وعلى شاعر كبير مصرى حادثته فى ذلك . مقالة نقلتها من كتابى « نهضة الامة وحياتها » فى الشعر والتاريخ ، وأن أبا الطيب المتنبي مدح سيف الدولة وذمه ومدح كافورا وذمه . يقول * نجوز عليها المحسنين الخ * ثم يقول * لا تشتر العبد الخ * هذا معنى - والشعراء يتبعهم - الخ ذكر حكم الشعر الممدوح

١١٣ بيان أن المسلمين فى الأندلس بالغوا فى الشعر وتركوا المواهب العقلية والأسبان كانوا بعكسهم فقهرتهم وطردهم من البلاد وكانوا يضيعون الزمن فى محاسن الورد ووصف المطر والمناظرة بينهما . ملخص الحكم المودعة فى القصص الخمسة . كيف يعلم الشعر فى الاسلام . تعليم الشعر

١١٥ تفسير سورة النمل وهى « أربعة أقسام * القسم الأول » من أولها الى - كيف كان عاقبة المفسدين - التفسير اللفظي لهذا القسم . بهجة العلم فى بعض أسرار - طس - و بيان أن الطاء فى أول الطير والسين فى أول سليمان تشيران الى حديث سليمان والطير والنمل ويدخل فى أمر الطير مسألة بلقيس وعرشها وذلك يدعو الى ارتقاء النظام السياسى ، وعلى أن صالحا الطير به قومه فوكل أمره الى الله فنصر وعلى أن لوطا نصر إذ آذاه قومه ثم وصف الله بجمال خلقه الخ

١٢٠ الطيور وسائر الحيوانات معلمات للانسان فى كل زمان ، وإذا كان (سبنسر) يوجب القراءة قبل الكتابة على مقتضى تاريخ الانسانية فى ذلك ، فهكذا يقرأ الناس علم النبات والحيوان قبل علم جسم الانسان

ذكر الله الجراد والضفادع والدم الخ وقال انها آيات مفصلات وهكذا جعل الشمس والقمر آيات فلا بد من دراسة ذلك كله ، هكذا فعلت الأمم . هذه المزعجات موزعات للأفراد ليعملوا ويفكروا وكل أمة أكثر ازعاجها ارتقت كأمة اليابان كثيرة البراكين ، أما مصر فهي في أمن فلذلك تأخر ارتقاؤها عن اليابان قصة بلقيس تذكرة للعرب وتقريب لهم ولأهل اليمن خصوصا لأنهم ورثوا بلادا مدينتها في جاهليتها أرقى من مدينتها في الاسلام

سر من أسرار النبوة قد ظهر في الطاء والسين وأن النمل له شبه بالانسان في حربه وأسراره الخ
١٢٣ أكبر الجماعات في الكائنات الحية جماعات النمل (٥٠٠) مليون وأقل منها أهل الهند وأهل الصين والمملكة الانجليزية . هذه السورة يستفاد منها اقتران سياسة الانسان بسياسة النمل والانسان أرقى من النمل عقلا ولم يزد عنه عملا فيها

١٢٤ ﴿ القسم الثاني ﴾ - ولقد آتينا داود وسليمان علما - الى - وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين - مكتوب مشكلا . التفسير اللفظي لهذا القسم

١٢٧ عجائب النمل . الأروقة والدهاليز والمنعطفات والتعاون بين الجماعات . قياس نظام الأمة على نظام النمل . دقة النمل في عمله وحرصه . موازنة بين شرائع النمل والأمم المتمدينة . حكاية عن النمل الذي جعل له ما يشبه القنطرة في البركة وصعد على الشجر . يقطع النمل حبة القمح نصفين وحبة الكزبرة أربع قطع مساكن النمل لها أعمدة ومهوات وحجر صغيرات ولها بيوت فوق الأرض من أوراق الأشجار الخ
١٢٩ ومنها بيوت ترتفع (١٥) قدما ولها سراديب تحت الأرض . أحواله المعيشية وزراعاته وتربية ماشيته وحربه وأسراره وطرقه الزراعية وبقرة الذي يشرب لبنه وأظاره والبيض والعناية به وانقلاب البيض دودا وغزله حريرا كدودة القز ونسجه ونومه في برزخه أياما وملاحظة الأثمات للأبناء والمساعدة في الخروج من الأربطة وغسل العيون والوجوه وإزالة التراب عنها

١٣٠ حكاية عن نملة قورنت في عملها بانسان
١٣١ الجمهوريات في الحيوانات من كلام الماورد أقبرى إذ ذكر الفيل والقيطس والغربان ونحوها ثم فضل عليها كلها النحل في نظامها ثم جعل النمل أفصل من النحل وذكر ملكاته وأن النملات تستمطر الرجات من الملكة . النملات يعرفن نمل قريتهن وينبذن سواء . السادة لا يأكلون إلا بخدمة العبيد

١٣٣ حرب بين قبيلتين من النمل ، وكيف تصطف الصفوف ، وكيف يرسلون الكشافة ، وكيف يعملون خنادق ومتاريس الخ

١٣٥ مسامرة من كتاب ﴿ علم الدين ﴾ على النمل . النمل وأسراره ولا يكون الأسر إلا ليلا بعد الغزو . النمل بعضه لا يرضى بالرق والأرقاء عليهم جميع الأعمال وهذا يجعل السادة ضعافا فتدور عليهم الدائرة ارتفاع المساكن النملية تبلغ عشرين قدما والشكل هرمي فهي أشبه بكفر من الكفور ولا يمكن كسرها ولو بنى الانسان كما يبنى النمل لارتفعت مساكننا قدر قامتنا (٥٠٠) مرة وقدر هرم الجيزة (٤) مرات أو أكثر . من النمل من له سراديب تحت الأرض فيأكل الخشب في منازل الناس ويسقط البيوت . وكما أتلغ النمل من بلاد عاصرة حتى هاجر أهلها ، وقد فرّ أهل محل من محلات بغداد من النمل وبعض بلاد فرنسا سنة ١٧٨٠ م خرجت بسبب نوعين من النمل

١٣٨ متفرقات عن النمل ، النمل يعرف عدد بيضه ، النمل يفعل مع صغاره ما تفعله الأم الراقية في التغذية والرياضة ، النمل أقوى من الانسان (٣٠٠٠) مرة ، النمل فلاح ، بقر النمل ، النمل جراح ، للنمل مقبرة

النمل الغازى

- ١٣٩ ﴿رسالة عين النملة﴾ حديث بين المؤلف وبين المدرسين أيام الامتحان في سراى درب الجاميز وأن بعضهم كله في عين النملة فقال انها مقسمة الى مائتى عين فحدثت ضجة فأحضر المؤلف نص علماء الألمان والنمساويين بواسطة أكبر عالم في الزراعة بمصر فناء قوله مطابقا لما قرأه المؤلف في الكتب الانجليزية
- ١٤٢ عجائب عين النملة ، لها خمسة عيون ، ثلاثة منها أمامية لكل عين منها عدسة محدبة وشبكية وليفية عصبية وخلايا اضافية ملونة بالسواد ، ومنها ما تكون قزحية . هذه هي العيون البسيطة . وعينان مركبتان كل منهما من نحو مائتى عين صغيرة لكل عين قرنية فأهداب تكتنفها ومخروط وعدسة بلورية وشبكية للعين ومنطقة ملونة بالسواد خارجة ومنطقة داخلية وأعصاب بصرية وليف عصبي ونسيج أساسى الحشرات ترى الأشباح بسرعة غريبة
- ١٤٥ ﴿النحل بعد النمل﴾ يقال ان ملكة النحل لها ١٤٠٠ عدسة صغيرة
- ١٤٦ ﴿التلغراف اللاسلكي وتبادل الخواطر﴾ تبادل الأفكار قد يحصل في أوقات شاذة بين الناس ولكنه يكثر بين الحيوانات ويعرف هذا صائدو الطيور والحيوانات وفي أدنى مراتب الحيوانات ويظهر في جميع الطيور — ﴿الحشرات والنمل﴾ للحشرات رأس ، صندوق . بطن . لها أدوار أربعة (بيضة . دودة . فيلجة . حشرة تامة) لها ستة أرجل
- ١٤٨ رسم مزرعة للنمل وهو الأرض النمل
- ١٥٠ رسم مساكن النمل (شكل ١٣) رسم مستعمرة النمل (شكل ١٤)
- ١٥١ رسم قرية النمل وطبقاتها (شكل ١٥)
- ١٥٣ التفسير اللفظي لقوله تعالى — وتفقد الطير — الى قوله — وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين —
- ١٥٧ ﴿اللطيفة الأولى﴾ في الهدهد الذى أحاط علما بمالم يحط به نبى مع ذكر بعض أنواع الطيور وأن هذه تشمل عجائب الأسرار فى — طس —
- ١٥٨ نام المسلمون (٩٠٠) سنة وقد أيقظ الله الأمم حولهم فى أوروبا والشرق الأقصى فأراد اليوم إيقاظهم (أولا) بالسكوارث والمدافع (وثانيا) بالمنذرات المبشرات ومنها هذا التفسير فأقول انى مأمور أن أتفقد كل شئ كما تفقد سليمان الطير وتفقد رسول الله ﷺ الكواكب ليلا والأشجار نهارا فى الحديث المشهور وأشار لذلك بالطاء والسين هنا . طاء الطائر وسين سليمان مفتاحان لجميع العلوم — هاؤم اقرؤا كتابه —
- فها أنذا أتفقد الطير فأعرف أعضائها الداخلة وأحشاءها والطيور الدجاجية (شكل ١٦) مثل الجمل والطيور ذات الأرجل الكفية مثل الايدر (شكل ١٧) والطيور الشاطئية مثل الكزوار (شكل ١٨) والطيور المتسلقة مثل نقار الخشب (شكل ١٩) والطيور الدورية مثل القنبر (شكل ٢٠) والطيور الجارحة مثل الحدأة (شكل ٢١)
- ١٦٣ الكلام على الحيوانات الشديدة ذات الأيدي الجناحية مثل الخفاش (شكل ٢٢) والكلام على فق الطيران وتجربة العلماء فى طير الاوز العراقى واختلاف أشكاله فى طيرانه (شكل ٢٣ و ٢٤)
- ١٦٤ (شكل ٢٥ وشكل ٢٦ وشكل ٢٧ وشكل ٢٨ وشكل ٢٩ وشكل ٣٠ وشكل ٣١) ومن تفقدى للطير الحرف والفنون والصناعات عند الطيور
- ١٦٥ هجرة الفيران من انجلترا بقيادة فأر أعمى . سر من أسرار الطاء والسين . إن أمر النملة والهدهد مع سليمان أشبه بالتطبيق على آية — وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم — وهذه

المثلية تراعى هنا . إن دراستها واجبة كدراسة الأمم حوانا . نحن لانعشر إلا قراءة هذه الماهية
وجعلنا بها معناه موتنا (اقرأ ما تقدم في سورة يوسف) لقد ظهر انه يموت ألى قردان «أهنا» مات ربح
بلادنا ، ولما حافظ الناس على الطيور في بلادنا بعد ما كتبت عن ذلك في الجرائد ارتقت الزراعة ،
هكذا جهل المسلمين بالأمم حولهم أيام قطب أرسلان وأيام دخول الفرنسيين مصر وأورثهم النكال

١٦٦ صورة الهدد (شكل ٣٢) صورة ألى قردان (شكل ٣٣) صورة الكروان (شكل ٣٤) وهذا من
سرّ الطاء والسين وهذه الطيور حيانا وموتها موتنا والمسلمون لا يعلمون

١٦٨ صورة الرزاق البلى (شكل ٣٥) كل ذلك من الطيور الآكلات الدود التى أنا أقول بتعريض صيدها
بالبرهان لأن موتها موت لنا والمسلمون يجب أن يتعلموا

١٦٩ الكلام على الهدد تفصيلا وعلى فن الطيران فى عصرنا الحاضر وأن الهواء أخف من الماء (٨٠٠)
مرة والبخار أخف من الماء (١٧٢٨) مرة والقاعدة (أرشميدس) السلطان الأعظم هنا والكلام
على عوم السمك وغوصه بهذه القاعدة ومنفاخه الهوائى وحفظه تارة ونفخه تارة أخرى
والكلام على الوزن النوعى وأن البالون جاء على هذه القاعدة ، أما طيران الطير فى الهواء فعلى قاعدة
أخرى ولم يقدر الانسان على تقليد الطير بل أخذ يتخيل الطيران كالطير فى الشعر والخيال لا غير وفى
قصة حسن البصرى ، وفى القرن السادس عشر حاول رجل ايطالى الطيران وألمانى فى السابع عشر
وأخر فى الثامن عشر ثم درس الطيور وحركاتها (بورلى) فى القرن الثامن عشر ويئس من الطيران
ولكن (الميلانتال) قل « متى قدر الانسان أن يصعد فى الجو بقوة رافعة وأخذ يحوم فتح له باب
الطيران » فنجح فى ذلك الشابان الأمريكان سنة ١٩٠٥ واشترت الولايات المتحدة طيارتهما ثم احتفل
بهما سنة ١٩٢٨ بمضى ٢٥ سنة على تجربتهما . فن سنة ١٩٠٣ ابتدأ عصر جديد للطيران ، وفى
سنة ١٩٣٩ يكون الطيران شائعا

١٧١ جوهرة فى قوله تعالى - الله لا إله إلا هو رب العظيم - وجوابى على سؤالات فى معنى - رب -
العرش العظيم - و - ربّ العرش الكريم - وأن عظمة الملك لا تقتضى الكرم ، فكم من ملك عظيم
ملكه ولكنه لا يقدر أن يواسى كل ضعيف ومسكين بل اتساع الملك يقعه عن ذلك ولكننا نرى الله
لا يشغله تدبير الانسان عن تدبير حشرة أبى دقيق والزناير بل هو بكل شئ بصير فهذا هو الكرم ومثل
هذا الكلام فى - فتعالى الله الملك الحق - لأن ملك أهل الأرض مجازى ، فالله مع كل مخلوق كالشمس
مع كل نسمة ومن هذا نقول لابلد من بقاء الأنفس بعد الموت وهذا قوله - أخسبتم أنما خلقناكم
عبثا - الخ

١٧٢ قول بلقيس - ما كنت قاطعة أمرا - الخ هذه الآية تدل على ما كان عند العرب من أمر الشورى
فى الوثنية وقد نسيها المسلمون كما ظهر من حادثة على بن الحسين الذى أبى أن يجيز لو فدا الهند السفر الى
مكة وأن يحكم البلاد بالشورى

١٧٣ قوله تعالى - فما آتانى الله خير مما آتاكم - هذه الآية تدل على أن نعمة العلم هى كل شئ
جوهرة فى قوله تعالى - إن الملوك اذا دخلوا قرية - الخ مع قوله - فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا -
وبيان أصل هذا الانسان فى الأرض فهو من عناصر محرقة مثل البوتاسا والبوتاسيوم والمعادن فيها قوة
تحكم العناصر والنبات له نفس تضبطها والحيوان كثير الاختلاف ، والنفس حوّات تلك الأحوال الى
عواطف والانسان حوّها الى عواطف أعلى ، ثم آراء الفلاسفة كالفارابى وأفلاطون ، ثم ما حال الأمم

المملوكة والغالبية ، الانسان في هذه الأعمال لم يرتق عن الحيوان

١٧٤ تفصيل هذا الاجمال بشرح أمثال الصودا والجير والمغنيسيا والسليكا والكلور وأوكسيد الحديد و بيان أن الانسان اذا استحضر أمامه من كل واحد من هذه قطعة فقد أحضر كل نبات وحيوان . إذن كل نبات وكل حيوان ترجع كلها الى هذه المواد المحرقة وغيرها و بعض هذه القطع التي أمامك قد دخلت بمقادير مختلفة في البارود عندفرنسا وألمانيا و انكثرا مثل ملح البارود والكبريت والمصم فلهذه بعينها دخلت في النبات ، النباتات إذن فيها مواد محرقة كالبارود

١٧٧ فما الذي حفظ تلك المواد حتى صارت بهيئة جيلة في النبات ؟ الذي فعل ذلك أمر آخر آت من عالم آخر نسميه نفسا نباتية ، ثم هذا كله داخل في عالم الحيوان لأن الحيوان مبنى جسمه من النبات . إذن هذه المواد المحرقة التي ضبطها النبات دخلت في الحيوان ومنه الانسان ، ولا جرم أن لهذا الانسان أصرا من عالم غير عالمنا ضبط هذه العناصر المحرقة فنقلبت صفاتها فيه الى عواطف وأخلاق وآراء بعد أن كانت بارودا قبل أن تغذية وسموما وأدوية ، وعلى مقتضى هذه العناصر المركبة وتنظيم النفس لها تكون سياسة الأمم التي نحن بصدد الكلام عليها في الآية ، ومن الناس من قالوا إنما الحياة لذات ومن قالوا هي الكرامة ومن قالوا هي الغلبة ومن قالوا هومدنى بالطبع والمدينة فاضلة وقاسقة والفاسقة تظلم الأمم بالعصبية أو اللغة أو الوطن أو الدين أو المصاهرة أو الاستعباد أو بالملك الجامع . هذه هي آراء المدينة الفاضلة للفارابي وليس من هذا المنسوف اجتماع المسلمين الديني في العصور الأولى لأنه نظام عام ، العالم الأرضي كأنه جهنم صغرى لأن المظلمة والظلم إنما جاء عن أصل العناصر النارية ولولا تهذيب النفس النورية العلوية لهذه العناصر وتكميلها بحاصل اجتماع لأهل الأرض ، فالظلم في الأمم هو عين ما نراه في الكبريت والفوسفور والعدل هو عين ما نراه في النظام السماوي من حيث انتظام حركات الشمس والقمر وغيرهما ونفوسنا في الأرض تشبه تلك النفوس المدبرات للكواكب فهي نظمت هذه الأجسام الانسانية وكلما زادت نظاما زادت قربا من تلك العوالم العليا ويشهد لذلك التشهد في السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وخير أحوال أهل الأرض أن يكون السلام بينهم جميعا كالسلام بين الكواكب في نظامها آراء أفلاطون في سياسة الانسان ، يرى مشاركة النساء للرجال في الحرب والوظائف وليس يعرف الموجود الحقيقي إلا الفيلسوف وعلى الحكام أن يمتحنوا على العلم والعمل والصبر ، وهنا حكاية المغارة التي تخيلها وأن فيها قوما لم يروا النور ثم رأوه تدريجا يمثل تعلم العلوم وأنه بالتدريج وأن هذه السموات والأرضين ليس وجودها حقيقيا بل الموجود الحقيقي عالم الأمثال - ولله من ورائهم محيط - ثم بيان حكومة الأشراف والحكومة العسكرية وحكومة الأغنياء وحكومة الجمهورية وحكومة الفرد المطلق وأن كل واحدة أحسن مما قبلها ، وبيان بعض نضاج للأهم مثل الحجر على الشعراء والمصورين الذين يشيرون الشهوات في الشعب

١٨٥ التعاليم الاسلامية ، ماذا أصاب أمنا الاسلامية من الأهوال السياسية ، وبيان أن هذه التعاليم الفلسفية التي ذكرناها قد أنزلها الله على قلوب الأمم قبل نزل القرآن ليفهم المسلم معنى كون القرآن ذكرا فهو قد ذكر الانسان بالعلوم التي كانت مخبوءة في كتب الأمم من قبل نزوله وبه نفهم معنى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - والعجب كل العجب أن آراء أفلاطون في تدهور المدينة في درجاتها السابقة هي بعينها التي جاء بمعناها حديث البخاري ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم الخ ﴾ إذ جعل التهاوت على الذات مهلكا للأمم وهذا هو الذي بكى له رسول الله ﷺ وصاحبه وقت أن

حلت الفناء يوم بدر هذا عجب عجاب

فلسفة قديمة ثم ينزل وحى وتكون هي شرحا له وهذا أعظم معجزة

١٨٧ الكلام على تخريب الفاتحين للممالك وكيف يجازون بزوال ملكهم من ابن خلدون مصداقا للآية .

خلافة بنى أمية . ثم خلافة بنى العباس ، ثم قيام بنى هاشم بالثورات مثل آل الحسن وآل الحسين ، عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بالأندلس ، خروج المهدي محمد بن عبد الله (المنصور الزكي) وفرار أخيه ادريس بن عبد الله إلى المغرب الأقصى واجارة البربر له ثم انقراض الدولة بعد حين وقام على أنقاضها العبيديون ثم ملك نفس البرابرة ورجع العرب إلى الشرق

١٨٨ سر ارتقاء العرب ثم انحلال دولتهم ، العالم كله جسم واحد ، لما أخذت دولة الرومان في الانحلال أيقنت

الله أمة بدوية في الصحراء بنى أرسله وأحل له الفناء وجعلهم خلفاء الأرض فلما جعلوا المال وسيلة لصلاح الأمم بقيت دولتهم ولما جعلوه لشهواتهم وصاروا ملوكا لا خلفاء أزال الله ملكهم ولم يزل إلا بعد ما ممكن الاسلام في الأرض وهو عدل يحل لكل أمة دولة يستخرج مواهبها ثم يوقط أمة أخرى

١٨٩ نبذة من أسباب ذهاب دولة العرب مصداقا للآيات والأحاديث ، زواج أمراءهم بالأجانب في الأنديس

عبد العزيز بن موسى بن نصير تزوج بأرملة لزريق ملك القوط ، محمد بن عبد الله تزوج باسبانية تسمى (ماريه) وابنها عبد الرحمن الناصر وهكذا غيرهم بالأنديس ، وهكذا فشا الزواج والفساد بالاسبانيات من القوط وغيرهم وهكذا سرى في العاقبة كما سرى في الأمراء ، وهكذا هدا التلقيح أثر في البربر فرقق أخلاقهم ولذلك انحلت الأمة وانقسمت إلى (٢٠) دولة

١٩٠ كيف يحصل الفساد والخراب في الأمم المغلوبة على أمرها ، وبيان أن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل وانقيادهم لسواهم

١٩١ بيان أن بني اسرائيل لما أنسوا بالذل في مصر لم يجدوا من أنفسهم قدرة على دخول أريحا بالشام فكان من الحكمة أن يبقوا في القفر بجهة سيناء (٤٠) سنة حتى يفنى هذا الجيل ويخرج جيل عزيز الجانب حر

١٩٢ بيان أن الأمة إذا صارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء ، وأن الانسان خلق سيذا فإذا ذل هلك والحيوانات المفترسة لا تناسل إذا حبست في أقفاصها ، وبيان أن أمة العرب (إذا تركت دينها) وغلبت أمة أسرع إليها الفساد وأنهم لا يبالون إلا بالجباية ويتركون الناس فوضى

١٩٣ بيان أنهم أبعد الأمم عن السياسة (إذا تركوا الدين) وذو كرمأقاله رستم لما جمع عمر المسلمين للصلاة وقوله (عمر يعلم الكلاب الآداب)

١٩٤ الظلم مؤذن بخراب العمران وأن الأمم الظالمة تقع في سوء أعمالها وأن من عوائق الملك حصول الترف والتعيم ذلك لأن الجيل الذي يتكلم على غيره في أموره يصبح عاجزا وهذا كله موافق للأحاديث والآيات

١٩٥ بيان أن الأمم العربية لما ضمت تحت خلق الله أمما أخرى اعمارة أرضه منهم دولة انكشروا وأول ظهورهم كان سنة ٥٥ (ق . م) ودولة الفرنسيس وابتداء ملكهم سنة ٤٢٠ (ب . م) ودولة هولانده واستقلوا سنة ٩٨٧ هجرية

١٩٦ استعمار الفرنجة لبلاد الاسلام وهل يدوم

١٩٧ تلخيص ما تقدم . حفلة جامعة لعلماء الشرق وأوروبا دعى لها المؤلف يوم ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٩ من أحمد زكي باشا وظهر في هذه الحفلة كيف أصبح أبناء العرب في هذا الزمان يرجون علماء أوروبا أن

يكونوا واسطة في أن أوروبا تعاملنا معاملة الاخوان لامعاملة الأذلاء وذلك بالامتيازات الأجنبية في مصر التي زالت من جميع الأرض إلا من مصر ، فليستار سادة الأمم قديما كيف ذلوا لها حديثا وذلك بالأسباب المتقدمة

٢٩٨ رأى المؤلف في اسعاد هذه الأمم الاسلامية في المستقبل وذلك أن يكون الاجتماع بالعلم والدين بعد أن فشل الاجتماع بالعصبية ، فليعلم التعليم بلاد الاسلام

٢٠٠ عبرة تاريخية في آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - أول افساد الجاعات يكون باللصوصية ثم تقوى فتصير جهرا كما حصل من السلطان سليم الذي خرب مصر ، فأتى حارب الصليبيون المسلمين فما عذر السلطان سليم المسلم ، ذلك الذي أخذ رجال الصناعة من مصر وأهلكهم كما قيل وهم نحو ألفين فصارت البلاد زراعية ضعيفة لا يهتمها سوى المال حتى ان بها اليوم ٦٠ وزير اكل منهم يتناول ١٥٠٠ جنيه في العام ، كل ذلك من تأسيس الترك - والله غالب على أمره - ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

٢٠١ (اللطيفة الثالثة) في نقل عرش بلقيس ونحوه ، هنا نحو ٢١ سؤالا ألفت للأرواح في نحو هذا المقام والاجابة عليها بأجوبة جميلة بديعة لا تصدر إلا عن أهل الحكمة العالية مثل السؤال عن السيل العام هل هو عنصر الأشياء والاجابة عليه بأن كل مافي الكون مركب منه ، ومثل السؤال عن المناسبة بينه وبين السيل الكهر بائي والاجابة عليه بأن ذلك مركب منه ، وهكذا الكلام على الأرواح وتحريكها للجوامد بذلك السيل العام والسيل الخاص في الوسيط الخ ومثل تفصيل الأرواح الكلام على تلك الزهور البديعة التي حضرت في المجلس بواسطة الأنسة (نيسول) والحجرة مقفلة زمن الشتاء وكيف حضرت وهل هي من أرضنا أم من أرض أخرى والاجابة بأنه لا يمكن أن يحضر من غير أرضنا وهكذا

٢٠٦ (القسم الثالث) - ولقد أرسلنا الى ثمود - الى - فساء مطرا المنذرين - كتب مشكلا وتفسيره اللفظي ٢٠٨ جوهرة في قوله تعالى أيضا - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - مع قوله - فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا -

(لطيفة) في رأى فيلسوف الصين (كونفوسوس) في دولية العالم وفي مدح (كبتن كنج) في شعره لأمرء الشرق قديما وحديثا مع انه رجل انجليزى وأن النوع الانساني فيه عواطف يمكن انماؤها للمحبة العامة

٢٠٩ (القسم الرابع) - قل الحمد لله وسلام على عباده - الى آخر السورة قد كتب مشكلا

٢١٠ تفسيره اللفظي

٢١٢ لطيفة في الموازنة بين هذه المذكورات السبع عشرة التي أوّلها خلق السموات والأرض وآخرها نكاحهم في الآخرة بالحجج وهم عمى عنها وبين الحمد في الفاتحة والتحيات لله والسلام على النبي ﷺ والصالحين والحمد مل السموات والأرض

٢١٤ جوهرة في قوله تعالى - أمّن خلق السموات والأرض - الى قوله - أن تنبتوا شجرها - والكلام على المطلب الأول في الحدايق ذات البهجة وأن الناس يعيشون مسحورين بحواسهم إذ يرون الماء والهواء والمعادن كالحديد والكبريت ونحوها اذا هي جوامد ولكن هذه الجوامد هي أعينها الشعير والقمح والخشخاش والجزر وهي أنفسها الجذر والساق وللجذر تسع صفات والساق بضع صفات وكل منهما متجه الى جهة ما فأحدهما للأعلى والآخر للأسفل ولكل منهما عمل ، والنتيجة منافع ذات بال للحيوان والانسان وهذه المنافع تابعة للمواد المنتجة الممتصة بتلك الجذور مقدرة بمقدار المنافع على حسب

الأنابيب الشعرية المختلفة فتحتاجها باختلاف تلك المنافع من غذاء ودواء وفاكهة وملابس وغيرها ويساعد على ذلك الخضرة المختلفة الأشكال الناجمة من مادة الكوروفل المبهمة في جميع الأشجار المدخلة الكربون المخرجة الاكسوجين المرسل منها الى الحيوان والانسان وهكذا دواليك مع اختلاف الجذور من وتدى وليفى ودرنى (شكل ٣٦ و ٣٧ و ٣٨)

٢١٦ بيان أن هذا معنى قول الغزالي ﴿إن المشعوذ البارح ان يفعل مثل ما نراه في الطبيعة﴾ وبيان أن الساق راحقة وقائمة ومتسلقة كالقضاء والقرع وكالقطن والنخل وكاللباب وأن الكرمة والبالزلاء والبرتقال لها إما محاليل محورة عن الفصون أو عن الأوراق وأما شوك محوّل عن أغصان لمنافع خاصة.

٢١٧ (شكل ٣٩) صورة محاليل الكرمة وذكر الإشارة الى العلوم الربانية في النبات وبيان معنى - ما كان لكم أن تبتوا شجرها - وبيان حدائق البحرا التي كشفها (المستر ويليام) في مياه جزائر (البولينيز) وشاهد نباتها الجميل وحيوانها المختلف الأشكال وهوتحت البحر في آلة اخترعها حديثا تمنع الفرق ولا تمنع رؤية الأشياء ولا تصويرها

٢١٨ تطبيق المذاهب الفلسفية على مناظر هذا النبات وأن طاليس اليوناني الذي يشبه السنج في الهند طبقته أقل من علماء الیوجيين في الهند ومن سقراط وأفلاطون الخ أولئك الذين وقفوا على الحقيقة مفصلة

٢١٩ المطلب الثاني والثالث في قوله تعالى - أئن جعل الأرض قرارا - والرابع في قوله - وجعل خلالها أنهارا - والخامس في قوله تعالى - أئن يجيب المخطر - الخ

٢٢٠ ﴿البهجة في الحدائق ذات البهجة﴾ وبيان أن الروضة التي أنشئت حديثا عند جامع ابن طولون بمصر ذكرتني بوخامة هذا المكان سابقا وبجهل أكثر المسلمين التاركين القاذورات تفك بهم فتكا ذريعا وهم نائمون ، وبيان أن نبات أمثال هذه الحديقة يرسل في الهواء مادة الحياة الى الحيوان كما كشفه العلم حديثا وبالعكس

٢٢١ ﴿اللطيفة الثانية﴾ في بهجة الحدائق وبيان انى أيام شبابي كنت أجلس في الحقول والبساتين ويخيل الى أن بالبساتين طربا وما كان ليدور بخلدى أن هناك ذبابا كبيرا له طبل (شكل ٤٠) ولأن للنمل أصواتا غنائية عجيبة ولأن للحشرات جهاز تنفس ولأن بعض الخنافس تطير (شكل ٤٣) ولأن هناك شجرة يشرب منها السائحون ماء صافيا (شكل ٤٤) ولأن الطاووس يغازل أنثاه (شكل ٤٥) ولأن للعنكبوت بصيرا وعمى نوعا من الغزل بطرق مختلفة وهكذا

٢٢٢ ﴿بهجة الابصار في أوراق الأشجار﴾ والكلام على تنوع الأوراق تنوعا عجيبا كتنوع الأطعمة والأغذية والأدوية والزينة ، فاذا رأينا ورقة الحناء مستوية لا أسنان فيها وورقة المشمش لها أسنان صغيرة وورقة الفجل أسنانها أغور في الورقة وورقة العدس أسنانها بلغت النهاية فأصبحت الورقة الواحدة أوراقا فهكذا نوع مقاصدها من زينة للأولى وفاكهة للثانية وخضراوات للثالثة وجوبا للرابعة وهذه أشكالها الحناء (شكل ٤٦) المشمش (شكل ٤٧) والفجل والخروع ٤٨ و ٤٩ والعدس والترمس ٥٠ و ٥١ كل هذا في صفحة ٢٢٨ ثم الكلام على ورق النبات ذى الفلقة الواحدة إذ تكون متوازية وهى في ذى الفلقتين إما كالريش وأما كالراحة ثم ان عنق الورقة له ما يشبه في الانسان رباط الرقبة لحفظه كورقة البالزلاء (شكل ٥٢)

٢٢٩ الكلام على نسبة الأوراق بعضها لبعض وعلى الأزهار وأن الكلام على ذلك قد تقدم فلانعيده

٢٣٠ ذكرى الجمال والحكمة ومخاطبة المؤلف لصانع العالم وظهور دهشه من أن يرى ورقة الورد والبالزلاء

والسنتطعجيات بما يقيها عاديات الدهر واعتقاده أنه لولا الحجاب المسدول على عقولنا واننا لم نشاهد صانع العالم لذابت هذه النفوس من بهجة الجمال ولكن من الحكمة هذا الحجاب . سعادة مؤلف التفسير وسعادة قرائه إذ يقول إن هذه هي السعادة التي كان ينشدها لما كان فتى إذ كان يجب أن يقف على ماوصل اليه عقل الانسان من المباحث وهذا هو اليقين الذي أيقنه المؤلف بمشاهدة أمثال ورقة السنتط والبالزاء الخ كايقان أفلاطون الخ من أمة اليونان وايقان (كنت) الألماني و (سبنسر) الانجليزى والنقطة للجميع واحدة وأن هذه الآراء سيتم شرحها في (رسالة مرآة الفلسفة) وذلك من حيث العلم لاغير

٢٣٢ تفسير بعض الكلمات في هذه الآيات . التفسير اللفظي لآيات - ولا تحزن عليهم - الى قوله - لا يوقنون -

٢٣٣ تفسير الآيات من قوله تعالى - ويوم نحشر من كل أمة - الى آخر السورة

٢٣٤ (اللطيفة الأولى من كتاب الأرواح) في أن الدابة التي تكلم الناس هي رمز لعلم الأرواح الذي ظهر في أمريكا وأوروبا ، وبه عرف كثير من الناس ربهم ، والرمز نوع من أنواع الكناية مع بقاء اللفظ على حاله

٢٣٥ (اللطيفة الثانية) - وترى الجبال تحسبها جامدة - وحكاية المؤلف مع المدام (ليبيديف) الروسية وتفسيره لكلام الجنيد إذ عبر عن نفسه وهو ساكت والقوال ينشد بقوله - وترى الجبال - الخ فقال المؤلف إن الآية تتفق في ظاهرها مع أقوال القدماء في الفلك وفي حقيقتها مع علماء العصر الحاضر فيه وأن كلام الجنيد يريد به انه يرى ساكننا وقلبه متحرك كالأرض وما عليها وقالت (لقد كذب الفرنجة إذ يقولون لا بدائع في القرآن)

٢٣٦ وههنا نقل المؤلف من كتابه جواهر العلوم في هذا المعنى مع ايضاح

٢٣٧ (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - وقل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها - وههنا نقل المؤلف من كتابه « جواهر العلوم » (٣٠) معجزة كشفها العلم الحديث ، المركبات الحديثة والتصوير الشمسى وانشقاق القمر من الشمس وكون السماء دخانا (الأثير) ومثل كراهة أكل لحم البقر ومثل غسل أثر الكلب وهكذا المكروبات ومثل كثرة الاغتسال في الدين الاسلامى وهكذا والقاح الأشجار ومثل يأجوج ومأجوج ، ومثل ظهور الكرباج في الاسلام ، ومثل النساء المتبرجات ، ومثل ان الذباب داء ، ومثل ان النساء تؤخرهن الطبيعة كلما أردن التفوق على الرجال والفونوغراف وكل هذا على مقتضى الآيات والحديث الشريف

٢٣٨ (اللطيفة الرابعة) إن في هذه السورة حدين وشكرين . حمدان للنبى ﷺ وشكران لسليمان أحدهما لنعمة العلم والثانى لنعمة الملك . والحمدان من نبينا ﷺ أحدهما هو مقامه المحمود وثانيهما حمد الله على انه سيعلم هذه الأمة ويجعلها - خير أمة أخرجت للناس -

٢٤٠ (اللطيفة الخامسة) في تلخيص كلام الغزالى ليظهر منه أن الأمة الاسلامية اليوم لم تقم بالشكر فلذلك احتلت بعض بلادها الفرنجة

٢٤١ تفصيل الكلام على الشكر وانه علم وحال وعمل من كلام الامام الغزالى ، وبيان أن المسلمين اليوم غير شاكرين غالبا

٢٤٢ جوهره في مقال عام في آية سنبريم آياتنا - الخ وبيان ماخص النظريات التي ستذكر في رسالة (مرآة الفلسفة) وانها قد خلصت من الاعتراضات التي وردت على أفلاطون وأرسطاطاليس في الكلام على نظام الدنيا ومأصل العالم ومامنزلة المادة وهكذا وبيان ما في هذه الرسالة من آراء العلماء قديما وحديثا

- ٢٤٤ بيان أن هذه الرسالة سيكون في آخرها تقسيم جميع العلوم وهي (١٧) ولها فروع تعد صناعات
- ٢٤٥ انذار المؤلف للأُم الإسلامية اذا تركوا هذه العلوم
- ٢٤٥ جوهرة في بعض سر الطاء والسين في آية - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - وأن الانسان مضطرب مادام جاهلا بنظام الدنيا
- ٢٤٦ متى عرفت الحقائق أحسست بالسلاام ، سلام عيسى في مواطن الثلاثة وسلام المسلم في التشهد الخ والمسلم إذ ذاك يفهم معنى الرحمة ومعنى الغضب في سورة الفاتحة وأن الله منزّه عن الرحمة والغضب اللذين يتصف بهما نوع الانسان بل رحمة وغضب يرجعان لنظام الوجود ولمراتب المخلوقات وذلك يعرفه المسلم في التسبيح في ركوعه وسجوده
- ٢٤٧ المستنبطات التي وجدت في هذا العصر مثل الصور الفوتوغرافية ومثل الأشعة التي فوق البنفسجية التي كنت فيها قوى عظيمة صحية نافعة ، ومثل تسميد الزرع من نفس الهواء وهكذا وهي ٣٣ آية من آيات الله تعالى التي وعد بها إذ أمر بالحمد عليها فقال - قل الحمد سبركم آياته فتعرفونها - وآخرها العمد لاطالة الحياة وصحة العقول والعواطف

(تمت)

